جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ - الدراسات العليا

الحياة الإدارية والسياسية

في الإمارات الإفرنجية الصليبية في بلاد الشام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

وفاء جوني

إشراف الدكتورة

أمينة بيطار

دمشق ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م

إهداء

إلى من أنارا لي الطريق وحثا خطاي
عند الكلل .... إلى من نذرا نفسيهما
لأولادهما...
إلى والدي الحبيب ...
إلى والدتي الغالية ...
أقدم باكورة عملي هذا .

وفاء

بطاقة شكر

تفضلت الدكتورة أمينة بيطار بالاشراف على اعداد هذه الرسالة، وقد لقيت منها كل العون والارشاد والتقويم، فلها مني فائق الشكر والامتنان.

ولزوجي وابنتيّ الاحباء عظيم شكري لما تحملوه معي من مشقة في مشواري هذا.

ولكل الذين ساهموا في انجاز هذا العمل بطاقة حب واكبار.

بسم الله الرحمن الرحيم

- أ -

المقدمة :

بلاد الشام موقع جغرافي هام في شرقنا العربي، بقي منذ ... أنظار الغزاة والطامعين ، بسبب ما يتمتع به من موقع ممتاز وأرض معطاء خصبة . فهو نقطة عبور بين القارات الرئيسية الثلاث ، بقي دائما جسرا لجميع الحضارات والثقافات . عبر أراضيه كانت تمرّ أهم طرق القوافل التجارية ، وفي بحاره وأنهاره مخرت شتى أنواع السفن ، ومن أراضيه الخيرة تنوعت الغلال والمحاصيل، بل فاقت بكمّها ونوعها حد الحصر والوصف ، ومن خلال حضاراته العريقة أيضا سطع النور في العديد من أصقاع الارض .

لقد تعرض هذا الجزء الهام من وطننا العربي الى العديد من الحروب والغزوات وعانى من الويلات والمصائب والدمار الكثير الكثير... بقصد سيطرة الدخلاء عليه واستغلال أراضيه وخيراته .

وما الحروب الصليبية التي أشعلها الفرنج الصليبيون في أرضنا العربية في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، وطيلة قرنين من الزمن، سوى موجة من الموجات التي حاول من خلالها الطامعون اجتياح أرضنا دون جدوى ، بسبب بسالة مقاومة شعب تلك الارض الأبية ، بالرغم من قوة الفرنج التي دعموها بكل امكانات الغرب الاوروبي،ذلك القطاع الذي اجتاحته هستيريا تلك الحروب تحت ستار الدين في الظاهر والسيطرة والعدوان في الباطن .

وها نحن نعيش الآن في وطننا العربي حالة ليست بعيدة عن حالتنا ابان الحروب الصليبية فهناك حروب ومقاومة واحتلال . وشيء بديهي القول أن دراسة التاريخ تجعلنا نفهم واقعنا الحالي عندما نسقط الماضي على الحاضر ، فنستطيع أن نتنبأ بالمستقبل أيضا . وهذا ما شدني الى دراسة الحروب الصليبية فما أشبه اليوم بالامس ، ها هو الغرب ذاته يدعم ربيبته اسرائيل وأعونها في المنطقة تحت ستار الدين أيضا فاسرائيل الدويلة المصطنعة التي أنشأها الغرب في أرضنا العربية (فلسطين) لتكون قلعة من قلاعه المتقدمة ، انما يبتغي من خلالها الغزو والعدوان ، كما كان فيما مضى يبتغي من حملاته الصليبية المجنونة الغزو والعدوان أيضا .

ولابد لي من القول، أن الغزوات الفرنجية المتلاحقة ، لم يكن لها أن تجد موطىء قدم على الارض العربية لولا تفكك بلداننا وضعفها وتناحر حكامها آنذاك . وأقول أيضا أننا لم نستطع أن ندحر تلك الهجمات المهووسة لولا توحد الصف العربي واجتماع شمل

الامة العربية . وكلي أمل أن ما تم انجازه في الماضي من أمجاد وملاحم نفخر بها يجب أن يتكرر مرة أخرى لاننا أصحاب قضية عادلة وأصحاب حق . وكلي أمل أن حطين جديدة وعين جالوت جديدة لابد آتية طالما فينا الكثير من أحفاد عظماء التاريخ العربي المجيد .

هذا وقد قمت باختيار الجوانب المتعلقة بالحياة السياسية والادارية للامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام كموضوع بحث لاسباب عديدة ، من أهمها : أن معرفة هذه الجوانب تجعلنا نفهم طبيعة عدونا وطبيعة نظمه التي اتبعها في المناطق التي احتلها من بلادنا . كما أن هذه الجوانب هي جزء هام من موضوع دراسة الحركة الصليبية التي بيّنا ضرورة بحثها . ثم اني وجدت أن البحث في هذا المجال ، موضوع جديد على المكتبة العربية والقارىء العربي وهو من الاهمية بحيث جعلني أغطي هذا النقص ، ودفعني الى المساهمة في نقل ما استطعت جمعه من معلومات ، ومن ثم سبكها في هذه الرسالة ، لعلها تساهم في توضيح هذه الجوانب من مسالة الحروب الصليبية . وأقصد بذلك الجوانب الادارية والسياسية غير أني عانيت بعض المعوقات في دراستي هذه ومن أهم هذه المعوقات اهتمام مصادر الحروب الصليبية بشكل عام العربية منها والاجنبية ،بالجانب العسكري، وسرد أحداث المعارك والحروب التي قامت بالتفصيل ، باعتبار أنها كانت حديث الساعة آنذاك . وهذا حال كل عصر تقريبا ، وليس فقط تلك العصور . حيث يهتم المؤرخون والكتاب بذكر أعداد الجيوش ، وتأريخ وقائع المعارك بالزمان والمكان ، وذكر أعداد الجرحى والقتلى والاسرى وما الى ذلك ... ونادرا ما نجد منهم من يبحث في الاوضاع الادارية والسياسية والاقتصادية للطرفين المتحاربين . وينطبق هذا الامر على الحركة الصليبية ، التي تكثر الكتب من الحديث عن حملاتها ، وأسماء قوادها ،وعدد أفرادها ... وقد جعلني هذا الامر أزيد البحث والتنقيب في المصادر العربية و الاجنبية ، وأستقصي أخبارها وأحداثها ، علّني أجد ما يرشدني الى هذه النواحي من خلال الشذرات التي وجدتها متفرقة هنا وهناك .
هذا وقد قسمت بحثي الى بابين رئيسيين . تحدثت في الباب الاول عن النظام الاداري الذي كان يحكم الامارات الفرنجية التي أقامها الصليبيون في المشرق العربي . ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول رئيسة :

الاول منها اعتبرته مدخلا لدراسة الحركة الصليبية بشكل عام . وقد بحثت من خلاله مدة وعدد وأهداف الحملات الصليبية . ثم تحدثت بعد ذلك عن الاوضاع التي كانت تسود المشرق العربي ابان وصول الحملات الصليبية الى الاراضي العربية . ثم تحدثت

عن الاوضاع العامة في الغرب الاوربي عشية الحروب الصليبية ، لأبين الدافع الى قيام تلك الحملات الصليبية المتلاحقة . ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن الامارات الصليبية التي تم تأسيسها في المشرق العربي عقب وصول الحملة الصليبية الاولى .

أما الفصل الآخر من هذا الباب فيتضمن النظام الاداري المطبق في تلك الامارات، والذي لم يختلف كثيرا عن النظام الاداري الذي عاش في ظله الفرنج في أوربا قبل غزوهم للشرق ، مع بعض التغيير ليلائم ظروف المنطقة في الشرق وطبيعة سكانها . وقد ظهر التأثير الشرقي في النظم الادارية الفرنجية أكثر وضوحا في امارتي الرها وانطاكية .

كما تضمن هذا الفصل الحديث عن أنواع المحاكم التي وجدت في امارات الفرنج. لاسيما منها المحكمة التي تدعى " المحكمة العليا "، التي كانت صاحبة التشريع والقضاء والسياسة في المملكة فقد كانت تسن القوانين وتعاقب المذنبين ، لكنها بنفس الوقت كانت تختار الملك والوصي على العرش وتقرر سياسة المملكة بشكل عام . بقي أن أقول أن هذه المحكمة تألفت أصلا من الملك وكبار أتباعه " البارونات " وممثلين عن الدويلات الايطالية التجارية وهيئات الفرسان الرهبان وغيرهم من أصحاب النفوذ .

وتحدثت في هذا الفصل كذلك عن العوامل المؤثرة في تغير حدود المملكة والامارات الفرنجية فكان منها العوامل التي أسهمت في تدعيم البناء الصليبي منذ البداية ، والتي أخذت تنخر فيه فيما بعد (أقصد بذلك الدويلات الايطالية التجارية من جهة ، والمنظمات الدينية (الاستبارية والداوية) من جهة أخرى بالاضافة الى عوامل أخرى كثيرة عملت على هدم ذلك الكيان الفرنجي الصليبي المقام على أرض المشرق العربي . كما تحدثت في هذا الفصل عن العلاقات التي كانت تربط الفرنج القادمين حديثا ، بالملك والامراء المحليين . هؤلاء الفرنج الذين لم يكونوا يرتبطون أو يتقيدون بآراء ومخططات ملك بيت المقدس ، وأمراء الامارات الاخرى . وهذا ما أدى الى فشل معظم حملاتهم (حملة سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠١م، والحملة الصليبية الثانية وغيرها).. وهنا وضحتُ نقطة هامة أخرى ، وهي أن الفرنج الصليبيين الذين قدموا مع الحملة الصليبية الاخرى ، تأقلموا بعد فترة قصيرة من الزمن مع الشرق . وتبنوا الكثير من عاداته وطباعه . وقد سخر منهم الفرنج القادمون حديثا ولقبوهم بألقاب تدل على الازدراء والاحتقار.

ثم ختمت الباب الاول بفصل أفردته للحديث عن النظام الاداري في المؤسسات الملحقة

بامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام ، كنظام ادارة أملاك والدويلات الايطالية التجارية في الشرق والتي شكلت قومونات تجارية مستقلة عن الامارات التي تتبع لها، والتي كان لهـا نظمها الادارية الخاصة وموظفوها كما لو أنها أجزاء من ايطاليا نقلت الى الشرق بكل مظاهر حياتها .

ثم تحدثت عن ادارة المنظمات الدينية (الاسبتارية والداوية والتيوتون) والتي كانت لها ادارتها الخاصة وسياستها الخاصة وأملاكها الخاصة التي ضاهت بها لكثرتها مملكة بيت المقدس والامارات الثلاث . وكانت هذه المنظمات بمثابة دولة داخل الدولة وهذا ما أدى الى اضعاف المملكة كثيرا ، في أوقات كانت فيها المملكة أحوج ما تكون الى هذه القوى الدينية .

وكذلك تحدثت في هذا الفصل عن ادارة بلاد المناصفات ، وهو موضوع جديد كل الجدة في مجال دراسة الحروب الصليبية ، كما أنه من المواضيع الشيقة التي يجد الباحث لذة في بحث جوانبها وتفاصيلها . وختمت هذا الفصل بالحديث عن أوضاع العرب المسلمين في ظل ادارة الفرنج الغزاة . ونظرة العرب الى هؤلاء المحتلين ، ومدى التأثر الذي أخذه كل طرف عن الطرف الآخر .

أما الباب الثاني ، فتحدثت فيه عن الحياة السياسية في الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام . وقد تضمن هذا الباب ثلاثة فصول ، تحدثت في الاول منها عن ملك بيت المقدس ، باعتباره أهم سلطة سياسية افرنجية في بلاد الشام .

وقد شمل الحديث عنه دراسة شروط وصوله لعرش المملكة ، وهي شروط يجد الباحث متعة في تتبعها لاسيما منها قضية توريث الانثى (البنت أو الزوجة) ... للعرش . وتحدثت بعد ذلك عن تتويج الملك ومراسيم التتويج والامور المرعية في ذلك . ثم تحدثت عن صلاحيات ملك بيت المقدس وسلطاته وبينت أنه لم يكن في مملكته الا مقدما بين أسويائه ، فهو لا يختلف عن باقي الامراء الا بأنهم أجمعوا على اختياره رئيساً عليهم . فهو رئيسهم وليس سيدهم . ولذلك لم يستطع أن يتخذ القرارات ويدير شؤون المملكة الا بموافقتهم واستشارتهم ويتم ذلك من خلال انعقاد جلسات المحكمة العليا التي تضمهم جميعا . وبذلك كان الملك مقيدا في مملكته بالكثير من القيود التي حدّت من سلطاته وصلاحياته .

ثم تحدثت عن أسماء الملوك الذين حكموا مملكة بيت المقدس . مع محاولة تتبع أنساب الاسر التي ينتمون اليها ما أمكن .

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن آمراء الامارات من حيث ألقابهم وشروط وصولهم الى سدة الامارة ، وسلطاتهم، ومن ثم العلاقة السياسية القائمة بينهم وبين ملك بيت المقدس .

وفي الفصل الثالث والاخير، تحدثت عن البطريرك ، ودرست من خلاله البطريركية كسلطة دينية وزمنية . وشملت الدراسة كيفية اختيار البطريرك والهيئات التي تتدخل في اختياره ، ثم قمت بتحديدمناطق نفوذه ، والاماكن التابعة لكل بطريركية من البطريركيتين اللتين وجدتا آنذاك ، وأقصد بهما بطريركية انطاكية وبطريركية بيت المقدس . ثم عددت أسماء البطاركة اللاتين الذين تربعوا على كرسيي هاتين البطريركيتين منذ بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، حتى نهايته .

وأخيرا أنهيت بحثي بخاتمة ضمنتها خلاصة أتعابي وجهدي ، والنتائج التي توصلت اليها . وأرجو أن أنال من خلال ذلك الرضى والتوفيق .

وقبل أن أختم الكلام فانني أتوجه بالشكر والتقدير الى الاستاذين الفاضلين الدكتور سهيل زكار، والدكتور عادل زيتون اللذين تفضلا بقبول عضوية لجنة التحكيم.

كما أخص بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل الدكتورة آمينة بيطار التي تفضلت بالاشراف على هذه الرسالة ، فأحاطتني بتوجيهاتها العلمية السديدة وملاحظاتها القيمة وأسدت اليّ النصح والارشاد . وبذلك كل ما في وسعها حتى ظهرت هذه الرسالة الى حيز الوجود .

كما أرجو أن تنال رسالتي هذه الرضا والقبول وتقبلوا مني فائق الاحترام.

والله ولـي التوفيق

POLITICAL AND ADMINSTRATIVE RELATIONS CRUSADER AMIRATES IN AL CHAM COUNTRIES

Al-Cham,an ancient region Southwest Asia bordering Mediterranean,comprising modern Syria,Lebanon,Palestine and Jordan, is a significant geographical site.

Due to its importance as a crossing point between three continents,the region has been attracting,since the early dawn of mankind,the attention of conquergrs and greedies.

The area,which has been a bridge over which all civilizations and cultures met and espoused,is also well-known as a vast fertile arable land.

The territories of this ancient region was scene of the most pivotal trade routes for old caravans,and with its seas and rivers endless vessels have sailed.

The area,which is also better known as the Crescent Fertile, has produced the best quality of variouse corps and yields. The region,which had been the cradle of the ancient civilizations,could considerably contribute in spreading its effect worldwide.

That part of our Arab homoland subjected to several wars and incursions and suffered that much of disasters,woes and devastation along with havoc created by intruders and invaders in a bid to mastery its wealth and land.

Wars kindled by Crusaders,at the Ac 11th century,which lasted for two long centuries,were but parts of the conquerors waves intended to occupy our land,but to no avail due thanks to the valiant and unabated resistance of the local indigenouse residents.

The Crusaders incursion ended in fiasco inspite of the fact

the invaders received all the then needed backing from the powerfu

Europe,which was swept and engulfed by the hysteria motivated tha

sweeping invasion ostensibly a religious one,but in fact was aimin

to achieve an aggressive dominance.

At the time being,the Arab homeland undergoes a state similar to t

Crusaders era,because there is stll a war of occupation faced b

counter resistance.

It is a matter of course,that going through history makes us in a

position to understand the present time.

It goes beyond any doubt,that when we try to absorb lessons of our

hostory,we would better predict future.

This parallel has pushed me to give a heed to consider throughly th

Crusader wars.

Today's similarity withyesterday is almost identical with the West

giving unlimted support to Israel,the West's surrogate,and once aga

under the same thinly-veiled religiouse motivation.

Israel,the artificial entity established entirely with the help of

the West over the Arab Palestinian soil to act as an outpost servi

the interests of those who were behind creating such an entity, is

a bridgehead to launch for further Cruseder aggression with a diffe

rent coulring.

In this very respect,I should say that the consecutove Crusaders

incursions would not have had a foothold on the Arab soil had such

wars of aggression been banking on the Arabs crumbling,disintengra-

tion,weakness and Arab then rulers's vying to power.

I would also like to add that without having the monolithic unity

among Arabs rank,and without rallying Arabs,we would not have been

able to hold the field and to repulse the aggressors.

I hope,let me say I'am full of hope,what we have achieved in the pa

of glorious victories would once again be repeated, bacause we have the right and fair question.

For this very purpose, I have chosen areas relevant to the political and administrative daily life of the Crusader-ispered and controlled Emirates in Al-Cham region, as a subject of my study.

In fact, I was motivated to write about this subject by many other aspects, the most important of which was that the better acquaintance of the nature of our enemy and ways such an enemy pursued to contonue in the parts it occupied from our lands. These aspects and prospects are of a great significance to go ahead with the study.

I have found out, in addition, that this area of interest is a very new for the Arab reader to the extent that it has prompted me to to bridge the gap in a way which may gratify the readerx. Writting this study meant to cover the administratibe and politic al aspect of the Crusader era.

And I have to acknowledge that I have faced some obstacles in finding the neede references to revert to to cover the military developments and the day-today of the Cruseders military presence Frankly and openly speaking, writting about this mysteriuos events is like about many and several cases of the kind, bacause historians are usually interrested in mentioning nimbers of the troops involv ed, the date and the scene of thesex battles, casualties, woundedb and victime.

It is very rare to find out a reference leading to know something about the administrative, economical and political position of both sides, the then warring sides.

This fully implies on the the Crusaders, where many books carry

the campaign leaders names,name of expeditions and numbers

of those involved in the battles.

The master has forced me to search furthermore about the very details of the Crusaders' period.

My research ,duely,is in two chapters;the first about the administrative regulations st by the Crusaders, and this chapter includes three basic items:

The first,which I considered as a prelude to understand the Crusaders' incursion,in general. And then I elaborated about the duration and the objectives of this campaign.

And then I tried to project the image of the Arab Mashrigue the Arab countries in Eastern side- exactly before the start of the Crusaders' wars.

I analysed afterwards the situation in Europe on the eve of the Crusade campaign to reveil the virtual reason motivated such an invasion.

I concluded the said chapter by elaboarting about the then established principilaties in the Arab Mashrigue immediately after the arrival of the first Cruseda's incursion.

The Other chapter includes the then worked administrative regulation valid in the fore-mentioned principilaties,which was not differ from the one valid in the countries of the invaders,before their incursion of the Orient.

The Orientalist administrative regulations legislated by the Crusaders appeared cleaarly in both Antakia and roha.

This very chapter includes also the variouse kindes of courts valid in the Crusaders' tribunals.

I have found out that the most important court was the Supreme

Court,which had the authority of legislating laws,juduciaries and politics,and at the same time was choosing the king and the crownprince-the guarian-and was determining the kingdom policy. It is worth saying that such a court was made up of the ruling king,his top hemchmen,represtatives of the Italian commercial statelats,the organs of priests and other influentials.

I wrote in thos chapter about the affecting factors in changing the demarkation of certain kingdom and principalities.

I found out that that the Italian commercial statelets alomg with the tyranny religious organasions had played,in addition to other several factors,a destructive role of the Crusading camaign in the Mashrigue region.

The same chapter,I wrote about the recently arrived involved in the Crusaders invasion with the local kings and princes.

In the chapter,I elaborate about factors,which have led to undermindthe Crusaders' very existence,because the recently arrived Crusaders were not adhering to the views and plans of the king of Jerusalem and ither prices of different pricipalities.

This has led to the failure of most of the Crusaders expeditions 1101 AC c,and the other Crusaders expedition.-

It became very clear that theChristian Crusaders,who,who were involved in the early Crusaders expedition,could manage to adapt themselves with the Orient they occupied,in a very short notice, and could familiarize with the occupied areas traditions and mentalities to the extent that the newly arrived Christians despised the early conquerors.

I concluded the first chapter by talking about the administrative

regulations in the annexed institutions to the Christian Crus-
aders in Al-Cham land,as alaw of managing the Italian commer-
cial [illegible] in the Orient along with the affiliated princi-
palities with the staff and consules instructed the same way as
the Italian missions.

I talked as well about the religiouse organaizations,which had
their own independent political and administrative management
along with their incredible properties exceeding those in Jerus
alem and other annexed three principalities.

These organizations were ,in fact,state within a state,a matter
which has led to weaken the kingdom at a time whe such
kingdom needed the existense of such religiouse organizations.

I would conclude the chapter by considering the Moslem Arabs
under the tutelage of the invading Crusaders and the mutual
affect of both Arabs and Crusaedrs views on each other.

In the second chapter,I talked about the political life in the Cus
control principalities in Al-Cham land.

This Chapter included three items,the first of which was
dedicated to depict the term of reference of Jerusalem's king
in his capacity as the most powerful politically in the region
Talking about him included the process of his advent to power.
Then I talked about the protocoles of taking the monarch to the
crown and the limitless power of Jerasalem's king,who was usu
elected by princes,on the consensus basis,to be an overlord.
For this very reason,he was not in a position to adopt a deci
without the princes approval and consultation.
the process used to go throgh the sessions of the Spreme Court
which was made up of them all.

Therefore,the king's authorities were restricted by the many restrictions,whic have limited his powers and his term of reference.

The second chapter was dedicated to the princes of the principalities;their titles,conditions stipulate their coming to power,their power,and their relationship with the king of Jerusalem.

In the Last third chapter,I have considered the arch-pishop and the patriarchate as a religiouse power.

The studyincluded means of chosing the archpishop and the organs he could influence.

Namely;Antakia and Jerusalem patriarcy,then listed names of patriarches who controlled the fore-mentioned patriar-chates since the very begininng of the Crusaders occupation till its end.

I,finally,concluded my resear ch with a summary of the personal efforts I have exerted and my own findings,hoping that this would gain your approval.

PLEASE ACCEPT MY HIGHEST RESPECT.

المحتـــــوى

البـــــاب الثانـــــي

الحياة السياسية في الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشـــــام

دراســــــــة المصـــــــادر

ان البحث في النظام الاداري والسياسي الذي طبّق في امارات الفرنج الصليبيين ، التي أقيمت على أرض بلاد الشام منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، حتى أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد ، هو من الابحاث الصعبة التي تتطلب الكثير من الجهد والمشقة والغوص وراء الحقائق والمعلومات ودقائق الامور ، لاستنباط النظم الادارية منها ، وذلك بسبب قلة ذكر المصادر لهذه الامور . وهذا ما تطلب مني المزيد من الجهد والعمل .. وقد استعنت من أجل ذلك بالعديد من المصادر والمراجع الاجنبية والمترجمة ، بالاضافة الى الكثير من المصادر العربية الهامة .

وسأبدأ بذكر أهم المصادر العربية التي استعنت بها واستفدت منها بحسب أهميتها في هذا البحث . ثم أنتقل بعد ذلك الى ذكر أهم المصادر الاجنبية التي أغنت بحثي وأفادته ، بنفس الطريقة .

١ - ابن القلانسي :

حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م) شغل ابن القلانسي عدة مناصب ادارية هامة في دمشق والشام ، زمن الاحتلال الصليبي ، أتاحت له أن يعرف عن قرب أحداث الحربين الصليبيتين الاولى والثانية حتى زمن دخول نور الدين زنكي الى دمشق . لذلك جاءت معلومات كتابه " ذيل تاريخ دمشق " أو " تاريخ دمشق " على درجة كبيرة من الأهمية والدقة . وقد استعنت به في معظم مراحل البحث منذ الحديث عن تأسيس الامارات الفرنجية الصليبية على أرض بلاد الشام ، الى علاقة أمراء تلك الامارات بالامراء العرب المسلمين المجاورين ، الى المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين الطرفين ... وغير ذلك من المواد الهامة الاخرى . كذكر بلاد المناصفات ، وتبيان دور ملك بيت المقدس ومقدرته في ادارة الامارات ، وكذلك علاقته بأمرائها ... وغير ذلك .

٢ - ابن الاثيـــــر :

عز الدين (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م) نشأ ابن الاثير نشأة علمية ارستقراطية في كنف أمراء البيت الزنكي ، تنقل بين المدن الاسلامية الكبرى ، كالموصل وبغداد ودمشق والقدس . فكان لنشأته وتنقلاته الاثر العلمي الكبير على كتاباته .

وكتابه الحولي الكبير " الكامل في التاريخ " يعتبر من أهم المصادر التاريخية عن الحروب الصليبية ، باعتباره عاصر فترة منها ، وشهد أحداثها فسجلها تسجيلا علميا دقيقا وصادقا . وقد احتوى هذا الكتاب معلومات غنية جدا في أجزائه الثلاثة الاخيرة (العاشر - الحادي عشر - الثاني عشر) عن الحملة الصليبية الاولى ، وعن العلاقات بين العرب المسلمين والفرنج الصليبيين ، والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين ، بالاضافة الى مواد كثيرة واشارات أمدتني جميعها بمعلومات هامة عن النواحي الادارية والسياسية الفرنجية التي أبحث فيها .

أما كتابه الآخر " التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل) فقد أفادني بمعلوماته عن الحملة الصليبية الثانية وأسباب فشلها ، والتي كانت نقطة هامة في بحثي بالاضافة الى معلومات ومواد أخرى كثيرة .

٣ - أسامة بن منقذ :

(ت ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م) . من فرسان العرب ومن الادباء المقربين الى الملوك والسلاطين كان طوال حياته على صلة مستمرة بالفرنج ، يصادقهم حينا ، ويخاصمهم أحيانا .

كتابه " الاعتبار " من أهم كتبه . وهو يقدم صورًا حية للعصر الذي عاش فيه في حالتي السلم والحرب . لذلك فهو يلقي الاضواء على العلاقات التي كانت قائمة بين الطرفين (الفرنجي والعربي الاسلامي) . وقد أفادني الكتاب في هذه الناحية ، وفي دراسة وضع أهالي البلاد في ظل ادارة الفرنج. بالاضافة الى صور عن طرق محاكمة الفرنج ، وفيه اشارات قليلة الى حالات تم فيها اقطاع الفرنج بعض الاراضي لبعض الامراء المسلمين . منها عمّه بالذات . كما يوضح لنا هذا الكتاب من خلال قصصه الطريفة دور ملك بيت المقدس وأثره على ادارة الامارات .

٤ - ابن جبير :

محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) . ولد في مدينة بلنسية بالاندلس ، استخدمه أمير غرناطة أبو سعيد ابن عبد المؤمن ملك الموحدين في وظيفة كاتم سره ، فاستوطن من وقتئذ غرناطة . سافر الى الحج سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م ، واستغرقت رحلته عامين . كتب فيها جميع ملاحظاته ومشاهداته عن المدن والبلاد التي مرّ فيها ، فجاء كتابه رائعا قيما . وقد أفادني في الحديث عن أحوال العرب المسلمين في ظل الاحتلال الصليبي ، كما توجد فيه اشارات ومعلومات هامة عن بلاد المناصفات التابعة للطرفين (العرب

الاسلامي والفرنجي الصليبي) .

٥ - ابــن العديــــم :

كمال الدين (ت ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢م). نشأ ابن العديم وتعلم في حلب على والده وعمه وعديد من العلماء ، ورافق أباه في رحلاته الى دمشق والقدس والعراق والحجاز. تـرك لنا ثروة تاريخية هامة. وقد اعتمدت على كِتَابَيْه في التاريخ .

آ " زبدة الحلب من تاريخ حلب ": يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء استعنت بالجزئين الثاني والثالث منه . وهو كتاب غني بالاحداث والمعلومات الهامة في مختلف النواحي . وقد أفادني في الحديث عن أحوال الامارات الفرنجية والعلاقات المتبادلة بينهم وبين العرب المسلمين من جهة ، وبين بعضهم البعض من جهة أخرى. كما أنه يشير الى أوضاع الفلاحين العرب في ظل الحكم الفرنجي .

ب " بغية الطلب في تاريخ حلب ": وهو كتاب تراجم هام ، استفدت منه بشكل خاص فيما يتعلق باقطاع الفرنج الاراضي لبعض أمراء العرب المسلمين . مثل اقطاع حمدان بن عبد الرحيم الاثاري قرية معربونية قرب حلب . وهذه من الحالات القليلة التي تم حدوثها زمن الاحتلال الفرنجي .

٦ - القلقشنـــدي :

أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م). وكتابه " صبح الاعشى في صناعة الانشا). وهو كتاب طويل في أربعة عشر جزءاً. فيه مواد على جانب كبير من الأهمية ، لاسيما في الجزء الرابع عشر. والذي أفادني فيما حواه بين جنباته من النصوص الكاملة للمعاهدات الاتفاقيات الادارية والتجارية والعسكرية بين الطرفين العربي الاسلامي والفرنجي الصليبي . وقد أفادتني دراسة هذه المعاهدات بشكل خاص في التعرف على ادارة بلاد المناصفات بين العرب المسلمين والفرنج الصليبيين .

٧ - أبــو شامــة :

شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م). أهم مؤلفاته : تاريخ " الروضتين في أخبار الدولتين " ويقصد بذلك دولة نور الدين زنكي ودولة صلاح الدين الايوبي .

والكتاب مؤلف من جزئين . وقد أفادني فيما ذكره من معلومات هامة عن أحداث

وقائع الحروب الصليبية ، وما ورد فيه من معلومات عن أحوال الفرنج وطرق معيشتهم ، وكيفية تحصين قلاعهم وحراستها . كما أخذت منه معلومات عن أمراء الفرنج وعلاقتهم بملك بيت المقدس .

٨ - ابن شداد :

بهاء الدين يوسف (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م). التحق ابن شداد بخدمة صلاح الدين. وأصبح من أخص أصحابه وأقربهم منزلة اليه . ويعتبر كتابه " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " أو " سيرة صلاح الدين " من أهم المصادر التي تؤرخ لسيرة صلاح الدين. وفي هذا الكتاب مواد تاريخية هامة و دقيقة أفدت منها لاسيما الفترة الاخيرة من حياة صلاح الدين والتي تشمل فتوحاته وعلاقاته مع الفرنج في الحملة الصليبية الثالثة ، وصلح الرملة وغير ذلك .

٩ - الاصفهاني :

محمد بن محمد العماد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١م) . وله كتابين هامين في مجال هذه الدراسة أولهما :

أ : " البرق الشامي " وهو كتاب كبير، استخدمت منه الجزء الثالث المطبوع ، والجزء السادس المخطوط . وقد استفدت من هذين الجزئين في عدة نواحي أهمها ذكر المناصفات ، وصور من العلاقات الودية بين العرب المسلمين والفرنج الصليبيين بالاضافة الى اشارات استفدت منها في الحديث عن دور ملك بيت المقدس في ادارة المملكة والامارات الاخرى، وغير ذلك .

ب : والكتاب الثاني هو " الفتح القسي في الفتح القدسي " وقد أفادني هذا الكتاب بما ذكره عن أعمال صلاح الدين من جهاد وحروب ، كما أفادني فيما أورده من معلومات غنية عن الفرنج وأحوالهم وعلاقاتهم مع المسلمين ، وما أورده عن الحملة الصليبية الثالثة، وما تم فيها من اتصالات وعلاقات بين الجانبين . وقد أفدت منه بالرغم من أسلوب السجع الذي سار عليه المؤلف من بداية الكتاب حتى نهايته . والذي يجعل الحقيقة التاريخية تكاد تضيع بين عبارات السجع الكثيرة .

١٠ - المقريزي :

تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) . وهو من كبار المؤرخين، وصاحب مدرسة تاريخية تنوعت مادتها وتعددت . فكتب في التاريخ والسياسة والعمران . وقد

استفدت من كتابه " السلوك لمعرفة دول الملوك " وخاصة أثناء دراسة ادارة بلاد المناصفات ، باعتباره يحوي نصوص المعاهدات المبرمة بين العرب المسلمين والفرنج والتي تمت فيها مناصفة بعض البلاد التابعة للطرفين . كما أفدت منه في نواحي أخرى .

١١ - النويري :

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣م). ومن آثاره كتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " وهو كتاب موسوعي يشمل النشاطات العلمية كلها من زراعة وصناعة وتجارة وادارة واجتماع وأخلاق . وقد طبع منه سبع وعشرون جزءاً . استندت على الجزء الاخير منها (السابع والعشرين) وقد أفادني أثناء دراسة أوضاع العرب المسلمين تحت ادارة الفرنج وكذلك فيه اشارات وذكر لاتفاقيات المناصفات ، وغير ذلك من الامور.

تلك كانت أهم المصادر العربية التي استعنت بها واستفدت منها ، وبالطبع يوجد الكثير منها أيضا والذي لا يتسع المجال لذكرهم كلهم في هذه الدراسة ، وقد ورد ذكرهم كل في موضعه في هذه الرسالة .

أما المصادر الاجنبية التي استعنت بها ، فهي بحسب أهميتها :

١ - وليم الصوري :

(ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م) . وكتابه : "تاريخ الحروب الصليبية : والاعمال المنجزة فيما وراء البحار " صنف هذا الكتاب باللاتينية ، وليم رئيس أساقفة صور من سنة ٥٢٥ - ٥٨١ هـ/ ١١٣٠ - ١١٨٥م . وقام بنقله الى اللغة العربية ، وقدم له الدكتور سهيل زكار . وهو مؤلف من جزئين هامين يبلغ عدد صفحاتهما معا ١٠٨٣ صفحة . يعد هذا الكتاب من أهم الكتب الاوربية التي تؤرخ للحملة الصليبية الاولى ، وهو بالوقت نفسه وثيقة أساسية من وثائق الحروب الصليبية ، باعتبار أن مؤلف أو مصنف هذا الكتاب (وليم الصوري) كان رئيسا لاساقفة مدينة صور من سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م ، الى سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م أو ١١٨٥م . كما ظل حاجبا مستشارا لمملكة بيت المقدس اللاتينية من سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م حتى تاريخ وفاته ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م . ومن هنا تأتي أهمية معلوماته ،والتي لا غنى للباحث التاريخي عنها . وقد استفدت منه في المجالات السياسية والنظم الادارية وخاصة فيما ذكره عن الحملة الشعبية بالتفصيل ، وبعدها الحملة النظامية بكل دقائقها ، وقد كان هذا الكتاب بجزئيه مفيداً لبحثي في كل مراحله ومناحيه وكنت أجد فيه معظم ما أبحث عنه من معلومات وشواهد ووثائق في كل خطوة من خطوات هذا البحث منذ بدايته وحتى النهاية .

٢ - آنا كومنينا :

(ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م) . وهي ابنة الامبراطور الكسيوس كومنين، كانت غزيرة العلم واسعة الثقافة . وكانت على معرفة بأدب اليونان القدماء وكتب اللاهوت . وضعت كتابها المسمى " الالكسياد " باللغة اليونانية السائدة آنذاك ،ليكون سجلا حافلا لتاريخ حياة أبيها ، حتى أنها سمته باسمه . وهو يشغل الفترة الممتدة من سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩م الى سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م. ولا يمكن اغفال كتاب الالكسياد أثناء تناول العلاقات الصليبية البيزنطية قبل الحملة الاولى وخلالها وبعد انتهائها. ومادته دسمة وفيرة تكشف عن العوامل المختلفة المتشابكة البعيدة الغور في أعماق التاريخ الوسيط التي أدت الى قيام سوء التفاهم بين البيزنطيين والفرنج الصليبيين أو بين مسيحيي الشرق ومسيحيي الغرب . وفيه تكشف الأميرة آنا في أسلوب ممتع وشائق . وفي صراحة تامة، عن الاتجاهات العدوانية للحركة الصليبية، وجشع الفرنج وأطماعهم في دولة الروم وفي العالم العربي. وقد استفدت من ذلك كله أثناء دراسة مقدمات الحركة الصليبية وموقف الامبراطور البيزنطي من الحملة الصليبية الاولى ، وعلاقته بزعمائها حتى ظهور ما يسمى مشكلة انطاكية أو المسألة الانطاكية التي ظهرت الى الوجود بعد استيلاء بوهيموند على انطاكية وتربعه على عرشها ناسياً وعوده للامبراطور البيزنطي بتسليمها اليه . وقد استندت الى ما كتبته الاميرة آنا كومنينا من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار " الحروب الصليبية " الجزء الأول وكذلك من خلال كتاب الدكتور جوزيف نسيم " العرب والروم واللاتين " .

٣ - المؤرخ المجهول :

والمؤرخ المجهول هذا هو مؤرخ حملة بوهيموند النورماندي ، وقد ألف كتابه باللاتينية تحت اسم " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " وقد ظهرت له عدة طبعات . وقد استعنت بطبعة عام ١٩٥٨ التي ترجمها الدكتور حسن حبشي . ويعتبر المؤرخ المجهول الاسم ، من المصادر الاساسية التي لا غنى عنها في تاريخ الحملة الصليبية الاولى في الفترة الممتدة من سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م الى سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م. أي منذ قيام الحملة من الغرب حتى الاستيلاء على بيت المقدس ، وتأسيس المستعمرات اللاتينة في الشرق .

وقد استفدت من هذا الكتاب فوائد كثيرة في مجالات متعددة، وفي أجزاء كثيرة من الرسالة ، وخاصة فيما ذكره عن الحملة الصليبية الاولى ، وتأسيس امارة انطاكية . اذ كان مؤلفه شاهد عيان لمعظم المعارك والاحداث التي دارت رحاها في الشرق العربي في ذلك الحين .

٤ ـ جوانفيل :

وكتابه " القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام " الذي أرخ لملك فرنسا ـ لويس التاسع ـ في حملته على مصر المعروفة باسم الحملة الصليبية السابعة ، وكان على صلة شخصية بالملك وبمثابة مستشار له ، فقد كان يأخذ رأيه في معظم الامور ، وبالرغم من أن كتابه يعد من المصادر المتأخرة للحروب الصليبية الا أنه يحوي مادة غنية وشيقة عن تلك الحملة وعن فترة قضاء الملك لويس أربع سنوات في بلاد الشام يصلح ويرمم مملكة الفرنج الآخذة الى الزوال ، وقد استفدت من هذا المصدر أثناء دراسة هذه الفترة بالذات وهي الفترة الممتدة بين سني ٦٤٨ - ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٠ - ١٢٥٤م ، وفي معرفة أحوال مملكة بيت المقدس آنذاك والتي صارت عاصمتها عكا بدلا من القدس ودور الدويلات الايطالية والمنظمات الدينية الهدام في تلك المرحلة من حياتها .

هذا بالنسبة لاهم المصادر الاجنبية وهناك بالطبع كثير غيرها مثل أودو أوف دويل الذي كتب كتابا بعنوان " رحلة لويس السابع الى الشرق " وهو يؤرخ للحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام .

وكذلك كتاب فوشيه دي شارتر الذي استعنت بمقتطفات منه من خلال كتاب الدكتور جوزيف نسيم وغيره ، بالاضافة الى مصادر أخرى كانت أقل أهمية بالنسبة لهذا البحث .

وهناك مراجع كثيرة عربية وأجنبية استفدت منها في نواحي متعددة من الرسالة وعلى رأس هذه المراجع : بعض كتب الدكتور سعيد عاشور ولاسيما كتابه " الحركة الصليبية وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب " ، وكذلك بعض كتب الدكتور سهيل زكار لاسيما كتابه الحروب الصليبية ، وكذلك كتب الدكتور عادل زيتون والدكتورة أمينة بيطار المتعلقة بالحروب الصليبية ، كما استفدت من كتب الدكتور جوزيف نسيم ورفيق التميمي وحسن حبشي وسعيد برجاوي وغيرهم .

أما المراجع الاجنبية التي استعنت بها فهي كثيرة ومن أهمها : كتاب الحروب الصليبية لرنسيمان بأجزائه الثلاثة وكتاب الصليبيون في الشرق لمؤلفه المؤرخ السوفياتي زابوروف وكتاب الحروب الصليبية لآرنست باركر وكتاب فن الحرب عند الصليبيين لمؤلفه سميل وكذلك كتاب الاستبارية لسميث وغيرها من المراجع الأخرى ، بالاضافة الى العديد من المراجع الاجنبية غير المترجمة والتي سيرد ذكرها في قائمة المراجع .

الفصـــــــل التمهيـــــــدي

الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام وتأسيس الامـــارات

أولا : لمحة عن الحركة الصليبية بشكل عام (مدتها - حملاتهـا - أهدافها) .

ثانيا : الأوضاع العامـة في الشرق العربي الاسلامي عشية الحروب الصليبية .

ثالثا : الأوضاع العامة في الغرب الأوربي عند بداية الحركة الصليبية .

رابعا : الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الامارات الأربـع :

١ - تأسيس امارة الرها (٤٩١ - ٥٣٩ هـ / ١٠٩٨ - ١١٤٤)

٢ - تأسيس امارة أنطاكية (٤٩١ - ٦٦٦ هـ / ١٠٩٨ - ١٢٦٨ م)

٣ - تأسيس امارة بيت المقدس (٤٩٢ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٩ - ١٢٩١ م)

٤ - تأسيس امارة طرابلس (٥٠٣ - ٦٨٨ هـ / ١١٠٩ - ١٢٨٩ م)

XOXOXOXOXOXOXOXOXOXOXOX

أولا : لمحة عن الحركة الطليبيـة :

شهد الوطن العربي الاسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر الثاني عشر للميلاد ، أحداثا دامية ، لم يشهد التاريخ لها مثيلا . فقد عانى من حروب وويلات ، وتصدى لصعاب وأزمات ، كانت مثار اهتمام العالم في الشرق والغرب في العصور الوسطى . وقدتمثلت تلك الأحداث بالغزو الفرنجي الصليبي القادم من الغرب وتبعه الغزو المغولي القادم من الشرق . وذلك في وقت كان يعيش فيه وطننا في حالة من التمزق السياسي والضعف العام في المشرق والمغرب على السواء . هذا بالاضافة الى التمزق المذهبي الذي كان له تأثير سيء على مجرى الأحداث .

لقد قامت الحروب الصليبية تحت قناع الدين وباسمه لتحقيق أطماعها التوسعية البعيدة المدى ، سواء في العالم العربي ، أو في دولة الروم الشرقية البيزنطية التي كانت قائمة آنذاك .

وتعد الحروب الصليبية من الحركات الهامة في تاريخ العصور الوسطى ، ظاهرها الخلاص والرحمة والدين ، وباطنها الأهواء والأطماع والشهوات (١) . وهي في الواقع حروب التوسع والاستعمار ، ضد العرب في المشرق والمغرب ، حيث رأى فيهم الفرنج الصليبيون خطرا يتهددهم ، فعملوا على القضاء على استقلالهم ، وتفتيت وحدتهم ، واعاقة تكتلهم ، تحقيقا لاتجاهاتهم الاستعمارية . وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع السيئة سواء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت غرب أوربا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق .

---

(١) عن التنديد بالفكرة الصليبية انظر مقتطفات من قصيدة الشاعر الفرنسي وليم رتبف الموجودة في كتاب الدكتور جوزيف نسيم يوسف " العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى " الطبعة الثالثة ١٩٨١ - بيروت - الملحق السادس ص ٣٣٦- ٣٣٧ وكذلك انظر مقتطفات من كتاب الراهب الانجليزي متى الباريزي الموجودة في نفس الكتاب - الملحق السابع ص ٣٣٨ .

جرى الوضع في كتب التاريخ على تحديد المدى الزمني للحركة الصليبية بين سنتي ٤٨٨ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٥ - ١٢٩١م . ولكن هذا التحديد لايعني في الواقع سوى الدور الحاسم التقليدي في تلك الحركة ، وهو الدور الواقع بين الدعوة للحملة الصليبية الأولى ،وطرد الصليبيين الفرنج نهائيا من بلاد الشام . لكن الحركة الصليبية بمعناها الواسع ، لها جذور ومقدمات سبقت سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م زمنيا ، كما استمر التيار الصليبي بعد سقوط عكا سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ، الأمر الذي ترتب عليه عدم توقف الحرب الصليبية طوال القرن الثامن الهجري ، وشطر كبير من القرن التاسع الهجري / الرابع عشر والخامس عشر للميلاد . (١) ويمكن اضافة ماجرى للعالم العربي الاسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين / التاسع عشر والعشرين الميلاديين من وضع دوله تحت الحماية والانتداب والاحتلال ضمن هذه الحركة . (٢)

كما جرى الوضع على تحديد الحملات الصليبية في المدة الواقعة بين نهاية القرن السابع الهجري ونهاية القرن التاسع الهجري / الحادي عشر والثالث عشر للميلاد ، بثمان حملات . والواقع أنه كانت هناك حملة طويلة ومستمرة ، تأتيها النجدات بين الحين والآخر بسبب ماتتطلبه الظروف في الشرق . والواقع أنه غير معروف بالضبط لماذا فازت بعض الحملات بترقيم عددي في التاريخ دون البعض الآخر . فمنذ وصول الحملة الصليبية الأولى الى الشام سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، لم يمرّ عام واحد دون مجيء جموع صليبية جديدة ، وبعض هذه الجموع فاقت في كثرة أعدادها ، وفي أهمية ماحققته من نجاح الحملات الصليبية المألوفة ، التي فازت بأرقام في التاريخ ، ومع ذلك فان معظم هذه الجموع أو الحملات ، لم تمنح أرقاما تضفي عليها قسطا من الأهمية في التاريخ . (٣)

---

(١) جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ص ٤٨

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : " تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى " طبعة عام ١٩٧٦ م . بيروت . ص ١٥

(٣) عاشور : المرجع السابق ص ١٦
آرنست باركر : " الحروب الصليبية " نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العريني الطبعة الثانية - بيروت - حاشية رقم (٢) من ص ٧٣ - ٧٤ .
-: Stevenson: "The Crusaders in The East"
Cambridge 1907 - P. 3

ومن بعض أسباب فوز عدد من الحملات دون غيرها بأرقام ... ومكانة قادتها ، فقد خرجت بعض الحملات تحت زعامة كبار ملوك الغرب مثل الحملة الصليبية الثانية ، وكذلك الثالثة والسادسة والسابعة والثامنة • أو بسبب ماحققته في النجاح في الأراضي المقدسة في الشرق ، فكانت لها الشهرة مثل الحملة الصليبية الأولى • أوبسبب اتجاه بعض الحملات اتجاها خاصا جديدا غير مألوف سابقا ، مثل الحملة الصليبية الرابعة، واتجاهها نحو القسطنطينية ، وكذلك الخامسة، واتجاهها نحو مصر بدلا من بلاد الشام •

هذا وقد اتجهت أربع من الحملات التي فازت بأرقام عددية ميزتها في التاريخ نحو الشام ، وهي الأولى والثانية والثالثة والسادسة ، واثنتان ضد مصر وهما الخامسة والسابعة ، وواحدة ضد القسطنطينية وهي الرابعة ، وأخرى نزلت بشمال افريقيا في تونس وهي الثامنة • وقد أضافت الدارسات الحديثة حملة تاسعة بعد اعتبار فترة اقامة الملك الفرنسي لويس التاسع في سورية من سنة ٦٤٨ هـ ــ ٦٥٢ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٢٥٤ م ، عقب هزيمته في مصر ، حملة مستقلة قائمة بذاتها (١) •

والبحث في تفاصيل الحملات الصليبية وأسبابها ونتائجها من الناحية السياسية والعسكرية بحث طويل ، وقد ألفت حوله كتب كثيرة ،ولذلك لن أتحدث عن هذه الحملات بالتفصيل ، وانما سأبحث في هذه المقدمة عن بعض النقاط التي وجدت أنني مضطرة لتوضيحها، لاستناد النظامين السياسي والاداري اللذين سنتحدث عنهما عليها • ولاعطاء فكرة تمهيدية عن هذه الفترة • سأبدأ بالحديث عن أسباب الحروب الصليبية ، وهذا يدعونا للتعرف على أوضاع الشرق الاسلامي والغرب الأوربي عشية قيام هذه الحروب •

فقد وجدت عن الغرب الأوربي أسباب قوية ودوافع أساسية ، انبعثت من صميمه، جعلته يهبّ بقفة وقطيفة في وجه الشرق •

---

(١) انظر حول ذلك : جوانفيل : " القديس لويس ــ حياته وحملاته على مصر والشام " ترجمة الدكتور ــ حسن حبشي ــ الطبعة الأولى ١٩٦٨ •

ــ جوزيف نسيم يوسف : " لويس التاسع في الشرق الأوسط " ، القاهرة ١٩٥٩ ــ ص ٣٤٠ ــ ٣٤٤ •

ثانيا : الأوضاع العامة في الشرق العربي الاسلامي عشية الحروب الصليبية

جاءت الحملات الصليبية في وقت كان فيه العالم الاسلامي يعاني - بشكل عام - من الانقسامات السياسية ، والخلافات المذهبية . وكانت بلاد الشام تعيش في وضع سياسي متهلك . حيث توزعت مدنها بين حكام وأمراء يحذر كل واحد منهم الآخر ، وكانت بلاد الشام مسرحا للصراع العسكري والمذهبي بين الفاطميين والسلاجقة (١) ، مما جعلها منهوكة القوى عندما بدأت جيوش الفرنج الصليبيين تجوس خلال ديارها (٢) .

خضع جزء من العالم العربي الاسلامي في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، للخلافة العباسية في بغداد (٣) ، وآخر للخلافة الفاطمية في القاهرة . وثالث

---

(١) ينتمي السلاجقة الى قبائل الغز أو الأوغوز التركية ، وقد عرفوا باسم زعيم منهم يدعى سلجوق بن تقاق ،كان كبير أسرته وأول من اعتنق الاسلام من رجالاتها . وقد تدفق هؤلاء السلاجقة من منطقة ماوراء النهر ،من بادية القيرغيز المحيطة ببحر آرال . وظهرت قوتهم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد في بلاد التركستان . دخل السلاجقة في خدمة السامانيين ، ومن بعدهم الغزنويين . ولما ضعف أمر الغزنويين الأتراك حل السلاجقة محلهم في السلطة وأخذوا خراسان منهم . وقد دخلوا العراق اثر استنجاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بهم ضد البساسيري " أحد قواده " وبذلك دخلت العراق مرحلة جديدة وقعت فيها تحت النفوذ السلجوقي .للتوسع عن السلاجقة انظر :
- الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية - طبع لاهور ١٩٣٣ م
- البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق - طبع ليدن - ١٨٨٩ م.
- الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية . نقله الى العربية ابراهيم الشواربي وعبد المنعم حسين وفؤاد الصياد . القاهرة ١٩٦٠م

(٢) عن أوضاع المشرق العربي بالتفصيل انظر :
- وليم الصوري : " الأعمال المنجزة فيما وراء البحار " نقله الى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار . الجزء الأول - ص ٤٣ وما بعدها من مقدمة الكتاب .
وكذلك كتاب " حطين مسيرة التحرير " لنفس المؤلف الطبعة الأولى ١٩٨٤ من ص ٢١-٤٦
- عمر عبد السلام تدمري : " تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور " الطبعة الثانية ١٩٨٤ م الجزء الأول . ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .
- الدكتور نور الدين حاطوم والدكتور عادل زيتون : " في ذكرى معركة حطين " منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٧ - ص ٤١ حتى ص ٥٦ .

(٣) - Stevenson: op. cit. p. 18

للخلافة الأموية في قرطبة .(١)

وقد أخذ الوهن - يتفشى في هذه الدول التي تحكم العالم العربي الاسلامي ،وتفاقم خطر الدول المستقلة التي انفصلت عن الخلافة بسبب ضعفها أحيانا ، والخلافات المستمرة بينها في كثير من الأحيان ، اذ كلما كانت تظهر دولة في أرجائه ، تعود فتختفي فتخلفها أخرى ، ثم تسقط ، ويظهر غيرها مكانها . وهكذا حتى أصبحت البلاد العربية والاسلامية نهبا مقسما بين الحكام و الأمراء والمتسلطين .

ولولا اعتناق السلاجقة للاسلام ، وتسلمهم للسلطة في ذلك الوقت ،(٢) وتصميمهم على الجهاد لما استعاد المسلمون قوتهم ، ولما وضعوا حدا للفوضى السياسية والعسكرية التي عمّت جميع أنحاء المشرق العربي الاسلامي .(٣) فمنذ العقود الأخيرة من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، بدأ السلاجقة باحتلال أجزاء من آسية الصغرى ، وذلك لأنهم صمموا على الجهاد وتحرير الأراضي العربية المحتلة من قبل البيزنطيين ، اضافة الى التوسع على حسابهم ، لابل القضاء نهائيا على الامبراطورية البيزنطية ، وكذلك القضاء على الخلافة الفاطمية وتوحيد العالم العربي الإسلامي تحت سلطة الخلافة العباسية ففي سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م احتلوا دمشق وحلب وغيرها من المدن السورية .(٤) وفي سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م تمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان من انزال الهزيمة بالروم

---

(١) سعيد برجاوي : " الحروب الصليبية في المشرق " الطبعة الأولى ١٩٨٤ - بيروت - ص٩٤
عن أوضاع المغرب العربي في تلك الفترة انظر :
- أحمد بدر : " تاريخ المغرب والأندلس" طبعة عام ١٩٨٢ دمشق .

(٢) -: Stevenson: op. cit. p. 19

(٣) ابن القلانسي : " تاريخ دمشق " تحقيق الدكتور سهيل زكار . الطبعة الأولى ١٩٨٣ - ص ١٣٤ .
سعيد برجاوي : المرجع السابق - ص ٥٨ .

(٤) زابوروف : " الصليبيون في الشرق " ترجمة الياس شاهين - طبعة عام ١٩٨٦ - ص ٣٣

البيزنطيين في معركة ملازكرد الفاصلة (١) • كما استولوا على مدينة ... الأديان السماوية الثلاث) في نفس العام • وكانت القدس آنذاك تتبع الفاطميين في مصر • وفي سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، انتزع السلاجقة أنطاكية من بيزنطة واستولوا عليها • وفي عهد ملكشاه (ابن ألب أرسلان) شملت ممتلكات السلاجقة قسما كبيرا من أراضي بلاد الشام (٢) •

ولم تستمر قوة السلاجقة بالصعود ، فقد أخذت قوتهم بالانحلال اثر وفاة سلطانهم ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م (٣) ، وانقسموا على أنفسهم ، ووقعت الحروب بينهم ، بعد أن سيطروا على رقعة شاسعة من الأراضي العربية والاسلامية ، اضافة الى مافتحوه من الأراضي التابعة للبيزنطيين ، ولكن الدولة مالبثت أن انقسمت على نفسها الى

---

(١) ملازكرو : أو ملاذكرد أو مناذكرت أو ملاذكرت • وعند ابن القلانسي منازجرد •• اسم المعركة التي جرت بين السلاجقة بقيادة ألب أرسلان ، والبيزنطيين بقيادة الامبراطور رومانوس الرابع في موضع يدعى ملازكرو قرب بحيرة وان• سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م •وفيها انتصر السلاجقة انتصارا باهرا ، وأسروا الامبراطور البيزنطي نفسه وقد مكنّت هذه المعركة التركمان من الانسياح بحريّة في آسيا الصغرى والشام والجزيرة عن هذه المعركة انظر : - ابن القلانسي : المصدر السابق - ص ١٦٧ •
- ابن الأثير : " الكامل في التاريخ" طبعة دار صادر - بيروت - ج١٠ ص٦٥ ومابعد
أبو الفداء : " المختصر في أخبار البشر " دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت الجزء الثاني - ص ١٨٧ •
- ابن تغري بردي الأتابكي :" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "طبعة دار الكتب - المؤسسة المصرية العامة - الجزء الخامس ص ٨٦ •
- أسد رستم :" الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب " - دار الكشوف بيروت ١٩٥٦ م جزء ٢ - ص ١١٠ - ١١١
- سهيل زكار : المدخل الى تاريخ الحروب الصليبية - ط٢ ١٩٧٥ - دار الفكر ص ١٤٥ وما بعد "
- Vasiliev: "History of The ByZantine Empire" America 1964 vol 1 - p. 356

(٢) زابوروف : المرجع السابق ص ٣٣

(٣) ابن الأثير : " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل " تحقيق عبد القادر أحمد طليمات - دار الكتب الحديثة بالقاهرة - ص ١٠ - ١٢ •يتبع

عدة دول ، منها دولة سلاجقة الشام بزعامة تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان (وأخ السلطان ملكشاه) . وبعد مقتله - أي تاج الدولة - انقسمت البلاد بين ولديه رضوان في حلب ، ودقاق في دمشق . ونشبت منازعات بين الأخوين استمرت أكثر من سنتين (١) ، ولم تتوقف الا حين بلغتهما الأنباء باقتراب الصليبيين الفرنج من البلاد (٢) ، وبعد سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، تداعت الدولة السلجوقية ، وتفجرت الخلافات والمخاصمات بين الحكام الكبار والصغار ، وفقد السلاجقة بذلك حماسهم المتدفق للتوسع الخارجي (٣) ، ومحاولة بسط نفوذهم على أقاليم جديدة ، وصار بأسهم بينهم شديدا ، فبدأوا يتناحرون وأصبح الظفر بالعرش هدفا في ذاته ، وقلدتهم وزراؤهم وقوادهم ، فتنافسوا وتناحروا للظفر بالوزارة أو القيادة . فأخذت الدولة السلجوقية تضعف منذ ذلك الحين ، وأخذ نجمها يفقد بريقه حتى أفل في النهاية (٤) .

لقد عانت بلاد الشام كثيرا من الاضطراب ، وفقدان الأمن والاستقرار بسبب الفوضى التي عاشتها تحت حكم السلاجقة ، والتي لم تقتصر على الفوضى السياسية ، بل امتدت الى الفوضى العقائدية (٥) .

تتمة (٣) - أمينة بيطار - " تاريخ العصر الأيوبي " طبعة عام ١٩٨٢ - دمشق ص ٦

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق - ص ٢١٢ - ٢١٣ .
نظير حسان سعداوي : "الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي" - طبعة عام ١٩٦١ مكتبة النهضة المصرية - ص ٨

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١٠ - ص ٢٤٦
أرنست باركر : المرجع السابق - ص ٣١ - ٣٣
أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٦ - ٧

(٣) زابوروف : المرجع السابق - ص ٣٣

(٤) عبد النعيم حسنين : " سلاجقة ايران والعراق " مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٩ ص ٩٠

(٥) عاشور : " الحركة الصليبية "مكتبة الأنجلو المصرية - طبعة ثانية ، ١٩٧١ - جزء ١ ص ١١٧ وما بعدها .

لقد كان هناك خلافتان في المشرق الاسلامي ، واحدة في ب[illegible] القاهرة وكانتا في صراع دائم ، كما أن الأحوال الداخلية في كل من هاتين الخلافتين ،كانت جدّ سيئة ، حيث كان الخلفاء محكوما عليهم من قبل جند نسوا كيف يقاتلون للدفاع عن شعوب دولهم ضد الظلم والعدوان الخارجي ، وتذكروا فقط كيف يقاتلون من أجل التحكم والتسلط والاستغلال والوصول الى سدة الحكم (١) ، وقد تلهى الخلفاء في هاتين العاصمتين بانغماسهم في أمور الدنيا ومباهجها ومفاسدها ، وتركوا شؤون الحكم لطغمة من الوزراء المتحاسدين المتنافسين ، فكانت تحدث في بلاط كل من هاتين الخلافتين ،الكثير من الخلافات ، وتدبر الدسائس والمكائد ، وتنظم المؤامرات بين رجال البلاط ورجال الدولة (٢) .

وفي ذروة هذه الفوضى وذلك التمزق ، وصلت الى بلاد الشام أولى الحشود الفرنجية الصليبية عبر آسيا الصغرى ، اثر استنجاد الامبراطورية البيزنطية بالبابوية وبالغرب الأوربي بعد هزيمة ملازكرد أمام السلاجقة (٣) . ففي سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ، أرسل ميخائيل السابع امبراطور القسطنطينية الى البابا غريغوري السابع (٤٦٥ ـ ٤٧٨ هـ / ١٠٧٣ ـ ١٠٨٥ م) ، طلبا للمساعدة كالذي تكرر السماع عنه في العقود التالية من القرن الخامس ، والقرون التي تلته . واستمع غريغوري لهذا الطلب ، غير أنه لم يقترح ، كما تردّد دائما القول ، الدعوة الى حرب صليبية فرنجية ، بل أشار بارسال نجدات تستطيع أن تستردّ آسيا الصغرى من يد المسلمين ، وتعيدها الى الامبراطورية ، مقابل اعادة اتحاد الكنيسة الشرقية مع الكنيسة الغربية ، والواقع أن غريغوري حشد سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤ م جيشا كبيرا (٤) ، غير أن ماحدث من نزاع بينه وبين

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ... المقدمة ـ ص ٤٦

(٢) نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ـ ص ٩

(٣) Ostrogorsky : "History of Byzantine state" Oxford 1968. P344-345

(٤) أرنست باركر : المرجع السابق ص ١٩ .

روبرت جويسكارد (١)، وما تلا ذلك من نشوب حرب التقليد (٢)، منعه من المضي في خططه، والنتيجة الوحيدة التي ترتبت على ذلك، أن ماوقع كان سابقة وايحاء لما وقع من حوادث سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م، حين كرّر الامبراطور الكسيوس كومينين رجاء ميخائيل السابع. فقد استنجد أكثر من مرّة بالبابا اير بان الثاني (٤٨١ هـ - ٤٩٣ هـ /١٠٨٨ - ١٠٩٩م) وكان رتهذا البابا، ارسال الحملة الصليبية الأولى (٣).

لقد كانت هزيمة البيزنطيين في ملازكرد من أشد ماوقع في التاريخ البيزنطي من كوارث حاسمة. اذ فقد بعدها البيزنطيون ما اتخذوه من لقب حماة العالم المسيحي.

---

(١) روبرت جويسكارد: هو أحد أبناء تانكريد هوتفيل. ويعتبر روبرت هذا المؤسس الحقيقي للدولة النورمانية في جنوب ايطاليا وصقلية. وهو والد بوهيموند النورماندي الذي أسس امارة انطاكية الفرنجية الصليبية في الشرق العربي الاسلامي

انظر حول روبرت جويسكارد: ابن جبير: " رحلة ابن جبير " دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة - ص ١٦.

عادل زيتون: " تاريخ العصور الوسطى الأوربية " مطبعة الروضة - دمشق ١٩٨٢ ص ١٦٠ وما بعد.

(٢) يرجع سبب حرب التقليد الى ما أعلنه البابا غريغوري السابع سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥م من أنه ليس من حق الحاكم العلماني - أي السياسي - أن يقلّد أحداً من رجال الكنيسة شارات المنصب الديني، وأن الإقدام على ذلك هدم للقانون الالهي، لايطاق ولا يغتفر. انظر التفاصيل في:

فيشر: " تاريخ أوربا العصور الوسطى " ترجمة زيادة والعريني - ج ١ ص ١٤٥ و مابعد.

(٣) عاشور: المرجع السابق، جزء ١، ص ١٣٤

- باركر: المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠

- جوزيف نسيم: " العرب والروم واللاتين " ص ٥٢ - ٥٣.

- الباز العريني: " مصر في عصر الأيوبيين " مطبعة الكيلاني الصغير ١٩٦٠م، ص ١٠

وكانت سببا من أسباب تدخل الغرب الأوربي في منطقة الشرق العربي الاسلامي[1] . فقد هبّ الغرب الأوربي ضد العالم العربي الاسلامي في آسيا وشمالي افريقية ، مستهدفا بالدرجة الأولى بلاد الشام ثم مصر ، استجابة لنداء البابوية في روما ، وتحت اشرافها ، وبتوجيه منها ، وتحت ستار الدين . وذلك بقصد الاستيلاء على الأراضي المقدسة في الشرق وتأسيس مملكة لهم بها . اضافة الى الاستيلاء على خيرات المشرق ،[2] الى جانب أسباب أخرى كثيرة .

---

(١) رنسيمان : " تاريخ الحروب الصليبية " ترجمة الباز العريني - الطبعة الأولى ١٩٦٧ بيروت - ج١ - ص ١٠٠ .

سهيل زكار : " المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٢) عن دوافع العدوان الصليبي انظر :

آنا كومينينا : " الألكسياد " من خلال كتاب الدكتور جوزيف نسيم " العرب والروم واللاتين " الملحق الثالث ص ٣١٢ ومابعدها

- جوزيف نسيم : المرجع السابق - ص ٤٣ .

-: paul Deschamps: "LE Crac des chevaliers "
paris 1934 . p. 3

ثالثـا : الأوضاع العامة في الغرب الأوربي قبل قيام الحروب الصليبية

وفي هذه الفترة بالذات ، كانت بلدان أوربة الغربية تعيش عصوراً مظلمة ، بدأت منذ سقوط الامبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦ م بيد البرابرة • وقد عمّ الظلام مختلف نواحي الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية • والتي زادها(١) نظام الاقطاع سوءاً على سوء • فقد كانت الطبقة الشعبية تعيش في فاقة وحرمان، وكانت تلاقي كثيراً من المتاعب وتتحمل عبء الضرائب والسخرة والظلم والارهاق ،زيادة على معاناتها من المجاعة التي عمّت أنحاء أوربة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حين اندلعت الحروب الصليبية(٢) •

والواقع ان آلاف الفلاحين ، عاشوا في غرب أوربة ، عيشة ضنك في ظل نظام الاقطاع حيث شيدّوا لأنفسهم أكواخا قذرة من جذوع الأشجار وفروعها غطيت سقوفها وأرضيتها بالطين والقش ، دون أن تكون لها نوافذ أو بداخلها أثاث ، عدا صندوق صغير من

(١) عن أوضاع أوربة عشية الحروب الصليبية انظر :

-: Aults W. O., "Europe in The Middle Ages" Boston, 1946.

-: Baeradough, G. "The Medieval papacy" London, 1975

-: Settons "A History of The Crusader" vol 1- P 3.... 29

وانظر كذلك : – نور الدين حاطوم وعادل زيتون : المرجع السابق ص ٣٢ وما بعدها•

– جوزيف نسيم : المرجع السابق من ص ١٧٢ – حتى ص ١٧٧ •

– سعيد عاشور : " أوربا العصور الوسطى " الطبعة العاشرة – ١٩٨٦ ج١ ، ٢ مكتبة الانجلو المصرية •

– نور الدين حاطوم : " تاريخ العصر الوسيط في أوربا " الطبعة الأولى ١٩٦٧ – بيروت – من ص ٥٢٣ حتى ص ٥٥٣ •

– عادل زيتون : المرجع السابق – من ص ٤٤ حتى ص ٢٠٧ •

– ميخائيل جميعان : " المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية " •

– سعيد برجاوي : المرجع السابق ص ٧٦ وما بعد •

(٢) محمد العروسي المطوي : " الحروب الصليبية في المشرق والمغرب " طبعة عام ١٩٨٢ – ص ٣٣ •

-: Thompson : "Economic and Social History of The middle ages" vol 1- p. 392

الخشب وبعض الأدوات الفخارية والمعدنية (١) . وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد الأقنان الذين ارتبطوا ارتباطا وراثيا بالأرض التي يعملون عليها ، وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية ، فكل مايجمعه القن يعتبر ملكا خاصا للسيد الاقطاعي لأن القن محروم ، حتى من الملكية الشخصية (٢) . وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوربة يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان . وكان ذلك في الوقت الذي علت فيه الدعوة للحرب الصليبية ، فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الأوربي أن فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت ترسف فيه من ذل العيش ونكد الدنيا . ومهما يكن في الدعوة الجديدة من أخطار ، فان أخطارها هانت أمام الفاقة والهوان والذلة التي كتبت على جمهرة العوام في الغرب . فاذا ماتوا في تلك الحرب الصليبية الجديدة ، فان الموت كان أحب اليهم من حياة الجوع والذل والعبودية . وان وصلوا الى الأراضي المقدسة سالمين فان حياتهم الجديدة لن تكن بأي حال أسوأ من حياتهم التي يحيونها فعلا في بلادهم الأصلية (٣) . ولم يكن عجبا أن ضمّت الحملة الصليبية الأولى جموعا غفيرة من المعدمين والفقراء والمساكين وطريدي القانون . وجميعهم كانوا يفكرون بوحي من بطونهم لابوحي من دينهم ، بدليل ما أتوه طوال طريقهم الى القسطنطينية من أعمال العدوان والسلب والنهب ضد الشعوب المسيحية التي مروا بأراضيها ، مما يتعارض مع أي وازع ديني (٤) .

---

(١) سعيد عاشور : " الحركة الصليبية " الطبعة الثالثة ١٩٧٦ - مكتبة الأنجلو المصرية الجزء ١ - ص ٣٨ .

-: Setton: op. cit. vol 1- p. 5....7

(٢) عاشور : أوربا العصور الوسطى - ج٢ - ص ٧٤

سعيد برجاوي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ج١ - ص ٣٩ .

(٤) انظر حول ذلك بالتفصيل عند :

- وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الأول ص ١٨١ حتى ص ١٩٠ .

ويذكر المؤرخون أن فرنسا بالذات كانت تعاني من مجاعة طاحنة ابان الدعوة للحملة الصليبية الأولى، فندر وجود الغلال، وارتفعت أثمانها ارتفاعا فاحشا، مما ترتب عليه حدوث أزمة في الخبز، وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا أن نفسر كون نسبة الفرنجة الصليبيين الفرنسيين المشتركين في الحملة الصليبية الأولى، أكثر من أي بلد أوربي آخر[1]. حيث أنه يمكن القول أنه لو تيسرت لتلك الطبقة حياة حرة وقدرا مناسبا من كرامة العيش في بلادهم، لما غامروا بترك أوطانهم جريا وراء وعود خيالية أسرفت الكنيسة في طرحها[2].

هذا بالنسبة لجموع وعامة الشعب في أوربة. أما بالنسبة لطبقة الاشراف الاقطاعيين، فقد كانت فكرة تكوين الممالك والامارات، من أهم مايشغل بال هذه الفئة. وهذا ما حدا بالكثير من هؤلاء الى تكوين الحملات الصليبية، وتعبئة الجيوش والتوجه بها الى المشرق العربي الاسلامي، لتحقيق مطامحهم وأغراضهم[3]. لاسيما قضية الابن البكر الذي يرث كامل اقطاع أبيه من الأرض دون سائر أخوته. وبذلك صار هؤلاء الأخوة شبه معدمين أحيانا وكثيرا منهم لقب بلا أرض، المفلس المعدم...[4][5]

---

(١) باركر: المرجع السابق ص ٢٢

(٢) عاشور: المرجع السابق - ج١ - ص ٣٤

-: Setton: op. cit. vol, - p. 5

-: paul Deschamps: op. cit. p. 4

(٣) عاشور: المرجع السابق ج١ - ص ٣٩

(٤) محمد العروسي المطوّي: المرجع السابق ص ٣٣

(٥) مثلا يذكر وليم الصوري عن الحملة الصليبية الشعبية مايلي: "كان وولتر المعدم أول من بدأ بالرحيل، وكان من أصل نبيل.." انظر: وليم الصوري: المصدر السابق - ج١ - الكتاب الأول ص ١٨٠ - وعن قضية ارث الابن البكر انظر:
- نور الدين حاطوم: المرجع السابق ص ٥٤١.

وقد أسهم عدد كبير من الفرنجة الصليبيين في الحملة الصليبية وتركوا بلادهم اما بدافع الفضول ، أو لتحقيق أطماع سياسية ، واما للخلاص من حياة الفقر التي كانوا يحيونها في بلادهم ، في ظل النظام الاقطاعي ، واما للتهرب من ديونهم الثقيلة أو محاولة تأجيل سدادها ، واما فرارا من العقوبات المفروضة على المذنبين منهم ،واما لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية في بلاد الشرق (١)....

ولاننسى دور الكنيسة وأثر العامل الديني في العصور الوسطى (والتي تعرف أحيانا باسم عصور الايمان) (٢) فقد كان للدين والكنيسة أثر عظيم في تلك العصور ، حتى ان كل من يخالف تعاليمهما ، كان يعرّض نفسه لأشد أنواع العقاب (٣) . ويمكن القول أن ظاهرة الحرب الصليبية كانت تمثل روح العالم الغربي الوسيط والأفكار السائدة فيه آنذاك ، تمثيلا صادقا في ناحيتين هامتين رئيستين ألا وهما : ناحية الدين وناحية الحرب (٤) .

وفي الحقيقة لقد تضافرت مجموعة من الاسباب الهامة في الغرب الاوربي ، أدّت بمجملها الى قيام الغرب بالتوجه لاحتلال مناطق في الشرق . وقد أفاضت المصادر والمراجع في ذكرها . منها أسباب دينية ، وأسباب سياسية ، وأسباب اقتصادية ، وأسباب

---

(١) Thompson: op. cit. vol, I - p. 391

عاشور : المرجع السابق ج ١ – ص ٣٤

(٢) عاشور : "تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى" – طبعة عام ١٩٧٢ بيروت – ص ٢٢

نور الدين حاطوم : المرجع السابق ص ٨٢٩ .

(٣) جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٤١ .

(٤) Atiya: "Crusade, Commerce and Culture" Bloomington 1962 - p 20

عاشور : المرجع السابق – ص ٢٢ .

اجتماعية (١)

اصطبغت الحركة الصليبية منذ البداية بصبغة اقتصادية استغلالية واضحة .

ولعبت المدن التجارية الايطالية (لاسيما بيرا وجنوه والبندقية) دورا كبيرا في الحروب الصليبية ، وقدّمت مساعدات كبيرة للفرنجة الصليبيين .. وهذه المدن التجارية لم تكن مدفوعة الى تقديم تلك المساعدات بوازع ديني ، وانما جرت وراء مصالحها الاقتصادية الخاصة ، وذلك مقابل معاهدات عقدتها مع القوى الصليبية الفرنجية في الشام وحصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية هامة (٢) .

واذا أضفنا الى ذلك كله وجود شخصيّة فذّة هي شخصية البابا " ايربان الثاني " (٣) الذي كان له الفضل في اثارة الحماس ، وفي الاعداد لمشروع الحروب الصليبية . وذلك ليتمكن من بسط سلطان الكنيسة على العالم المسيحي كله آنذاك (٤) . فقد كان استنجاد الأباطرة البيزنطيين بالغرب الاوربي ضد السلاجقة فرصة ذهبية للبابا للظهور في مظهر الزعيم الأوحد للشعب المسيحي كافة ، في صراعه ضد المسلمين ، ولمحاولة ادماج الكنيستين

(١) انظر حول ذلك :

- : عاشور : المرجع السابق - ص١٧ حتى ص٣٢ .

- : آوربا العصور الوسطى ج١ - ص٤٤٠ - ٤٤٢

- : بيطار : المرجع السابق ص ١٤ حتى ص ١٧ .

-: paul Deschamps: op. cit. p. 3

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ - ص ٣٦ .

-: Heyd: "Histoire du Commerce du levant au moyen age" Leipzig, 1936. vol 1 - p. 131-133

عادل زيتون : " العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى " الطبعة الاولى ١٩٨٠م - دمشق - ص ١٢٩ وما بعد .

(٣) عن حياة ايربان المبكرة انظر :

-: leib: "Rome, Kiev et ByZance a la fin du X ième siécle" Paris 1924 - p. 1-4.

(٤) فوشيه دي شارتر : من خلال كتاب الدكتور جوزيف نسيم " العرب والروم واللاتين " الملحق الثاني ص ٣١٠ - ٣١١ . - وليم الصوري : المصدر السابق - ج ١ الكتاب الأول ص ١٧٠ وما بعد .

- رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص١٥٩ ومابعد .

- رفيق التميمي : " الحروب الصليبية " الطبعة الأولى - ١٩٤٥ مطبعة اللواء القدس ص ٢٦

- سعيد برجاوي : المرجع السابق ص٧٩ حتى ص ٩٣ .

الشرقية والغربية تحت زعامته (١) ٠

وهكذا فقد أعلن الغرب المسيحي الحرب على الشرق العربي بحجة حماية المقدسات الدينية وتحرير قبر السيد المسيح ٠ وكانت هذه الحجة هي الغطاء الذي غطيت به جميع الأغراض الأخرى ، التي اختلف أمرها باختلاف هوى كل واحد من المشتركين فيها ٠ وكما قال أحد المؤرخين الغربيين :

" ان رؤساء الحرب الصليبية ، كانت أفكارهم تشتغل بمصالحهم الخصوصية ، أكثر من اشتغالهم ببيت المقدس ٠ وان المنازع الدينية ، كانت دائما متأخرة لديهم عن مصالح تجارتهم " وقد تجلت ظاهرة المنافع الشخصية ، والبعد عن الروح الديني المحض بصفة عملية واقعية في سيرة قادة الفرنجة الصليبيين في حملاتهم المختلفة (٢) ٠

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ـ المقدمة ـ ص ٣٢

(٢) محمد العروسي المطوي : المرجع السابق ص ٣٤ ٠

رابعـا : الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الامارات الأربـع :(١١)

تألفت الحملة الصليبية الأولى كما هو معروف من قسمين :

١ - الحملة الشعبية (أو حملة العامة)

٢ - حملة النبلاء (أو حملة الأمراء) .

أما الحملة الشعبية (٢)، فقد كانت بمثابة طلائع للحملة النظامية . وتألفت من خمس جموع ضمّت الفقراء والنساء والرجال والأطفال ، من مناطق أوربية متعددة ، غلب عليهم الفرنسيون والألمان .... وقد فشلت ثلاث جموع من هؤلاء في الوصول الى القسطنطينية ، نتيجة اصطدامهم بالمجريين الذين شتتوا شملهم . أما البقية الباقية ، فقد وصلت الى القسطنطينية بقيادة والتر المفلس(٣)

---

(١) - انظر المصور رقم ٥ ص ٨٨

(٢) عن الحملة الشعبية انظر :

وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الأول - ص ١٨٠ وما بعد .

المؤرخ المجهول : " أعمال الفرنجة " ترجمة حسن حبشي - دار الفكر العربي - طبعة عام ١٩٥٨ ص ١٧ حتى ٢٢ .

نور الدين حاطوم : المرجع السابق ص ٢٧ وما بعد .

- Setton: op. cit vol I - p. 253 ... 279

(٣) والتر المفلس أو المعدم ويعرف أحيانا بفويته . وعند المؤرخ المجهول جوتييه سانز أفوار انظر المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ٢١

وبطرس الناسك[١]. وقد جمع هذان الزعيمان ، عددا ضخما من الأتباع قدّر بخمسة عشر ألفا ، اصطحب بعضهم نساءهم وأطفالهم[٣]. اتخذوا جميعا طريق البرّ عبر هنغاريا (المجر) ومن ثم الأراضي البيزنطية .وقد قام هؤلاء بمذبحة رهيبة في هنغاريا ، قتل فيها حوالي أربعة آلاف من المسيحيين الأبرياء[٢]. الى جانب أعمال السلب والنهب التي كانوا يمارسونها طيلة فترة رحلتهم تلك[٤].

وصلت هذه الجموع الى القسطنطينية سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م . وسلك هؤلاء الفرنج الصليبيون ، أثناء اقامتهم في القسطنطينية سلوكا شائنا ، حيث هدموا القصور، وأشعلوا فيها النيران واقتلعوا الرصاص من أسقفة الكنائس وباعوه ، مما أغضب الامبراطور البيزنطي شديد الغضب ، فأمر بأن يعبروا البوسفور ، ويبعدوا عن العاصمة . (٥)

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - ص ١٨٣ وما بعد .
- عادل زيتون : " العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى " الطبعة الأولى - ١٩٨٠ - دار دمشق ص ٥٨ .
- Setton: op. cit. vol. 1 - p. 78.
- Grousset: "Histoire des Croisades et du Royaume france de Jerusalem" Paris, Plon. 1934-1936. vol. 1 - P. 5.

(٣) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ١٩

(٢) عن تلك المذبحة بالتفصيل انظر :
وليم الصوري : المصدر السابق - ج١ - الكتاب الأول - ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ١٨٣ - ١٨٤ .
- Vasiliev: op. cit. vol 2 - p. 404

(٥) المؤرخ المجهول : المصدر السابق - ص ١٩

ولما اصطدمت هذه الجموع بالسلاجقة هزمت أمامهم هزيمة منكرة ولم يسلم منهم الا بطرس الناسك وعدد قليل من الأتباع (١) • وانتهى بذلك أمر هذه الحملة ، حيث لاقت الفشل الذريع بسبب قلة تنظيمها ، وعدم أهلية قادتها ، وشدة حماس أفرادها (٢) • ولم يبق من آثارها الا كومة من العظام ، ليشهد من تلاهم من الفرنجة الصليبيين ، عند اجتيازهم هذا الموقع ، مصير حملة الشعوب (٣) •

أما الشطر الثاني من الحملة (٤) ، أي حملة الأمراء فقد بدت عليه روح النظام والانضباط أكثر من سابقه • فقد حوى جنودا محترفين ، يقودهم نبلاء وأشراف أوربة (٥) •

تألفت هذه الحملة من طبقات متباينة ، اشترك فيها نبلاء ممتازون وأشراف صغار وفرسان وطائفة كبيرة من الأفاقين والنهابين وقطاع الطرق • أما ملوك أوربة ، فقد كانوا آنذاك على اختلاف شديد مع البابا ، فلم يشترك أحد منهم في الحملة (٦) •

---

(١) أنا كومنينا : " الألكسياد " من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار " الحروب الصليبية " الطبعة الأولى ١٩٨٤ – الجزء الأول – ص ١١٧

- : Grousset : op. cit. vol 1 - p. 8
- : Vasiliev : op. cit. vol 2 - p. 405
- : Ostrogorsky : op. cit. p. 321

(٢) أنا كومنينا : المصدر السابق من خلال كتاب الحروب الصليبية – ج ١ – ص ١١٨ •

وليم الصوري : المصدر السابق – ج ١ الكتاب الأول – ص ١٩٢ •

سعيد برجاوي : المرجع السابق ص ٩٨

(٣) أنا كومنينا : المصدر السابق – ص ١١٧

أرنست باركر : المرجع السابق – ص ٢٦

(٤) عن هذا الشطر من الحملة الصليبية الأولى انظر :

- : Setton : op. cit. vol 1 - p. 280 - - - 304 .

نور الدين حاطوم : المرجع السابق ص ٨٤٠ وما بعد •

(٥) محمد الفتيت : " الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس " ج ١ – ص ٢٩

(٦) رفيق التميمي : المرجع السابق – ص ٣٧ •

تألف هذا الشطر من الحملة من عدة جموع ، لكل منها طابعها الخاص الذي لازمها منذ أول الأمر ، وميز نشاطها في الشرق . وقد بدت الروح الاقطاعية واضحة في هذا الشطر . اذ تولى زعامتها عدة أمراء لكل منهم اتجاهاته وجنده ، وسياسته الخاصة ، مما جعل تلك الحملة في حقيقة أمرها عبارة عن عدة حملات ، ربما عملت أحيانا في اتجاهات متعارضة (١) .

ألف المتجهون الى الشرق ثلاث مجموعات كبيرة ، ترأس الأولى غودفري دي بويون (Godfrey de Bouillon) دوق اللورين (٢) ، وبرفقته أخوه بلدوين (Baldwin) (٣) . وترأس الثانية بوهيموند (Bohemond) وابن اخته تنكرد (Tancred) (٤) وهم من النورمان . وترأس المجموعة الثالثة ريموند دي تولوز (Raymond de Toulouse) أو ريموند الصنجيلي (Raymond de Saint Gilles) وبصحبته الأسقف أدهمار (Ademar de Monteil) (٥) لكي يكون مندوبا يمثل البابوية في زعامة الفرنج الصليبيين في الشرق . الى جانب زعماء آخرين (٦) .

---

(١) حسن حبشي : " الحرب الصليبية الأولى " دار الفكر العربي - ص ٦٥

(٢) عن غودفري هذا : انظر وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الثاني ص ٩٨ مع الحاشية

-: Setton : op. cit. vol 1 - p. 284.

-: paul Deschamps : op. cit. p. 4 .

(٣) يرد اسم بلدوين في المصادر العربية بغدوين أو بردويل .

ويرد اسم تنكرد طنكري - واسم بوهيموند بيمنت أو بيمند أو سمند، عند ابن خلدون .

(٤) -: Setton : op. cit. vol 1 - p. 286

-: paul Deschamps : op. cit. p 4

(٥) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ - ص ١٥١

(٦) عن أسماء هؤلاء الزعماء كافة انظر :

وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الأول ص ١٧٨ - ١٧٩ .

التقت هذه الجموع في القسطنطينية ، وكان عدد المحاربين ... ألفا ومائة ألف . تبعهم طائفة كبيرة من الخدم والمشاة ، لايمكن احصاء أفرادها[1] وقد قدّرهم البعض بنحو مليون رجل بين فارس وماش ومحارب وخادم.[2]

وبوصول فود فري دي بويون الى الحدود البيزنطية سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦م ، بدأت "المسألة الصليبية الفرنجية " في تاريخ الدولة البيزنطية . ففي ذلك الدور بالذات وضع الامبراطور الكسيوس كومينين (٤٧٤ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨م) سياسة ثابتة تجاه الفرنج الصليبيين ، وهي السياسة التي لم يتخلّ عنها خلفاؤه أباطرة القسطنطينية طوال قرن من الزمان .

ذلك أن الكسيوس كومينين ، أراد أن يستغل الحركة الصليبية ، ويسخرها لتحقيق أهدافه ومصالح دولته الخاصة ، فلما فشل في ذلك ، انقلبت سياسته تجاه الفرنج الصليبيين الى عداء صريح[3] . والمهم الآن أن الامبراطور اشترط على زعماء الحملة أن يقسموا له يمين الولاء والتبعية[4] .

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق - ج١ - ص ٢١٠ - ٢١٩

(٢) رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب .... ص ١٠٠ .

(٤) آنا كومينينا : المصدر السابق - من خلال كتاب الدكتور جوزيف نسيم - الملحق الثالث ص ٣٢٠ وما بعد .

المصدر السابق - من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار - ص ١٣٠ وكذلك ص ١٣٣ ويتضمن القسم تقديم الولاء للامبراطور البيزنطي ، واعلان وضع الحملة الصليبية في خدمة الامبراطور لاسترداد الأراضي التي أخذها السلاجقة من الامبراطورية .

عن علاقة الامبراطور البيزنطي بزعماء هذه الحملة انظر :

وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني ص ٢٠٦ وما بعدها .

عاشور : المرجع السابق من ص ٩٨ - ص ١١٣

باركر : المرجع السابق ص ٣٠ .

وبعد تردّد ، أقسموا له جميعهم ماعدا ريموند الصنجيلي وتنكريد (١) الصنجيلي فقد اقسم بطريقة أخرى ، وهي أنه حوّر صيغة القسم بقوله انه :

" سيحترم حياة الامبراطور وشرفه ، ولن يقوم هو ورجاله بعمل يسيء الى الامبراطور " (٢) كما أعلن أنه مستعد لأن يعلن تبعيته للامبراطور البيزنطي ، اذا خرج الامبراطور على رأس الفرنج الصليبيين بنفسه، وتولى قيادتهم في الحرب الصليبية (٣) وفي هذه الاتفاقية تعهد الفرنج الصليبيون للامبراطور البيزنطي ، برّد ممتلكات بيزنطة القديمة ، التي أخذها السلاجقة . كما تعهد الامبراطور من قبله بمساعدتهم وتقديم المؤن لهم ، وأن يسهم بدوره في الحرب الفرنجية الصليبية ، وأن يمدّهم بفرق من الجيش البيزنطي ، في حال عدم تمكنه من مرافقتهم شخصيا (٤) . ومن الجدير بالذكر أن الامبراطور البيزنطي لم يكن ينظر الى زعماء تلك الحملة نظرة تقدير ، بل كان يعتبرهم أقل منه مرتبة . كما أنه لم يبتهج لكثرة أعدادهم لأنهم صاروا خطرا عليه . فهو عندما استغاث بالغرب ، لم يتوقع أن تهب كل هذه الحشود . وكل ماكان يطلبه فرقة من الجنود المرتزقة تعمل تحت امرته كالعادة .

---

(١) المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ٣١ - ٣٢

-: Setton : op. cit. vol 1. p. 286

أما ابن الاثير فقد أشار اشارة سريعة الى مانشأ من خلاف بين زعماء الحملة الصليبية الاولى وبين الامبراطور البيزنطي ، واشترط الامبراطور على أولئك الزعماء تسليمه ما يفتحونه من بلاده وعلى أن يقسموا له يمين الولاء . فقال في حوادث سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ما يلي :

" فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين ويسيروا في البر فيكون أسهل عليهم . فلما وصلوا اليها ، منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال : لا أمكّنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي أنكم تسلمون اليّ أنطاكية " .

انظر : ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص٢٧٣

(٢) عاشور : المرجع السابق ص ١١١

(٣) -: Setton : op. cit. vol 1. p 287

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢١٩

المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ٣١

ولهذا لم يبد ارتياحه الى تلك الحشود ، وهذه ابنته " أنا كومنينا " تعبر عن ذلك أجمل تعبير بقولها : " وسمح (الامبراطور الكسيوس) قبل أن يتمكن من نيل قسط كاف من الراحة ، أقاويل تتحدث عن قرب وصول عدد كبير من جيوش الفرنجة لاعدّ لها ولا حصر ، وقد خشي من وصولهم ، على أساس معرفته بطباعهم وأخلاقهم التي لايمكن ضبطها ... وأقدم على اتخاذ كافة الاجراءات ، واستعد لخوض الحرب اذا ما دعت الضرورة لذلك (١)

وأخيرا عبرت الحملة الصليبية الاولى الأناضول ، واحتلت نيقية عاصمة السلاجقة سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م) كما هزمت السلاجقة في المركة الفاصلة عند اسكي شهر ، واستخلصوا منطقة غربي الأناضول ، وسلموها للامبراطور البيزنطي سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م) •

وبذلك عادت هذه المنطقة الى الحكم البيزنطي لتعيش من جديد ثلاثة قرون ونصف • (٢)

وهكذا كانت الحملة الصليبية الفرنجية الاولى في بدايتها ، خير أداة استطاعت أن تثأر بها الدولة البيزنطية لنفسها ، مما حل بها على يد السلاجقة منذ معركة ملاذكرد •

ثم بدأت بعد ذلك المرحلة الثانية من أعمال هذه الحملة ، وهي مرحلة تأسيس الامارات الفرنجية الصليبية على أرض بلاد الشام • (٣)

---

(١) أنا كومنينا : المصدر السابق - من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار ص ١١١ • وكذلك توجد عدة اشارات لذلك في نفس المصدر صفحة ١٣٣ وصفحة ١٣٨ • وكذلك صفحة ١٤٥ •

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج١ - ص ١٦٥ •
-: Stevenson : op. cit. p. 21-22

(٣) -: Setton : op. cit. vol 1 - p. 368-409

١ ـ تأسيس امارة الرها : (Edessa , Urfa)[1] (٤٩١ هـ ـ ٥٣٩ هـ / ١٠٩٨ ـ ١١٤٤ م) :

اجتاز الفرنج الصليبيون بعد ذلك الحاجز الجبلي الضخم (جبال طوروس) ، فانقسموا الى قسمين ، ترأس أحدهما تنكرد و بلدوين[2] ، حيث اتجها باتجاه الشمال الشرقي ، في حين اتخذ بقية الصليبيين وعلى رأسهم المندوب البابوي وغودفري وبوهيموند طريق الشام[3] .

كانت الرها[4] أول امارة فرنجية صليبية تقام على أرض الشام . وقد لعب الأرمن دورا بارزا في تسهيل المهمة على الفرنج الصليبيين[5] ، ورحبوا بهم بمجرد أن أضحوا

---

(١) أودو أوف دويف : " رحلة لويس السابع الى الشرق " من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار " الحروب الصليبية " . ـ الطبعة الاولى ١٩٨٤ ـ دمشق ـ الجزء الاول ـ ص ٢٩٥ حيث يقول عن الرها مايلي : " ... وتحدث أسقف لانجرس ... عن دمار الرها ، التي كان اسمها القديم اديسا " . وانظر كذلك :
- Setton : op. cit. vol 1 - p. 299
- Stevenson : op. cit. p. 69 ... 71
- Setton : op. cit. vol 1 - p. 296

(٢) ـ عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية ... ص ٩٠ حيث يقول : " ولكن قبل وصول الصليبيين الى أنطاكية ، انفصل تنكرد و بلدوين وراحا يتنازعان على امتلاك مدن قيليقية دون مراعاة للعهد الذي أخذوه على أنفسهم للامبراطور البيزنطي ، حتى انتهى المطاف ببلدوين الى امتلاك الرها وتأسيس أول امارة صليبية فيها بالرغم من أنها كانت تعتبر من أملاك الدولة البيزنطية " انظر كذلك :
- Stevenson : op. cit. p. 22 - 23
ـ باركر : المرجع السابق ص ٣٤

(٣) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢١

(٤) يدعوها وليم الصوري بـ راغس (Rages) . انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ـ الكتاب الرابع ص ٢٦٨ .

(٥) عاشور : تاريخ العلاقات ص ١٣٣ .
- Stevenson : op. cit. p. 23

على مشارف أنطاكية . ويعود تعاونهم مع الفرنجة الى عاملين اثنين[1]، جعلا منهم أقرب للفرنج من آية عناصر مسيحية أخرى في الشرق ، أولهما : طموحهم للتحرر من الحكم السلجوقي . وثانيهما : أنهم شعب محارب . وكثيرا ماكانوا يشاهدون خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد ، في زيّ الجنود الخيالة أو المشاة في الجيش الصليبي الفرنجي ، يخوضون المعارك في شمال بلاد الشام[2] .

ولكنهم مالبثوا ان انقلبوا عليهم ، حين لم يجدوا فيهم ما كانوا يأملونه من تحسين أحوالهم . وحاكوا المؤامرات ضدهم بعد فترة وجيزة من مجيئهم .

وأسرع بلدوين البولوني (أخ غودفري السابق ذكره) الى الرها ، بناء على طلب حاكمها الارمني ثوروس بن هيثوم (Thorus) الذي تبناه و منّه ووريثا له في حكم المدينة وما يتبعها بعد موته[3] .

وهكذا صار هناك نوع من الوصاية الفرنجية الصليبية على امارة الرها الارمنية ، بحكم هذه الوصاية أصبح العنصر اللاتيني هو الوريث الطبيعي للعنصر الأرمني في حكم الرها[4]. فما كان من بلدوين الا أن عجّل في موت ثوروس (والده بالتبني) فتآمر مع بعض الاهالي ضدّه وقتلوه شرّ قتلة[5] .

وبذلك انفرد بلدوين في حكم الرها ، ثم أخذ يستولي على ماجاورها من البلاد

---

(١) يذكر المؤرخ المجهول في الصفحات (٥٣ ـ ٥٥) من كتابه السابق الذكر ، أن المؤن كانت ترسل من الأرمن والسريان الى اللاتين أثناء حصار أنطاكية ، كما يذكر الشيء نفسه في الصفحة (٥٠) بالرغم من أنه يتهم الأرمن كذلك بالاستقلال والحصول على أرباح فاحشة . انظر كذلك :

-: Setton: op. cit. vol. I p. 301

-: Stevenson: op. cit. p. 23

(٢) رسي . سميل : " فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر " ترجمة العميد الركن وليد الجلاد ـ

مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ١٩٨٢ ـ ص ٨٩ .

(٣) -: Stevenson: op. cit. p. 24.

(٤) عاشور : المرجع السابق ص ٣٥ ـ ١٣٦ . (٥) رنسيمان : المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣

ليضفي على حكمه قسطا من الشرعية والأهمية ، وليعلو شأنه بين رعاياه الجدد، فاشترى[1] سميساط ، واستولى على سروج والبيرة وغيرها[2] .

وهكذا تم وضع أركان أول الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام[3] .

امتدت أراضي هذه الامارة على جانبي نهر الفرات من راوندان وعينتاب في الشمال الغربي ، الى أواسط المنطقة المعروفة باسم الجزيرة ، وكانت أكبر مساحة من امارة أنطاكية[4] .

لعبت هذه الامارة دورا هاما وبارزا في حماية الامارات الفرنجية الصليبية الأخرى ، خاصة أنطاكية ، ودخل الفرنجة في الرها معارك طاحنة مع السلاجقة والدانشمند ، وتمكنوا من ايقاف الزحف العربي الاسلامي سنين طويلة[5] . وبسبب موقعها البعيد عن الامارات الفرنجية الأخرى على أرض الشام من جهة ، والقريب من أماكن المواجهة العربية الاسلامية القوية ، من جهة أخرى ، كانت هذه الامارة أقصر الامارات الفرنجية الصليبية عمرا[6] .

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ج١ – ص ١٧٧ – ١٧٩ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب الرابع ص ٢٧١ حتى ص ٢٧٥

ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٠ – ص

-: Grousset: "L'Empire du Levant. Histoire de la Question d'Orient." Paris, 1946

-: Stevenson: op. cit. p. 69

(٣) -: Stevenson: op. cit. p. 22

(٤) رنسيمان : المرجع السابق : ج١ ص ٢٥ — انظر أيضاً المصدر رقم (١) ص ٢٧٨

-: Stanley Lane poole: "Sala Din" Beirut 1964 - p. 26

(٥) تيسير بن موسى : " غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين" ص ٨٧

(٦) أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٢

فهي لم تعش سوى ستة وأربعين عاما . قضتها في مدّ وجزر ، بحسب قوتها الحربية ومقدرتها العسكرية . حتى استطاع عماد الدين زنكي استردادها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م[١] ، وأتم ابنه نور الدين محمود الاستيلاء على بقية معاقلها سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م[٢] .

تتابع على حكم هذه الامارة أربعة حكام ، هم على التوالي :

١ - بلدوين البولوني : أو بلدوين الأول . وقد حكم من سنة (٤٩١ - ٤٩٣ هـ / ١٠٩٨ - ١١٠٠ م) ثم صار ملكا على مملكة بيت المقدس الفرنجية الصليبية .

٢ - بلدوين الثاني : (Baldwin de Burg) وهو قريب بلدوين الأول . وقد حكم من عام (٤٩٣ - ٥١١ هـ / ١١٠٠ - ١١١٨ م) حيث خلف بلدوين الأول كذلك في حكم مملكة بيت المقدس .

٣ - جوسلين الأول : (Joscelin de Courtenay) وهو قريب بلدوين الثاني[٣] وقد حكم من سنة (٥١٢ - ٥٢٦ هـ / ١١١٩ - ١١٣١ م) .

٤ - جوسلين الثاني : وهو ابن جوسلين الأول : وقد حكم من سنة (٥٢٦ - ٥٣٩ هـ / ١١٣١ - ١١٤٤ م) .

٢ - تأسيس امارة أنطاكية : (Antioch) (٤٩١ - ٦٦٦ هـ / ١٠٩٨ - ١٢٦٨م) :

ألقي الحصار على أنطاكية في نفس الوقت الذي كان فيه بلدوين البولوني يعمل

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .
- : Setton : op. cit. vol, - p. 449

(٢) ابن الأثير : " التاريخ الباهر " - ص ٦٦ ومابعد - وكذلك ص ٨٦ - ٨٧ وكذلك ١٠٢ وما بعدها .

(٣) - : Stevenson : op. cit. p. 58

في امارة الرها (١) . وقد أحدث وصول الفرنج الصليبيين الى مشارف الشام [illegible] في قلوب الأهالي ، عبّر عنه ابن القلانسي بقوله : ان الفرنج الصليبيين وصلوا " في عالم لايحصى عدده كثرة ، وتتابعت الأنباء بذلك ، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها " (٢) . وكان الفرنج قد غادروا مرعش سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م بعد أن تزودوا بالطعام والماء ، ثم استولوا على حصن بغراس وقلعة أرتاح في الطريق (٣) .

تمتاز أنطاكية ، بأنها مدينة محصنة غاية التحصين ، فالجبال تحيط بها من الشرق والجنوب ، والأنهار من الشمال والغرب (٤) . بالاضافة الى سورها الضخم ، الذي يعلوه مئات الأبراج (٥) . وهي بين أربعمئة برج الى ثلاثمئة وستين (٦) . وقد ظلت أنطاكية تابعة

---

(١) عن حصار أنطاكية . حتى سقوطها انظر : المؤرخ المجهول : المصدر السابق - ص ٤٩ حتى ص ٧٠ .

- وليم الصوري : المصدر السابق : ج ١ - الكتاب الرابع ص ٢٧٧ حتى ص ٣٣٥ .

-: Amin Maalouf: "The Crusades Through Arab Eyes" London 1984 , p. 13.... 36

-: Setton : op. cit. vol, 1- p. 308.... 325

-: Stevenson: op. cit. p. 26.... 30 and p. 71....

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢١٨

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢١٨ - ٢١٩ .

ابن العديم : " زبدة الحلب من تاريخ حلب " تحقيقه سامي الدهان ، طبعة عام ١٩٥٤ - ج ٢ - ص ٤٩٥ .

(٤) عن وصف مدينة أنطاكية انظر :

وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الرابع ص ١٣٠ حتى ١٣٢ .

-: Setton: op. cit. vol, 1- p. 308

(٥) سعيد برجاوي : المرجع السابق ص ١٣٢

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان - طبعة دار صادر بيروت ص ٢٦٧ .

للدولة البيزنطية حتى وقوعها بيد السلاجقة سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م ... ة القاء الحصار عليها حاكم سلجوقي يدعى ياغي سيان (١) . وقد أظهر هذا الحاكم مهارة بالغة وشجاعة نادرة في الدفاع عن المدينة (٢) . فقد شحن قلاعها بالجند ، واختزن المؤن فيها ، وطلب مساعدة جيرانه المسلمين ، وأخذ يضع الخطط للتغلب على الفرنج .

استمر حصار المدينة تسعة أشهر . عانى خلالها الفرنج الصليبيون المجاعة الفتاكة التي اضطرتهم لأكل أبشع الحيوانات ، بالاضافة الى جثث الموتى (٣) . وفي وسط تلك الأزمة ، عمل فريق منهم على الهرب والعودة الى أوربا ، كان منهم بطرس الناسك نفسه (٤) . وفي ظل هذه الظروف القاسية التي ألمّت بالصليبيين الفرنج أمام أسوار أنطاكية ، ظهر بوهيموند كأبرز قائد في الحصار ، وأخذ يفرض نفسه تدريجيا ، بشكل أصبح فيه الكل يتجهون اليه غريزيا بوصفه المنقذ الوحيد لهم مما هم فيه (٥) . فشتّت شمل النجدات العربية الاسلامية ، وأوصل المؤن والذخائر (التي حملتها الأساطيل

---

(١) يسميه وليم الصوري اكسيانوس (ACXiamus) – وفي بعض المراجع العربية يدعى ياغي بسان أو يغي سيان .

(٢) حسن حبشي : المرجع السابق ص ١١١ – ١١٢ .

- Stevenson: op. cit. p. 25

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج٢ ص ٥٠١ / المؤرخ المجهول : المصدر السابق ، ص ٨٦

شفيق التميمي : المرجع السابق ص ٤٦

(٤) شفيق التميمي : المرجع السابق ص ٤٦ / عادل زيتون : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٥) عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية – ص ١٥٣

باركر : المرجع السابق ص ٣٤ .

الإيطالية)[١] الى رفاقه . وكان يطمع من وراء ذلك أن يتربّع على عرش أنطاكية عندما تسقط . فخطط لذلك بدهاء وذكاء ، واستغل حاجة الفرنج الصليبيين اليه في أشد الأوقات حرجا . كما أنه تخلص من القائد البيزنطي الذي اشترك معهم في الحصار ، بمهارة بالغة[٢] وأخيرا فقد تواطأ معه أحد حراس الأبراج ، وسلمّه البرج المكلف بحراسته[٣] . وبذلك سقطت أنطاكية بعد صمود عتيد ، وتمّ دخولها من قبل الغزاة الصليبيين ، واستباحتها بما فيها . وقد تطرف الفرنج الصليبيون في قتل من وجدوه بأنطاكية من العرب المسلمين انتقاما منهم لصمودهم " فقتل وأسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال مالايدركه حصر "[٤] وبعد عدة مناقشات ومناوشات بين بوهيموند النورماندي وريموند الصنجيلي حول امتلاك أنطاكية ، تمكن بوهيموند من الجلوس على عرشها لوحده دون منازع .

---

(١) ترد الاشارة الى تلك الأساطيل عند وليم الصوري حيث يقول :
" وفي تلك الآونة أبحرت بعض السفن من جنوة محملّة بالحجاج والمؤن ودخلت البحر الى مصب النهر " انظر :
- وليم الصوري : المصدر السابق - ج ١ - الكتاب الخامس ص ٣٠٥ ومابعد .
- باركر : المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) أنّا كومينينا : المصدر السابق ص ١٥٤
- Setton: op. cit. vol 1- p. 313 - 314

(٣) يدعى ذلك الحارس باسم فيروز في المصادر ، ويقول عنه وليم الصوري :
" كان زعيما لعشيرته وأسرته ، وكان رجلا صاحب نفوذ كبير ، وكانت له علاقات صداقة حميمة مع حاكم أنطاكية (بياغي سيان) الذي حباه بالعديد من درجات التشريف ، وشغل منصب الأمين بالقصر ... " وفيروز هذا أرمني أسلم حديثا .
انظر : - وليم الصوري : المصدر السابق - ج ١ - الكتاب الخامس ص ٣١٨ .
- أنّا كومينينا : المصدر السابق - ص ١٥٤ .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٠ . وانظر كذلك :
ابن العديم : المصدر السابق ج٢ ص ٤٩٩ .

ودون مراعاة للعهد الذي قطعه للامبراطور البيزنطي . كما عمل بوهيموند على مجابهة[1] كافة المحاولات التي قامت لتحريرها .[2]

وبذلك ولدت الامارة الفرنجية الصليبية الثانية في بلاد الشام .[3] وهي الامارة التي أصبحت أقوى الوحدات السياسية للفرنج الصليبيين على أرض الشام .[4] فهي لم تقم بالرغم من ارادة السلاجقة المسلمين وحدهم ، بل أيضا بالرغم من ارادة الامبراطورية البيزنطية ذاتها . وبذلك استطاع النورمان بما هو معروف عنهم من صلابة عود ، وبفضل قوة ومهارة أميرهم بوهيموند ومن بعده تنكرد ، أن يواجهوا عداء السلاجقة والبيزنطيين جميعا ، وأن يقيموا دعائم امارتهم في أنطاكية ويحتفظوا بها قائمة

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب السابق ص ٣٨٥

المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ٧١ حتى ص ٩٦

-: Stevenson: op. cit. p. 22-31

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج١٠ - ص ٢٧٦ .

وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب السادس ص ٣٦١ ومابعدها . ونقصد محاولة كربوقا لتحرير أنطاكية ، وانظر كذلك من أجلها :

عاشور : تاريخ العلاقات ، ص ١٥٨

ان : المرجع السابق ج١ - ص ٣٣٦ وما بعد .

-: Setton: op. cit. vol, 1 - p 327....

(٣) عن سقوط أنطاكية انظر :

- ابن الأثير : المصدر السابق ج١٠ - ص ٢٧٢ وما بعد .

- ابن العديم : المصدر السابق ج٢ - ص ٤٩٦ - حتى ص ٤٩٩ .

- الذهبي : " دول الاسلام " تحقيق محمد مصطفى ابراهيم وفهيم شلتوت - الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة عام ١٩٧٤ ص ١٩ .

- ابن تغري بردي الأتابكي : " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ج٥ - ص ١٤٦

- ابن خلدون : " تاريخ ابن خلدون أو العبر وديوان المبتدأ والخبر " الطبعة الأولى ١٩٨١ - دار الفكر - لبنان - ج٥ - ص ٢٣ .

(٤) عاشور : أوربة العصور الوسطى ج١ ص ٤٤٦

-: Stanley lane poole: op. cit. p. 27

في وجه العواصف المضادة التي واجهتهم من قبل أعدائهم[١] .

ومنذ تفرّد بوهيموند بحكم امارة أنطاكية ، ولدت المسألة الأنطاكية ، أوالمشكلة الأنطاكية . فقد كان يجب على الفرنج الصليبيين اعادة أنطاكية الى بيزنطة تنفيذا للاتفاق المبرم مع الكسيوس كومينين (الامبراطور البيزنطي) ، وان اغتصاب المدينة على هذا الوجه ، كان ايذانا بوقوع أحداث جسام في السنوات التالية .

وفعلا لم يتنازل البيزنطيون عن حقوقهم في أنطاكية ، مما أدى الى اشتعال نيران الحرب بين بوهيموند والكسيوس . وكانت هذه المسألة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على رأس المسائل الشائكة في سياسة بيزنطة في بلاد الشام[٢] . فقد أدت الى تعقيد الموقف بين الفرنج الصليبيين والبيزنطيين من جهة ، وتعقيد الموقف بين زعماء الحملة الصليبية الأولى بعضهم وبعض من جهة ثانية[٣] .

---

(١) Grousset: Hist des Croisades, vol, I- p. 370-371

(٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٣) Grousset: op. cit. vol, I- p. 120

Setton: op. cit. vol, I- p. 373

٣ ـ تأسيس امارة بيت المقدس : (Jerusalem) (٤٩٢ – ٦٩٠ هـ / ١٠٩٩ – ١٢٩١ م) :

لم تنتهِ المنازعات بين بوهيموند وريموند على امتلاك عرش أنطاكية ، حتى اعترف الفرنج الصليبيون لريموند بقيادة الجيش ، ان هو ترك أنطاكية ، وتحرك نحو بيت المقدس .

وأخيرا تحركت الحملة الصليبية الأولى نحو بيت المقدس بعد أن ظلت قرابة خمسة عشر شهرا في شمال الشام (١) .

وهكذا قاد ريموند جموع الفرنج الصليبيين المتجهة نحو بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩ م ، وتوغل في بلاد الشام ، متحاشيا المرور بالمدن الداخلية الكبرى مثل حلب ودمشق (٢) . وأثناء تقدمه ، اتصل ببعض القوى الصغيرة المستقلة في بعض مدن الشام مثل حمص وطرابلس وشيزر (٣) . متعهدا لهم بعدم مهاجمتهم ، اذا قدموا المساعدات للفرنج

(١) –: Setton : op. cit. vol, – p. 327

(٢) رأى فريق من الصليبيين وعلى رأسهم ريموند الصنجيلي ، أن يتّبعوا الطريق الساحلي حتى يصلوا الى بيت المقدس . وذلك لسهولة الحصول على الامدادات من طريق البحر ، من قبرص والدولة البيزنطية والغرب الأوربي . لكن تنكرد خالف هذا الرأي ، لأن اتخاذ الطريق الساحلي يستلزم حصار جميع الموانى الساحلية في بلاد الشام ، وهذا أمر يحتاج الى تضحيات كثيرة ووقت طويل ... ولذلك اتخذوا الطريق الداخلي دون المرور بالمدن الداخلية القوية .

انظر حول ذلك :

– عاشور : تاريخ العلاقات ص ١٧٩ .

(٣) المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ١٠٩

– وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب السابع ص ٤٠٠ .

– ابن الأثير : المصدر السابق ج١٠ – ص ٢٧٨

حيث يقول : " ... وراسلهم منقذ ، صاحب شيزر ، فصالحهم عليها ، وساروا الى حمص وحصروها ، فصالحهم صاحبها جناح الدولة ... " .

–: Grousset : op. cit. vol, – p. 132 – 133

–: Setton : op. cit. vol, – p. 164 – 165

الصليبيين • فوافقوا على ذلك •(١)

أخذت المدن الساحلية والداخلية التابعة للفاطميين تسقط بيد الصليبيين الواحدة بعد الأخرى أو تسالمهم ، وقلة منها قاومت المحتلين ، فسالمتهم بيروت ،(٢) واستعصت عليهم صيدا ، وسقطت بيدهم اللد والرملة •(٣) ثم بيت لحم ، التي غادروها الى القدس.(٤) وبعد القاء الحصار لمدة أربعين يوما على القدس ، تمكن الصليبيون من دخولها ، بالرغم من احتياطات حاكمها الفاطمي(٥) فاستبيحت المدينة وتعرضت لأبشع المجازر التي شهدها التاريخ • فقد كانت ابادة العرب المسلمين في مدينة القدس شبه تامة • وقد أفاضت المصادر المعاصرة لتلك الفترة ، العربية منها والفرنجية في وصف وحشية وهمجية

---

(١) حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٦٢ — ١٦٣ •

(٢) -: Setton: op. cit. vol 1 - p. 331

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٣٩٠ — ٣٩٢

(٤) انظر المصدر رقم (٢) ص ٨٠، ،

(٥) انظر تفاصيل ذلك عند :

— وليم الصوري : المصدر السابق — ج١ — الكتاب السابع ص ٤٠٤ — ٤٠٥.

— ابن الأثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٢٨٣ •

— -: Hiyari (M): "Crusader Jerusalem 1099 - 1187" p 164 - 165

— -: Stevenson: op. cit. p. 33

الفرنج الصليبيين[(١)] •

وبعد أن أطفأ هؤلاء نار حقدهم ، بقتل المسلمين العرب ، وشفوا غليلهم بمنظر دمائهم التي خاضوا بها الى الركب ، جاءت مشكلة تسلّم العرش ، اذ كان هناك أكثر من أمير مرشح لذلك • هذا[(٢)] بالاضافة الى شكل الحكومة الجديدة • اذ برز عندئذ حزب الكنيسة ، يدعمه ريموند لاقامة حكومة دينية (اكليريكية)[(٣)] • ولما رفض ريموند هذا ترشيحهم له[(٤)] ، بدعوى أنه لايقبل تاجا في مدينة تألم فيها السيد المسيح ، ولبس فيها تاجا من شوك[(٥)] ، تسلّم المنصب غودفري دي بويون مؤثرا لقب " حامي القبر المقدس" على لقب صاحب التاج أي " ملك " • وبعد مدة قصيرة ، توفي غودفري ، فشغل المنصب أحد رجال الدين " البطريرك دايمبرت " وذلك لمدة خمسة[(٦)] أشهر فقط • حيث تمكن بلدوين حاكم الرها من الوصول الى القدس ، والجلوس على سدّة العرش[(٧)] • كما أنه لبس التاج ،

---

(١) المؤرخ المجهول : المصدر السابق – ص ١١٩ – ١٢٠ •
وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ – الكتاب الثامن ص ٤٣٨ حتى ص ٤٤٠ •
ابن الأثير : المصدر السابق – ج١٠ ص ٢٨٣ وما بعد •
أبو الفداء : المصدر السابق ج٢ – ص ٢١١ ومابعد •
ابن خلدون : المصدر السابق ج٥ ص ٢٥
-: Hiyari (M) : op. cit. p. 165 – 166
-: Stevenson : op. cit. p. 34.

(٢) كان على رأس المرشحين آنذاك غودفري دي بويون وريموند الصنجيلي ، سيرد تفصيل ذلك فيما بعد • انظر : رنسيمان : المرجع السابق ج ١ – ص ٤٠٧ ومابعد •

(٣) زكي النقاش : " العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية " طبعة عام ١٩٥٨ لبنان – ص ٢٤

(٤) -: Stevenson : op. cit. p. 36

(٥) -: Stevenson : op. cit. p. 36

(٦) عاشور : المرجع السابق ص ٢٢٤

(٧) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب العاشر – ص ٤٨٥ ومابعد •

(١)
واتخذ لقب ملك . وصارت بذلك بيت المقدس مملكة فرنجية صليبية على الرغم من ذلك ، فقد استمر النزاع بين الفكرتين (العلمانية والدينية) حتى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م عندما فاز بلدوين الأول بعزل نائب البابا ، البطريرك دايمبرت . ومع أن الخلاف بعث في عهد الملك بلدوين الثاني (بلدوين دي بورغ) ، غير أنه ختم بموت النائب البابوي الثالث . وانتهت القضية بتغلب أنصار الحكومة العلمانية ، على أنصار الحكومة الدينية .(٢)

اذ أن قيام دولة فرنجية صليبية من المسيحيين الغربيين ، في بقعة بمثابة القلب من العالم العربي الاسلامي ، أمر يحتاج الى قيادة علمانية حربية للدفاع عنها .(٣)

٤ تأسيس امارة طرابلس : (Tripoli) (٥٠٣ - ٦٨٨هـ / ١١٠٩ - ١٢٨٩م) :(٤)

تقاسم أمراء الحملة الصليبية الأولى ، الكبار ، النفوذ في بلاد الشام . فاستقر بلدوين في الرها ، وبوهيموند في أنطاكية ، وغودفري في بيت المقدس . ولم يبق لاريموند دي تولوز (ريموند الصنجيلي) دون امارة . باعتبار أن كلا من روبرت النورماندي وروبرت فلاندرز - الزعيمين الباقيين - أبحرا عائدين الى أوربا.(٥)

---

(١) paul Deschamps: op. cit. p. 6 :-
(٢) زكي النقاش : المرجع السابق ص ٢٤
(٣) Grousset: op. cit. vol, I - p. 166- 167 :-
(٤) عن سقوط طرابلس انظر :
- ابن الأثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٣٤٣
- أبو الفداء : المصدر السابق ج٢ ص ٢٢٤
- الذهبي : المصدر السابق ج٢ - ص ٣٢
- ابن خلدون : المصدر السابق ج٥ - ص ٢١٣
-: Grousset: Hist des croisades vol, I - p. 334 ...
-: Stevenson: op. cit. p. 51 ... 58
-: Amin Maalouf: op. cit. p 60 ... 81
-: Setton: op. cit. vol, I - p. 394 ...
(٥) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع ص ٤٦٢ ومابعدها . يتبع

مع أن ريموند الصنجيلي ، كان من أبرز قادة الفرنج الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى ، الا أنه كان أسوؤهم حظا • فقد شارك في الاستيلاء على أنطاكية ، ومع ذلك استأثر بها بوهيموند ، وزاحمه حتى على معرّة النعمان ، التي استولى عليها لوحده ، وأرغمه على التخلي عنها • وعندما استولى على انطرطوس وحاصر عرقة ، اضطره زعماء الحملة الى تركهما ليزحف معهم الى بيت المقدس • وعند عسقلان وأرسوف حدث له مثل ذلك •(١)

صمم ريموند على تأسيس امارة له في سواحل الشام ، ومن أجل ذلك رحل الى القسطنطينية ليتفق مع الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين على تحقيق أهدافه ، مستغلا الخلاف القائم بين الامبراطور البيزنطي وبوهيموند ،(٢) اذ لم تتوان أسرة كومنين عن مطالبتها بالسيادة على أنطاكية وغيرها من البلاد التي كانت تحت حكمها •

وبدا أن الحظ أخذ يعمل الى جانب ريموند • ففي أثناء وجوده في القسطنطينية وصله نبأ أسر بوهيموند - حاكم أنطاكية - بيد السلاجقة(٣) • كما وصلت الى القسطنطينية

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤١٠ - ٤١١

(٢) عاشور : تاريخ العلاقات ص ٢٠٨ •
-: Setton : op. cit. vol. I - p. 394-395
-: Stevenson: op. cit. p. 52

(٣) التمس جبراشيل حاكم ملطية الأرمني ، المساعدة من بوهيموند أمير أنطاكية ، ضد بني الدانشمند • ولكن الأمير الدانشمندي تربّص لبوهيموند ، وانقض عليه فجأة ، وبعد قتال شديد العنف ، قصير الأمد تحطم جيش بوهيموند • ووقع بوهيموند نفسه في الأسر •

انظر حول ذلك : - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٤

- رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤٥١ حتى ص ٤٥٤
-: Stevenson: op. cit. p. 51

قوات فرنجية سنة (٤٩٥ هـ / ١١٠١م) وكان عليه الاستفادة من إمدادات (١) هـ ولكن هذه القوات لقيت الهزيمة أمام السلاجقة فجمع ريموند شتاتها • لكن فرسان تنكرد ابن أخت بوهيموند حاكم أنطاكية — قبضوا على ريموند هذا عندما نزل في السويدية ولم يطلق سراحه الا بعد أن تعهد بالتنازل عن جميع ادعاءاته ومطالبه ، ليس في أنطاكية فحسب ، بل في اللاذقية أيضا • (٢)

ولاشك في أن هذا التنازل كان فاتحة خير للصليبيين الفرنج في الشام ، لأنه وضع حدا للتنافس بين بوهيموند — ومن بعده تنكرد — من ناحية ، وبين ريموند الصنجيلي من ناحية أخرى ، وضمنت لامارة أنطاكية اعترافا جديدا بوجودها • مما ثبت أركانها • هذا فضلا عن أن ريموند أخذ منذ ذلك الوقت يعمل لحسابه الخاص على ساحل الشام ، بعد أن كان معظم نشاطه السابق مكرسا لخدمة الامبراطورية البيزنطية ، وتنفيذ سياستها • فاتجه نحو تأسيس امارة لنفسه على ساحل الشام ، على حساب العرب المسلمين ، بدلا من العمل على تقويض أركان امارة أنطاكية الفرنجية الصليبية (٣)

اتخذ ريموند من مدينة طرطوس سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م قاعدة مؤقتة له ، بعد فشله في اخضاع مدينة طرابلس التابعة للقاضي ابن عمار • فقد تمكن ابن عمّار من

---

(١) وهي ماتعرف بحملة سنة ١١٠١م • عن هذه الحملة انظر :
— وليم الصوري : المصدر السابق ج١ — الكتاب العاشر ص ٤٩١ ومابعد •
— رنسيمان : المرجع السابق ج٢ — ص ٣٧
— عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٣٣٥ حتى ص ٣٤١
—: Setton : op. cit. vol, I- p. 343 ...

(٢) عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٣٤٢

(٣) عاشور : المرجع السابق ج١ — ص٣٤٢
—: Grousset : op. cit. vol, I- p. 334–335

افشال أكثر من حصار فرض حول طرابلس ، ولكنه لم يتمكن من [illegible] المواقع القريبة منها كحصن الاكراد (١)، ومدينة جبيل التي سقطت في يد ريموند (٢) بنى ريموند قلعة صنجيل في مواجهة طرابلس ليجبرها على الخضوع، لكنه توفي قبل أن يحقق أمله (٣). وكان على ابن خالته المدعو وليم جوردان (Guillaum Jourdain) أن يواصل المهمة (٤)، لكنه ما ان ضم عرقة الى رقعة الامارة الجديدة، حتى هدد مشروعه برتراند (Bertrande) أو (برترام) الابن الاكبر لريموند، الذي غادر امارة تولوز الفرنسية للمطالبة بارثه في أملاك أبيه في الشرق (٥). واختلف الاثنان حول ذلك ، وتعقد الموقف بينهما ، فاستنجد وليم جوردان بتنكرد، واستنجد برتراند بملك بيت المقدس - بلدوين الاول - والتقى جميع زعماء الفرنج الصليبيين في الامارات الاربع في قلعة صنجيل أمام طرابلس ، وعرض النزاع بين برتراند ووليم جوردان على بساط البحث . وفي ذلك الموقف أظهر الملك بلدوين الاول براعة وحكمة في تسوية الخلافات بين صفوف الفرنج الصليبيين، فتم الصلح بين الاثنين (٦). على أساس تقسيم تركة الامير ريموند الصنجيلي ، فاخذ وليم جوردان عرقة وانطرطوس ، في حين آخذ برتراند قلعة صنجيل وجبيل ، علاوة على طرابلس عندما يتم فتحها . وتقرر أنه اذا مات أحدهما دون ولد ، فان الاخر يرثه في ممتلكاته . ثم وقع حادث مريب قضى على حياة

---

(١) - عاشور: المرجع السابق ج١ ص ٣٤٨ .

(٢) - ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ - ص ٣٧٢ .
ابن القلانسي : المصدر السابق - ص ٢٣١ .
- : Heyd: op. cit. vol,- p. 139-141

(٣) - أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٣٤ .
- : Stevenson: op. cit. p 53

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٢٠ .

(٥) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٣١ .
عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٦٨ .
- : Setton: op. cit. vol,- p 397

(٦) - : Stevenson: op. cit. p. 57

وليم جوردان[1]. مما جعل برتراند ينفرد في حكم الامارة [illegible] طرابلس،حيث أصبحت امارة كبيرة مترابطة ، لا تقل عن امارة الرها أو انطاكية في أهميتها[1].

على أن امارة طرابلس بلغت أقصى اتساع لها سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣٢م،أي في عهد بونز بن برتراند. وصارت تمتد من قلعة المرقب شمالا حتى نهر الكلب جنوبا، ومن شاطىء المتوسط غربا حتى بعرين ورفنية وحصن الاكراد شرقا[2]. ومنذ ذلك الوقت صار تاريخها مرتبطا بتاريخ انطاكية من جهة، وبتاريخ مملكة بيت المقدس من جهة أخرى[3]. وبذلك استقر الحكم للامراء البروفنساليين من الاسرة التولوزية في طرابلس، مما جعلها تتميز عن الامارات الفرنجية الصليبية الاخرى، التي كان أمراؤها اما من شمال فرنسا، أو من ايطاليا النورماندية، وعلى الاخص في اللغة والسكان[4]. ومن الجدير ذكره هنا أن حكم الاسرة التولوزية (البروفنسالية) انتهى بوفاة ريموند الثالث سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م عقب انتصار صلاح الدين الايوبي في حطين. وبذلك انتقل حكم امارة طرابلس الى امراء انطاكية من البيت النورماندي[5].

وهكذا ففي غضون سنوات قليلة تمكن الفرنج الصليبيون من تأسيس أربع امارات كبيرة، يتبع لها الكثير من المدن والقرى. وصار في أيديهم الجانب الاكبر من فلسطين وساحل الشام. وامتدت دولتهم من انطاكية شمالا حتى غزة جنوبا، ومن الرها شرقا حتى خليج العقبة جنوبا. ولكن وجدت مدن عديدة ضمن هذا الاطار، احتفظت بوضعها

---

(1) - يقول ابن القلانسي في ذلك :
"... وفي شعبان من هذه السنة وصل ريمند (برتراند) بن صنجيل، الذي كان نازلا على طرابلس، من بلاد الافرنج في جملة ستين مركبا في البحر، مشحونة بالافرنج والجنويين، فنزل على طرابلس، ووقع بينه وبين السرداني (وليم جوردان) ابن أخت صنجيل مشاجرة، وصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعونة السرداني، ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فأصلح بينهم،وعاد السرداني الى عرقة،ووجد بعض الافرنج في زرعها، فأراد ضربه فضربه الافرنجي فقتله، ولما بلغ الخبر ريمند بن صنجيل، وجه من تسلم عرقة من أصحابه ."
انظر : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦١ .
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٣١ وما بعد.
ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٤٧٥ .
-: Setton : op. cit. vol 1- p. 397-398 / stevenson : op. cit.

(2) - أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٣٤ .

(3) - عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٣٦٧ .

(4) - عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٦٨ .

(5) - عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

العربي الاسلامي ، دون أن يتمكن الصليبيون من أخذها مثل دمشق وحلب وحماه وحمص[١].

أما السبب الرئيسي في سرعة استيطان الفرنج ونجاحهم بـ[illegible]ك فيعود الى تمزق شمل الامة العربية الاسلامية آنذاك ، وكثرة الاقتتال بين حكامها طلباً لزيادة النفوذ . وليس السبب هو شجاعة وعبقرية الفرنج كما يدعي مؤرخوهم[٢].

لقد تمتعت مملكة بيت المقدس بأولوية ظاهرة على باقي الامارات ، على الرغم مما ادعاه كل واحد من أمراء تلك الوحدات الفرنجية الصليبية من استقلال وسيادة ، وذلك بحكم أوضاعها الدينية والتاريخية . ويكفي أن المسيحيين جميعا نظروا اليها على أنها مدينة المسيح وبها كنيسة القيامة ، مما جعلها مقصد الحجاج من جميع أنحاء العالم المسيحي[٣].

---

(١) - عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣١٥ .

-: Setton : op. cit. vol, I - p. 370

(٢) - انظر فيما سبق الاوضاع العامة في الشرق الاسلامي عشية الحروب الصليبية ، وانظر كذلك : - عادل زيتون : تاريخ العصور الوسطى الاوربية ص ٢٣٤ .

- رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢ .

- باركر : المرجع السابق ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) -: Grousset: "L'Empire du Levant" p. 197-199

الفصل الأول

النظام الاداري في الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام

أولا : التنظيم الاداري في مملكة بيت المقدس .

ثانيا : التنظيم الاداري في الامارات الثلاث .

ثالثا : أنواع المحاكم .

رابعا : تغير حدود المملكة والامارات والعوامل المؤثرة في ذلك .

خامسا : ارتباط الفرنج الواردين بعد تأسيس الامارات بالملك والامراء المحليين .

أولا : التنظيم الاداري في مملكة بيت المقدس :

أول مهمات الصليبيين الادارية التي واجهتهم عقب احتلال بيت المقدس ، اختيار حاكم يدبر أمور المدينة المدنية والعسكرية ، وبطريرك يشرف على أمورها الدينية .

١ - تعيين الحاكم والبطريرك :

اجتمع زعماء الفرنج الصليبيين بعد يومين من احتلال القدس ، وقيامهم بالمذبحة فيها ، للنظر في الامور العاجلة للادارة . وعلى رأسها اخلاء الشوارع من الجثث المتراكمة ، وتدبير امر التخلص منها[١] ، اضافة الى الاستيلاء على أحياء خاصة بالمدينة ، لينزل بها الجند والحجيج ، كما أنه لابدّ من التهيؤ والاستعداد لما سوف يقوم به الفاطميون من هجوم مضاد[٢] . وبعد الانتهاء من تدبير الامور العاجلة ، بدأ الاهتمام باختيار حاكم لبيت المقدس ، فاجتمع القادة في اليوم الثامن[٣] من احتلال بيت المقدس من أجل ذلك[٤] ، فانقسم المجتمعون الى حزبين ملكي وثيوقراطي (ديني)[٥] ، ومن ثم انتصر الحزب الملكي الذي تزعمه غودفري وعيّن حاكما لبيت المقدس والمناطق المجاورة (٤٩٣ - ٤٩٤ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٠م) . وبعد مضي عدة أيام على تعيين فودفري حاكما لبيت المقدس ، اختير ارنولف مارلكون (قسيس روبرت النورماندي) ليكون نائبا لكرسي البطركية الشاغر[٦] .

قرر بعض زعماء الحملة الصليبية الاولى بالعودة مع أتباعهم الى الغرب الاوربي ، من أمثال روبرت النورماندي ، وروبرت فلاندرز[٧] . ولم يبقَ مع غوفري من الشخصيات المعروفة سوى تنكرد - ابن أخت بوهيموند - فعهد اليه بقيادة الجند واحتلال اقليم الجليل ، الذي أقطعه اياه بعد احتلاله[٨] .

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثامن - ص ٤٤٣ .
(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٨ .
(٣) - عند المؤرخ المجهول اليوم الثامن - انظر : المؤرخ المجهول: المصدر السابق ص ١٢٠ . وكذلك عند وليم الصوري . وفي بعض المراجع اليوم العاشر - انظر: رفيق التميمي: المرجع السابق ص ٦٢ .
(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع ص ٤٤٥ .
-: Stevenson : op. cit. p. 36
(٥) - سيرد ذكر التنافس بين هذين الحزبين على حكم المدينة المقدسة في الباب الثاني من هذا البحث - الحياة السياسية - بالتفصيل .
(٦) - المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ١٢٠ .
أرنست باركر : المرجع السابق ص ٣٧ .
كان بطريرك بيت المقدس قبل قدوم الفرنج الصليبيين هو سمعان الارثوذكسي ، ولكنه كان قد ذهب الى قبرص في مهمة من أجل المسيحيين وتوفي هناك .
-: Stevenson : op. cit. p. 36
(٧) -
(٨) - حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٩٤ .

٢ - الاعمال الادارية الاولى لغودفري :

توجب على غودفري القيام بالكثير من الاعمال الهامة والترتيبات الادارية ، فور توليه الحكم . فكان عليه تحصين الامارة (بيت المقدس) عن طريق بناء الاسوار والقلاع والحصون . وتأمين المرافئ الضرورية لها لدوام الاتصال مع الغرب الاوربي من اجل الحصول على المدد بالمؤن والسلاح والرجال . وكذلك توسيع حدود الامارة عن طريق الاستيلاء على المدن والمناطق المجاورة . كما كان عليه توزيع الاقطاعات على الامراء والقادة لادارتها وتنظيمها وقد جرى تقسيم الاقطاعات حسب القاعدة التي يذكرها المؤرخ ريموند الصنجلي(١). وهي : " أن الفرنج الصليبيين عندما تقدموا نحو بيت المقدس ، جرت القاعدة بأن أول قادم منهم الحق في أن يملك ما استولى عليه من قلعة أو مدينة بشرط أن يرفع علمه عليها ، وأن يُنزل بها حامية "(٢). وقد طبقت هذه القاعدة على المنازل ، يتضح ذلك مما أورده الدكتور مصطفى الحياري نقلا عن المؤرخ فوشيه دي شارتر: " فالذي يدخل أولا الى المنزل ويترك سلاحه ، أو ما يدل عليه على الباب (أو أي شيء آخر) ، لم يعد هناك من يتحداه من قبل الفرنج ، ولديه كل الحق في أن يحتل البيت أو المكان ، وما يجده في الداخل وكأنه ملك له تماما . وكأنهم متفقون على هذا الحق في هذه الملكية وفي هذه الطريقة . فقد أصبح العديد من الناس الفقراء أغنياء "(٣). وهكذا أخليت مدينة القدس من جميع سكانها الاصليين ، وحل محلهم الفرنج الذين احتلوا بيوتها واستحوذوا عليها . ولكن لم يستقر في المدينة جميع الذين دخلوها . فقد تركها غالبية الذين شاركوا في احتلالها ، الى أوطانهم أو الى مناطق أخرى محتلة من قبل الفرنج .

وبعد أن تملك غودفري القدس ، أصدر أمره بأن كل شخص يضع يده على منزل أو أرض يحوزها سنة كاملة ويوما واحدا تكون له ملكا مطلقا شرعيا . وكذلك كل من غاب عن عقاراته سنة ويوما ، تؤخذ منه ولا يكون له فيها حق مطلقا(٤).

---

(١) - هو غير ريموند الصنجيلي أو ريموند دي تولوز .

(٢) - يذكر الدكتور مصطفى الحياري في مقالة بعنوان :
" Crusader Jerusalem 1099-1187 " p. 167

(٣) - : Hiyari (M) : op. cit p. 168

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتوب التاسع - ص ٤٧٣ .
سيد علي الحريري : " الاخبار السنية في الحروب الصليبية " الطبعة الاولى .
المطبعة العمومية، مصر، سنة ١٨٩٩ - ص ٨٦
- : Richard: "Le Royaume Latin de Jérusalem"
paris 1953 - p. 86

ويعلل وليم الصوري ، سبب اصدار هذا القانون ، فيذكر أنه أصحاب الأشياء من الذين تركوا ممتلكاتهم بسبب جبنهم (خوفا من المسلمين الذين كانوا ينقضون عليهم ليلا ويقتلونهم) حتى لا يطالبوا بها بعد تركهم لها مدة سنة بدون أن يدافعوا عنها . وقد حدث ذلك فعلا ، فقد تعرض الصليبيون في المدن المحتلة مثل (رام الله – يافا ....) لهجمات العرب المسلمين القوية ، فلم يعودوا يشعرون بالامن والطمأنينة .... وكما يذكر وليم الصوري : " لم يكن الخوف من الخطر جاثما على الطريق العامة فقط ، فنادرا ما كان هنالك مكان يستطيع المرء أن يرتاح به بأمان حتى داخل أسوار المدينة ، وفي المنازل ذاتها ، حيث كان السكان قليلين ومبعثرين ، كما أن حالة الاسوار المخرّبة تركت المدينة معرضة للعدو ، وغالبا ما قام اللصوص بالغزوات ليلا ، فقد اقتحموا المدن المهجورة .... وقد بطشوا بالكثيرين في عقر منازلهم ، وكانت النتيجة أن هجر بعضهم منازلهم خلسة وكثيرون علنا مع الممتلكات التي كانوا قد فازوا بها ، وبدأوا بالعودة الى بلادهم ... "[1]. ومن أهم الاسباب التي دفعتهم الى ذلك ، اضافة الى انعدام الامن ، سوء الاوضاع الاقتصادية التي كان يحياها هؤلاء الغرباء في بيت المقدس من جهة أخرى[2] . لقد كانت مدينة القدس ، تعتمد في حياتها الاقتصادية على الاعمال اليدوية وما يقدمه سكانها من خدمات لعشرات الآلاف من الحجاج الذين يقدمون لزيارة المدينة كل عام . ولم تكسب الغالبية العظمى من القاطنين الجدد ، والتدريب على حين خلت المدينة من أصحاب الخبرة من سكانها الاصليين بالقتل والنزوح ، فتأخرت الاوضاع الاقتصادية منذ الفترة الاولى . ومن أجل هذا كله ، فقد غادر المدينة العديد من الفرنج الصليبيين ، اما عائدين الى بلادهم الاوربية ، واما نازحين الى المدن التجارية الساحلية في بلاد الشام ، والتي كانت تحت النفوذ الفرنجي ، ولجأ قسم ثالث الى الأرياف بصحبة أسيادهم[3]. وللحدّ من الهجرة ، اضطر ملك بيت المقدس غودفري دي بويون الى اصدار المرسوم الآنف الذكر . وهذا القانون (قانون السنة واليوم الواحد) يدل من الناحية الادارية على وجود عدد من المحاسبين الاداريين في القدس ، ويوحي بأن القدس ومدنا فرنجية أخرى في الشرق ، قد سيرت منذ البداية حسب نظام اداري أكثر دقة مما هو عليه الحال في الامارات الاقطاعية في الغرب[4]. ولكن هذه التدابير لم تكن كافية لتوطين المدينة والمناطق

---

(١) – وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب التاسع – ص ٤٧٣ .

(٢) – : Hiyari (M): op. cit. p. 168

(٣) – : Hiyari (M): op. cit. p. 169

(٤) – وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب الثامن – ص ٤٧٣ – الحاشية .

المحيطة بها ، وبالتالي تزويد القاطنين بكافة الخدمات التي يحتاجون إليها، وكذلك ما يحتاجه الحجاج الذين يقدمون لزيارة الاماكن المقدسة وكان بالتالي ما فعله الملك بلدوين الاول من أجل تصحيح الوضع [1]. وعندما حضر بوهيموند حاكم انطاكية (٤٩١ – ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٨ – ١١٠٤م) وبلدوين أميرالرها (٤٩١ – ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٧ – ١١٠٠م) (قبل أن يصبح ملكا على بيت المقدس) سنة ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠م برفقة دايمبرت[2] – رئيس أساقفة بيزا – مع عدد ضخم من الاتباع ، الى بيت المقدس من أجل الحج ، والبرّ بالقسم الذي أدوّه في الغرب قبل حضورهم الى الشرق ، فرح غودفري (٤٩٣ – ٤٩٤ هـ/ ١٠٩٩ – ١١٠٠ م) لقدومهم. اذ كانت حاجته ماسة الى قوة بشرية ، وكان يأمل أن يقنع كثيرا منهم على البقاء في فلسطين ، وعلى أن يتحملوا الضياع التي صار في وسعه وقتذاك أن يبذلها لهم . وأصاب في ذلك قدرا كبيرا من النجاح[3]. كما أن غودفري . استفاد من مجيء بوهيموند ودايمبرت آنذاك الى بيت المقدس في أمور أخرى ... فقد فكرّ – غودفري – في اصدار قانون لتنظيم الحكم ، فاغتنم فرصة وجود الأمراء المذكورين (بموهيموند – وبلدوين بالاضافة الى رئيس الاساقفة دايمبرت) فعقد جمعية في قصره الكائن في جبل صهيون بالقرب من كنيسة القيامة . وأعلمهم بما أصرّ عليه من ترتيب الحكومة بقانون يبيّن حقوق الحاكم أو الملك والموظفين والاشراف (القادة) والرعيّة، كلا منهم بما يخصه ويلزمه . فعيّنوا ثلاثة داووين :

– الديوان الاول : يعقد برئاسة الملك أو الحاكم ، ويكون أعضاؤه القادة لاصدار الاحكام والتريبات الشاملة لجميع الرعية .

– الديوان الثاني : يكون رئيسه قائمقام [4] القدس ، وأعضاؤه أعيان المدن الكبار، لكل مدينة عضو، ويكون اختصاصه النظر في الايرادات والمصروفات ،وترتيب الحقوق والتدابير المدنية .

---

(١) – دايمبرت : هو رئيس أساقفة مدينة بيزا الايطالية ،وقد قدم للمشاركة في الحملة الصليبية الاولى على رأس اسطول بيزي كبير. لكنه وصل بعد سقوط القدس . وقد قام بالحج الى بيت المقدس مع بوهيموند حاكم انطاكية . وهناك اعتبر تنصيب البطريرك آرنولف مارلكون – بطريرك بيت المقدس – لاغيا وغير شرعيا . وانتخب دايمبرت نفسه بطريركا مكانه .
وقد رتبت هذه المسألة بين دايمبرت وبوهيموند عن طريق التفاوض فقد كان بوهيموند في موقع يعطيه امتياز املاء رغباته . فقد كانت له القوة الكافية بعكس غودفري وبلدوين الذين لو جمعت قوتيهما لما عادلت قوة بوهيموند ودايمبرت . وهكذا رضي غودفري بما طلب بوهيموند من خلع آرنولف وتنصيب دايمبرت مكانه .

(٢) – انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب التاسع – ص ٤٦٧ الحاشية .

(٣) – رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٤٢٨ .

(٤) – يقصد بالقائمقام، الصنجيل أو القهرمان " Seneschal " وهو رئيس الادارة المدنية . سيرد الحديث عنه بالتفصيل في هذا البحث .

- الديوان الثالث : للقضاء ، وهو يختص بالدعاوي التي ترفع على المواطنين الشرقيين المحليين ، ويكون رئيسه أحد قضاة البلاد، لإصدار أحكامه بما يطابق عاداتهم . وسجلوا ذلك في سجل ، واحتفظوا بأصل القرار داخل كنيسة القيامة . ثم تعين بعد ذلك دايمبرت خلفا لارنولف البطريرك السابق[1].

٣ - تأمين المرافىء وعقد الاتفاقيات مع العرب المسلمين :

لم يكن للدولة التي أقامها الصليبيون في بيت المقدس سوى منفذ واحد جيد على البحر هو ميناء يافا. ولما كانت هذه الدولة محاطة بأعداء من الداخل ، فقد صار لزاما على غودفري أن يقوّي الصلة بين بيت المقدس والعالم الخارجي عن طريق البحر، ولذلك أخذ يفكر في الاستيلاء على أرسوف (شمال يافا)[2] والتي كانت تحكم من قبل الفاطميين ، لكن جهوده باءت بالفشل في البداية . وبعد عدة مضايقات وتهديدات لها ... شعر أهل أرسوف بعدم جدوى الحماية الفاطمية وأنه لا مفر من الدخول في تبعية الصليبيين، حتى يتمكنوا من فلاحة أراضيهم القريبة . وبذلك أرسلوا لغودفري مفاتيح بلدهم، وعرضوا عليه الدخول في تبعيته ، ودفع جزية مالية رمزا لهذه التبعية[3].

أما بالنسبة لمدينة يافا ، فقد دأب غودفري منذ استلامه على تحصينها وتقوية استحكاماتها (باعتبارها الميناء الاول والوحيد الذي وقع بأيدي الصليبيين حتى سنة ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠م . ولم تلبث يافا، أن صارت لها السيطرة على شاطىء فلسطين بأكمله، وفاقت في قوتها ميناثي عسقلان وعكا التابعين للدولة الفاطمية . وقد أشار كل من ابن القلانسي وابن الاثير الى جهود غودفري في تحصين يافا فقال : " عمرّ مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكري (تنكرد)[4]. ولم تلبث يافا أن أصبحت مركزا تجاريا وحربيا كبيرا وقصدتها السفن التجارية من مختلف أنحاء أوربا، وخاصة الدويلات التجارية الايطالية، لاحضار الحجاج والموّن والمدد[5]. كما أصبحت يافا مركزا لشن الغارات على العرب المسلمين في المدن المجاورة . مما دفع بحكام عسقلان وقيسارية وعكا لاعلان تبعيتهم

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع - ص ٤٦٦ وما بعد .

(٢) - سيد علي الحريري : المرجع السابق ص ٢٩ . / -: Richard: op. cit. p. 27
-: Stevenson: op. cit. p. 39

(٣) - عاشور: تاريخ العلاقات ص ٢١٤ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٤٣٦ .

(٤) - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٤ .
- ابن الاثير: المصدر السابق ج١٠ ص ٣٢٤ .

(٥) -: Grousset: op. cit. vol, - p. 183 -/ Setton: op. cit. vol, - p. 408.
-: Heyd: op. cit. vol, - p. 136
- يوسف غوانمة: " امارة الكرك الايوبية " طبعة عام ١٩٨٠. نشر بلدية الكرك.جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان - ص ٦٠ .

الاسمية لدولة الفرنج ، بعد أن تأكدوا من عجز الدولة الفاطمية عن حمايتهم ، ودفعوا جزية مشتركة قدرها خمسة آلاف دينار رمزا لتلك التبعية . وذلك سنة ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠م (١). كذلك سارع كثير من مشايخ العرب وزعمائهم في الجهات الداخلية الى عقد مثل تلك الاتفاقيات الودية مع حكومة بيت المقدس الصليبية ، ليضمنوا سلامة قوافلهم ومتاجرهم (٢).

ويلاحظ هنا أن جميع تلك الاتفاقيات التي عقدها العرب المسلمون في فلسطين مع غودفري سنة ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠م ، سواء التي أبرمتها المدن الساحلية ، أو شيوخ القبائل الداخلية ، كان لها مبرراتها الاقتصادية ، فضلا عن الجانب السياسي ،مما وفر لدولة بيت المقدس الناشئة قسطا وافرا من الثبات والاستقرار (٣). كما يلاحظ أن هذه الاتفاقيات السياسية والتجارية التي عقدت بين العرب والصليبيين في فلسطين ، لم تمتد لتمشل شؤون البحر والملاحة . وقد استطاع الصليبيون أن ينفذوا خطتهم هذه عن طريق بعض الاتفاقيات التي عقدوها مع الدويلات الايطالية صاحبة التفوق البحري في البحر المتوسط آنذاك (٤). وترتب على ذلك عدم حصول موانىء فلسطين التي مازالت بيد العرب المسلمين على ما يلزمها من امدادات ومؤن من الاسكندرية ، مما أدى الى اضعافها وسقوطها في نهاية الامر بيد الفرنج الصليبيين .

٤ - التنظيم الاداري بعد غودفري :

تحتم على بلدوين الاول - ملك بيت المقدس - القيام بالكثير من الاعمال الادارية الهامة فور توّليه عرش بيت المقدس (بعد أخيه غودفري) فكان عليه أن يكفل أمر الدفاع عن مملكته . وذلك باتخاذ اجراء هجومي يتم فيه احتلال المناطق والبلاد المجاورة مثل أرسوف وقيسارية وعكا وعسقلان وغيرها .. وتحتم عليه تشييد معاقل أمامية فيما وراء نهر الاردن ، والى الجنوب من البحر الميت . كما كان عليه العمل على ربط مملكته

---

(١) - من الطبيعي أن هذه التبعية الاسمية لا تعني الاحتلال، لانه من المعروف أن عسقلان لم تسقط بيد الفرنج الا سنة ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م. انظر :
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤٩٥ حتى ص ٤٩٧ .
- ابن الاثير : المصدر السابق ج١١ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) - عاشور : المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٣) - عاشور : المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٤) -
-: Heyd: op. cit. vol. I - p. 134-136

بامارات الفرنجية في الشمال ، لفتح طريق للحجاج والمهاجرين .... هذا بالاضافة الى تأمين ميناء كبير آمن للمملكة . والواقع أن المال والرجال هما أهم ما احتاجه بلدوين ولذلك فقد رحب بالهجرة الى مملكته ، وشجع المسيحيين الوطنيين على التعامل معه [١].

ولذلك قام بتعمير بيت المقدس بجموع المسيحيين الشرقيين من الارثوذكس والسريان [٢].

وقد شجعه على الاسراع في الاعتماد عليهم التجربة القاسية التي مرّ بلدوين نفسه فيها أثناء هجوم السلاجقة على اقليم الجليل سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م . اذ انتهز المزارعون وأهل الاقليم من العرب المسلمين ، تلك الفرصة وخرجوا عن طاعة الصليبيين في الوقت الذي هدّد الفاطميون بيت المقدس وهي شبه خاوية ، لتغيب بلدوين ورجاله عنها . وكان من الطبيعي أن يبدأ بلدوين بتعمير بيت المقدس أولا وهي كبرى مدن المملكة ، فضلا عن مكانتها في قلوب الفرنج [٣]. وهكذا ازداد تدريجيا عدد سكان المدينة ، التي استقر فيها حوالي عشرة آلاف شخص بشكل دائم . لكن هذه الزيادة في عدد السكان، خلقت مشكلة أخرى ، تتعلق بتزويد هؤلاء السكان بحاجياتهم وطعامهم . وكان سبب هذه الصعوبة فرض ضريبة على كل الاطعمة التي تدخل الى المدينة أو تخرج منها واستمر ذلك حتى سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م، اذ التمس بطريرك بيت المقدس من الملك بلدوين الثاني(٥١٢-٥٢٥هـ/١١١٨ - ١١٣١م)، بعد توليه العرش أن يعفيهم من هذه الضريبة، بحيث يصبح من السهولة بمكان تزويد المدينة بحاجاتها الضرورية- وبناء عليه أصدر الملك مرسوما ،أعفى فيه أولئك الذين يأتون بالحبوب والخضار الى المدينة.... [٤]. وأعطاهم تصريحا مفتوحا للدخول والخروج

---

(١) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ -- الكتاب الحادي عشر - ص ٥٦١ .

(٣) - Grousset: Hist des Croisades vol 1 - p. 284 .

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر -- ص ٥٨٩ .

يذكر وليم الصوري ذلك بقوله :

" بينما كان الملك في القدس في هذه الآونة ، فتح امتيازا قيّما لسكانها ، فقد أمر بسخاء ملكي وورع باعفائهم من الضرائب التي كانت تطلب من قبل من السكان الذين استوردوا أو صدروا السلع ،وعزز المرسوم الذي أمر به بوثيقة ممهورة بالخاتم الملكي بحيث يمكن أن يكون ساري المفعول الى الابد ، ولن يجبر من ذلك الحين فصاعدا أي من اللاتين الذين يدخلون المدينة أو يغادرونها سواء جلبوا السلع الى داخلها أو نقلوها منها ، بدفع أي شيء تحت أية ذريعة مهما كان نوعها ، بل حق له الحصول على امتياز البيع والشراء بدون ضريبة ، وعلاوة على ذلك ، منح السريان والاغريق والارمن وجميع الرجال من أي شعب كانوا ، حتى لو كانوا غرباً امتياز حرية نقل القمح والشعير وأي نوع من الحبوب الى داخل المدينة المقدسة بدون ضريبة ، كما الغى الضريبة المألوفة على الاوزان والمكاييل .... " .

-: Hiyari (M): op. cit. p. 171

-: Richard: op. cit. p. 71 - 72

كما يشاؤون ، وأن يبيعوا ما يرغبون به أيضا ، وبدون أية مضايقة . ومع من يتعاملون .. هذا ولا مانع ان كانوا مسلمين أم مسيحيين(١). كما الغى الضرائب المفروضة على الاوزان والمكاييل .

وقد قامت مملكة بيت المقدس على أساس الترابط الشديد بين سكانها من المسيحيين الغربيين الكاثوليك من جهة ، والمسيحيين الشرقيين من جهة أخرى . وقد استطاع الملك بلدوين الاول أن يوفق بين الجميع رغم اختلاف مذاهبهم ، ليعملوا جميعا على انعاش الارض المقدسة وحمايتها . ولتحقيق هذا الترابط شجع بلدوين الاول التزاوج بين المسيحيين الغربيين والشرقيين(٢). الامر الذي أدى الى ظهور جيل مولّد في بلاد الشام ، تحمّل عبء الدفاع عن الفرنج فيما بعد عندما تناقص عدد الوافدين من الغرب . وبالاضافة الى تلك الاعمال الداخلية فقد وضع بلدوين عند تتويجه خطة استهدفت ضم جميع شواطىء فلسطين المواجهة لمملكته وذلك لتأمين طريق الحجاج من ناحية ، ولتنشيط التجارة مع الغرب من ناحية أخرى ، مما يوفر للمملكة الفرنجية كثيرا من أسباب القوة اضافة الى تسهيل وصول المعونات والامدادات البشرية والسلاح وغيرها وقد أمكنه ذلك بفضل مساعدة الدويلات التجارية الايطالية . وهكذا استولى على أرسوف وقيسارية بمساعدة جنوه سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠١م(٣). كما استولى على جبيل بمساعدة الجنوية أيضا سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٤م. وتبعها بالاستيلاء على عكا في نفس العام (٤). وأمّن بذلك ميناء هاما ومأمونا لمملكته. ذلك لان يافا وحيفا لم يكونا صالحين لاستقبال السفن الضخمة . بالاضافة الى خطر الرياح الشمالية التي كانت تحطم عشرات السفن . وتغرق مئات الحجاج(٥).

وبالاضافة الى ذلك بلدوين بشن حملات على المدن الساحلية الاخرى مثل عسقلان في الجنوب ، وصيدا وصور وبيروت في الشمال. وذلك سنة ٤٩٩ - ٥٠١ هـ/١١٠٦- ١١٠٨م.

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٩ .
انظر نص التصريح والمرسوم عند :

(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٦٤ .
(٣) - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٥ .
- وليم الصوري المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٤٩٤ وما بعد. وكذلك ص ٤٩٦ وما بعد
- ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ - ٣٢٥ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ١٢٠ .

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٥١٣ - ٥١٤ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
- ابن الاثير: المرجع السابق ج١٠ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
- رنسيمان: المرجع السابق ج٢ ص ١٤١ وما بعد .
(٥) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢١ .

واستطاع في سنة ٥٠٣ هـ/ ١١١٠م ، احتلال بيروت التي سقطت بعد حصار عنيف شاركت فيه سفن البيازنة والجنوية[(١)]. أما صيدا فقد شارك في حصارها أسطول نرويجي واسطول بندقي . فكان سقوطها بيد الفرنج سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١١م[(٢)]. . وبالتالي تحولت الى بارونية كبيرة دعيت بارونية صيدا[(٣)]. وبذلك أضحى الفرنج يسيطرون على جميع الساحل الشامي ، فيما عدا عسقلان في الجنوب ، وصور في منتصف الساحل . ولم تسقط صور الا سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤م وبعد أن قام الفرنج بحصارها عدة مران وفي سنوات متتابعة . بينما بقيت عسقلان في أيدي المسلمين حتى سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م[(٤)].

وبذلك يمكن القول أن بلدوين الاول كان رجلاً ادارياً من الطراز الاول ، وكان الرجل المناسب في الزمان والمكان المناسبين فحقق للمملكة الناشئة كل ما تحتاجه من أسباب القوة والحماية والأمن والاستقرار. كما قام بتوسيع المملكة حتى بلغت أقصى اتشاعها . كانت حين استلمها إمارة تبعثرت أملاكها ، ضمت القليل من المدن (مثل بيت المقدس وبيت لحم والناصرة ويافا وحيفا) . وتوفي عنها مملكة واسعة من بيروت شمالا حتى العريش وأيلة جنوبا (عدا عسقلان وصور) كما وصلت شرقا حتى نهر الاردن . وتسلم خلفاؤه مملكة متينة واسعة كان عليهم الحفاظ عليها ما أمكن . وبالتالي كانت أعمالهم الادارية تتماماً لما قام به سلفهم بلدوين . هذا وتعتبر سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣١م وهي سنة وفاة الملك بلدوين الثاني الحد الزمني الذي اكتمل فيه نمو مملكة بيت المقدس[(٥)]. الا من بعض المدن مثل عسقلان .

---

(١) - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٩ .
وليم الصوري : المصدر السابق ج١٠ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٣٩ وما بعد .
ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٤٧٥ .
(٢) - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
وليم الصوري : المصدر السابق ج . - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٤١ وما بعد .
ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٣) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٥١ .
(٤) - ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٦٢٠ .
(٥) - باركر : المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

٥ - تشييد المعاقل والحصون :

كانت السيادة الفعالة على مقاطعة ما، ترتكز على حيازة المدن المسورة ، والقلاع المحصنة الموجودة فوق أراضيها. ويستطيع الغازي أن يسيطر على منطقة ما، طالما أنه احتلها بجيشه ، لكن سيطرته تنتهي بانسحاب قواته اذا لم يتخذ لنفسه مكانا حصينا. وكان الهدف الأوّل لكل غاز يرغب في الحاق أرض بممتلكاته هو الاستيلاء على نقاطها الحصينة [1]. وهذا ما كان يحدث فعلاً عندما استولى الفرنج على أراضي المشرق العربي. يضاف الى ذلك أن ملوك بيت المقدس ، اتبعوا خطة تهدف الى اقامة خطوط دفاعية حول مناطقهم تعترض العرب المسلمين . وكان ترميم الحصون القديمة وتشييد الجديد منها، من الاعمال الأولية الضرورية التي يتوجب على حكام الفرنج القيام بها عند الاستيلاء على منطقة جديدة تابعة للعرب المسلمين . وقد كان لزاماً على مملكة بيت المقدس بسبب مضايقات العرب المسلمين - من مدينة عسقلان التي ظلت بأيديهم حتى سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م ، وغيرها من المدن في الشمال مثل دمشق - أن تهتم بتحصين حدودها الشمالية والجنوبية بسلسلة من التحصينات . وبدأت بالمنطقة الشمالية مكمن الخطر القادم من دمشق ، فاستولى ملك بيت المقدس فولك Fulk على قلعة الشقيف Beaufort [2]، من الامير شهاب الدين ، وجعلت لصاحب صيدا سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٩م ، وتم تقوية استحكاماتها. وشيد حاكم طبرية قلعة تبنين Toron [3] على الطريق الذي يربط بين صور، وبانياس ودمشق منذ سنة ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥م ، وحاول بناء قلعة عال (علعال الى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية) من أجل القيام بغارات على الاراضي الخصبة الواقعة شرقي الجليل ، الا أن طغتكين أتابك دمشق استولى عليها في نفس سنة بنائها ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥م، وهدمها [4]. كما اشترى الفرنج حصن بانياس Subeiba من الاسماعيلية الذين يملكونه سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م، بهدف السيطرة على الطرق المؤدية الى دمشق صور والساحل [5]. كذلك أقيمت قلعة صفد SopheT والحابس جلدك (أو حبيس جلدك El Habis Djaldak) [6] وكوكب الهوا Kaukab وغيرها

---

(١) - ر. سي. سميل: "فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ١٠٩٧-١١٩٣م" ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد - مركز الدراسات العسكرية - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٨٢ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) - انظر : فولفغانغ موتر فينر: " القلاع أيام الحروب الصليبية " ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد. مركز الدراسات العسكرية - دمشق ١٩٨٢ ص ٨٠ .

(٣) - انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٢٦ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٥٥ .

(٤) - انظر حول هدمها : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٥) - انظر حول هذا الحصن بالتفصيل :
مصطفى الحياري : مقال بعنوان : " مدينة بانياس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي " . مجلة البحث العلمي - الجامعة الاردنية - ص ١٦١ حتى ص ١٨٨ .

(٦) - عن هذا الحصن انظر :
مصطفى الحياري: مقال بعنوان : " حصن حبيس جلدك " مجلة البحث العلمي - الجامعة الاردنية - ص ١٤١ حتى ص ١٦٠ .

من القلاع الهامة ، بهدف مراقبة دمشق وشل نشاط قواتها واعتراض قوافلها، وقطع الطرق والمسالك المؤدية اليها[1].

أما في الجنوب ، فقد أدرك الفرنج الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة باعتبارها حلقة الوصل بين الشام ومصر، وكان أكثر ما يخشاه الفرنج ، إقامة اتحاد سياسي وربط في الاهداف بين دمشق والقاهرة[2]. لذلك كانوا يحرصون على التفريق بينهما ، واقامة التحالف مع واحدة ضد الاخرى . وكذلك أدركوا مدى أهمية هذه المنطقة اقتصاديا، وذلك للاستعانة بمنتجاتها الزراعية لسد حاجة سكان بيت المقدس من المواد الغذائية بسبب قلة توفرها في فلسطين [3]. وقد استولى الملك بلدوين الأول على جزء من منطقة شرقي الاردن - اقليم عربة - سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٥م، وأقام فيها عدة قلاع أهمها : الشوبك (Le Krak de Montreal)[4]، وايلة (العقبة) على البحر الاحمر سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م ، التي حصنها وجعل فيها قوة لتتولى حراسة هذا المنفذ الحيوي، أو بوابة الشام الى اليمن والهند بأمل الاستيلاء على تجارة البحر الاحمر والمحيط الهندي، وبنى كذلك قلعة حصينة في جزيرة فرعون Le Graye، التي لا تبعد كثيرا عن الساحل ، وشحن كلا من هاتين القلعتين بالحاميات العسكرية[5]، فاصبحتا تحكمان السيطرة على القوافل المارة بهما وأضحى الفرنج يتحكمون في الطرق التي تصل بين دمشق وبلاد العرب ومصر، وصار من اليسير عليهم أن يغيروا على القوافل كيفما ومتى شاؤوا . بينما أصبحت هناك صعوبة في وصول الجيوش الاسلامية الى مصر من الشرق[6]. وشيد كذلك - الملك بلدوين الاول - قلعة

---

(١) - يوسف غوانمة : المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) - يوسف غوانمة : المرجع السابق ص ٦٢ .

(٣) - Munru: «The Kingdom of The Crusaders» New-York 1935. P3-9.

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب الحادي عشر ص ٥٦٠ وكذلك :
- Setton: op. Cit. vol 1. P. 406.

(٥) - يوسف غوانمة : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٦ .

(٦) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب الحادي عشر ص ٥٦٠ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٥٩ - ١٦٠ .
- Setton: op. Cit. vol 1 - P. 406.
- Stevenson: op. Cit. P. 65

ايلات [1] فيما بعد ، وكذلك قلعة سكاندليوم [2]. أما الملك فولك ([illegible] هـ/ [illegible] – ١١٣٤ م) الذي خلف بلدوين الثاني عرش مملكة بيت المقدس ، فقد [illegible] بانيـــاس (التي اشتراها الفرنج زمن بلدوين الثاني في الاسماعيلية • ثم أخذها منه حكــــام دمشق) من المسلمين وشرع في تقوية قلعة مرين المتاخمة لصفد (مونتفورت) بعد مضـــي وقت قصير • كما أعيد في الوقت نفسه بناء قلعة كوكب الواقعة الى الجنوب منها. كذلــك ابتنى الملك فولك قلعة صغيرة في بيت جبرين (Bethegibelin) سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م. ثم أقام بالقرب منها قلعة تل الصافية (Blanchegarde) وقلعة ينبة Ibelin [3] سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ – ١١٤٢م من أجل حماية حدوده الجنوبية ضد الغارات المستمرة التـــي كانت تشنها الحاميات المصرية في عسقلان [4]. وكلف أحد أتباعه الاقطاعيين ويدعى بايـــان لوبوتييه (Payen Le Bouteiller) ببناء وتدعيم قلعة الكرك القوية في شرق الاردن التي كان قد استولى عليها أسلافه • وذلك سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤٢م [5]. واصبحت القلاع الجديـــدة التي شيدها الصليبيون منذ أيامهم الاولى ، قواعد هجومية مصممة لتكون مرتكزا للنـــوات الفرنجية التي تحصر المدن الساحلية الحصنية الضخمة ، أو خطوط انطلاق للحملات الجديدة والغارات السريعة داخل الاراضي العربية الاسلامية •وبالتالي فقد كانت معظم القــــلاع الجديدة ترتكز الى مواقع جيدة الحماية ذات أهمية استراتيجية بالقرب من طرق القوافـل الرئيسية أو بجوار المنافذ المؤدية الى المدن الكبرى ، وتؤمن أفضل الشروط الممكنـة لمراقبة الارض المحيطة [6]. بالاضافة الى هذه القواعد الهجومية التي كان معظمها يحتـل مواقع على الخطوط الخارجية ، أقيمت قلاع فرنجية عديدة على الشريط الساحلي ، وعلـــى المنحدرات الغربية للجبال المتاخمة له • وفي المناطق الداخلية شرع عدد كبير مـــن الاقطاعيين – كبيرهم وصغيرهم – يبنون مقرّات ثابتة لأنفسهم في مواقع كانت محصنة فـــي

---

(١) – يوسف غوانمة : المرجع السابق ص ٦٥ – ٦٦ •

– Setton : op. cit. vol-1- P. 406.

فولفغانغ مولر فنير: المرجع السابق ص ١٤ •

(٢) – وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب الحادي عشر – ص ٥٦٨ •

(٣) – وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ – الكتاب الخامس عشر ص ١٢٢ •

(٤) – وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ – الكتاب السابع عشر ص ١٨٨ حيث يقول :

"••• وتشجع الملك ونبلاؤه مجددا•• وصمموا على اعادة بناء غزة ، وأملوا بهـــذه الطريقة أن يضعوا حاجزا أكثر فعالية ضد أعدائهم المروعين من أهالي عسقــلان، ولمنعهم من القيام بغاراتهم المشؤومة •

فولفغانغ فنير : المرجع السابق ص ١٦ •

(٥) – فولفغانغ فنير : المرجع السابق ص ١٦ •

(٦) – فولفغانغ مولر فينر : المرجع السابق ص ١٦ •

الغالب ، استولوا عليها من الامراء العرب بقوة السلاح [illegible] (مثل [illegible] الحصن وقلعة صهيون وقلعة المرتب)[١]. فالفرنج أنفسهم كانوا يعيشون [illegible]ـة في المدن ، وفي القصور المحصنة ، وذلك لعدم شعورهم بالأمان حتى قرب القرى الصغيرة في ضواحي القدس حيث اقتضى الحال بناء أبراج وغير ذلك من التحصينات[٢].

٦ - الاقطاعات في مملكة بيت المقدس :

أجرت مملكة بيت المقدس إعادة تنظيمها على أساس الاقطاعات ، وذلك باعتبارها مملكة اقطاعية [٣]. وعلى هذا الأساس قسمت المملكة الى أربع قطاعات كبيرة ، دعيت كل منها باسم بارونية . ويرأس كل بارونية أمير اقطاعي كبير يدعى بارون . وتسمت البارونات الاربعة الكبيرة الى اثني عشر إقطاعا صغيرا ، وعي كل منها باسم فيود (Feod) . تزعم كل فيود أمير اقطاعي صغير (من الدرجة الثانية) وكان يتبع كل أمير اقطاعي عدد من الفرسان ,الجنود والموظفين المدنيين[٤]... بحسب اقطاعه . وبذلك يمكن ترتيب ذلك التسلسل الاقطاعي كما يلي :

أ : كان الملك يقف على قمة الهرم الاقطاعي . وكانت أملاكه الخاصة تتألف من ثلاث مدن رئيسية هي : بيت المقدس - عكا - نابلس - ثم أضيف لها الداروم بعد ذلك[٥]. اضافة الى الضياع المحيطة بها والعقارات ، حتى أن أملاك الملوك امتدت شرقاً حتى نهر الاردن والبحر الميت وبهذا فان ملك القدس كان أكبر اقطاعي[٦]. على أن الملوك الاوائل ، ولا سيما الملكة ميليساند (Melisande) زوجة الملك فولك) كانوا أسخياء فيما بذلوه من المنح والهبات من الاراضي لاصدقائهم ، وللكنيسة ، والطوائف الدينية . وجرى في بعض الاحوال اقتطاع أجزاء أخرى من الاراضي لتكون معاشا للمملكة الارملة[٧].

---

(١) -- فولفغانغ مولر فينر : المرجع السابق ص ١٧ .

(٢) -- زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٣) -- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ .

(٤) -- وبالطبع كان هناك جهاز اداري تألف من موظفين كبار في الدولة سنأتي على ذكره في حينه

(٥) -- عاشور: المرجع السابق ص ٣١٧ .

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ .

زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١ .

- Richard: op. cit. P. 71-72

(٦) -- زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١ .

(٧) -- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ .

وعن سخاء غودفري انظر :

وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع ص ٤٥٧ .

ـ : كان يلي الملك أربعة من كبار الامراء ، أشبه بالدوقات في الغرب الاوربي هم أصحاب الاقطاعات الاربعة وهم أمراء يافا والجليل وصيدا وشرق الاردن ، ولكل واحد من هؤلاء الامراء الاربعة الكبار موظفوه، وإدارته أشبه بالملك نفسه ، ولكن على مقياس أصغر[1]. ويسمى هؤلاء الامراء بالبارونات وبالتالي تدعى اقطاعاتهم " البارونيات " .

وعلى هذا الاساس فان مملكة بيت المقدس شملت أربع بارونيات كبيرة . ولكن بعض هذه البارونيات فاق البقية في الأهمية ، ولذلك اتخذ كل منها اسماً خاصاً بحسب أهميته . وتشبه البارونية الإمارة الصغيرة ، لها حاكم اقطاعي كبير ، يتبعه عدد من كبار الموظفين ، ويحق له توريث البارونية لابنائه . وتحوي البارونية سلسلة من القلاع والحصون والمدن والقرى ، بالاضافة الى مرفأ بحسب موقعها على البحر . ويمكن ذكر تلك البارونيات في المملكة كالتالي :

آ ـ كونتية يافا : وتدعى أحيانا دوقية يافا وعسقلان . وتقع جنوب مملكة بيت المقدس ، وقد درج الملوك على الاحتفاظ بها للابن الصغير بالاسرة المالكة[2]. وقد أسست هذه الكونتية بعد عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨م . وكان كونت يافا ـ السيد الاول بين البارونات ـ لانه قريب الملك بلدوين الأول ويدعى هيوغ دي بوسيه (Hugues du Pu-set)[3] وكانت الرملة من مدن هذه الكونتية . أما تسليم هذه الكونتية لاحد أقرباء الملك ، فقد يكون بسبب قربها من بيت المقدس (مقر الملك) وليكون على استعداد لدعم الملك مباشرة .

ب ـ إمارة الجليل[4]: ومركزها طبرية . وتقع في شمال فلسطين . ولم تحصل على اسم الامارة الا بفضل جهود وطموح تنكرد ـ الذي عهد اليه غودفري باحتلال هذا الإقليم ، ثم منحه إياه وكما يذكر وليم الصوري فقد " منح (غودفري) بسخائه المألوف تنكرد مدينة طبرية ، الواقعة على شاطئ بحيرة طبرية ، مع كامل اقليم

---

(١) ـ عاشور : المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٢) ـ رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ .
(٣) ـ Richard: op. Cit. P. 83.
(٤) ـ Richard: op. Cit. P. 82.

الجليل • كحق وراثي ، ومنحه في الوقت نفسه مدينة حيفا[١] وقد قام تنكرد بتحصين مدينة طبرية تحصيناً قوياً ليتخذها مركزاً لإمارته[٢] وكانت مدينة حيفا[٣] هي ميناء هذه الإمارة • ومن قلاعها تبنين وهونين والشقيف أرنون وبانياس (صبيبة)[٤]• وقد صار جوسلين دي كورتناري أميرا على الجليل زمن الملك بلدوين الاول • وذلك قبل أن يصبح حاكما للرها بدلا من بلودين دي بوينج•

جـ - بارونية صيدا : وتقع في الشمال • وقد حكمتها أسرة غرانييه (Granier) إذ أن أوستاش غرانييه (Eustache Granier) كان يملك بنفس الوقت صيدا وقيسارية[٥]•

د - بارونية ما وراء النهر : أو بارونية الكرك والشوبك (مونتريال)[٦]• وكان يطلق على مقاطعة الكرك اسم لوردية وذلك كون سيدها يحمل رتبة لورد • وكانت هذه اللوردية تفصل دمشق عن مصر[٧]• وكان أرباب هذه الاقطاعيات الاربعة يضارعون الملك ، بما كان لديهم من كبار الموظفين[٨]• وبعد هؤلاء تأتي مجموعة الامراء الذين حكموا بقية مدن المملكة وعددهم حوالي اثني عشر أميرا • وهم أمراء ثانويون ،أي يأتون في المرتبة الثانية بعد الامراء الكبار (البارونات) منهم: أمير قيسارية ، وأمير تبنين : ويأتيان بالدرجة الاولى بين هؤلاء الامراء الصغار• حتى ان أمير قيسارية لم يقل عن الامراء الكبار (البارونات) في أهمية اقطاعه ، على الرغم من اعتباره في مكانة الاقطاعات الثانوية[٩]• وبعد أميري قيسارية وتبنين هناك أمير أرسوف وأمير أريحا وأمير الخليل وأمير عبلين •• وغير هؤلاء من أمراء المحلات والنقاط المحصنة[١٠]• وبالاجمال كان هناك اثنان وعشرون سيدا في مملكة بيت المقدس[١١]• وكان هؤلاء الامراء الصغار يتبعون الامراء

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع - ص ٤٦٤ •
(٢) - عاشور: المرجع السابق ص ٢١٢•
(٣) - يذكر وليم الصوري بأن مدينة حيفا كانت تسمى باسم بارفيريون انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع ص ٤٦٤ •
(٤) - انظر مصور الجليل في الخريطة رقم ٧ الصفحة رقم ٨٩ •
(٥) - Richard: op. cit. P. 81.
(٦) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٦٠ •
زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٠ + - Stevenson: op. cit. P. 65
- Deschamps (P): Le Crac ..., P. 20.
(٧) - Grousset: op. cit. Vol-2- P. 554./ Stevenson: op. cit. P. 65
(٨) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ •
(٩) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ •
(١٠) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٠ •
(١١) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٠

الاربعة الكبار . فقد كانت البارونيات (الاقطاعيات الكبيرة) في مملكة بيت المقدس تقسم الى وحدات أصغر تدعى فيودات الفرسان أو اقطاعات الفرسان (Feod) وكان كل أمير من الامراء الصغار الاثني عشر "يملك واحدا من تلك الفيودات ... وكان الفيود (الاقطاع Feod) يشمل بضع قرى ، وأحيانا قرية واحدة ، أو حتى قسما منها ، ولذا كانت بعض القرى مقسومة على بضعة أسياد أحيانا [١].

ان حيازة الاقطاع ارتكنت على حق الوراثة ، وذلك بعد وفاة الملك بلدوين الثاني، وبذا حاز الاناث الاقطاع [٢]. وهذا التنظيم الاقطاعي كان يتكون ويتطور مع تقدم الزمن وكان على كل واحد من هؤلاء الامراء الصغار والكبار أن يعترف بالتبعية لسيده الاقطاعي، فقد طالب الملك بلدوين الاول منذ اعتلائه العرش بأن يحلف له جميع فرسان مملكة القدس يمين التبعية والولاء ، ويقدموا معلومات عن اقطاعاتهم وايراداتهم بما فيها المبالغ النقدية التي يدفعها سكان المدن [٣]. وأن يقدموا له الخدمة العسكرية والفرسان المحاربين وفقا للقواعد والاصول الاقطاعية [٤] وكان من حق بيت المقدس أن يطالب بأداء الخدمة العسكرية على مدار السنة ، وفي أي وقت شاء بسبب الظروف السائدة ، على حين كان من حق الملك في الغرب الاوربي في تلك الفترة أن يطالب بأداء الخدمة العسكرية من قبل اتباعه لمدة أربعين يوما في السنة فقط . وذلك لأن دول الفرنج في الشرق كانت في حالة حرب دائمة مع العرب المسلمين ، ناهيك بأن الوضع الداخلي كان مضطربا جدا [٥].

ولنعد الآن الى الاقطاع . فقد كانت القرية (Casale) هي وحدة القياس في الاقطاع ، وقل استخدام نصف القرية وثلث القرية [٦]. على أن القرى اختلفت أيضا فيما بينها في عدد السكان ، اذ لم يتجاوز متوسط سكان القرية حول صفد في شمال الجليل أربعين ساكنا ، وكانت القرى حول الناصرة أكبر حجما ، وسكانها أكثر كثافة [٧].

---

(١) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٠ .
(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٦ .
- Richard: op. cit. p. 67.
(٣) - انظر: زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١ .
(٤) - عاشور : المرجع السابق ص ٣١٧ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .
(٥) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٢ .
- Richard: op. cit. p. 68.
(٦) - وليم الصوري: المصدر السابق ج١ الكتاب الحادي عشر ص ٥٥٠ - الحاشية رقم ٧٥ حيث يقول: "....تخلى خدمنا عنا خلال هذه الايام ، بالاضافة الى السكان العرب في قرانا التي تسمى كاسيليا .... " .
رنسيمان : المرجع السابق ، ج٢ ص ٤٧٦ .
باركر : المرجع السابق ص ٧١ الحاشية رقم ١ .

ولم يكن ملك بيت المقدس يقطع الاراضي للفرنج فقط بل كان يقطعها لغيرهم، فقد حصل بعض المسلمين ممن كانت لهم علاقة معهم ، أو في فترات الصلح على اقطاعات . ولدينا بعض الامثلة ، وان لم تكن تتعلق بمملكة بيت المقدس فقد وردت اشارة في كتاب بغية الطلب لابن العديم الى أن الفرنج أقطعوا حمدان بن عبد الرحيم الاثاربي قرية معربونية[1] (غربي حلب) . ومن الممكن أن هذه لم تكن الحالة الوحيدة التي تم فيها اقطاع الفرنج لبعض المسلمين اذ يذكر المؤرخ رنسيمان حادثة مماثلة اثناء استيلاء تنكرد على آفامية سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م، حيث اقطع تنكرد مصبح بن خلف بن ملاعب (أمير أفامية) اقطاعا صغيرا بالقرب من آفامية بعد أن استولى عليها بمساعدة مصبح نفسه[2]. وذكر ابن منقذ مثل ذلك[3].

وبالاضافة الى اقطاع الاراضي ، حاز كثير من السادة الاقطاعيين العلمانيين، اقطاعات نقدية ، والمقصود بذلك أنهم حازوا على ضرائب نقدية ثابتة من بعض المدن والقرى ، وكان لزاماً عليهم مقابل ذلك ، أن يقدموا من الجند ما يناسب في العدد مع هذا المبلغ.وهذه المنح (الاقطاعات النقدية) يصح توارثها ، ويكاد يكون مستحيلا على الملك أن يلغيها[4]" .

ومنذ أن شرع العرب المسلمون بطرد الصليبيين من الاراضي المحتلة واستعادة العرب المسلمون للمناطق المقطعة طرأت بعض التغيرات على وضع الفرسان من اصحاب اقطاعات الاراضي . فنتيجة لخسارتهم للضياع أو فضلاً منها ، عوّضهم الملوك على سبيل الإقطاع مختلف أبواب الدخل . فمنح بعضهم الحق في جباية ضريبة السوق ، والبعض الآخر الرسوم الجمركية

---

(١) - ابن العديم: " بغية الطلب في تاريخ حلب " تحقيق الدكتور سهيل زكار - طبعة عام ١٩٨٨ . دمشق الجزء السادس ص ٢٩٢٦ حيث قال: "...ووهبه صاحب الاثارب الفرنجي قرية تعرف بمعربونية من ناحية معرة مصرين...." .

(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣) - ذكر أسامة بن منقذ ما يشبه ذلك في كتابة الاعتبار حيث قال : " ثم ملك بغدوين البرونس انطاكية (بلدوين الثاني) وكان لابي وعمي،رحمهما الله ، عليه جميل كبير حيث كان أسره نور الدولة بك ، رحمه الله . وصار بعد قتل بلك الى حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي، فحمله الينا الى شيزر ليتوسط أبي وعمي رحمهما الله ، بيعه . فأحسنا اليه . فلما ملك كانت لصاحب انطاكية علينا قطيعة ، سامحنا بها . وصار أمرنا في انطاكية نافذا " . انظر :
أسامة بن منقذ : "الاعتبار" تحرير فيليب حقي - الدار المتحدة للنشر - طبعة عام ١٩٨١ - ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٤) - LaMonte: " Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem. 1100-1291" Cambridge, Mass. 1932. P. 144-151

والبعض الثالث احتكار حيازة الموازين والمعايير لاجل المعاملات التجارية، وغير ذلك . وبذلك جرى تحويل الاقطاعات الى موارد مالية من موارد الدولة المالية[1] وكان الفرسان الذين يملكون مثل هذه الاقطاعات النقدية يعيشون في المدن . ولم تكن مداخيلهم مرتبطة بالارض ، وكانوا بذلك فرسانا من ذوي الدخل (الريع) وليس مالكي أرض من الطراز الاقطاعي العادي[2].

٧ – الجهاز الاداري في مملكة بيت المقدس :

لم ينشأ الجهاز الاداري في مملكة بيت المقدس دفعة واحدة ، وانما أخذ يتطور ويتسع مع مرور الزمن . ففي أيام غودفري لم يكن لديه فيما يبدو جهاز حكومي سوى موظفي بلاطه الذين بلغوا من قلة العدد وعدم الصلاحية ، ما لا يؤهلهم لادارة الامارة على حين أن البارونات الذين كان موكولا لهم القلاع الواقعة على الاطراف ، صاروا يحكمون أملاكهم كيفما شاؤوا[3]، ولم يأمل هو نفسه في أن يجد أو يكون مثل هذا الجهاز وقتذاك[4].

ولو أن بطريرك بيت المقدس - دايمبرت - كان اداريا كبيرا ، وكان سياسيا محنكا من طراز أدهمار[5]. لكان من الراجح أن يوجد آنذاك سلما للوظائف الحكومية . غير محاولته التي اتسمت بقصر النظر ، والتي قضت بأن يطرد من العاصمة ، المدافعين العلمانيين الذين لابد أن تعتمد عليهم سلامة الدولة المسيحية الناشئة ، تعتبر أمرا بالغ الخطورة[6] وكما يذكر وليم الصوري ، عن حدوث نزاع خطير بين الدوق (غودفري) والبطريرك (دايمبرت) حول ملكية برج داوود ، وربع من مدينة يافا ، وصل الى درجة الصراع بسبب مكائد الاضرار . وتخلى الدوق في النهاية عن ربع مدينة يافا الى كنيسة القيامة ، وذلك بحضور رجال الدين وجميع الناس[7] وهكذا وقف البطريرك في وجه غودفري، بدلا من أن يقف معه ،ليضع الاثنان معا الاساس الاداري والسياسي المتين للدولة الناشئة . وقد استمر الوضع كذلك حتى وصل بلدوين الاول الى عرش القدس ، ووقف في وجه طموحات البطريرك (دايمبرت نفسه) وبالتالي نظم ادارة دولته بملء ارادته .

---

(١) – زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١ .

(٢) – زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١ .

(٣) – رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١١٧ .

(٤) – رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٤٣٩ .

(٥) – ادهمار (Adéman) الذي سبق ذكره . وهو النائب البابوي في الحملة الصليبية الاولى وقد مات في انطاكية بسبب الوباء ، وذلك بعد احتلالها من قبل الفرنج . انظر – Grousset: Hist des Croisades. vol 1. P.24-25.

(٦) – رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٤٣٩ – ٤٤٠ .

(٧) – وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب التاسع – ص ٤٦٨ .

ففي عهد الملك بلدوين الأول ومن جاء بعده ، تركزت الادارة في أيدي كبار موظفي البلاط ، الذين يختارهم الملك من بين كبار المقطعين بالمملكة ، وأعلى هؤلاء في الرتبة هو :

آ - الصنجيل : "Seneschal" ويدعى أحيانا بالقهرمان كما يرد في بعض المصادر العربية باسم السنجال[1]. وهو مكلف بما يجري في الاحتفالات ، وبهذه الصفة يحمل الصولجان عند التتويج ، ويتقدم الملك في الموكب ، ويعتبر رئيس الادارة المدنية وهو يشرف على بيت المال (Secrete)[2]. وهو الديوان الذي يؤدي له كل ما يستحق للملك من أموال ، وتصرف منه المرتبات . ويحتفظ بسجل لكل العمليات المالية المرتبطة بالحكومة[3] . ويلي الصنجيل في المرتبة الادارية :

ب - الكنداسطبل : "Constable" أو قائد الجيش .

فاق الكنداسطبل الصنجيل في السلطة الفعلية . على الرغم من أنه كان يليه في المرتبة الادارية . اذا كان :

- يلي الملك في قيادة الجيش ، ويعتبر مسؤولا عن كل ما يتعلق بنظامه وادارته .
- يحمل لواء الملك في حفلة التتويج ، ويمسك بلجام حصان الملك ،وكان ذلك من الاعمال الاضافية التي يتقاضى عنها أجرا .
- يتحمل أيضاالمسؤولية عن المؤن العسكرية والقضاء العسكري، ويخضع لقضائه الخاص كل العساكر المرتزقة ، سواء استأجرهم الملك أو السيد الاقطاعي ، فيراعي ما اذا يتقاضون أجورهم على وجه سليم .
- اذا لم يشهد الحملة ، الملك أو نائبه صار للكنداسطبل السلطة التامة على الحملة[4].
- كان يترأس المحكمة العليا ، عندما لا يتمكن الملك من الحضور .
- كان مسؤولا عن الشرطة وعن الجيش ... وكان يهتم كذلك بالاراضي الملكية وتنظيمها وتحديد الملكيات .

---

(١) - ابن عبد الظاهر : " تشريف الانام والعصور في سيرة الملك المنصور تحقيق مراد كامل - القاهرة وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٩ م ص ٣٤ .
(٢) - لم يكن بيت المال الادارة مفككة التنظيم نقلها الفرنج عن العرب .
(٣) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٦ .
(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٧ .

- كان يهتم بتوزيع الرتب وحل المشاكل في صفوف الوحدات وأمور الاسلحة والتجهيزات[1] ويأتي بعد الكنداسطبل في التسلسل الاداري.

ج - المارشال : " Marchal " الذي كان يساعد الكنداسطبل في عمله وينوب عنه في كل الامور (أي كان نائب الكنداطبل) وقد ذكره الاصفهاني بقوله : "........ ونزل البطرق والتسطلان والمرشان وجماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر[2].

د - القسطلان : وهو مستحفظ القلعة ، وهو معرب اللفظ اللاتيني Castellanus[3].

هـ - الياور : "Chamberlian" ويدعى أيضا بالحاجب ، أو خازن الملك، ويشرف على القصر الملكي ، وعلى مالية الملك الخاصة[4]. وقد ذكره الاصفهاني باسم خازن الملك حين تحدث عن وقعة الكمين التي أسر فيها المسلمون فرسان الفرنج فقال : "..... وكانت في مائتي قنطاري ، من كل مقدم باروني ، وبطل داوي واسبتاري، فقتل معظمهم، ووقع في الأسر خازن الملك ، وعدة من الافرنسية ومقدمهم[5]" . كان الياور يؤدي دور الأمين الخاص في أوقات المواكب . وتعتبر وظيفته من الوظائف التي تعود على صاحبها بربح وفير ، نظرًا لما يبذله له الاتباع من الهدايا عندما يحلفون يمين الولاء[6].

و - الساقي : لم تكن اختصاصاته معروفة ، والراجح أن واجباته ارتبطت فحسب بالاحتفالات[7].

ز - كبير كتاب الانشاء : " Chamcellor " أو رئيس ديوان الانشاء وديوان الرسائل كان دائما من رجال الكنيسة ، على الرغم من أن هذه الوظيفة غير دينية ، ومع أنه لم يكن كاهن الملك ، مثلما جرى عادة في الغرب المسيحي . وباعتباره رئيس

---

(١) - عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٤٦٩ .

(٢) - العماد الاصفهاني : " الفتح القسي في الفتح القدسي " تحقيق محمد محمود صبح ص ٦٠٢ . يقصد بالمرشان قائد الجيش أي Marechal وانظر :
- Richard. op. cit. p.87

(٣) - انظر : الاصفهاني : المصدر السابق ص ٦٠٢ الحاشية .

(٤) عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٤٦٩ .

(٥) - الاصفهاني : المصدر السابق ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٦) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٧ .

(٧) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٧ .

ديوان الانشاء ، كان من اختصاصه أن يحرّر كل الوثائق ويخلعها ، وأن يدفع اليها ختم الملك ، وظل ديوان الرسائل ديوانا للمحفوظات الملكية[1].

أما أهم موظفي الادارة المحلية فكان :

ح - الفيكونت[2]: " Viscount " أو البسكند[3]. وعند أسامة بن منقذ هو شحنة البلد . وهو يمثل الملك في كل المدن التي تقع في اقطاعاته ، ويمثل السيد الاقطاعي (البارون) في بارونيته . ويتولى جباية الضرائب المحلية ، ثم يرسلها الى بيت المال ، بعد استقطاع نفقات الحكومة المحلية[4]. كان الفيكونت مسؤولا أيضا عن المحاكم المحلية ، وعن حفظ الأمن بوجه عام في مدينته بمساعدة المحتسب ورجال الشرطة[5]. ويكون اختياره من أسرة نبيلة ، غير أن وظيفته ليست وراثية .

ويلي الفيكونت في المكانة :

ط - المحتسب : " Me The ssep " وقد ظل محتفظا بالاسم العربي ، وفي بعض الاحوال " كبير السرجندارية " . وكان الصليبيون يؤثرون ايكال هذه الوظيفة الى رجل مسلم ، علماً منهم بأن ذلك أقرب الى طبيعة الامور في بلد شرقي اسلامي[6][7] . ومنصب المحتسب هذا عربي اسلامي ، وجده الفرنج في البلاد فعملوا به ، وظل المحتسب عند الفرنج يقوم بنفس المهام التي يقوم بها المحتسب في الاسلام وهي : مراقبة الطرقات والاسواق ، ومراقبة الموازين والمكاييل ، ومراقبة تجار الحبوب والدقيق وكذلك الخبازين وبائعي السمك المقلي والشرابات ، ومراقبة معلمي الصبيان ،

---

(١) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٧ .

(٢) - قد يكون منصب الفيكونت آنذاك كمنصب المحافظ اليوم .

(٣) - أسامة بن منقذ : "الاعتبار" تحرير فيليب حقي - طبعة عام ١٩٨١ الدار المتحدة للنشر بيروت - ص ١٧٨ .
لقد أطلق على نائب سلطان السلاجقة أو ممثله لدى الخليفة العباسي في بغداد لقب شحنة ،وهو لقب فارسي :أما الوظيفة نفسها فقد أطلق عليها اسم "شحنكية بغداد" ثم أصبح هناك شحنة لكل مدينة . فآقسنقر البرسقي حاكم الموصل اختاره السلطان محمد السلجوقي ليلي شحنكية بغداد وكذلك تولى عماد الدين زنكي شحنكية بغداد .
- ابن الاثير : " التاريخ الباهر" من ص ٢٨ حتى ٣١ .
- عاشور: تاريخ العلاقات ص ٣٥١ الحاشية .

(٤) - رنسيمان : المراجع السابقة ج٢ ص ٤٨٨ .

(٥) - La Monte: op. cit. P. 135-136 — 167-168
- Hiyari (M): op. cit. P. 175.
زكي النقاش : المرجع السابق ص ١٥٧

(٦) - المحتسب هو : " من نصبه الامام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم ، ومن شروط المحتسب أن يكون مسلما حرا بالغاً عاقلاً عادلاً قادرا " .
انظر :ابن الاخوة (محمد بن أحمد القرشي): " معالم القربة في أحكام الحسبة " تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي : الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٥١ .

(٧) - حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ١٥١ .

ومراقبة الاطباء والمجبرين وأطباء العيون وغيرها[١] [illegible] يتجول في المدينة ويراقب كافة هذه الامور... ولهذا فيجب أن يكون [illegible] لنقل تقارير عن الاحوال وذلك في الامور التي لا يستطيع تحريها بنفسه . وقد كانت هناك علاقة بين المحتسب والفيكونت . فالمحتسب يقدم تقارير الى الفيكونت[٢]. عما يجري ويستجد من أمور. واذا ما وجد أحد يخالف تعليماته فعليه أن يأخذه الى السجن ، ويبلغ الفيكونت بتهمته وجريمته. لكنه لا يستطيع أن يخرج أحدا من السجن الا بآمر الفيكونت نفسه أو بأمر المحكمة[٣]. وبالاضافة الى ذلك كان المحتسب مسؤولا عن تسيير أمور العسكريين ، وقيادة المدانين الى أماكن عقوبتهم. وأولئك الذين اتهموا وحكموا بالموت والاعدام [٤].

والى جانب وظيفة المحتسب نشأت وظيفة أخرى اقتضاها تعدد الادارات في العصر الصليبي هي استعمال الكتاب " وتقلدها الموظفون من الصليبيين والمسلمين على السواء " وعلى الرغم من أن كتاب الديوان (الجمرك) في عكا من النصارى ، الا أنه كان يتطلب فيهم حذق العربية لسانا وكتابة ، ورئيسهم يعرف بالصاحب[٥] كما أخذ الصليبيون الفرنج عن المسلمين وظيفة "المستحفظ " وسموها Moafese .
وبذلك نرى أن الطابع الاسلامي كان بارز الملامح ملموسا في الادارة الصليبية .
وهناك كثير من الالفاظ في التجارة والادارة . يمكن ردها الى أصولها دون تعسف[٦]

---

(١) – زكي النقاش : المرجع السابق ص ١٥٧ – ١٥٨ .
- Hiyari (M): op. cit. p. 175.
(٢) – Hiyari (M): op. cit. p. 175.
(٣) – Hiyari (M): op. cit. p. 175.
حيث يقول: "...." واذا ما وجد أحدا يخالف هذه التعليمات فعليه أن يأخذه الى السجن وذلك برفقة واحدا واثنين من الجنود الذين رافقونه وبشكل دائم ما أمكن . وعليه أن يقدمه الى الفيكونت ويعرض له التهمة والجريمة . وفي حال تعذر على الفيكونت سماع المحاكمة ، فان المحتسب باستطاعته أن يأمر بارجاع الشخص الى السجن وأن ينقل القضية الى أسماع الفيكونت وفي أقرب مناسبة ممكنة. لذلك فهو بمقدوره أن يعتقل أي انسان ويضعه في السجن ، ولكنه ليس بمقدوره أن يطلق سراح أي شخص من السجن بدون أمر من الفيكونت أو من المحكمة " .
(٤) – Hiyari (M): op. cit. p. 175.
ولابد من التنويه بأنه يوجد في مملكة بيت المقدس وفي الامارات كافة محاكم ارتبطت وظائفها بالادارة سنأتي على ذكرها بعد الحديث عن التنظيم الاداري في الامارات الفرنجية الاخرى .
(٥) – حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٥١ .
حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٥١ .

ثانيا: التنظيم الاداري في الامارات الصليبية

شابهت الامارات الفرنجية الصليبية الاخرى مملكة بيت المقدس في نظمها الادارية والقضائية ، مع بعض الاختلافات المحلية البسيطة ، التي نتجت عن الظروف التي أحاطت بكل امارة من ناحية ، وبالعناصر البشرية التي تألفت منها الامارة من ناحية أخرى[١].

١ - امارة الرها : وعاصمتها مدينة الرها .

آ - امتدادها وحكامها :

أسس هذه الامارة بلدوين البولوني ، الذي حكمها مدة سنتين (٤٩١ - ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٨ - ١١٠٠م) ثم اصبح ملك بيت المقدس باسم بلدوين الاول . وقد ضمت الامارة في عهده بعض المدن فقط مثل الرها وسروج والبيرة وملطية وسمياط[٢]. سلم بلدوين الامارة الى ابن عمه بلدوين دي بورغ - الذي عرف ببلدوين الثاني - على أن يحكم الامارة كتابع له[٣]. وذلك بفضل جهوده وجهود قريبه جوسلين الذي أقطعه تل باشر والرها[٤].

وفي عهده توسعت الامارة وأصبحت أكبر مساحة من امارة انطاكية . حتى اصبحت تمتد على جانبي نهر الفرات من راوندان وعنتياب في الغرب الى نقطة غير معروفة بالجزيرة ، الى الشرق من مدينة الرها[٥]. كما امتدت من بهسنى وكيسوم شمالا حتى منبج جنوبا[٦]. وتبع لها الكثير من المدن والحصون.. فمن مدنها: الرها - سروج - سمياط - البيرة راوندان - عنتياب - تل باشر - ملطية - اعزاز - قورس - دلوك - مرعش - منبج - بهسنى - وكيسوم (كيسون) ورعبان - وكفرت سوت - وكفر لاثا - . ولهم حصون في بلد ماردين منها حملين والموزر وتل موزن[٧]. ومن قلاعها: حصن بسرفوث - برج الرصاص - حصن البارة[٨].. وكذلك حصون تل باشر ، والراوندان وعنتياب[٩]. حاول حكام الفرنج في الرها وفي انطاكية الاستيلاء على مدينة حران لكنهم فشلوا جميعا، ووقع حاكم الرها نفسه في الاسر[١٠].

---

(١) - عاشور: المرجع السابق / ج١ ص ٤٧٠غ .
(٢) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب الرابع ص ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣. وكذلك نفس المصدر ج١ - الكتاب العاشر - ص ٤٨٤ .
(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٤٨٤ .
(٤) - ابن العديم : زبدة الحلب من توريخ حلب ج٢ ص ١٩٤ .
(٥) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٥ .
تيسير بن موسى : المرجع السابق ص ٨٧ .
(٦) - عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٤٢٤ .
(٧) - ابن الاثير: "التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل " ص ١٠٢ - ١٠٣ .
(٨) - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١١ ٩٤ .
(٩) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر ص ٥٠٩ .
(١٠)- استغل بلدوين الثاني - حاكم الرها - سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٤م ظروف المسلمين آنذاك وقام بحملته الشهيرة على خران بمساعدة بوهيموند - حاكم انطاكية - وتنكرد. لكن الهزيمة أحاقت بهم جميعا، ووقع بلدوين عن هذه المعركة انظر:
- ابن الاثير: المصدر السابق ج١٠ ص٣٧٤ - ٣٧٥ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٣٢
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر ص ٥١٤ حتى ص ٥١٧ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٧١ وما بعد . - Stevenson: op. cit, p 97

ولما صار بلدوين الثاني ملكا على بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الاول سنة (٥١١ هـ/ ١١١٨م) عين قريبه جوسلين حاكما على الرها . وقد حافظ جوسلين على حدود امارته طيلة حياته بفضل ما اشتهر به من القوة والنشاط وكثرة الحروب[١]. لكن ابنه جوسلين الثاني لم يكن كأبيه عندما ورثه في حكم الامارة سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣١م، هذا في الوقت الذي ظهرت فيه أولى بوادر اليقظة العربية الاسلامية ، مما أدى الى سقوط الامارة بيد عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م[٢].

ب - ادارة الامارة :

ويطلق عليها كذلك اسم الكونتية - كونتية الرها -[٣] وحاكمها يلقب بالكونت .

عانت امارة الرها من عدة نقاط ضعف منها: - عدم وجود حدود طبيعية تحميها وتزود عنها وتكسبها وقاية ومناعة ، في الوقت الذي تطرف فيه موقعها في الشمال الشرقي وأحاطت المدن الاسلامية بها من كافة الجهات[٤] فصارت عرضة لهجمات صاحب الموصل وصاحب حلب فأخذت حدودها بالانكماش تارة والاتساع تارة أخرى [٥]. - ثم عدم تجانس سكانها، اذا كانوا خليطا من المسيحيين الشرقيين والغربيين ومن المسلمين . فأصبح من الصعب على حكامها أن يحكموا امارتهم بشكل مركزي.- ثم هناك حرمان هذه الامارة من الواجهة البحرية التي تمتعت بها الامارات الاخرى ، لتأمين الاتصال مع أوربة الغربية وتلقي المدد والمعونات عن طريقها . - أخيرا هناك قرب امارة الرها من مدينة الموصل - المركز السلجوقي المتقدم آنذاك لتسيير الجيوش -[٦] فهوجمت من قبلها أربع هجمات متتابعة في سنوات متتالية من سنة ٥٠٥ - ٥٠٨ هـ/ ١١١٠ / ١١١٤م عدا الحملات التي تلت الاحتلال مباشرة[٧].

كل ذلك أدى الى وقف تطور امارة الرها الدستوري، والى اعتماد امرائها على نسبة كبيرة من الموظفين الارمن الذين تأثروا بالنظم البيزنطية[٨] على الرغم من أنهم لم

---

(١) - أبو شامة : " الروضتين في أخبار الدولتين " دار الجيل .. بيروت ج١ ص ٧٢ .
(٢) - وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب السادس عشر ص ١٣٣ .
(٣) - جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٤) - Setton: op.cit. vol-1- P. 408
- Stevenson: op.cit. P. 70-71
(٥) - أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٦) - أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٧) - انظر حول ذلك : ابن الاثير: المصدر السابق ج١٠ ص ٤٨٥ وص ٤٩٥ و ص ٥١٠ .
(٨) - عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٤٧٠ .

يسلموهم الوظائف التي تتطلب الثقة بسبب ما عرفوا به من الطاعة[(١)].

من المعروف أن سياسة بلدوين الاول في حكم الرها، في البداية على أساس الربط بين العناصر المختلفة التي تألفت منها الامارة • وبخاصة الصليبيين الغربيين من ناحية، والارمن من ناحية أخرى (فقد كان الارمن أكثر السكان عددا وتأثيرا في كونتية الرها[(٢)]). وقد تمثل هذا الربط بالزواج من الارمنيات، كما فعل بلدوين ذاته[(٣)]. وكانت تلك أسس السياسة التي اتخذها بلدوين • في مملكة بيت المقدس عندما تولى ملكها• فقد عمل على اشراك العناصر الشرقية من المسلمين والمسيحيين في ادارة الحكومة، على أن تندمج العناصر سويا آخر الامر، وتعمل كلها وحدة متعاونة• وهي سياسة رجل بصير بأمور السياسة[(٤)]. ولكن هذا لا يعني المساواة المطلقة بين العنصرين الارمني والفرنجي الصليبي في امارة الرها• اذ أن بلدوين كان حريصا على أن يظل التفوق للعنصر اللاتيني الغربي. فما أن تزايدت أعداده في تلك المدينة ، حتى اعتمد بلدوين عليهم وترك مشورة السكان الاصليين الذين ظفر بحكم المدينة بتأييدهم، وشكل اللاتين الذين قدموا الى الرها بعد الاستيلاء عليها ارستقراطية اقطاعية مع مرور الزمن ، حكمت شعباً من الارمن اشتغل أفراده بالتجارة والزراعة • فقد استولى الوافدون الجدد (الفرنج اللاتين) على الضياع الزراعية التابعة للرها، خارج اسوارها[(٥)]. واضطر من عليها من الفلاحين الأرمن الى العمل في ظل قيود النظم الاقطاعية المعروفة في الغرب الاوربي[(٦)]. والتي حملها الفرنج معهم الى الشرق، وصاروا يطبقونها فيه، وأثار هذا سخطاً شديداً ضد بلدوين وشعبه• وباختصار يمكن القول بأن سياسة بلدوين الاول في الرها، كانت تهدف الى توثيق العلاقات بين جماعات الارمن والفرنجة الصليبيين بالقدر المستطاع ، على ألا ترقى الى وضع مقاليد الامور في البلد بأيديهم • ورأى أن خير وسيلة لذلك هي الاستعانة بالعنصر الارمني مع جماعات أوربية

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب السابع ص ٣٧٨.
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٦ •

(٢) - سميل : المرجع السابق ص ٨٨ •

(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر ص ٥٥٢ •
عاشور : المرجع السابق ج١ ص ١٨٠ - ١٨١ •

(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٢٩٧
- Setton : op. cit. vol 1 - P. 409.

(٥) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب السابع ص ٣٧٨ • حيث يقول :
"بدأ المسيحيون يندفعون الآن بأعداد كبيرة الى الرها الى درجة أن تزايد عدد اللاتين في تلك المدينة أصبح مصدر ازعاج لسكانها الاصليين ،•••• كما قل أيضا اعتماد بلدوين بالتدريج على مشورة الرهاويين النبلاء ، ذلك أنه كان قد ظفر بتلك المدينة الكبيرة عن طريق تأييدهم ، وأثار هذا سخطا شديدا ضده وضد شعبه•••" •

(٦) - عاشور : المرجع السابق ج١ ص ١٨١ •

يصطنعها في فروع الادارة المحلية (١). فأحاط نفسه بالمقدمين من الفرنج وجعلهم أصحاب اليد العليا، ومع ذلك فان الوطنيين الارمن لم يرحبوا بهذه السياسة، بل نظروا اليها نظرة الكراهية، لاسيما حين اتخذ بلدوين منا الفرنج الصليبيين مستشارين له، وأقصى الارمن عن الحكومة، وأغدق على أولئك الوافدين الاموال الجمة، وأقطعهم الأراضي الواسعة، فكونوا طبقة ارستقراطية دخيلة على البلاد (٢). وكره الارمن من بلدوين نزعته في ايثار الفرنج عليهم في معظم الادارات والوظائف المدنية والحربية، وترجموا عن كراهيتهن لسياسته بتدبير مؤامرة لاغتياله، وليس أدل على هذه الكراهية من أن " Thatol " ثاتول أبا زوجته اشترك فيها (٣).

ولما خلف بلدوين دي بورغ قريبه بلدوين الاول في حكم الامارة، اختلفت سياسته بعض الشيء عن بلدوين الأول في بداية حكمه ويبدو أنه كان قاسيا على الخارجين عليه من الارمن، محسنا لاقاربه وللعناصر اللاتينية . ومع ذلك لم يسمح لهم بالخروج عن سلطته لانه كان محنكاً في سياسته ولنستمع الى وليم الصوري يحدثنا عنه :

" كان النبيل بلدوين، كونت الرها، (بلدوين الثاني)، رجلا جديرا بالثناء من جميع جوانبه، وهو الذي خلف الملك في كونتية الرها، وأخذ يدير الاراضي الخاضعة له بقوة ونجاح عظيم ......"(٤) ومع ذلك لم يحبه رعاياه الارمن كثيرا ودبروا المؤامرات لاغتياله، مما أدى به الى البطش بالطائفة الارمنية كلها وليس فقط بالخونة أصحاب المؤامرة (٥). قدم لزيارة بلدوين أحد أقربائه ويدعى جوسلين دي كورتني (٦)، وبما أنه لم يكن لدى جوسلين أرض أو ثروة فقد منحه بلدوين ممتلكات واسعة بحيث لا يضطر الى الالتفات الى غريب لكسب عيشه (٧).

---

(١) - حسين حبشي : الحرب الصليبية الاولى ص ١٠٧ .
(٢) - حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٠٧ .
(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب السابع ص ٣٧٨ .
- حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٤) - وليم الصوري: المصدر السابق ج١ الكتاب العاشر ص ٥٩ . وفي موضع آخر يقول عنه : ".... كان قد تمرس كثيرا في فن الحرب وكان حكيما في حكم رجاله وناجحا في حملاته، وكان لطيفا ورحيما وميالا لاعمال الخير..." انظر :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٤ .
(٥) - سميل : المرجع السابق ص ٩٠ - ٩١ .
(٦) - أو جوسلين دي كورتناي، وقد كان ابن عم بلدوين دي بورغ . انظر :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - الحاشية في صفحة رقم ٥٠٩ .
(٧) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب العاشر ص ٥٠٩ .

صار جوسلين الرجل الثاني في الكونتية بعد بلدوين الثاني من حيث كبر حجم اقطاعه وأهميته . فقد شمل اقطاع جوسلين ، كامل ممتلكات بلدوين الواقعة غرب نهر الفرات ، وقد اشتملت على مدن قورس ودلوك وقلاع تل باشر وعين تاب والراوندان الجيدة التحصين ، وكذلك الرها وسروج والبيرن وسن ابن عطير وحملين والموزر والقرادي وغير ذلك(١). واحتفظ الكونت لنفسه بالمنطقة الواقعة وراء نهر الفرات ، لكونها أكثر قربا لممتلكات المسلمين ، واحتفظ بمدينة جديدة فقط في الداخل هي سميساط(٢). ووجد بالطبع الى جانب جوسلين العديد من النبلاء الاقطاعيين الذين تقاسموا اقطاعات الامارة . ومن المرجح أن معظمهم كان من أصل فرنجي أوربي .

لكن بلدوين الثاني ، لم يلبث أن تغير على جوسلين وطرده من اقطاعه بسبب عدم وقوف جوسلين الى جانبه في أوقات المجاعة والفقر التي تعرضلها ممتلكات ومدن بلدوين الواقعة وراء نهر الفرات ، في الوقت الذي كانت فيه المؤن والاطعمة والخيرات متوفرة في اقطاع جوسلين ، هذا بالاضافة الى بعض العبارات والتعليقات من قبل رجال جوسلين حول فقر بلدوين ، وأن عليه أن يبيع أملاكه الى جوسلين ويعود للغرب . كل ذلك أثار الحقد في قلب بلدوين على قريبه ، فطرده من اقطاعه وزجه في السجن فترة(٣). وفي العام التالي انسحب جوسلين نحو الجنوب الى بيت المقدس ، حيث منحه الملك بلدوين الاول امارة الجليل اقطاعاً له(٤). ولا يعرف ان كان بلدوين أشرف بنفسه على ادارة اقطاع جوسلين ، أم سلمه لاحد النبلاء كما هي العادة في مثل هذه الاحوال .

وبعد وفاة بلدوين الأول ـ ملك بيت المقدس ـ سنة ٥١١ هـ/ ١١١٨م انتخب بلدوين الثاني ملكا لبيت المقدس ، وقد تم ذلك بفضل ترشيح جوسلين - والذي كان قد سلم ادارة طبرية من قبل جوسلين الأول كحق دائم له بعد طرده من الرها - والبطريرك أرنولف بطرك بيت المقدس وكافأ بلدوين الثاني ، جوسلين بتعيينه أميرا على امارة الرها ، " وعهد اليه بالمسؤولية الكاملة عن الكونتية بحكم كونه الرجل الوحيد الذي يعرف المنطقة معرفة جيدة ، وطالما أدى جوسلين يمين الولاء أعطي الراية وسلم ملكية الرها "(٥).

---

(١) - ابن الاثير : المصدر السابق ج١١ ص ٩٨ .
(٢) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٥٠٩ .
(٣) - انظر حول ذلك :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب الحادي عشر ص ٥٥٢ حتى ص ٥٥٥ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٠١ .
(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٠١ .
(٥) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .

حكم جوسلين الامارة أو الكونتية من سنة ٥١٢ - ٥٢٦ هـ/ ١١١٩ - ١١٣١م، وكان حسب وصف وليم الصوري له : " رجلا معروفا بالحكمة والخبرة الواسعة ، وحذر في كل ما فعله...."[١]. كما اشتهر بكثرة حروبه ضد المسلمين وشدة عداوته وكراهيته لهم[٢]. وحكم بعده ابنه جوسلين الثاني من سنة ٥٢٦ - ٥٣٩ هـ/ ١١٣١ - ١١٤٤م .

وقد اختار جوسلين الثاني الاقامة في تل باشر مستسلما للدعة والهدوء تاركا شؤون امارته لفرسانه وموظفيه ، في الوقت الذي احتاجت له الامارة بسبب ظهور عماد الدين زنكي . مما أدى الى عودة الرها للصف العربي .

ج - توزيع المناصب والوظائف في الامارة :

شابهت امارة وكونتية الرها، من حيث نظمها الادارية ، مملكة بيت المقدس ، مع اختلافات بسيطة نتجت عن موقع وظروف هذه الامارة ، بالاضافة الى العناصر البشرية التي تألفت منها[٣]. وبسبب كون الارمن ، العنصر الاكثر غالبية بين السكان[٤]. مما دفع بحكام الرها الى الاعتماد على عدد من الموظفين الارمن القاطنين بها. وكذلك فان الارمن رحبوا بالصليبيين الغربيين بمجرد أن أضحوا على مشارف انطاكية وذلك لانهم مسيحيون أولا وأعداء للاتراك المسلمين ثانيا. ولهذا فقد اعتمد عليهم حكام الفرنج في الرها وفي انطاكية كذلك . وكثيرا ما كانوا يشاهدون خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي مثل الجنود الخيالة المشاة في الجيش الفرنجي يخوضون المعارك في شمال بلاد الشام[٥].

لكن الارمن ما لبثوا أن تغيروا على حكامهم الفرنج ، ودلوا على أنهم ليسوا أهلا للثقة ، فضلا عن شهرتهم بالخيانة ، لذلك لم توكل لهم الوظائف التي تتطلب الثقة (كقائد الجيش ا أو الخازن - وغيره) بل سلموا بعض الوظائف الاقل أهمية والتي تحتاج لخبرتهم بها باعتبارهم أهل المنطقة (مثل منصب قاضي - مشرف على قرية - جابي ضرائب ..) وبالتالي كانت الوظائف والمراتب العالية من نصيب الفرسان والنبلاء الفرنج الذين قدموا مع الحملة الصليبية الاولى ، وكذلك الفرسان الوافدين من الغرب بعد الاحتلال (مثل جوسلين

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٥٠٩ .
(٢) - أبو شامة: المصدر السابق ج١ ص ٧٢ حيث يقول عن جوسلين : "..... فانه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج ، شديد العداوة للمسلمين وكان يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الاسلامية وقسوة قلبه على أهلها ... "
- ابن الاثير : " التاريخ الباهر " ص ١٠٢ .
(٣) - عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٤٧٠ .
(٤) - أمينة بيطار : المرجع السابق ص ٢٢ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٥ .
(٥) - سميل : المرجع السابق ص ٨٩ .
وانظر كذلك نفس المرجع - الحاشية رقم ٤ من نفس الصفحة ٨٩ .

الاول) وقد أوكلت الى هؤلاء الفرسان أمور الادارة المدنية وقيادة الجيش ، وادارة القلاع والحصون[1]. كما وزعت عليهم الاقطاعات الكبيرة والصغيرة بحسب مراتبهم في الامارة .

لم يستطع الفرنج أن يقيموا بالرها حكومة مركزية ، واستعاضوا عن ذلك بما شيدوه من حصون منيعة شحنوها بالعساكر ، ومن هذه الحصون تولى الجند جباية الضرائب والجزية من القرى المجاورة . وكذلك قاموا بشن الغارات على ما يلي الحدود من الجهات فظفروا منها بالكسب والغنيمة[2].

ويعزى ذلك الى أن امارة الرها بكاملها كانت تعتبر اقليم حدود ، وهذا يعني تعرضها لحروب لا تنقطع وهذا جعل من الصعب وجود حكومة مركزية قوية تشرف على أجزاء الامارة اشرافا دقيقا . ولذلك استعيض عن ذلك بالاكثار من بناء القلاع وتحصينها ،وبالتالي ادارة الامارة من خلالها .[2]

بالاضافة الى ذلك وجدت في امارة الرها محاكم كبرى وصغرى سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

ولا يعلم الا القليل عن النظام الحكومي بالرها . اذ ضاعت الوثائق التي أصدرها كونت الرها . والراجح أنه كان له ما لكل أمير اقطاعي كبير،من محكمة مؤلفة من أتباعه . غير أن وضع الامارة في أقصى طرف العالم المسيحي حال دون كل تطور دستوري. وعاش كونت الرها أشبه بالامراء الترك الذين يحيطون به ، ولم يكن بها الا عدد قليل من الاقطاعات الكبيرة .

واذا كانت الحروب لم تنقطع في كونتية الرها ، كان لزاما على الكونت فيها - حاكمها - أن يبلغ في طغيانه فيها ، ما لم يتهيأ له في بلد أكثر هدوءا[4].

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر - ص ٥٠٩ .
رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦ .
(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٥ .
(٣) - بشأن حدود امارة الرها انظر الصورة رقم ١ ص ٨٧ .
(٤) رنسيمان : المرجع السابق ص ٢٩١ الجزء الثاني

٢- امارة انطاكيه : وعاصمتها مدينة انطاكيه

آ - شعبها وحكامها :

شملت هذه الامارة مساحة صغيرة من الارض بالنسبة لبقية الامارات الفرنجية الاخرى . فقد تألفت من الوادي الادنى لنهر العاصي، وسهل انطاكيه، وسلسلة جبال الامانوس، فضلا عن ميناءي الاسكندرونه والسويديه (١).

امتدت حدودها الشمالية من المصيصه الى مرعش، ثم امتدت جنوبا لتتاخم حلب واتجهت شرق نهر العاصي الى كفر طاب، حيث انعطفت عائدة الى البحر شمال شيزر (٢) وكانت هذه الحدود غير ثابتة تتسع او تتقلص بحسب قوة الامارة وكانت أنطاكيه وفيرة الثروة ، اجتازت ابوابها القوافل التجارية القادمة من حلب والجزيرة في طريقها الى البحر المتوسط . (٣)

تألف معظم سكانها من المسيحيين ، اليونانيين والسريان الارثوذكس، والسريان اليعاقبه، وفئة قليلة من النساطرة ، غير انه اشتد بينهم من الحقد والكراهيه، لتيسّر للنورمان (اي بوهيموند واتباعه من الفرنج) ضبطهم والسيطرة عليهم (٤) وبذلك كان العنصر النورماني صاحب الفضل الاول في تأسيس هذه الامارة .

اسس امارة انطاكيه، بوهيموند النورماندي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، بالرغم من معارضة رفيقه القائد ريموند الصنجيلي، وبالرغم من الوعود التي قطعها على نفسه للامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين ، وكذلك بالرغم من المحاولات العربية الاسلامية لتحريرها . (٥)

---

(١) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣
تيسير بن موسى : المرجع السابق ص ٨٦
(٢) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٠
(٣) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣
(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤
(٥) : ويقصد بذلك محاولة كربوقا حاكم الموصل تحرير انطاكيه ... انظر :
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ - ج ١٠ - ص ٢٧٦
- وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب السادس ص ٣٦١ وما بعد
------: Grousset :Hist des Croisades vol 1- P. 370- 371
- Stevenson:op. cit. P . 71 - 72

حكم بوهيموند هذه الامارة بقوة ونشاط ،واخذ يعمل على مد سيطرته على المدن والمناطق المجاورة ،ولاسيما اللاذقية وحلب وافاميه . لكنه وقع في احدى محاولاته التوسعية في اسر بني الدانشمند - الاتراك المسلمين - لمدة ثلاث سنوات ٤٩٣ - ٤٩٦ هـ / ١١٠٠ - ١١٠٣ م [١].

وخلال مدة اسره ،تولى الوصاية على الامارة ، ابن اخته تنكرد [٢] ، الذي اشتهر بنشاطه وجرأته ، مما ادى الى توسيع حدود الامارة في عهده ،فاستولى على اللاذقية سنة ٤٩٥ هـ/١١٠٢م [٣] (ولكن بيزنطه عادت واستردتها سنة ٤٩٧/١١٠٤ م) ثم استولى تنكرد بعد عودة خاله الى الامارة على أفامية سنة ٤٩٩ هـ/١١٠٦ م [٤] عمل بعدها بوهيموند للسفر الى اوروبه لاحضار حملة لمحاربة الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومينين ، الذي ما فتئ يطالب بانطاكيه [٥]. لكن بوهيموند فشل في حربه مع

---

(١) : عن اسر بوهيموند انظر :
- : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب التاسع ص ٤٧٤ ومابعدها.
Stevenson: op. cit. P.73 وكذلك Amin maolouf: op.cit P.60

(٢) : ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٣
Stevenson: op. cit. P.74

(٣) : جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٥٤
رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٦١ .

(٤) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٤٢ / وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب العاشر ص ٥٠٨ .
ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٦
رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٨- ٨٩

(٥) : كان الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومينين - يعتبر انطاكيه من حقه بناء على اتفاق القسطنطينية الذي اقسم فيه الزعماء الصليبيون على اعادة انطاكيه للامبراطور عند الاستيلاء عليها .
عن هذا الاتفاق انظر :
- اناكومينيا : المصدر السابق ص ١٣٠ وكذلك ص ١٣٣
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢١٩
- المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ٣١
- جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ١٨٩

Steveson: op.cit.P.72

الامبـــراطور (١) ، وتوفي بعد هزيمته تلك بثلاث سنوات [illegible] (٢)

كان تنكرد يدير شؤون الامارة طيلة تلك الفترة ،كحاكم فعلي لها ،علـــى الرغم من انه كان وصيا فقط . وكان يسير على نفس سياسة خاله . ففي الداخـــل عمل على تثبيت الادارة في الامارة ،وتحويل الكنيسة الشرقية الى المذهب اللاتينـــي الكاثوليكي . اما في الخارج فقد سعى الى الاثراء على حساب البيزنطيين والامراء المسلمين المجاورين (٣) . وبذلك بلغت الامارة في عهده اقصى اتساعها . وفـــي عام ٥٠٦ هـ/١١١٢ م توفي تنكرد . بعد ان اوصى بالامارة لابن اخته روجردي سالرنو (٤) (Roger de Salerno) على ان يتنازل عنها لبوهيموند الثاني - ابـــن بوهيموند الاول - عندما يعود من الغرب ليرث املاك ابيه (٥). لكن روجر قتـــل في معركة ساحة الدم المشهورة سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ . (٦) فتولى بلدوني الثاني - ملـــك بيت المقدس - الوصاية على انطاكيه ، ريثما يبلغ بوهيموند الثاني (وعمره آنذاك عشر سنوات) سن الرشد (٧). وظلت انطاكيه تحت الوصاية حتى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦ م ،عندما وصل بوهيموند الثاني الى الشرق (٨). لكنه قتل سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م . فحكمت زوجتـــه اليس " Alice " الامارة كوصية على ابنتها كونستانس " Constance " لكـــن

---

(١) : حدث ذلك سنة ٥١٢ هـ/١١٠٨ م حيث وقّع بوهيموند معاهدة ديفولمع الامبراطور البيزنطي عن هذه المعاهدة انظر :
- جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٥٦ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٤ وما بعد .
ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٥١٨

(٢) : جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٥٧
جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣١

(٣) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨
جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٤) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٩٢ .

(٥) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٣

(٦) : عن معركة ساحة الدم انظر:
- ابن القلانسي : ص ٣١٩ وما بعد .
- وليم الصوري : ج ١ - الكتاب ١٢ ص ٥٨٠ ومابعد .
- ابن الاثير : ج ١٠ ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- ابن العديم : ج ٢ ص ٥٥١ الى ٥٥٤ .

(٧) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٨): وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب ١٣ ص ٣٢ .

بلدوني الثاني - ملك بيت المقدس - سار شمالا وتولى الوصاية على الملكة على انطاكيه [1]. واستمر خلفه فولك في ادارة الامارة تحت سلطة التاج . وفي عام ٥٣٠هـ/١١٣٥ م استدعي ريموند اوف بواتييه من الغرب من قبل فولك - ملك بيت المقدس [2] - وتزوج من كونستانس رغم معارضة والدتها . لكنه قتل سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م . وكان الموقف يتطلب وصيا ذكرا لذا تزوجت كونستانس سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣ م من رينالد دي شاتيون (Reginald de chatillon) [3] الذي عُرف في المصادر العربية باسم ارناط . فقد كان قائداً متهورا وحاكما لامباليا ، جرّت سياسته الكوارث على الفرنج الصليبيين في الشرق عامة . ونقصد بذلك معركة حطين ونتائجها .

وبعد ارناط ،حكم انطاكيه مجموعة من الحكام عرفوا باسم بوهيموند ،وهم على التوالي: بوهيموند الثالث (٥٥٨ - ٥٨٣هـ/١١٦٣ - ١١٨٧ م) ثم بوهيموند الرابع ٥٨٣ - ٦٣٠ هـ/ ١١٨٧ - ١٢٣٣ م) وبوهيموند الخامس (٦٣٠ - ٦٤٩هـ/ ١٢٣٣-١٢٥١م) وبوهيموند السادس (٦٤٩-٦٧٤ هـ/١٢٥١ - ١٢٧٥م) [4] وقد استُردت امارة انطاكيه من قبل المسلمين في عهده فقد حررها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨ م . [5]

---

(1) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣١ .

(2) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب الرابع عشر - ص ٥٦

(3) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب ١٧ - ص ٢٠٨ .

جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٢ .

(4) : عمر عبد السلام تدمري : المرجع السابق ص ٤٧١ - ٤٧٢

(5) : المقريزي : " السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق محمد مصطفى زيادة - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ص ٥٦٦- ٥٦٧ -

- عادل زيتون : " تاريخ المماليك " - طبعة عام ١٩٨٢ - دمشق - ص ٣٤

ب - ادارة الامارة :

شملت هذه الامارة العديد من المدن منها : أنطاكيه - أفاميه - اللاذقية - جبله - بانياس - بغراس - حارم - سرمين - كفرطاب - أرتاح - معرة النعمان - إنب - الاثارب .... بالاضافة الى أذنه - المصيصة - طرسوس . وهذه المدن الثلاث الاخيرة كانت في حالة اخذ وردّ بين بيزنطه وانطاكيه بحسب قوة وإمكانية الطرفين .(١) وبعد سقوط الرها استولت الامارة على بعض الاراضي الغربية التابعة للرها . بينما ورث امراؤها في عام ٥٨٤هـ/١١٨٨ م امارة طرابلس .(٢)

ومن قلاع امارة انطاكيه :/ قلعة بغراس - قلعة هاب - قلعة إنّب - قلعة هاب - قلعة صهيون - قلعة بلاطيس - قلعة حارم - قلعة قصير .

كما حوت اكثر مدنها قلاعا مثل : مدينة ارتاح - مدينة أثارب - زردنا - أنطاكيه - اللاذقيه - افاميه .(٣)

لم تكن النظم في امارة انطاكيه شبيهة بنظم مملكة بيت المقدس الا من الناحية الظاهرية . اذ كان بها ما في بيت المقدس من محكمة عليا ،ومحكمة برجوازية وكبار الموظفين (٤). الا ان التأثيرات البيزنطية كانت بادية في بعض النظم والتشريعات لاسيما الخاصة بالضرائب (٥) ولبيت المال عندهم جهازه الاداري، ولا يعتمد في تحصيل الخراج على المحاكم المحلية مثلما كان جاريا في بيت المقدس .(٦)

ومن اجل ادارة المدن والضياع ،فقد اتخذ امير انطاكيه النظام البيزنطي ، بما اتصف به موظفو المكاتب من كفاية وبما اشتهروا به من اساليب بارعة في جباية الضرائب . فلكل من انطاكيه واللاذقيه وجبله دوق خاص ، له مطلق السلطة في ادارة البلديه . ومكانه في المحكمه العليا .(٧).

---

(١) : انظر مصور امارة انطاكيه ص ٧٩ ح

(٢) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٠-٣١ .

(٣) : انظر المصور رقم (٢) ص ٧٩ ح

(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٢

(٥) : عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٧٠

(٦) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٣

(٧) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٣ .

ج – الاقطاعات : قسمت امارة انطاكيه كباقي الامارات الفرنجية في المشرق الى اقطاعات كبيرة وصغيرة بحسب اهمية كل منها ،ووزعت تلك الاقطاعات على [illegible]ة الصليبيين الغربيين . وقليلا على بعض الامراء المسلمين الموالين [1] ، كان امير انطاكيه اكبر المقطعين في الامارة ،وقد احتفظ في يده منذ البدايه بالمدن الرئيسه وبقدر كبير من أراضي الامارة . وكان حذراً عند بذل المنح من الاراضي ،(بعكس ملك بيت المقدس) الا في مناطق الحدود . وكان يوءثر بذل اقطاعات المال (النقود)[2] وكان امير انطاكيه من الناحية الدستوريه اقوى حاكم في الشرق اللاتيني . وكان يحكم بواسطة الحق الموروث ، فهو السيد الاسمى ،والجميع مرتبطون به برباط الولاء[3]

كان امير انطاكيه يعين دوقا خاصا لكل مدينة هامة في امارته ،فكان هناك دوق لمدينة انطاكيه ودوق لمدينة جبله ودوق لمدينة اللاذقية . وكان يساعد كل دوق فيكونت [4].

ويجري عادة اختيار دوق كل من اللاذقية وجبله من بين السكان الوطنيين (المسيحيين المحليين ولايعرف اذا كان المسلمون يسلّمون هذا المنصب) اما دوق انطاكيه فينتمي الى نبلاء الفرنج . على ان الفيكونت الذي يساعده يصح اختياره من بين السكان الوطنيين . ولم يكن هوءلاء الدوقات يتوارثون المنصب(كما في بيت المقدس) بل كان يحق لامير انطاكيه عزلهم وتعيينهم متى شاء [5]. ومن هنا كانت سلطة امير انطاكيه وصلاحياته في امارته اقوى واوسع منها عند ملك بيت المقدس ،ويلاحظ في امارة انطاكيه سيادة روح النورمان ،ونزعتهم الاستبدادية ،ورغبة امراء انطاكيه في كبت اية معارضة من جانب كبار النبلاء في الامارة . فبعد معركة ساحة الدم المذكورة آنفا خلت امارة انطاكيه من اربابها . فاعاد الملك بلدوين الثاني– الوصي على الامارة آنذاك – توزيع الاقطاعات من جديد ،بسبب مصرع مقطعيها النبلاء جميعهم [6] . ولم يتم يتوارث الاقطاعات بين ابنائهم .

---

(١) – انظر فيما سبق ص ٧٩ وكذلك الحاشية رقم ٣ من نفس الصفحة .
(٢) – رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٢ – ٤٩٣
(٣) – جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٢
(٤) – رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٣.
(٥) – رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ – ص ٤٩٣.
(٦) : وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ – الكتاب الثاني عشر ص ٥٨٩ .
– : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ – ص ٢٤٢ .

عمد امراء انطاكيه الى زيادة قوتهم ازاء طبقة النبلاء ، بأن اعادوا من الموظفين الذين ينتمون الى اصل وطني ،والذين توقف بقاوءهم في الوظائف على رضى الامير . واستعان الامراء في انطاكيه منذ البدايه بالخبرات الموجودة في المنطقة ،حيث وجد عدد من المثقفين كانوا من عناصر يونانية ،وسريانيه ،وارمنية الاصل [١].

وما لجأ اليه امراء انطاكيه من تعيين المحلفين ،الذين يشتركون في الفصل في مسائل قانونية خالصة ،كفل لهم السيطرة على المحكمة العليا . وقام امراء انطاكيه بتوجيه سياستهم كيفما شاوءوا [٢]. دون أن يحفلوا بالمحكمة العليا [٣]. فعقدوا معاهداتهم مع الدول الاجنبية . والواقع ان نظام الامارة باكمله كان أشد تماسكا واكبر تأثيرا من كل نظام في سائر امارات الفرنج [٤].

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ص ٤٩٣

- : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٢

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٣

(٣) جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٢

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٣

٣- امارة طرابلس : ويطلق عليها كذلك اسم مقاطعة طرابلس (١) ... ـــة طرابلس

آ - حدودها وملوكها : تقع مقاطعة طرابلس بين مملكة بيت المقدس وامارة انطاكيـــه ولذلك فانها صغيرة المساحة ،ولكنها ازدهرت بسبب اعتمادها على التجارة • تمتد هـــذه الامارة على شاطيء المتوسط من نهر الكلب الى نقطة على الساحل شمال طرطوس • ومـــن هنا تتجه حدودها نحو الشرق حيث المنطقة التي يسيطر عليها الاسماعيليه، اضافة الـــى امارتي شيزر وحماه • ومن بعرين تمر الحدود جنوبا الى الغرب من نهر العاصي واراضي حمص ، ثم تنعطف عبر الجبال اللبنانية الى نقطة جنوب شرق جبيل ،حيث تتصل بالبحـــر مرة اخرى (٢)• واذا كانت امارة طرابلس تعتبر اصغر مساحة من الامارات الفرنجيـــة الاخرى في الشرق ، فانها قد تمتعت بموقع ممتاز بين امارة انطاكيه ومملكة بيـــت المقدس • كما كانت طرابلس عاصمة الامارة هي الوحيدة بين عواصم الامارات الاخرى تتمتع بموقع ممتاز على الساحل فضلا عن كونها ميناء هاما (٣) .

اسس هذه الامارة ،الاسرة التولوزية وكان اول من نهض بتاسيسها ريموند الصنجيلي الذي توفي سنة ٤٩٨هـ /١١٠٥م (٤) قبل احتلال طرابلس فخلفه ابن عمه وليم جوردان (William Jordan) • ولكن في بداية عام ٥٠٣هـ /١١٠٩ م وصل برتراند اوف سانت جيـــل (Bertrond) ابن ريموند ،للمطالبة بارث ابيه • فرفض وليم جوردان ادعاءاته ، وتم التوصل الى تسوية من قبل بلدوين الاول ملك بيت المقدس (٥) • وفاز برتراند فـــي المنطقة الكائنه حول طرابلس ،التي سقطت في العام نفسه بايدي الصليبيين •

١- جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٢٩ •
٢- جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٢٩ - وانظر كذلك مصور امارة طرابلس ص ٨١ ح
٣- عمر عبد السلام تدمري : المرجع السابق ص ٤٧٢
٤- عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٧٤ - ٤٧٥
٥- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٣٨•
٦- وردت هذه المعلومات بتفصيل اكثر في الفصل الاول من هذا البحث عند الحديث عـــن كيفية سقوط طرابلس بيد الفرنج • وانظر حول ذلك :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج ١- الكتاب الحادي عشر ص ٥٢٠ وكذلك ص ٥٢١•
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦١ •

_:Setton:op.cit.vol1- P397- 398
_:Stevenson:op.cit.p.57

ولدى موت وليم جوردان ، حصل على القسم الشمالي من المقاطعة ايضا . وتوفي برتراند في عام ٥٠٥هـ/١١١٢ م [١] ، فخلفه اخوه الاصغر ... وكان اداريا قديرا ،لكنه كان سياسيا مقهوراً وقد طال حكمه حتى قتل اثناء مهاجمة التركمان لطرابلس سنة ٥٣١هـ/١١٣٧ م [٢] . وورث ريموند الثاني امارة طرابلس سنة ٥٣١ هـ/١١٣٧ م لكنه قتلسنة ٥٤٦هـ/١١٥٢ ، تاركا طفلا صغيرا ،هو ريموند الثالث ، الذي قدر له ان يلعب دورا هاما فيالتاريخ المتاخر لمملكة بيت المقدس الاولى[٣] وقد حكم اطول مدة من افراد الاسرة التولوزية ، اذ استمر حكمه حتى ٥٨٣هـ/١١٨٧م وبوفاة ريموند الثالث انتقل حكم امارة طرابلس الى امراء انطاكيه من البيت النورماندي ، بحيث اصبحت مع انطاكيه تشكلان امارة موحدة [٤]. واول من حكم الامارتين معا من البيت النورماندي (امراء انطاكيه) كان بوهيموند الثالث ثم الرابع وهكذا حتى كان بوهيموند السابع اخرهم . وقد حكم من سنة ٦٧٤ هـ-٦٨٦ هـ / ١٢٧٥ - ١٢٨٧ م .

وشهدت طرابلس قبل تحريرها من الصليبيين قيام حكممستقل عرف عند الفرنج باسم قومون (Communal) اي حكم بلدي ،منذ سنة ٦٨٦ هـ/١٢٨٧ م . وتولت حكم المدينة لوسي (lossi) اخت بوهيموند السابع ، ثم ما لبثت طرابلس ان دخلت في حماية جنوة الى ان تحررت على يد المنصور قلاوون سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩[٥].

- ادارة الامارة : قسمت الامارة الى اقطاعات على غرار الممالك الاخرى في الشرق وذلك باعتبارها مملكة اقطاعية وكان اميرها يحوز من الاملاك الخاصة اكبر مما يحوزه اي تابع من اتباعه [٦] كما توارثت اسرة امبرياتشي الحكم في مدينة جبيل .

---

(١) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٨٨
- : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٢٩
- : عمر عبد السلام تدمري : المرجع السابق ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٢) : عمر عبد السلام تدمري : المرجع السابق ص ٤٦٩

(٣) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٢٩

(٤) : عمرالتدمري : المرجع السابق ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٥) : عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٧٠.

(٦) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٢ .

استعمرت طرابلس من قبل الامراء التولوزيين في الـ... نـت
من توقف المستعمرين التولوزيين (من جنوب فرنسا) عن المجيء من تلك المنطقة
كذلك كانت امارة طرابلس ضعيفة جغرافيا ،حيث كان يصعب الدفاع عن حدودها .
وكانت قد فقدت كلا من بعرين ورفنيه سنة ٥٣١هـ/١١٣٧ لصالح عماد الدين زنكي
صاحب الموصل(١) ومنذ اربعينات القرن السادس الهجري/ اربعينات القرن الثاني
عشر الميلادي بدأت الاخويات العسكرية تتولى مسؤوليات الدفاع عنها (٢) .
ولذلك كثر بناء القلاع والحصون في هذه الامارة (لتسهيل الدفاع عنها
من جهة وادارتها بقوة اكثر من جهة اخرى) ومازال حصون امارة طرابلس ماثلة
للعيان حتى ايامنا هذه .

اشهر تلك الحصون كان حصن الاكراد او قلعة الحصن (Le Crac Des Chevaliers) وحصن انطرطوس (Antaradus) (طرطوس الحالية) . وقد
امتلك الاستبارية (فرسان القديس يوحنا) الحصن الاول ، بينما امتلك الداوية
(فرسان الهيكل) الحصن الثاني (٣). وذلك سنة ٥٤٧ هـ/١١٥٢ م حيث قام الملك
بلدوين الثالث (٥٣٨ - ٥٥٧ هـ /١١٤٣ - ١١٦٢ م) ملك بيت المقدس بتسليم الحصن
للداوية بعد وفاة ريموند الثاني - حاكم طرابلس - من اجل الدفاع عن حدود امارة
طرابلس من الشمال الغربي .(٤)

كما تسلم الاستبارية حصن المرقب (Marqab) ايضا ،بينما تسلم الداوية
برج صافيتا المعروف عندهم باسم (Chastel- Blanc) وقد شعر امراء طرابلس
الصليبيين بخطورة بقاء ممر البقيعه مفتوحا امام جيوش العرب المسلمين منذ وقت
مبكر ،لذا رأى بونز امير طرابلس ان يقوم في سنة ٥١٠ هـ/١١١٦ م ، بتاسيس قلعة
بارين (بارين) عند السفوح الشرقية من جبال العلويين لحماية هذا الممر . كما
عمد جهده للاستيلاء على حصن رفنيه لتامين الطريق نحو امارة طرابلس . لكن هذا
لم يتحقق الا لفترة لاتذكر (٥).

(١) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤٠٧ .
ابن الاثير :- المصدر السابق ج ١١ ص٥١ - ٥٢ .
(٢) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٠ .
(٣) : سيرد الحديث عن منظمتي الداوية والاسبارية فيالفصل الثالث من هذاالباب .
عن حصن الاكراد انظر :
- فولفغانغ مولر فينر : المرجع السابق ص ٧٦
(٤) : عمرالتدمري : المرجع السابق ص ٤٧٣-٤٧٤
فولفغانغ مولر فينر : المرجع السابق ص ٦١
(٥) : عمر التدمري : المرجع السابق ص ٤٧٤ .

ومن الحصون الاخرى في هذه الامارة نذكر : حصن طرابلس وقلعة جبيل - حصن جبيل - حصن العريمه - حصن الطوفان - حصن عكار وغيرها [1] . ومن الطبيعي ان تقام تلك الحصون والقلاع داخل او بالقرب من المدن الساحلية والداخلية لاسيما منها المعرضة للهجمات العربية الاسلامية بكثرة .

ومن مدن امارة طرابلس نذكر : بانياس - المرقب - انطرطوس - طرابلس - جبيل - صافيتا - عرقه - ارتوسيه - بشري - العريمه - الاكمه ... (وغيرها ...) .

وبعد الاسرة التولوزية حكم طرابلس امراء من البيت النورماندي في انطاكيه ، كذلك حكمت أسرة امبرياتشي جنوب الامارة وشمل حكمهم البترون وجبيل وغيرها . هذا بالاضافة الى الداوية والاسبتارية اللتين تسلمتا قلاعاً ومناطق هامة من الامارة وبذلك تعددت جنسيات الحكام فيها في الوقت الذي توزعوا فيه الامارة فيما بينهم .

- الجهاز الاداري : كانت ادارة امارة طرابلس شبيهة بادارة مملكة بيت المقدس . فللكونت (حاكم او امير طرابلس) محكمته العليا ، التي التزم بقواعدها . وتتخذ كبار موظفي بلاطه من الالقاب والوظائف ما اتخذه امثالهم في بيت المقدس .

تولى ادارة المدن ايضا الفيكونتات على النحو المعروف في مملكة بيت المقدس . [2]

وقد يكون قرب امارة طرابلس من مملكة بيت المقدس هو الذي جعل نظمها الادارية شبيهة بها ، هذا بالاضافة الى ارتباط وتبعية امارة طرابلس بمملكة بيت المقدس منذ بداية تأسيسها [3] كان النظام الاقطاعي هو السائد في الامارة وكانت هناك عدة وظائف يقوم بها موظفون من قبل امير طرابلس . واهم هذه الوظائف على الاطلاق كانت وظيفة :

- : الحاجب العسكري ، وهي تشبه وظيفة رئيس الوزارة في هذا العهد . وقد يكون من يشغل هذه الوظيفة من الشخصيات اللامعة احيانا ، ومن الشخصيات العادية

---

(١) : عن موقع واهمية هذه الحصون انظر :
فولفغانغ فينر : المرجع السابق ص ٤٧ - ص ٨٢ - ص ٦٥ - ص ٦٠ ...

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٩٢ .
-: La Monte: op. cit. P.187..202

(٣) : وليم الصوري : المصدر السابق : ج ١ - الكتاب الحادي عشر ص ٥٣٤ .
-: stevensou: op. cit. P. 51.

احيانا اخرى [١]. ولم يكن هذا المنصب وراثيا ،كما يتضح من سابق

- : والى جانب الحاجب العسكري كان هناك مقدم مدني يقوم بادارة الخزانة المالية وجباية الضرائب [٢].

- ومن الوظائف الاخرى ،المقدم العسكري : ويطلق عليه اسم "المقدم كند اسطبل" وكان يتولى قيادة للجيش اثناء غياب امير طرابلس .

- : المارشال: ويلي المقدم كند اسطبل في الرتبة ويعتبر مساعدا له .

- : وهناك ايضا وظيفة الرئيس الاعلى للقضاء ،ويتولى كتابة القوانين التشريعية .

- : وقد استبقى الفرنج الصليبيين في طرابلس وظيفة صاحب الحسبة (المحتسب) كما في بيت المقدس [٣].

ولابد لنا في مجال الحديث عن الادارة ،من ذكر انواع المحاكم التي كانت سائدة في مملكة بيت المقدس والامارات التابعة لها . وذلك لارتباط اعمال تلك المحاكم بالشوءون الادارية والسياسية . فقد وجدت في بيت المقدس انواع من المحاكم اهمها :

ثالثا : انواع المحاكم :

١- المحكمة العليا :

كانت هذه المحكمة في اساسها هيئة قضائية او محكمة للقانون ،ولكن لم يلبث نطاق اختصاصها ان اتسع . فاصبحت بمثابة هيئة تشريعية لابد من موافقتها على اي قانون او تشريع جديد بالمملكة . ثم اخذت هذه المحكمة تتدخل في السياسة العامة للمملكة [٤]. وليس لها مقر ثابت ،بل قد يدعوها الملك للانعقاد ، كلما تيسر له ذلك [٥] .

تألفت المحكمة العليا من كبار المقطعين بالمملكه ،وهم السادة الذين يدينون بالولاء المباشر للملك .

---

(١) : سميح الزين : " تاريخ طرابلس قديما وحديثا منذ اقدم الازمنة حتى عصرنا الحاضر " الطبعة الاولى ١٩٦٩ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) : سميح الزين : المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) : سميح الزين : المرجع السابق ص ١٤٠ .

(٤) : عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣١٩ .

زابو روف : المرجع السابق ص ١٤٣ وما بعد .

(٥) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٨٣ .

امار كبار موظفي الكنيسة فيشهدون المحكمة باعتبارهم حائزين لاقطاعات من الاراضي ،كما ان الجاليات التجارية الذين امتلكوا اراض - كالبنادقة والجنويين - كان لهم ممثلين يحضرون جلسات المحكمة العليا [١]. وكذلك ضمت ممثلين لهيئات الفرسان مثل الاستبارية والداويه . ومن الواضح ان ملك بيت المقدس كان لايستطيع ان يتخذ قرارا سياسيا خطيرا ،دون الرجوع الى رأي جميع الفئات السابقة [٢]. ولكن في حالات خاصة كان ملوك القدس يصدرون احكاما دون اللجوء الى رأي المحكمة العليا [٣]. فقد اجبر الملك عموري الاول (١١٦٢ - ١١٧٤) سنة ٥٥٨ هـ/١١٦٢ م المحكمة العليا على ان تسن قانونا يجيز لاتباع كبار المقطعين الالتجاء الى المحكمة العليا لانصافهم من سادتهم فاذا رفض السيد الاقطاعي الاستجابة لدعوة المحكمة صار لاتباعهم الحق في ان يجعلوا انفسهم في خدمة الملك [٤]. وقد جرت استشارة المحكمة العليا في المسائل الكبرى المرتبطة بالسياسة . وكانت هذه المحكمة هي التي تختار الملوك الذين تعاقبوا على عرش المملكة وكذلك هي التي تختار الوصي على الملك اونائب الملك ، في حالة حداثة السن او الوقوع في الاسر . هذا بالاضافة الى وظيفتها الاساسية وهي محاكمة اعضائها عندما يعتدي احدهم على الاخر . [٥] .

---

(١) : -:la Monte: op. cit. P. 87.... 104
لقد ذكر اسامة بن منقذ منزلة الفرسان عند الافرنج فقال :
" ... ولاعندهم تقدمة ولا منزلة عالية :إلاّ للفرسان ،... فهم اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم " .. انظر .
اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ٨٣ - ٨٤ .
-: Richard: op.cit. P 104.... 112.

(٢) : عاشور : المرجع السابق ص ٣١٩ .

(٣) : ذكر اسامة بن منقذ في المصدر السابق ،ص ٨٤ ،ما يوءيد ذلك بقوله : "... وقد حاكمتهم مرة على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس من الشّعراء وبيننا وبينهم صلح ،وانا اذ ذاك بدمشق . فقلت للملك فلك بنفلك " هذا تعدى علينا واخذ دوابنا ،وهو وقت ولاد الغنم. فولدت وماتت اولادها وردها علينا بعد ان اتلفها " . فقال الملك لستة سبعة من الفرسان " قوموا اعملوا له حكما " فخرجوا من مجلسه واعتزلوا وتشاوروا حتى اتفق رأيهم كلهم على شيء واحد وعادوا الى مجلس الملك . فقالوا " قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم " فامره الملك بالغرامة " .

(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٢ . وكذلك -:Richard: op. cit. P. 70

(٥) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٢ وكذلك -:Paul Deschamps: op. cit. P 6

ومن الملاحظ ان مثل هذه المحاكم وجدت فقط في العصور الوسطى . اما فـي ايامنا هذه فقد اختصت كل محكمة باداء وظيفة معينة ضمن مجال القضاء والقانون . ولهذا يمكن القول بان المحكمة العليا كانت محكمة مختلطة ، اي متعـــددة الاختصاصات . ومايهمنا من اختصاصاتها هوما يتعلق بالسياسة والادارة في مملكـــة بيت المقدس ، فكون الملك لايستطيع البت في قرار دون موافقتها يعني ان الملـــك لم يكن له من السلطة الا ظاهرها . ويمكننا ان نشبه تلك المحكمة بما فيها مـــن اعضاء بالمجلس البرلماني الذي نعرفه اليوم . وبذلك يمكن القول بان الحكـــم في بيت المقدس كان برلمانيا [١] اكثر منه ملكيا .

اما بالنسبة لامارة انطاكيه ، فقد كانت سلطات المحكمة العليا محدودة .وذلك بسبب قوة امير انطاكيه الذي جعل زمام الامور السياسية والادارية والعسكريـــة في يده ،وعمل على كبت أيّة معارضة من جانب كبار نبلائه بقسوة ، وبذلك كـــان اقوى حاكم في الشرق اللاتيني [٢] وكان يسيطر على ادارة مركزية قوية جعلـــت المحكمة العليا لاتتدخل الا في حالة تعيين الوصي ، واذا اقتضت الحاجة ذلك [٣] .

اما في امارتي الرها وطرابلس فقد تمتع حكامها بسلطة اقوى وصلاحية اوسع من ملك بيت المقدس ،ومع ذلك فقد التزما بقوانين المحكمة العليا في كل منهمـــا في اكثر الاحيان [٤].

---

(١) : Richard: op. cit. P. 67 :-

(٢) : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٢ .

(٣) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩٢

(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩١ .

٢- محاكم البرجوازية :

كانت خاصة بنزلاء الفرنج الذين لم ينتموا لفئة النبلاء . وقامت هذه المحاكم بكل المدن الكبرى . وتولى رئاستها دائما فيكونت المدينه . ويوجد بكل محكمة برجوازية اثني عشر محلفا ، يختارهم السيد (الفيكونت) من رعاياه الفرنج الذين ولدوا احرارا . وهم يوءدون اعمال القضاة ، ومن واجباتهم ايضا ان يشهدوا على كل ما يجري بالمحكمة من عقود ووثائق [(١)].

تختلف المحكمة البرجوازية عن المحكمة العليا ، في حرصها على اثبات كل الاجراءات في سجلات . وتنعقد المحكمة البرجوازية بانتظام في ايام الاثنين والاربعاء والجمعة من كل اسبوع ، فيما عدا ايام المواسم والاعياد .

وتنظر المحكمة البرجوازية في الدعاوى التي تقع بين النبلاء والبرجوازيين وذلك لان العادة جرت عندهم بان تنظر في القضية المحكمة التي ينتمي اليها ادنى المتقاضين مكانة [(٢)].

ومن جملة ما اقرته المحكمة من قرارات انها اقرت المحاكمة عن طريق المبارزة او عن طريق الماء . وقد اورد اسامة بن منقذ حادثتين يصف فيهما ذلك ويسخر من محاكمهم غير العادلة واحكامهم اللاواقعية واللامنطقية . حيث يقول : (وشهدت يوما بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة . وكان سبب ذلك ان حرامية من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس . فاتهموا بها رجلا من الفلاحين وقالوا " هو دل الحرامية على الضيعة " فهرب . فنفذ الملك (فولك) فقبض اولاده . فعاد اليه وقال " انصفني " انا ابارز الذي قال عني اني دللت الحرامية على القرية " . فقال الملك لصاحب القرية المقطع " احضر من يبارزه " . فمضى الى قريته وفيها رجل حداد فاخذه وقال له " تبارز " اشفاقا من المقطع على فلاحيه لايُقتَل منهم واحد فتخرب فلاحته . فشاهدت هذا الحدود وهو شاب قوي الا انه قد انقطع ، يمشي ويجلس يطلب ما يشربه ، وذلك الاخر الذي طلب البراز شيخ الا انه قوي النفس يزجر وهو غير محتفل

---

(١) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٨٣
-:Richard: op. cit. P. 113....121.

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٨٥
-:la Moute: op. cit. P. 108- 109

بالمبارزة . فجاء البسكند (الفيكونت) وهو شحنة البلد فأعطى كل واحد منهما العصا والترس ، وجعل الناس حولهم حلقة . والتقيا ... وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم . فطال الامر بينهما والبسكند يستعجلهما وهويقول بالعجلة . ونفع الحداد ادمانه بضرب المطرقه . واعيى ذلك الشيخ فضربه الحداد ،فوقع ،ووقعت عصاه تحت ظهره . فبرك عليه الحداد يدخل اصابعه في عينيه ولايتمكن من كثرة الدم من عينيه . ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله . فطرحوا في رقبته في الوقت حبلا وجروه شنقوه . وجاء صاحب الحداد اعطاه غفارته واركبه خلفه واخذه وانصرف»(1)

اما عن الاختبار بالماء فقد وضحه لنا اسامة بن منقذ حين ذكر كيفية محاكمة رجل متهم بالقتل فقال :

" جلّسوا بتيّة عظيمة وملاوها ماء وعرضوا عليها دف خشب ،وكتفوا ذلك المتهم وربطوا في اكتافه حبلا ورموه في البتيّة - فان كان بريا غاص في الماء فرفعوه بذلك الحبل لايموت في الماء ، وان كان له الذنب ما يغوص في الماء . فحرص ذلك لما رموه ان يغوص ، فماقدر ، فوجب عليه حكمهم ،لعنهم الله ،فكحلوه (اي أعموه) ."(2)

---

(1) : اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٧٧ حتى ص ١٧٩

(2) : اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٧٩

-:la Monte: op. cit. P 105...108

٣- محاكم السكان الوطنيين :

ويتولى رئاستها الرؤساء المحليون ، الذين يعينهم الفيكونت .
ويجري بها تطبيق قانون العرف عندهم [١]. وفي مملكة بيت المقدس تقرر انشاء محكمة المدينة في كل واحدة من المدن الرئيسة ، منذ عهد الملك عموري الاول (أملريك) (٥٥٨ - ٥٧٠ هـ/١١٦٢ - ١١٧٤) والتي يبلغ عددها ثلاثا وثلاثين مدينة .[٢]

تنظر هذه المحاكم في القضايا التجارية ، وتعالج ايضا القضايا العامة ، الجنائية منها ، التي تتعلق بالسكان الوطنيين (من فرنج ومسيحيين شرقيين ومسلمين) ويرأسها نائب يعينه السيد المحلي ،ويساعده ستة محلفون ، اثنان من الفرنج ،واربعة من السكان الوطنيين. ويحلف كل من المتقاضين الوطنيين اليمين على كتابه المقدس ، ويحلف المسلمون على القرآن .[٣] ويذكر سميل نقلا عن المؤرخ الفرنجي جون ايبلين في كتابه ، الطلب التقليدي الذي تقدم به ممثلو الطوائف السورية الى احد ملوك بيت المقدس يلتمسون فيه ان يحكموا فيه وفقا لعاداتهم السائدة في محاكمهم الخاصة ، فاستجيبوا الى طلبهم . وكانت القضايا المتنازع عليها بين السوريين تعالج في محاكم يرأسها قضاء سوريون [٤] وتتولى محكمة المدن ايضا تسجيل عقود البيع ، وهبات الملك وغيرها . ويصح استئناف احكامها الى المحكمة البرجوازية .

آ - وقد اقام الملك عموري الاول محكمة المرفأ في كل المدن الساحلية [٥].

ب - يضاف الى ذلك ما اتخذته الجاليات التجارية (الايطالية والبروفنسالية) من محاكم قنصلية خاصة بها [٦]..

ج - وكذلك كان لكبار المقطعين محاكمهم الخاصة بهم (محاكم البارونات) التي تنظر فيما ينشب من منازعات بين اتباعهم الفرسان . بلغ عددها اثنين وعشرين

---

(١) : Richard: op. cit. P. 122....132 -:
(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٤
(٣) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٥
سميل : المرجع السابق ص ٩٣
(٤) : سميل : المرجع السابق ص ٩٣
(٥) : عن هذه المحكمة انظر :
رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٥
(٦) : انظر حول ذلك :
وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ - الكتاب الثاني عشر ص ٦٠٥ - المعاهدة بين البندقية ومملكة بيت المقدس بشأن حصار مدينة صور .

محكمة . فضلا عن اربع منها خاصة باقطاع الملك .[١]

وكماهو الحال في مملكة بيت المقدس ، كذلك كان الحال في باقي الامارات الفرنجية الصليبية على ارض الشام .

فقد وجدت مثل هذه المحاكم في باقي الامارات .

---

(١) : La Monte: op. cit. P. 108-109

رابعا : تغير حدود المملكة والامارات والعوامل المؤثرة في ذلك .

لم تكن هناك حدود ثابتة للامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام وان حدود الامارات من الشرق بشكل خاص كانت تحددها قوة كل من الطرفين ،فعندما كان الفرنج في دور قوة ، امتدت حدود امارة الرها وامارة انطاكيه حتى ابواب حلب ،واصبحت المناطق التابعة لهم قاب قوسين او ادنى من المدينة ،كما كانت امارة طرابلس تمتد نحو الشرق ، اما مملكة بيت المقدس ،فكانت تعمل على التوسع شمالا وشرقا وجنوبا فكثيرا ما حاولت ضم بانياس والمناطق القريبة منها ،كما انها عملت على التوسع الى ما وراء نهر الاردن فاحتلت منطقة الكرك والشوبك ،وحاولت السيطرة على شمال الجزيرة العربية وعلى الاماكن المقدسة نفسها في الحجاز ، اضافة الى محاولة التوسع باتجاه مصر. ولما بدأت اليقظة العربية الاسلامية انكفأت حدود الامارات ،فقضي على امارة الرها ،وتقلصت امارة انطاكيه الى ماوراء نهر العاصي ،وتراجعت امارة طرابلس ،ووصل الامر بمملكة بيت المقدس ان فقدت كل ممتلكاتها الداخلية تقريبا ،وخسرت عاصمتها بيت المقدس ولم تعد تملك الا شريطا ساحليا قصيرا.[1]

لم تكن سيادة الغزاة الغربيين (الفرنج) في بلاد الشام مكينة ، فقد كانت دولهم عبارة عن امارات صغيرة ضعيفة الترابط فيمابينها . وكانت تمتد شريطا ضيقا بمحاذاة ساحل القسم الشرقي من البحر المتوسط ، مع اتساع قليل الى الداخل في الشمال والجنوب[2]. فقد كانت تلك الامارات اشبه شيء بجزر منعزلة وسط محيط عربي اسلامي مترامي الاطراف.[3] كانت انطاكيه تبعد اكثر من ٣٠٠ كم عن القدس، والرها زهاء ٢٠٠ كم عن انطاكيه.[4] وكانت الحدود الشرقية لهذه الدويلات - المتغيرة باستمرار - تمتد عموما اكثر من الف كيلو مترا[5].

---

(١) : انظر مصور الامارات الصليبية بعد معركة حطين الخريطة رقم ٦ ص ٨٢ ع

(٢) : زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٣

(٣) : عاشور : تاريخ العلاقات ص ٢٢٩.

(٤) : يذكر Setton ان الرها تبعد عن انطاكيه اكثر من ١٦٠ كم انظر :

Setton: op. cit. vol1- P. 369

(٥) : زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٣ - ١٥٤ .

لم تكن الامارات الفرنجية مستقرة الحال ،ولا قوية ... يمنع من ازالتها الا تضعضع القوات العربية الاسلامية وتفرقها وانحلالها آنذاك (١) ثم عدم ادراك الحكام المسلمين والسكان آنذاك لطبيعة وحقيقة المحتلين الجدد ، فقد رأى اهل البلاد فيهم أسيادا جددا حلوا محل الاسياد السابقين ،في زمن اعتادوا فيه على كثرة تعدد الأسياد (٢).

وكذلك فالصليبيون وان استطاعوا احتلال جميع السواحل الشامية ،الا انهم لم يستطيعوا التوغل والتقدم داخل البلاد الشامية . وبقيت القوات الاسلامية تحيط بها من الشمال (سلاجقة الروم ومركزها قونيه) ومن الشرق (قوات السلاجقة والاتابكة في دمشق وحمص ، وحلب وحماه والموصل) ومن الجنوب الدولة الفاطمية . ولم يكن للفرنج جهة خالية من القوات العربية الاسلامية الا الجهة الغربية (سواحل المتوسط) ولذا كانوا يتوجسون خيفة من هذا الوضع الحرج ،ويتوقعون القاء هم في البحر يوماً ما. متى انبعثت وحدة عربية اسلامية . (٣)

---

(١) : يقول ابن القلانسي حول وضع البلاد الاسلامية انذاك :
" وفي هذه السنة (سنة خمس وتسعين واربعمائة)وردت الاخبار . بما أهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد ، وخوف بعضهم من بعض ، لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في احوالهم بالخلف والمحاربة " انظر :
- : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٧ .
- : محمد العروسي المطوي : المرجع السابق ص ٥٨

(٢) : -: Stevenson: op. cit. P. 37

(٣) : محمد العروسي المطوي : المرجع السابق ص ٥٨ .

تعرضت الدويلات الصليبية الى التهديد من قبل جيرانها . فقد هدد الفاطميون مملكة بيت المقدس من الجنوب . وكان يتعين صد هجوم الفاطميين كل سنة تقريبا ،سواء من البر ام من البحر [١] وقد حاول الفرنج الاستيلاء على مصر منذ ان استقرت لهم الامور ،دون جدوى . من ذلك ان غودفري دي بويون - اول حكام دولة الفرنج في بيت المقدس - وضع مشروعا للاستيلاء على مصر. لكنه توفي سنة ٤٩٤ هـ/١١٠٠م قبل ان يبدا في تنفيذ مشروعه [٢].

وعندما خلفه اخوه بلدوين الاول ،خرج سنة ٥١٠هـ/١١١٦م للقيام بحملة استطلاعية .... ثم تقدم الى تنيس على شاطئ بحيرة المنزلة ،حيث مرض وتوفي بالعريش وهو في طريق عودته سنة ١١١٨/٥١٢م [٣] وتكررت المحاولة في زمن عموري الاول اكثر من مرة ثم كانت الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، ثم السابعة بعد ذلك وما صادفهما من الفشل في الاستيلاء عليها.

بالاضافة الى ذلك قامت كل من مملكة بيت المقدس والامارات الثلاث بتحصين حدودها من كافة الجهات بسلسلة من التحصينات من القلاع والحصون والاسوار وغيرها . فقد قامت مملكة بيت المقدس بتحصين حدودها ،فبدأت بالمنطقة الشمالية مكمن الخطر القادم من دمشق فاقامت عددا من القلاع منها/ الشقيف وتبنين وبانياس وصفد وحبيس جلدك وكوكب الهوا وغيرها ... لمراقبة تحركات دمشق ،وشل نشاط قواتها ،واعتراض قوافلها ،وقطع الطرق والمسالك المؤدية اليها [٤]. وفي الجنوب اقامت مملكة بيت المقدس عددا من القلاع أهمها الكرك والشوبك واسكاندليوم ... [٥]. وذلك لمنع اتصال القاهرة بدمشق خشية إقامة الوحدة بينهما بالاضافة الى السيطرة على منطقة ما وراء نهر الاردن الخصيبة والوافرة الخيرات والمنتجات [٦].

---

(١) : زابوروف / المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٢) : عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك - طبعة عام ١٩٧٢ - ص ٩-١٠
- Setton: Op. cit. vol 1 - p. 379.

(٣) : وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الحادي عشر ص ٥٦٦ وما بعد .

(٤) : لقد سبق ذكر هذه القلاع اثناء الحديث عن تشييد المعاقل والحصون في مملكة بيت المقدس في هذا الفصل .

(٥) : سبق ذكر هذه القلاع في هذا الفصل كذلك .
انظر وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر ص ٥٦٠ وكذلك ص٥٦٨
رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٣٦٧ .

(٦) : ابن جبير : " رحلة ابن جبير" المصدر السابق ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

وكذلك كان حال باقي الامارات التي كان اول عمل يتوجب على الصليبيين بعد بسط سيطرتهم عليها هو تحصينها واقامة القلاع فيها وترميم القلاع القديمة الموجودة. فقد كانت القلعة او الحصن في ذلك الزمن هي الملجأ الامين، والسلاح القوي بيد الحاكم، فلا تعد سيطرته على بلد كاملة ما لم يسيطر على قلعة ذلك البلد. وكذلك عمل الفرنج على الاقامة في المدن المسورة لمناعتها التي تفوق مناعة المدن العادية. ولم يكن شأن هذه القلاع والمدن المسورة حمايتهم ومواشيهم فحسب، بل كانت تمكنهم من وضع خصومهم تحت رقابتهم المستمرة. كما كانت القلعة مركز القيادة والادارة والهجوم والدفاع والحماية. وبذلك كانت مفتاح السيطرة والنفوذ والقوة. وكانت تسلم كل قلعة الى احد الفرسان القادة لادارتها.

ولم يكن بناء القلاع الجديدة وترميم القديمة يتم عشوائيا، وانما كانت هناك سلسلة من الحصون والقلاع، تحرس بعضها بعضا على طول الشريط الذي كان يسيطر عليه الفرنج. اعتبارا من سواحل البحر الاحمر وحتى ضفاف نهر الفرات.

وانتشرت قلاع الفرنج في شتى الارجاء على امتداد السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وفي الاراضي الداخلية المتاخمة لحوضه الشرقي [(١)].. وكانت القلعة تقام في مكان مرتفع فوق جبل او هضبة او تلة، من اجل تبادل الشارات النارية ليلا لطلب النجدة اوالمعونة او التحذير بحسب الاتفاق المسبق [(٢)]. كما ان موقعها المرتفع يكشف لها المنطقة المحيطة باسرها ويضعها تحت رقابتها. هذا من جهة ومن جهة اخرى صعوبة وصول الاعداء اليها ساعة المعركة. ولذلك كان من شروط الهدنه بين الطرفين (العربي الاسلامي والفرنجي الصليبي) عدم بناء حصن اوقلعة خلال مدة الهدنه [(٣)].

---

(١) : فولفغانغ مولر فينر : المرجع السابق ص ٩

(٢) : يوسف درويش غوانمة : المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) : الاصفهاني : " البرق الشامي " تحقيق مصطفى الحياري ط١ ١٩٨٧ - الاردن ج ٣ ص ١١٢.
البنداري : " سنا البرق الشامي " تحقيق رمضان ششن - القسم الاول ط١ ١٩٧١ - دار الكتاب الجديد - بيروت - ص ٣١٣ - وكذلك ص ٣٣٣ - ٣٣٧
ابن واصل : " مفرج الكروب في اخبار بني ايوب " تحقيق جمال الدين الشيال - القاهره ١٩٥٧ - ج ٢ ص ٧٢.
ابن كثير : " البداية والنهاية " الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٧ - ج١٢ - ص٣٠٠.

ومن الحصون التي بناها الفرنج خلال مدة الهدنه حصن بيت الاحزان الـذي خربه صلاح الدين وسواه بالارض [١].

بني هذا الحصن زمن الملك بلدوين (الرابع) (٥٧٠-٥٧٩ هـ/١١٧٤-١١٨٣م) وبعد الانتهاء من بنائه سلمه الى فرسان الداوية ، الذين قاموا بشحنه بالرجال والسلاح والموءن ، بما يكفي من فيه عدة سنين [٢]. وكان تقدير عدد المقاتلة الذين في الحصن ثمانين فارسا بغلمانهم ،وخمسة عشر مقدما للرجالة مع كل مقدم خمسون رجلا ، اضافة الى الصناع من بناء ومعمار وحداد ونجار وسيوفي وصناع انواع الاسلحة الاخرى ،وما يزيد على مائة اسير من اسرى المسلمين لدى الفرنج [٣](لاستعمالهم في اعمال البناء والسخرة والاعمال الوضيعة) ، مما يدل على الاستعداد لعمليات هجومية على دمشق وما يجاورها من البلاد ، ومقاومة اي حصار مدة طويلة من الزمن .

هذا مثال علىما يشحن به حصن في موقع هام ،قريب من مناطق الحدود مع الطرف المعادي . وهكذا كانت حال اكثر الحصون التي بنيت في مواقع استراتيجية هامة وخطرة . ومن هنا ندرك دور الحصن والقلعة في تلك العصور [٤].

---

(١) : الاصفهاني المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٤
وقال (السلطان صلاح الدين) : لا ابرح حتى اهدم الموضع من اساسه .. "
- وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب الحادي والعشرون ص ١٠١٥.
- ابن واصل : المصدر السابق ج ٢ - ص ٨٠
- ابن كثير : المصدر السابق ج ١٢ - ص ٣٠٣ . / الحنبلي : "شفاء القلوب في مناقب بني أيوب" تحقيق ناظم رشيد - العراق ١٩٧٨ - ص ٩٦
(٢) : وليم الصوري : المصدر السابق - ج ٢- الكتاب الحادي والعشرون - ص ١٠١٥.
ابو شامة : المصدر السابق ج ٣ - ص ١٣
(٣) : ابو شامه : المصدر السابق ج ٢ - ص ١٣ / مصطفى الحياري : مقال بعنوان "حصن بيت الأحزان" مجلة البحث العلمي - الجامعة الأردنية .
(٤) : انظر :
محمد فريد ابو حديد : " صلاح الدين الايوبي وعصره " دار الهلال . ص ٥٥ .

بالاضافة الى الاكثار من بناء القلاع والحصون لحماية حدود الدويلات الفرنجية وتقويتها ،عمل حكام الفرنج على مهادنة المسلمين وعقد الاتفاقيات والمعاهدات معهم ،منذ بداية استقرارهم على ارض المشرق العربي . فقد عمل ملوك القدس على مهادنة حكام دمشق للتفرغ الى الاهتمام بالامور الداخلية والخارجية الاخرى للمملكة . فقد تم عقد هدنة بين الملك بلدوين الاول وظهير الدين طغتكين - اتابك دمشق سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٨ م ذكرها ابن القلانسي بقوله : " وفيها ترددت رسل الملك بغدوين (بلدوين الاول) الى ظهير الدين(طغتكين اتابك دمشق) في التماس المهادنة والموادعة ،فاستقر الامر بينهما ،على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثا : للاتراك الثلث ، وللافرنج والفلاحين الثلثان ، فانعقد الامر على هذه القضية ،وكتب الشرط على هذه النية ".[1] .

وقد استمر الوضع كذلك حتى معركة حطين [2] كما ان القارىء لتاريخ الحروب الصليبية يلاحظ كثرة الهدن والمعاهدات المعقودة بين الطرفين[3] وخاصة منذ ظهور صلاح الدين ، كما يلاحظ ايضا كثرة نكث العهد ونقض الهدنة من

---

(١) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٤

ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ - ص ٤٦٧

سبط بن الجوزي:" مرآة الزمان " مخطوط بمجمع اللغة العربية ج٨- ص ٥١٧

الذهبي : المصدر السابق ج ٢ - ص ٣١

عاشور : الظاهر بيبرس - ص ١١

- Coskun Alpteki :«Dimask Atabegligi_Tog-Teginliler» Istanbul 1985.P. 34-35

(٢) : يوسف غوانمه : المرجع السابق ص ٦٣ - ٦٤

(٣) : نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ص و - ز وكذلك ص ١٧ وغيرها .

قبل الفرنج الصليبين [١] ، وهذا دليل على عدم استقرار قوة الفرنج فمتى شعروا بضعفهم طالبوا بتجديد الهدنه ،ومتى احسوا بقوتهم ،بوصول نجدة برية او بحرية ،سرعان ما ينقضون العهد ويشنون الحرب من جديد • وهكذا بذلوا كل ما في وسعهم من اجل توسيع حدودهم وتقوية اماراتهم وكانوا يستخدمون كافة السبل من اجل ذلك • اضافة الى تشييد القلاع وعقد الهدن كانوا يحرّضون الحكام المسلمين بعضهم على بعض ،فيحالفون واحدا ضد الاخر ....لكن ذلك كله لم يجدهم نفعا عندما فاق العرب المسلمون من غفلتهم وتنبهوا الى حقيقة غزاتهم • فبدأت مرحلة ثانية في تاريخ الحروب الصليبية هي مرحلة التحرير والاسترداد التي بدأت مع مودود حاكم الموصل وتوجها صلاح الدين بمعركة حطين [٢] ، وانتهت مع الظاهر بيبرس • بالجلاء التام للفرنج عن ارض المشرق العربي الاسلامي •

ويمكن تحديد عوامل التفوق العربي الاسلامي والتي ادت الى تقليص حدود الامارات ومن ثم الى اجلاء الفرنج الصليبيين ، الى عوامل داخلية خاصة بالعرب المسلمين ، وعوامل خارجية تتعلق بالفرنج انفسهم :

---

(١) : ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٥٤٥ وكذلك ص ٦٢٨ /ج ٣ ص ٨٥٦ وغيرها •
ابو شامه : المصدر السابق ج ١ ص ٧٢ وكذلك ١٠٣ ، وغيرها •
ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٨٤ •
ابن القلانسي: المصدر السابق ص ٢٧٧ – ٣٧٥ – ٤١٤
ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " تحقيق جمال الدين الشيال الطبعة الاولى ١٩٦٤ – الدار المصرية للتاليف والترجمة ص ٩٨ •
الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٦٠٤ حيث يقول :
" وهؤلاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنه ،بذلوا وسعهم في استفراغ المكنة واستنفاد المنة ،وأبوا في الاقبال على دينهم قبول الدنية • على ان الفرنج لايفون ،وعلى عهدهم لايقفون " •
ابن نظيف الحموي : تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ،او " التاريخ المنصوري " تحقيق ابوالعيد دودو – مطبعة الحجاز بدمشق ١٩٨٢م – ص ٧٣ •

(٢) : الاصفهاني : البرق الشامي- مخطوط -الجزء السادس ص ٦١ حتى ٦٣
_Setton: op. Cit. Vol 1_P 590

ومن العوامل الخارجية :

أ - انقسام الدولة الفرنجية اللاتينية الى اربع وحدات سياسية هي مملكة القدس ،وامارة الرها ،وامارة انطاكيه ،وامارة طرابلس . وبالتالي حكمها من قبل اربع حكام بدلا من حاكم واحد ،كان هذا عائقا هاما في طريق تقدمها وربط اقسامها . واذا ما ذكرنا ان سكان هذه الوحدات تالفوا من عناصر مختلفة ،وان امورها كانت في ايدي زعماء متنازعين ... ادركنا كم كان في هذا وذاك من اسباب داعية للتنافر والتباغض [1] فقد اكلت الغيرة قلوب بعض قوادهم ، فتناحروا ،وتصارعوا ،وبعضهم حالف المسلمين ضد بعضهم الاخر .. هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اصول وانساب حكام الامارات الفرنجية ليست واحدة ،فحكام الرها والقدس يمتان بالنسب الى البرجنديين [2] بينما كان حكام انطاكيه نورمانيبي الاصل ،وحكام طرابلس بروفنسالبي الدم .

ثم ان الخلاف الذي نشب بين الزعماء المؤسسين ، انتقل لمنجاء بعدهم ،فكان ذلك سببا رئيسا في فشلهم وعدم تعاونهم ،وهم في احرج الاوقات من تاريخهم .

كما كان تقسيم الغنيمة وتوزيع الاقطاعات والوظائف يؤديان الى مخاصمات لانهاية لها بينهم . فالاعتبارات المتعلقة بالمنافع السياسية اوالعسكرية اوالاقتصادية كانت دائما تتغلب على الدوافع الدينية . لذا كان بعض الامراء الفرنج مستعدين للتحالف مع العرب المسلمين اذا اقتضت المصالح الدبلوماسية والعسكرية ذلك .[3]

ب - قلة عدد المقيمين من الفرنج الصليبيين في بلاد الشام بالنسبة الى سكانها من العرب المسلمين وغيرهم [4]. صحيح ان الاساطيل الغربية ،كانت تجلب باستمرار الحجاج والمقاتلين من الغرب ،ولكن الذين كانوا يستطيعون القيام بدور فعال في المشرق العربي الاسلامي قلة ، بسبب العوائق الكثيرة التي كانوا يصادفونها

---

(١) : حول المنازعات التي جرت بين زعماء الفرنج منذ بداية وصولهم الى ارض الشام انظر :
وليم الصوري : المصدر السابق ج - الكتاب الثالث ص ٤٦٣- الكتاب الخامس ص ٣٢٠ - الكتاب التاسع ص ٤٤٩ وكذلك ص ٤٦٨ .
زكي النقاش : المرجع السابق - ص ٣١ .

(٢) : نسبة الى برجنديا ،مقاطعة في فرنسا .

(٣) : زابوروف : المرجع السابق : ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٤) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٢ .

في طريقهم وبعد وصولهم (١) . فالازمة الشديدة التي عاناها الفرنج في بلاد الشام لم تكن بسبب ندرة الطعام والزاد ، وانما كانت في حقيقة امرها ازمة في المقاتلين والرجال . ذلك ان الصليبيين لم يوءسسوا ماأسسوه من امارات الا بعد ان ضحوا بعدد كبير من رجالهم ، حتى اصيبوا بنقص كبير في الفرسان في الوقت الذي كان بقاوءهم في الشرق يتوقف على القتال والحرب (٢) ولعل خير دليل على افتقار الفرنج في الدور الاول من تاريخهم بالشام الى الرجال ، انه حدث عندما اسر بنو الدانشمند من السلاجقة بوهيموند اميرانطاكيه سنة ٤٩٣/١١٠٠ م لم يجد اتباعه في انطاكيه بينهم فارسا يستطيع النهوض بعبء الدفاع عن الامارة ، فاستنجدوا بابن اخته تنكرد الذي كان عليه ان يختار بين اقليمه الذي كان يحكمه وهو الجليل ، وبين انطاكيه (٣) . ولم يكد تنكرد ينتقل الى انطاكيه حتى اصيب الفرنج في الجليل بخيبة امل كبيرة ، واحسوا انهم حرموا جهودرجل لن يجدوا له عوضا بسهولة (٤) . وقد اضطروا بسبب اتساع مساحة الاراضي التي سيطروا عليها في الشام ، بالنسبة الى عددهم القليل ان يستعينوا بالمسيحيين الشرقيين ، وهذا ما فعله غودفري وبلدوين من بعده لاعادة تعمير بيت المقدس بالسكان بحيث اخذ يغري المسيحيين المحليين من مختلف الطوائف ومختلف الاماكن ، لاسيما من كان منهم في شرقي الاردن وحوران .. حتى اكتظت بيت المقدس بأعداد من الارثوذكس والارمن (٥) . وهذا موءشر على خطورة الوضع الذي اضحت فيه الامارات الصليبية ، لان عدد المدافعين كان لايتناسب اطلاقا مع اتساع الممتلكات الصليبية (٦) .

---

(١) : - Grousset: Hist des Croisades vol 1 - p. 218-219.
فقد تعرضت تلك الاساطيل لغارات البحرية العربية الاسلامية في شمال افريقيا ، واذا وصل الحجاج سالمين الى يافا ، فانهم كانوا لايسلمون في كثير من الحالات من غارات البدو فيما بين يافا وبيت المقدس ، بحيث لايصل منهم في النهاية الى المستعمرات الصليبية الا قلة قليلة .

(٢) : - Stevenson : Op. cit. p.39.

(٣) : - Stevenson : Op. cit. p 74

(٤) : - Setton: Op. cit. vol 1 - p 382.

(٥) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الحادي عشر - ص٥٦١ .

(٦) : - Grousset: L'Empire du Levant, p. 198-199

ج - واذا اضفنا الى هذا وذاك ، ما كان بين الفرنج وبين الروم البيزنطيين من المشاحنات والذي كان له ابعد الاثر وسوء العاقبة .[١] ولذلك فقد اعقب الفوز السريع الذي حققه الفرنج في الحملة الصليبية الاولى بوقت قصير ، وقت اطول اضاعوه في المشاحنات والمنازعات ، استفاد منه العرب المسلمون باستعادة نشاطهم واسترداد وحدتهم [٢]. وبدلا من ان يوحد الطرفان البيزنطي والفرنجي الصليبي جهودهما ضد عدوهما المشترك نراهم يختلفون منذ بداية الطريق . فقد بدأ التذمر والغضب من تصرف الامبراطور منذ سقوط نيقيه عاصمة سلاجقة الروم [٣] وازدادت المسألة حدة وخطورة بعد انفراد بوهيموند بعرش امارة انطاكيه بدلا من تسليمها الى الامبراطور البيزنطي بحسب الاتفاق المعقود بين الطرفين [٤].

د - سوء الاوضاع الداخلية التي كانت سائدة في الامارات الاربعة . فلو اخذنا مملكة بيت المقدس مثلا ،ودرسنا مكانة الملك فيها من قبل اتباعه " البارونات" لوجدناه بحكم القانون كاحدهم . وان كان من شيء يميزه عنهم ،فهو اجماعهم على اختياره رئيسا عليهم . كما كان الحال مع غودفري وبلدوين الاول . لكن اعتلاء العرش ما لبث ان اصبح وراثيا ،فكان للمجلس الاعلى (المحكمة العليا) ان يتدخل فيما كان يقع من اختلاف على وراثته . وليس هذا فقط ، بل كان هذا النظام يسوغ التوريث اذا كان انثى ان تنقل التاج الى زوجها .

وقد زاد ذلك في اسباب الخلاف وادى الى سوء احوال المملكة سياسيا [٥]. ولذلك لايستبعد ان تكون هذه الحقيقة وما نتج عنها من الاختلافات والمنازعات من اهم الاسباب التي ادت الى هزيمة حطين وتقلص مساحة مملكة بيت المقدس اللاتينية الى اقل من النصف سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م [٦].

---

(١) : انا كومينينا : المصدر السابق ج ١ ص ١١١ وما بعد .
وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب الثالث - ص ٢٤٦ - الكتاب الرابع ص ٢٩٦ .
جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ١١١ ومابعد .

(٢) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٢

(٣) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الثالث ص ٢٤٦ .

(٤) : اناكومينينا : المصدر السابق ج ١ - ص١٤٠ وكذلك ص ١٥١ .
عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨٨ حتى ص ١٩٠ .

(٥) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٢-٣٣ .

(٦) : ارنست باركر : المرجع السابق ص ٥٥ .

واذا التفتنا الى النظام العسكري في مملكة بيت المقدس [illegible] الملك منه كخطه من نظام الحكم ،اذ كان عليه ان يدفع للمجندين من اصحاب الاقطاعات جعلا، وان يقدم لهم الخيول ايضا،والا استنكفوا عن القتال ،و اضربوا عن اللحاق به في الغارات والمعارك .

وكان هناك غير هوءلاء من الفِرَقْ ،كجماعة المرتزقة الذين يتقاضون من الملك اعطيات معينة [1]. وكذلك التركبولية ،والمشاة ،وبالاضافة لهم كانت هناك منظمتي الاستبارية والداوية وفرسانهم . وكان هوءلاء جميعهم يرجعون الى روءسائهم المستقلين بامورهم كاستقلال اميري انطاكيه وطرابلس [2]. ثم ان مجموع هذه الفرق كلها ،لم يكن ليزيد عن ٢٥ الف (خمسة وعشرين الفا) بل لعل قوة المملكة كانت تستند في الدفاع عن المدن ،الى الحصون والقلاع التي بناها الاستبارية والداوية ، وغيرهم اكثر منها الى قوة الجيش وفرقه [3].

ثم ان اكبر خلل في نظام الدولة والذي كان الملك والحكومة يعانيان من جرائه الامرين ،هو فقدانها نظاما ماليا ثابتا . اذ مع ان دخل الملك كان ضخما [4] غير ان مصاريفه كانت ضخمة ايضا الى حد يرزح معه تحت عبئها ،بالرغم مما كان يتناوله من مساعدات مالية يقدمها له ملوك اوربه ،بدلا من اشتراكهم في " الحملات الصليبية او الصليبيات " ومما كان يغنمه هو من الغزوات التي كان يشنها على بلاد العرب المسلمين في الشام ومصر .[5]

ومما يسترعي الانتباه هنا هو الكنيسة التي فازت بنصيب الاسد ،اذ انها ربحت كثيرا ولم تفقد سوى القليل .[6]

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق ـ ج ٢ ـ الكتاب السابع عشر ـ ص ٨١٢ حيث يقول في حصار عسقلان سنة ٥٤٨هـ /١١٥٣ م :
" استمر الحصار لمدة شهرين دون تغيير ،وحدث العبور المالوف في حوالي عيد الفصح حيث جلب اعدادا كبيرة من الحجاج الى هناك ،وارسل المسيحيون بعد تداولهم مع بعضهم بعضا رسلا من الجيش يحظرون بامر الملك على جميع البحارة والحجاج ... ووجهت الدعوة للجميع على اساس دفع الاجور للمشاركة في الحصار .. " .
ـ : سميل : المرجع السابق ص ١٥٥ حتى ص ١٥٧ .

(٢) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٣

(٣) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٤.

(٤) : زابوروف : المرجع السابق ص ١٤١
عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٤٦٧ .

(٥) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٤

(٦) : عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٤٧١ .

وقد تميزت الاديرة والكنائس التي اقامها الصليبيون بالشام بوفرة ثروتها واتساع املاكها التي تقتصر على بلاه الشام ،بل امتدت الى القارة الاوروبية نفسها . عدا الهبات والهدايا التي انهالت عليهم [1]. ويكفي ان نعرف ان احد تلك الاديرة ـ وهو دير جبل صهيون في بيت المقدس ـ امتلك سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م حيا باكمله في مدينة القدس ذاتها مع تمتعه بحق فتح بوابة في اسوار المدينة . وكانت لذلك الدير ايضا ممتلكات واراضي وبساتين واسواق في عسقلان ويافا ونابلس وقيساريه وعكاوصور وانطاكيه وقيليقيه . بل ان بعض الخيّرين من حجاج بيت المقدس وهبوا ذلك الدير بعد عودتهم الى اوروبا ضياعا واملاكا فصارت له ممتلكات في صقليه وايطاليا فضلا عن فرنسا .[2] وبقيت الكنيسة تستملك الاراضي الجديدة ،مع رفضها المساهمة في الدفاع عن المملكة ،مع انها كانت تتقاضى حصتها كاملة من العشر عن كل دخل تصل اليه يدها ،ولو كان ذلك من غنائم الحرب [3]. ويبدو ان تلك الثروة الطائلة التي تمتعت بها الموءسسات الدينية ،اثارت حقد النبلاء في بلاد الشام ، لاسيما وان ممتلكات الكنيسة معفاة من الضرائب ، كما ان رجالها معفين من الخدمة العسكرية ،مما جعل النبلاء والفرسان يشعرون ان الكنيسة ورجالها يتضخمون على حسابهم ويجمعون الثروات والاموال ، في الوقت الذي يتحملون هم فيه المغارم وعبء الدفاع عن الكيان الصليبي باجمعه في بلاد الشام .[4]

وبذلك اسهمت الكنيسة بطريقة غير مباشرة في تقويض دعائم الدولة الفرنجية باجمعها .[5]

وقد شهدت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية عديدا من الهيئات الدينية ، اهم ما يعنينا منها هيئات الفرسان وبخاصة الداوية والاستبارية .[6] اللتين نمتا نموا سريعا في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ،وازدادت املاكهما عن طريق الهدايا والهبات والغزو والنهب ،حتى صارتا على درجة خطيرة من القوة والثروة

---

(١) : عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣٢٢

(٢) : Thompson: op. cit. p. 406.

(٣) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٤-٣٥٦ .

(٤) : عاشور : المرجع السابق ص ٣٢٣ .

(٥) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٥ .

(٦) : سيرد الحديث عن هاتين المنظمتين في الفصل الثالث من هذا الباب .

واتساع النفوذ .(١) وصارتا بمثابة دولة داخل الدولة في الكيان الصليبي ولايخفى معنى ذلك وتاثيره على ادارة وسياسة امور المملكة والامارات الفرنجية .

- : كذلك لم يكن النظام القضائي في مملكة بيت المقدس والامارات الاخرى باقل تعقيدا ،وبالتالي اضرارا فيها .

- : ولعله من المفيد هنا انذكر ان الدويلات الفرنجية في الشرق ،لم تكن تشكو النقص في الجهاز الحكومي فحسب ،بل كانت تعاني تدهورا في الاخلاق ايضا .(٢) .

هـ : ويمكننا ان نضيف الى تلك العوامل ،،عاملا هاما اخر ،كان سببا في انهيار الكيان الصليبي فيبلاد الشام ،هوالدويلات التجارية الايطالية (كالبندقية وجنوه وبيزا وغيرها) . فكما اسهمت هذه الدويلات منذ البداية في مساعدة الفرنج الصليبيين فيالاستيلاء على بلدانالمشرق العربي الاسلامي ،واقامة الكيان الفرنجي الصليبي علىارضه ،وترسيخ دعائمه ، فقد اسهمت كذلك في تقويض تلك الدعائم ،بسبب التنافس والتناحر بين بعضها البعض . ذلك التنافس الذي ادى الى انحراف حملة صليبية فرنجية كاملة (الحملة الصليبية الرابعة) عن وجهتها . فقد حول البنادقة تلك الحملة الى القسطنطينية بدلا من مصر لاسباب هامة منها واهمها : الثار من الجنوية اصحابالعلاقة الطيبة مع القسطنطينيين .(٣)

لم تكن العلاقات بين بيزا وجنوه والبندقيه ،على صفاء مطلقا بسبب التنافس التجاري وتضارب المصالح ،وقد انتقلت هذه الخصومات من ايطاليا الى بلاد الشام ، حيث اشتد النزاع بينالدويلات الثلاث .(٤) .

---

(١) : _ Grousset: L'Empire du Levant p 291-292.

(٢) : اسامه بن منقذ : المصدر السابق ص ١٦٩ وما بعد .
وهو يتحدث عن قصص طريقة تحكي وتصف اخلاقهم . فهو يقول مثلا : لانخوة عندهم - ليس عندهم غيرة جنسية ....
- : العماد الاصفهاني : " الفتح القسي في الفتح القدسي " ص ٣٤٧ .
وهو يتحدث عنوصول مركب فيه ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنه .... قد اجتمعن من الجزائر وانتدبن للجرائر .... " وذلك من اجل تقديم انفسهن للفرنج الصليبيين في الشرق .
- : ابن واصل : المصدر السابق ج ٢ - ص ٣٠٨ .

(٣) : - : ابن واصل : المصدر السابق ج ٣ - طبعة عام ١٩٦٠ - ص ١٦٠ - ١٦١ .
- Ostrogorsky: op.cit.p.48-. - Setton: op.cit vol 2.p.153.

(٤) : عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٥ .
رنسيمان : المرجع السابق ج ٣ ص ١٩٥ وما بعدها .

فقد دارت معظم الخلافات بين الفرنج بسبب التشاحن بين الجاليات والمستعمرات التجارية الايطالية في بلاد الشام ، التي غدت بعد انحلال هذه المملكة ليس لها همّ الا رعاية مصالحها الخاصة لاسيما في المجال التجاري • ثم ان عدم وجود سلطة عليا تشرف على مصالح الفرنج جميعا بالشام ،جعل المستعمرات الايطالية في الشرق تتحول الى قومونات مستقلة عمليا لاتتبع كل منها الا المدينة الام في ايطاليا • سواء كانت هذه الام بيزا او جنوه او البندقيه او غيرها • ولم يلبث امراء الصليبيين بالشام ان استعانوا بتلك المستعمرات الايطالية في منازعاتهم مع بعضهم البعض • هذا الى ان التجار الايطاليين في تلك المستعمرات لم يكن يهمهم الغرض الصليبي كثيرا بقدر ما يعنيهم تحقيق مكاسبهم التجارية ،لذلك فانهم لم يتحمسوا عندئذ لحرب يشنّها الصليبيون العرب على المسلمين ،حرصا على انتظام العلاقات التجارية فيما بينهم ، وبين العالم العربي الاسلامي • ولم تلبث كل جمهورية من جمهوريات ايطاليا التجارية ان عيّنت لها منذ اواخر القرن الثاني عشر قنصلا عاما في بلاد الشام يرعى مصالحها ومصالح رعاياها • مما جعل المستعمرات الايطالية في الشرق تصبح عاملا قويا من عوامل تفكك الصليبيين في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي [1]• من ذلك ما نسمعه من حدوث اشتباكات في شوارع عكا سنة ٦١٩ هـ /١٢٢٢ م بين البيازنه والجنويه ، الامر الذي جعل البيازنه يشعلون النار في حي الجنويه • ثم لم تلبث ان تجددت الحرب بين الفريقين مرة اخرى سنة ٦٤٧هـ /١٢٤٩ م واستمر القتال دائرا نحو شهر •[2] ولم ينته التنافس والتصارع بين تلك الدويلات الايطالية التجارية • الا بسقوط اخر معاقل الفرنج في الشرق سنة ٦٩٠هـ /١٢٩١ م بيد المسلمين•

تلك كانت بعض العوامل الداخلية التي كانت تنخر في جسم الدولة اللاتينية الصليبية ،وتؤدي الى تقلص حدودها شيئا فشيئا ، منذ سقوط الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤، الى معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧ ، الى الطرد النهائي والجلاء سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م•

---

(١) : عاشور : المرجع السابق ج ٢ – ص ١٠٥٣ – ١٠٥٤•
– : زيتون : " العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى " الطبعة الاولى – دار دمشق ١٩٨٠ ص ١٨٨ و ١٩٢ •
– الباز العريني: " مصر في عصر الايوبيين " مطبعة الكيلاني الصغير ١٩٦٠ ص ٢٠٤•
_ Heyd : "Histoire du Commerce du Levant au moyen ages" Leipzig-1923, Vol 2 - P. 432.

(٢) : عاشور : المرجع السابق ج ٢ – ص ١٠٥٤ •

وفي الوقت الذي كانت هذه العوامل تفت في عضد هذا الكيان الفرنجي (المملكة والامارات) كان الوضع في بلاد الشام يسير الى الافضل . من ذلك ان هجوم العرب المسلمين المعاكس على الفرنج الصليبيين والذي بدأ منذ وقت مبكر [١]. لم يؤت اكله الا زمن عماد الدين وابنه من بعده . ثم صلاح الدين الذي اقترن اسمه بمعركة حطين .

فمثلا معركة حران التي سبق ذكرها [٢] والتي هزم فيها بوهيموند وتنكرد، وأسر فيها بلدوين دي بورغ - امير الرها - وقريبه جوسلين حاكم تل باشر . ترتبت عليها نتائج هامة لكلا الطرفين .

فقد اوقفت هذه المعركة تقدم الصليبيين وتوسعهم جهة الشرق على حساب المسلمين. وكما ان الحاميات الفرنجية الموجودة في البارة وكفر طاب ومعرة النعمان ولطمين ، لم تلبث ان انسحبت ولاذت بالفرار الى انطاكيه .

وبذلك انكمشت حدود امارة انطاكية الى القويق وبحيرة العمق . بعد ان كانت تلك الحدود قد قاربت مشارف حلب ذاتها . [٣] كما استرد المسلمون الكثير من المدن والقلاع دون جهد او عناء بعد تلك المعركة [٤]. اما امارة الرها ،فتعرضت لكثير من المتاعب الداخلية ، خصوصا من جانب الارمن (رعايا الرها) ...[٥]

وبذلك كانت هزيمة حران هي اولى المعارك التي ادت الى انكماش حدود تلك الامارات الفرنجية . ولاننسى المعارك الاخرى كساحة الدم [٦]. وغيرها.

---

(١) : _Stevenson: op. cit. p. 87.

(٢) : عن معركة حران انظر صفحة ٧٥ من هذا البحث الحاشية رقم (٨) وانظر كذلك :

(٣) : ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ٥١٣ ،حيث يقول :
"ولم يبق بايدي الفرنج غير الجبل وهاب وحصون المعرة وكفر طاب وصوران"
هاب : قلعة عظيمة من العواصم - صوران : ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال انها علم مرتجل فوضعها مرة في كورة حمص وقال انها جبل وقال مرة اخرى انها قرب دابق:
ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٣٣ .

(٤) : _Stevenson: op. cit: p.78

(٥) : عن اثر ونتائج معركة حران على امارة الرها انظر :
عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٣٢ .

(٦) : ورد ذكر هذه المعركة في الصفحة ٨٤ من هذا الفصل - حاشية رقم (٥) .

ولكن على الرغم من ذلك نقول ان الصحوة الحقيقية بدأت بمحاولات مودود امير الموصل ، الذي شن عدة حملات (٥٠٣هـ/١١١٠،٥٠٤هـ/١١١١م،٥٠٥ هـ/١١١٢م)[١] ضد الفرنج الصليبيين . ولكن اغتيال مودود المبكر ادى الى ضياع ثمرات اعماله . وكذلك اثمر الجهاد ضد الفرنج زمن عماد الدين زنكي(٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧ - ١١٤٦م) فكان على يديه تخليص الرها من براثن الفرنج سنة ٥٣٩/١١٤٤م[٢].

كان مصدر اليقظة العربية الاسلامية ،في الجزيرة العليا ،من ارض مابين النهرين، حيث تبلورت فكرة الجهاد والاستشهاد في سبيل استرجاع البلاد الشامية من مغتصبيها[٣] وصل المد الصليبي (مد الاحتلال الصليبي) الى اقصى اتساعه سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م ثم اخذ هذا المد بالتراجع ،وبدأت حرب التحرير والاسترداد . وانتقل المسلمون من حال الدفاع الى حال الهجوم ،وبات شاغل الفرنج الاساسي هو الاحتفاظ بما احتلوه . وقد مرّت حرب الاسترداد باربع مراحل ، ارتبطت كل منها باسم مدينة من مدن العرب تحملت عبء المسوءولية العظمى لقيادة اعمال التحرير. كما ان كل مرحلة من المراحل كان لها مزاياها وخصائصها ،وهذه المراحل هي : مرحلة الموصل - مرحلة حلب - مرحلة دمشق- مرحلة القاهرة .[٤]

اراد الفرنج احتلال مدينة حلب لسد الثغرة بين الرها وانطاكيه ،ولعزل الشام عن المشرق.بعدما تم عزله اليحد بعيد عن مصر ،ليسهل بعد ذلك الاطباق عليه واحتلاله . لكن مدينة حلب نجت ودخلت في وحدة طوعية مع الموصل ،وهكذا توحد شمال بلاد الشام مع اعالي بلاد الرافدين تحت قيادة البرسقي.[٥] ووجهت طاقات العرب المسلمين ضد الفرنج الصليبيين .

لكن اغتيال البرسقي في الموصل سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م[٦] بعد عامين من انقاذ حلب جاء صدمة للعرب المسلمين [٧]

---

(١) : ابن القلانسي: المصدر السابق ص٢٧ ومابعد وكذلك ص ٢٧٨ ومابعد.
ابن الاثير: المصدر السابق ج١٠ ص ٤٨٥ ومابعد .
ابن العديم : المصدر السابق ج٢ ص٥١٨ ومابعد وكذلك ص ٥٢٢ وما بعد.
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ١٨٧ - وكذلك ص ١٩٦ - ٢٠٠.

(٢) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص٤٣٦ وما بعد .
وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢- الكتاب السادس عشر ص ١٣٣.
ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤٢ وما بعد .

(٣) : زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٧

(٤) : سهيل زكار:حطين مسيرة التحرير- ط ١ ١٩٨٤ - دار حسان - دمشق ص ٦٢.

(٥) : عاشور :تاريخ العلاقات ص ٣٥١
— Setton: op. cit. Vol 1 - P. 403.

(٦) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص٣٤١/ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص٦٣٣.
ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٩٨ وما بعد .

(٧) : سهيل زكار : المرجع السابق ص ٦٣ .

ولما كانت الامة تعيش بداية عصر اليقظة ،تغلبت من المحنة وانجبت البطل تلو الاخر .

ففي سنة ٥٢١هـ/١١٢٧ م ،تسلم عماد الدين زنكي زمام الامور في الموصل . وكان عسكريا من الطراز النادر ،له من الحزم والشجاعة والبطش وحب النظام والتقيد به ،ما احلّه محل الزعامة . ومكّنه من شغل الدور الذي كانت الامة في مرحلة استفاقتها آنذاك قد اوكلته اليه .(١)

سخر زنكي طاقات دولته للتحرير،فاسترد من الفرنج اولا معرة النعمان وكفرطاب وبارين والاثارب . مع المنطقة الشمالية والغربية لدولة حلب . فاستردت حلب بذلك شيئا من عافيتها.(٢)

وبعد وفاة جوسلين الاول -حاكم الرها - سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م ركز زنكي هجماته على الرها مستغلا ضعف شخصية ابنه جوسلين الثاني،وتمكن بذلك من استرداد الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤ م.اول امارة اقيمت على ارض الوطن. لكن زنكي بعد عامين من تحرير الرها،قضى نحبه غيلة امام قلعة جعبر.(٣) وهكذا تسلم ابنه نور الدين محمود،اعمال الجهاد. وكان ما قام به من توحيد مصر والشام واليمن والنوبة وطرابلس . كما وقف في وجه الفرنج الصليبيين مرات كثيرة .(٤) ولما توفي (٥٦٩هـ/١١٧٣م) تسلم صلاح الدين الايوبي مهمة التوحيد وتحرير البلاد . فأكمل ما بدأه سيده نور الدين . وبلغ ذروة اعماله في معركة حطين واسترداد بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . وبعد الدولة الايوبية كانت دولة المماليك التي قامت بتصفية الوجود الصليبي نهائيا من بلاد الشام .

وهكذا تجمعت عدة عوامل عملت على تقليص مساحة وحدود الامارات الفرنجية ومن ثم ازالتها نهائيا .

---

(١) : عن وصف زنكي انظر :
- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤٤٩ .
- ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٦٤٤-٦٤٥ وكذلك ج١١ ص ١١٠-١١١-١١٢
- ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب : ج ٢ ص ٦٤٧ .
- ابو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ٤٣-٤٤ .

(٢) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤٠٧
ابن الاثير : المصدر السابق ج ١١ ص ٥١-٥٢ وما بعد .
سهيل زكار : المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص٤٤٤
ابن الاثير : المصدر السابق ج ١١ ص ١١٠ وما بعد .
ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤٥ .

(٤) : ابن الاثير : المصدر السابق ج١١ ص١٩٧/وكذلك ص ٢٩٨ ،وص ٣٣٥ وغيرها.
ابن العديم : المصدر السابق ج٢ ص ٦٥٣ ومابعد حتى ٦٥٧ .

خامسا : ارتباط الفرنج الصليبيين الواردين بعدتأسيس الامارات بالملك والامراء المحليين :

من المعلوم ان الصليبيين عندما وصلوا الىمشارف... [illegible] جاءوا واحدا لكن ما ان توغلوا فيه ،واحتلوابعض اراضيه حتى دبَّ بين صفوفهم التمزق ،وانقسموا الى عدة دويلات "الرها- انطاكيه - القدس- طرابلس-" وبما ان عددا كبيرا من رجـــالات الحملة الصليبية الاولى ،قد استقر فيالاراضي المحتلة ،فقد انجبواهناك جيلا جديدا تمتع بصفات بلدية محلية خاصة ،ولما كان تدفق الفرنجمناوربا الى الشام لم ينقطع ،فقـد غدا المجتمع الصليبي موءلفامن مجموعتين متمايزتين هما : مجموعة البلديين ،ومجموعة الوافدين [١]. فمن وصل اولا من الفرنج الصليبيين اعتاد على ظروف المعيشة فيالبلاد، وتأقلم معها بحكم الضرورة والرغبة . وهوءلاء هم البلديون. اماحديثو العهدبالبـلاد فقد كانت اخلاقهم وطباعهم غريبة وجافة حتى مع اخوانهم الفرنج الصليبيينالمستوطنين قبلهم.

وقد ذكر ابن منقذ ذلك بقوله :" ومنالافرنج قوم قد تبلدوا [٢] وعاشروا المسلمين فهم اصلح من القريبيالعهد ببلادهم "[٣] وقال كذلك " فكل من هوقريب العهد بالبلاد الافرنجية ، اجفى اخلاقا من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين ."[٤]

ويورد ابن منقذ الكثير من القصص الطريفة التي جرت له معهوءلاء الفرنـــج البلديين الذين تمثلوا الكثير من عادات اهلالبلد(الشام) وطباعهم في معيشتهم[٥].

ولنستمع الى ما يقوله احد موءرخيهم : " هانحن اولاء قدتحولنا الى شرقيين ،فمن كان منّا ايطالياً اوفرنسياً فيالامس ،قد اصبح اليوم فيوطنه الجديد جليلياً اوفلسطينياً.وكذلك قد تحول ابن مدينة ريمس (Reims) أو مدينة (Chartres) الى صوري او انطاكي،فقد نسي كل منّا وطنه الاول ،فلم يعد احد يتذكره ،بل لم يعد احد يتكلمعنه[٦]

وقد تبدى ذلك بشكل واضح منذ ان تولى بلدوين الثالث حكم مملكة بيت المقدس سنــــة

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق - ج١ - المقدمة ص ٦٦-٦٧ .
سهيل زكار : الحروب الصليبية ج ١ - ص ٦٩ .
(٢) : يقصد اسامة بن منقذ بكلمة تبلدوا ،اي صاروامثل اهل البلد.
(٣) : انظر : اسامةبن منقذ : المصدر السابق ص ١٨٠ .
(٤) : اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٧٢ .
(٥) : للتوسع في ذلك انظر :
اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٦٩ ومابعد .
(٦) : هذا قول الموءرخ الفرنجي فوشيه دي شارتر انظر عنه :
- زكي النقاش : المرجع السابق ص ١٤٢ حتى ص ١٤٤ . وانظر كذلك :
- انتونيبردج :" تاريخ الحروب الصليبية " - ترجمة احمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي - تقديم ومراجعة الدكتور سهيل زكار - طبعة عام ١٩٨٥ - دمشق - ص ١٣٠ .

٥٣٨هـ/١١٤٣م • فقد كان اول ملك فرنجي ولد على ارض بلاد الشام (١).

اما الفرنج الصليبيين الذين كانوا يأتون حديثا الى الشام، فقد كانوا يختلفون عن اخوانهم القدماء من اللاتين المقيمين في هذه البلاد • وذلك بسبب الفروق البارزة في عادات وتقاليد كل من الفريقين • فالمشارقة منهم مضى عليهم اكثر من عصر وهم يعيشون في ديار الشرق ويقلدون الشرقيين في مأكلهم ومشربهم ومسكنهم... (٢) وصاروا ينظرون الى العرب المسلمين في الشام نظرة الجار الى جاره فيتعاقدون معهم ويتبادلون السلع ويراعون حقوقهم وعهودهم وذلك بخلاف قادة الفرسان من القادمين الجدد الذين كانوا ايدهمون البلاد بخيلهم ورجلهم وتعصبهم الذميم وقوتهم المتناهية ،لان رجالها كانوا يجهلون العروبة والاسلام ،ولايعرفون عنهم الا امورا مغلوطة ومشوهة . (٣)

وهكذا كان الخلاف يشتدبين فريقي الفرنج القدماء والجدد ،وكان يتهم بعضهم بعضا بأشنع التهم ، فيقول الغربيون (القادمون حديثا) مثلا : ان المشارقة (الفرنج المستوطنين) خونة لاعهد لهم ولا ذمة ،يصادقون المسلمين اعداء النصرانية ويتعاقدون معهم•

اما المشارقة وهم الذين صقلت طباعهم وتهذبت حواشيهم وهدأت ثورة التعصب الذميم عندهم بفضل مجاورتهم للشرقيين (العرب المسلمين) ،فقد كانوا يرون في فرسان الحملات المتتابعة شراسة في الطبع ،وغلظة في الخلق ،مع حب البطش ،وجشع في سفك الدماء ،وميل غريزي للنهب والسلب •• فكانوا لذلك يحتقرونهم ويخشون بأسهم . (٤)

" ولقد كان الافرنج يخافون من شجاعة اللاتين القادمين من الغرب اكثر مما يخافون من غدر الوثنيين (العرب المسلمين) ولذا كانوا يحاولون ان يكونوا البادئين في اقامة اكثر ما يمكن من العوائق " في وجههم • (٥)

---

(١) : باركر : المرجع السابق ص ٧٢ •

(٢) : للتوسع انظر :
اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٨٠ وغيرها•

(٣) : رفيق التميمي: المرجع السابق ص ٢٦٣
- Stanley Lane Pool: op. cit. P.31.

(٤) : رفيق التميمي: المرجع السابق ص ٢٦٤ •

(٥) : زابوروف : المرجع لسابق ص ١٥٨ •

وقد استطاع البلديون ان يعايشوا جيرانهم المسلمين وان يكسبوا صداقتهم اكثر مما استطاعوا ذلك مع حلفائهم الغربيين في كثير من النواحي . اما في مجالس مملكة القدس ، فقد كان القادة القادمون حديثا من الغرب هم الذين يطلبون دوما شن الحرب على المسلمين . يجب ان يستثنى من هذا بطبيعة الحال المنظمتان العسكريتان (فرسان الداوية وفرسان الاستبارية)[(١)] ويلقي المؤرخ رنسيمان اللوم على هؤلاء الفرنج الجدد نتيجة ما اصاب الحملة الصليبية الثانية (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) من فشل فيقول: " من اهم اسباب هذا الفشل ،ما كان من التباين والاختلاف في العادات والاتجاه بين الفرنج النازلين بالشرق ،وبين بني عمومتهم القادمين من الغرب . اذ ان الصليبيين في الحملة الثانية صدمهم ما اكتشفوه في فلسطين من قيام مجتمع غيّر افراده في جيل واحد اسلوب حياتهم... "[(٢)] وكانوا اقرب الى التعاون مع حكام دمشق منهم الى التعاون مع قادة الحملة الصليبية الثانية . فقد قبلوا الرشاوي والوعود بدفع الجزية من معين الدين انرّ (مدبّر امور دمشق) عن مدينة دمشق ،وعملوا على افشال الحصار الذي لم يمض عليه الا اربعة ايام .[(٣)].

---

(١) : يمكن القول بانه كانت للاستبارية مواقف ثابتة ومستمرة نحو العرب المسلمين ففي طرابلس وانطاكيه قاموا باعمال عدوانية ضد جيرانهم المسلمين بهدف اخضاعهم لدفع الجزية . وكانت الدويلات العربية المتاخمة لمملكة بيت المقدس قوية جدا بالنسبة لهم. وكانت اهدافهم هنا منع اتحاد مصر ودمشق، والمحافظة على توازن القوى. وكانت الحملات الصليبية لاتحظى بالشعبية لانها قلبت هذه السياسة ،ولان هدفهم المتمثل باسترداد بيت المقدس يتعارض مع افكار و اهداف اولئك الذين عليهم البقاء في سورية بشكل دائم . وكانت الاخويات(الداوية والاستبارية) ملتزمة بالمثل الصليبية ،حيث لم يكن بمقدورها خذلان الحملات الصليبية دون أن يتهموا بانهم لم يعودوا يقومون بواجبهم . انظر حول ذلك :
- : جوناثان سميث : المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٦٧ .

(٣) : باركر : المرجع السابق ص ٧٦ .
مصطفى الحياري : مقال : " مدينة بانياس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد " ص ١٧٧ .
وعن الحملة الصليبية الثانية انظر :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ الكتاب السادس عشر ص ٨٥٧ ومابعد.
- ابن الاثير : المصدر السابق ج ١١ ص ١٢٩ وما بعد .
- سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ١٩٩ .
- رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٤٧ وما بعد .

وهكذا تأقلم الفرنج الذين اقاموا في الشرق - الذي اصبح لهم موطنهم الاول ،بعد ان نسوا او تناسوا اوطانهم الاصلية - وبدأوا ينبذون فكرة الحرب المقدسة . واصبحوا يملكون الديار . كما صار لهم زوجات وابناء ومصالح تحتم عليهم العيش في دعة وهدوء .ولم يعد المستوطنون الفرنج ، القدامى والجدد ينظرون الى بعضهم البعض بعين الرضا والارتياح . وبلغ من شدة الخلاف بين الفريقين ان الفرنج الجدد كانوا يطلقون على الفرنج القدامى كلمة " بولان "(١) او " افرنجي شرقي " وذلك على سبيل السخرية والتحقير .

ولكلمة بولان دلالتها ،اذ كانت تطلق عادة على الطفل المولّد من ام افرنجية وأب سوري اوالعكس .(٢)

وغير هذه وتلك من الالفاظ التي كانت تطلق على كل من ولد من مثل هذه الزيجات المختلطة في الجنس.

وهكذا فقد كان هناك تمايز واضح بين الفريقين (المستوطنين والجدد)وكان كل طرف منهما يكره تصرفات الطرف الاخر .. حتى ان جوانفيل مرافق القديس لويس التاسع في حملته (الحملة الصليبية السابعة) على بلاد الشام ،نُعِتَ بالمولّد من قبل بعض الفرسان ،عندما اشار على القديس لويس التاسع بالبقاء في الشام لاصلاح اوضاع الفرنج الصليبيين فيها ، مع ان لويس التاسع كان يرى رأيه :

---

(١) : تحدد الطبقات التي تألف منها المجتمع الصليبي في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية بما يلي :

آ - الارستقراطية الحاكمة من النبلاء والفرسان .
ب - طبقة عامة المحاربين من الصليبيين.
ج - ظهرت قرب منتصف القرن الثاني عشر طبقة جديدة هي : طبقة الافراخ *Pullani* : وهؤلاء نتاج التزاوج بين الصليبيين الغربيين والمسيحيين الشرقيين المحليين من ارمن وسريان وغيرهم .ومن الواضح انه مع مرور الوقت حلت هذه الطبقة الجديدة محل الطبقة السابقة ،وقامت بدورها في خدمة المجتمع الصليبي بالشام .

اما باقي الطبقات فهي : طبقة المسيحيين . ثم طبقة التجار الايطاليين . ثم المسلمين ثم الرقيق والاقنان .

انظر حول ذلك :

- : عاشور: تاريخ العلاقات ص ٣٢٩ - ٣٣٣.

- Grousset: L'Empire. du Levant. P. 315-316.

(٢) : جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٨٥

ويذكر رنسيمان انه منذسنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م اخذ السرجندارية (احد اقسام الجيش الفرنجي وهم الرجالة في كامل عدتهم) يؤلفون طبقة البولانية التي اخذت فعلا تندمج في المسيحيين الوطنيين .

انظر :

رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٦٩ .

" اطمأنت نفسي من كلمات الملك ، و اخذت ادافع عن نفسي بجرأة اكبر ضد اولئك الذين هاجموني ، وكان فلاحو هذه البلاد يسمون بالمولدين . وقد قال السيد بطرس دي افالون الذي كان يعيش في صور انه سمع البعض يدعي انني منجماعة المولدين المهجنين ، لاني نصحت الملك بالبقاء بين هؤلاء المهجنين".(١)

ومن الطبيعي ان يكون ارتباط الفرنج الجدد بالملك والامراء الصليبيين في الامارات الفرنجية ضعيفا . كما أنّ سلطة الملك على الفرسان القادمين ضعيفة ايضا. وكانت تزداد ضعفا مع تقدم الزمن . ويسوق المؤرخون احداثا عن فشل ملوك بيت المقدس في السيطرة على الامراء والاقطاعيين منالحكام القادمين من اوروبا الغربية مع قوات لهم بهدف القتال في بلاد الشام الى جانب الفرنج . كما وان المؤسسات الدينية كانت ترفض الخضوع للملك ، بل ترفضالتعاون معه احيانا . فقد رفض الداوية التعاون مع الملك عموري في غزوه لمصر سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م. حيث يذكر وليم الصوري : " .... وخلافا لهذارفض الداوية المشاركة في هذه الحملة ، اما لانها بدت بالنسبة لهم مخالفة لاوامر الضمير ، او لان مقدم بيت منافس لهم (مقدم بيت الاستبار) كان من الواضح مؤسسا للمشروع وزعيما له ،وقد رفضوا اتباع الملك ،او تزويده بالجند،.... " (٢)

كما ان الجموع الفرنجية التي وصلت سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م الى الشرق (٣) ، رفضت ان تأتمر بامر ريموند دي تولوز ،على الرغم من خبرته بالمشرق . وقد كان رأي الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومينين وريموند دي تولوز ان تسير هذه الحملة بنفسالطريق الذي سارت فيه الحملة الصليبية الاولى عبر دوريليوم وقونيه ، غير ان اللومبارديين الذينكانوا يؤلفون اكثرية هذه الحملة عارضوا هذا الرأي واصروا على ان يتجهوا الى اقصى الشمال الشرقي لتحرير بوهيموند - حاكم انطاكيه - منالاسر .(٤) وفعلا اجبر اللومبارديون ريموند (الذي عينه الامبراطور

---

(١) : جوانفيل : " القديس لويس - حياته وحملاته على مصر والشام" ترجمة الدكتور حسن حبشي - الطبعة الاولى ١٩٦٨ - ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) : وليم الصوري : المصدر السابق - ج٢ - الكتاب العشرون - ص ٩٣٠

(٣) : عن هذه الحملة انظر :
- La Monte : op. cit. p. 140.
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب العاشر ص ٤٩١ ومابعد.
- ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٠٠
- رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٣٧ حتى ص ٥٤.
وقد تألفت هذه الحملة من ثلاث جموع (اللومبارديين - الفرنسيين - الالمانيين) .

(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٤٢ .

البيزنطي الكسيوس قائد لهذه الحملة) على العمل بوهيمند... وكان ما كان من فشل هذه الحملة ،وما لقيته من الابادة على أيدي السلاجقة .(١)

ونستطيع ان نقرر هنا بان الفرنج الواردين حديثا والذين هم اللومبارديون خالفوا رأي وخبرة الفرنج الواصلين قبلهم وهم ريموند وغيره .. وبالتالي كان عدم الانصياع لاراء واوامر الامراء المستوطنين سببا في فشل هذه الحملة ، وما جره هذا الفشل من كوارث على القسمين التاليين للحملة وهما (الفرنسي ثم الالماني) وبذلك لقيت هذه الحملة الفشل بكاملها . وكان نصر السلاجقة المسلمين نصرا كبيرا، لانه اعاد الثقة بالنفس للمسلمين .

وبذلك حرمت الامارات الوليدة في الشرق مصدرا هاما من الجند والفرسان كانت احوج ما تكون اليه في ذلك الوقت . وبالتالي شعرت بانها يجب ان تتعاقد مع الدويلات الايطالية التجارية ، مقابل تنازلات كثيرة ، من اجل الحفاظ على وجودها .

وبعد هذه الحملة بنصف قرن جاءت الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م كرد فعل اوربي على استرداد المسلمين للرها (٢). وفشلت كذلك بسبب الاختلاف والتباين بين فريقي الفرنج (القدماء والجدد) وما فعله انّر مدبر امور دمشق آنذاك من بذر الشقاق بينهما ،وتحريض احدهما على الاخر .(٣) هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فعندما كان الملك لويس السابع ، قائد هذه الحملة في انطاكيه ، قبل وصوله الى القدس ،عمل كل من الامراء الصليبيين في المشرق على استمالته اليه لتحقيق مآربه ،ومصالح امارته الخاصة دون النظر الى مصلحة الصليبيين العامة . وهكذا يمكن القول انه بينما كان البارونات والامراء المحليون يميلون الى المسالمة الى حد ما ، اشتهر القادمون حديثا من الغرب الاوروبي بالمغامرة ،

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب العاشر ص ٤٩٣ - ٤٩٤
فقد بلغت الخسائر اربعة اخماس الجيش الفرنجي ،ووقع في ايدي الترك مقادير كبيرة من الثروة والاسلحة .
انظر كذلك :
رنسيمان: المرجع السابق ص ٤٣ وكذلك ص ٤٦ .

(٢) : اودو اوف دويل : " رحلة لويس السابع الى الشرق " من خلال كتاب الدكتور سهيل زكار : من ص ٢٨٩ حتى ٣٩٧.

(٣) : انظر فيما سبق . - انظر كذلك :
- امينه بيطار : المرجع السابق ص ٥٧ .

والميل الى القتال ،والحرص على الحصول على الاقطاعات [illegible] العرب المسلمين . وقد شجعهم على ذلك انحلال بعض الاقطاعات عن اصحابها الاصليين وانتقالها الى اراملهم.

وبذلك لعب القادمون حديثا من الغرب الاوروبي دورين متناقضين ،سلبا وايجابا فيالحركة الصليبية . فمن جهة امدوا الامارات بالرجال والعتاد اللازم. وانكان ما وصل اقل من الحاجة . لكنهم من جهة اخرى تنافسوا مع الامراء المحليين، وتصرفوا بدافع من وحشيتهم وعدوانيتهم التي استغربها رفاقهم القدماء المستوطنين وبالتالي كانت تصرفاتهم منالتهور بحيث اسهمت في زوال المملكة. وكان يتعين على الامراء المحليين وعلى الملك ان يقنعوا القادمين حديثا بوجهة نظرهم عند التخطيط لشن حملة او هجوم على العرب المسلمين . ولكنهم لم ينجحوا دائما في اقناعهم اذ كانت الروح العدائية الهمجيةعند الفرنج القادمين حديثا تتغلب على الموقف ،وبالتالي تصبح الحملة وبالا عليهم . بدلا من ان تكون دعما وسندا لهم. وبالطبع لم يكن هذا دائم الحدوث . ففي عهد يوحنا دي برين (John de Brienne) الذيتوج ملكا على بيت المقدس سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م ، نادى البابا [1] في اوربا بوجوب شن حملة صليبية جديدة على الشرق. وقد تالبت جموع كثيرة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بقيادة اندراسيملك المجر وملك قبرص الفرنجي الصليبي (لوزجنان) (Lusignan) ورافقهم كذلك ملك بيت المقدس فساروا نحو مرج ابن عامر الى ان وصلوا الى وادي الاردن فلم يعارضهم في سيرهم احد ، ووقع الرعب في قلوب المسلمين ، فسكّن السلطان العادل الايوبيروعهم قائلا :" عما قليل سيقع الخلاف بين الفرنج وجيشهم الكثيف ، شبه سحابة تنقشع باقل ريح " وفعلا هذا ماحدث [2] ، فقد كان العادل واثقا من اختلاف وجهات النظر بين الطرفين . فقد مات ملك قبرص ،وعاد ملك المجر الى بلاده . وهنا عمل فرنج الشرق المستوطنين على اقناع الفرنج الصليبيين الذين جاؤوا حديثا من فرنسا وايطاليا بوجوب

---

(١) : كانالبابا آنذاك هو : اينوشنتيوس الثالث (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٨ -١٢١٦م) وقد تابع عمله البابا الذي خلفه وهو البابا اونوريوس الثالث (٦١٣-٦٢٥هـ / ١٢١٦- ١٢٢٧)م .

(٢) : انظر حولذلك :
- رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٦ .

مهاجمة مصر ، النبض الحساس للبلاد الاسلامية . وقد تم لهم ذلك فكانت الحملة الصليبية الخامسة .(١)

من هذا يتبين لنا بانه لم يكن في وسع الملك والامراء المحليين بشكل دائم اقناع الصليبيين الجدد ، بما يرونه مناسبا لهم ، مع ما في ذلك من اثر سيء على مجرى الامور بالنسبة للصالح الصليبي .

وكثيرا ما كان الفرنج المستوطنون يبلّغون المسلمين بتحركات الفرنج القادمين حديثا ويعادونهم . ولو عدنا الى نصوص الهدنة المعقودة بين الطرفين (العربي الاسلامي والصليبي المحلي) لعرفنا مدى تلك الروابط التي كانت تربطهم مع المسلمين ضد اخوانهم الفرنج .

ففي نص الهدنه المعقود بين السلطان الملك المنصور قلاوون وولي عهده الملك الصالح وبين فرنج عكا (اي مملكة بيت المقدس في عهدها الثاني) سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م ..

" .... وعلى انه متى تحرك احد من ملوك الفرنجيه وغيرهم من جوا البحر، يقصد الحضور لمضرة السلطان وولده في بلادهما المنعقد عليها هذه الهدنه ،فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا ان يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم الى البلاد الاسلامية الداخلة في الهدنه بمدة شهرين . وان وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين ،فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون بريئين من عهدة اليمين في هذا الفصل . ومتى تحرك عدد من جهة البر من التتار وغيرهم ،فاي من سبق الخبر اليه من الجهتين يعرّف الجهة الاخرى بما سبق اليه الخبر من امرهم ...." .(٢)

---

(١) : رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٢١٦ .
عن الحملة الصليبية الخامسة انظر :
ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٣٢٠ وما بعدها .
ابن واصل : المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٥٤ وما بعدها.
زابوروف : المرجع السابق ص ٢٩٢ وما بعدها.
رنسيمان : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣٧ وما بعدها.
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٢١٦ ومابعدها .
- Setton : op. cit. Vol 2. p. 377.

(٢) : المقريزي : " السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق محمد مصطفى زيادة - القاهره - ١٩٣٤م ج١ - قسم٣ - الملاحق - ملحق رقم ٨ ص ٩٩٢- ٩٩٣
ابن عبد الظاهر : " تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور" تحقيق مراد كامل - القاهرة - وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٩ - ص ٣٤ ومابعدها.

من ذلك كله يتبين لنا ان النظام الاداري الذي طبقه الفرنج الصليبيون في مملكة بيت المقدس والامارات الثلاث ،لم يكن متينا ومتماسكا كما ينبغي له ان يكون ،لتتمكن تلك الدويلات من الحياة والصمود طويلا ، بل تخلله الكثير من الثغرات ... واعوزته الكثير من الدعائم ... فلم تتمتع تلك المملكة والامارات بالترابط اللازم بين افراد سكانها مع بعضهم البعض من جهة ،وبين زعمائها من جهة اخرى ،بالاضافة الى العوامل الداخلية الاخرى التي اخذت تنخر في جسدها منذ البداية ... ،ولذلك ،فلم تتمكن من الحفاظ على حدودها وعلى قوتها .

الفصل الثاني

النظام الاداري في الموءسسات الملحقة بالامارات

اولا : ادارة املاك الدويلات الايطالية التجارية .

ثانيا : ادارة المنظمات الدينية .

ثالثا : ادارة بلاد المناصفات بين العرب المسلمين والفرنج الصليبيين .

رابعا : وضع اهالي البلاد في ظل ادارة الفرنج الصليبيين .

اولا - ادارة املاك الدويلات الايطالية التجارية :

١- المقدمة :

أُلحق بالامارات الفرنجية الصليبية عدة موءسسات كان لها ادارتها الخاصة ، وعلى رأسها املاك الدويلات التجارية الايطالية ، واملاك المنظمات الدينية ، واراضي المناصفات.

لعبت المدن الايطالية التجارية ، وبخاصة جنوه وبيزا والبندقية دورا هاما في تاريخ الحروب الصليبية . ومن اهم الدوافع التي وقفت وراء دعم المدن الايطالية للصليبيين ، كانت رغبة هذه المدن في تحطيم احتكار القسطنطينية لتجارة الشرق الاقصى وطرقها . فمن المعروف ان الطرق التجارية التي كانت تتدفق عليها التوابل الهندية والحرير الصيني ، وغير ذلك من متاجر الشرق الاقصى ، خلال العصور الوسطى ، كانت تنتهي اما الى القسطنطينية ، واما الى الموانىء المصرية والشامية . ولهذا السبب قامت الجمهوريات الايطالية بدعم الحركة الصليبية لاحتلال الموانىء الشامية (١) وكان الاعتماد على مساعدات البحرية الايطالية امرا ضروريا امام الصليبيين من اجل الاحتفاظ بالمدن التي استولوا عليها في بلاد الشام ، ومن اجل دوام اتصالهم باوطانهم في اوربة ، خاصة اذا علمنا ان المدن التي استولى عليها الفرنج الصليبيون كانت في معظمها مدنا ساحلية .

وفي الحقيقة ان المدن الايطالية التجارية الثلاث لم تعرض مساعدتها الحقيقية الا حين ظهرت بوادر نجاح الحملة الصليبية الاولى ، اذ راعهم اول الامر قيام حركة قد تقوض ما قام لهم من علاقات تجارية سابقة مع العرب المسلمين في شرق المتوسط . (٢) وذلك على الرغم من ارتياد السفن الايطالية لشواطىء بلاد الشام ، وتقديم مساعدتها في حصار انطاكيه وبيت المقدس . (٣)

وبعد تأسيس الامارات الفرنجية الصليبية على ارض بلاد الشام ، ادرك الامراء الصليبيون (باعتبار ان معظم مدنهم ساحلية) انه لم يكن بامكان اي ميناء

---

(١) : عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . ص ١٢٩ .

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٣ ص ٥٩٩ .
باركر : المرجع السابق ص ٤٤ .
جمال الدين سرور : " سياسة الفاطميين الخارجية " دار الفكر العربي ١٩٧٦م ص ٢٥١ .

(٣) : باركر : المرجع السابق ص ٢٩ .

صليبي ان يطور قدرته مالم يتردد عليه التجار من كل الارجاء ان لميزات الجغرافيه لهذا الميناء او ذاك - كمحطة في الطرق التجارية الاسيوية - لاقيمة لها مالم يتردد عليه اولئك الذين يملكون الاساطيل التجارية القادرة على نقل سلع ومتاجر الشرق من هذا الميناء الى اوربه . وبالاضافة الى ذلك فقد اعتمدت معظم ثروة الصليبيين على تجارة المرور (الترانزيت) . وبدون وصول منتظم للاساطيل والسفن التجارية الى الموانئ الصليبية ، فانهم سوف يفقدون جزءا هاما منهذه الثروة . ولهذا فقد حرص القادة الصليبيون على اقامة اوثق العلاقات مع الجنويه والبيازنه والبنادقة (الذين كانوا مهرة في فنون الحرب والتجارة معا) ومنحوهم امتيازات تجاريةواقليمية وقضائية في المدن والموانئ الصليبية الفرنجية في بلاد الشام.(١)

ومن الملاحظ ان المعاهدات التي تمت بين القوى الصليبية في الشام وبين المدن الايطالية ، خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كانت اساسا لكل الامتيازات التجارية التي تمتعت بها هذه المدن وتجّارها خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي في الامارات والمدن الصليبية .

٢- الامتيازات الادارية التي منحها الملوك والامراء الفرنج للدويلات الايطالية التجارية :

آ - امتيازات مدينة جنوه :

حصل الجنويه على امتيازات تجارية وادارية متعددة ضمن الاراضي المحتلة منقبل الصليبيين في بلاد الشام .

فمن المعروف ان الامير النورماندي بوهيموند الاول - حاكم انطاكيه - منح امتيازات للجنويه في مدينة انطاكيه سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م مقابل المساعدة التي قدمها الاسطول الجنوي للصليبيين الفرنج اثناء حصار مدينة انطاكيه .(٢)وشملت هذه الامتيازات كنيسة وسوقا وبئرا وثلاثينبيتا .. اضافة الى اعفاء التجار الجنوية من المكوس والضرائب في مدينة انطاكيه وتوابعها . ومقابل ذلك تعهد الجنويه بتقديم المساعدة لبوهيموند في الدفاع عن انطاكيه .(٣)

---

(١) : عادل زيتون : المرجع السابق ص١٣٠ .
- Riely Smith: "The Feudal Nobility and The kingdom of Jerusalem, 1174-1277" London 1973. P. 66.

(٢) : وعن وصول سفن من جنوه الى انطاكيه اثناء حصارها انظر :
- : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الخامس ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٣) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣١

وعندما اصبح تنكرد وصيا على امارة انطاكيه ،جدد عام ٤٩٤هـ/١١٠١م الامتيازات التي منحها خاله بوهيموند للجنويه عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م . واضاف اليها وعدا للجنويه بمنحهم ثلث دخل ميناء انطاكيه (السويديه) ونصف دخل ميناء مدينة اللاذقية فضلا عن حي وشارع وكيسة في مدينة اللاذقية . وذلك كله مقابل وعد الجنويه بمساعدة تنكرد في احتلال المدن الساحليه .(١)

وكانت هذه الامتيازات اساسا لكل الامتيازات التي حصل عليها الجنويون في امارة انطاكيه . وقد تم تجديدها خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد ، حتى انه اصبح للجنويه محاكمهم الخاصة في انطاكيه واللاذقية منذ عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م.

اما بالنسبة الى الامتيازات التي حصل عليها الجنويه في مملكة بيت المقدس ، فقد كانت بسبب المساعدات التي قدموها . وقد اشار وليم الصوري الى ان الجنوية لعبوا دورا هاما في مساعدة الصليبيين اثناء احتلال مدينة بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩م . ولكن يبدو ان الجنوية لم يحصلوا على امتيازات واضحة مقابل مساعدتهم هذه وانما اخذوا نصيبهم من الاسلاب والغنائم بعد احتلال المدينه .(٢)

وبعد قيام مملكة بيت المقدس وجد حكامها انفسهم امام مشاكل بالغة الخطورة ، وادركوا ضرورة الاستيلاء على سواحل الشام وموانيها لضمان الاتصال البحري باوربا(٣) وذلك باعتبار ان البحر هو الشريان الحيوي والرئة التي تتنفس منها الدويلات الفرنجية القائمة على ارض شرقية .(٤) وبعد هزيمة حملة سنة ٤٩٤هـ/١١٠١ م على ايدي السلاجقة ، اصبح اعتماد بلدوين الاول - ملك بيت المقدس - بشكل اكبر على تلك التي تاتي من قبل المدن الايطالية .(٥)

---

(١) : — La Mont: op. cit. P. 228-266.

(٢) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣٢

(٣) : عاشور : اوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٤٤٩

(٤) : يقول ابو شامه في كتابه " الروضتين " ج ١ - ص ٢٤٤ :
" وان كلا من صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية وملك الالمان وملوك ما وراء البحر واصحاب الجزائر كالبندقية والبيشانية (البيازنه) والجنويه وغيرهم ، قد تأهبوا بالعمائر البحرية والاساطيل القوية " . انظر لذلك :
- سميل : المرجع السابق ص ١٥٨.

(٥) : باركر : المرجع السابق ص ٤٣ .

ولذلك تم في سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠١ م عقد محالفة بين جنوه وملك بيت المقدس وعد الجنويون بمقتضاها ان يقدموا المساعدة للفرنج الصليبيين مقابل الحصول على ثلث اسلاب وغنائم المدن التي يساعدون في احتلالها ، وحي في كل مدينـــة ، وحق الاعفاء من الرسوم والضرائب وبفضل مساعدتهم استطاع بلدوين الاول احتـــلال ارسوف وقيسارية سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م.(١)

وبعد ثلاثة اعوام اي في سنة ٤٩٧هـ/١١١٤ م ، وقّع الملك بلدوين الاول ،معاهدة ثانية مع الجنويه ، تعتبر اساسا لكل المعاهدات التالية بين الجنويه وملوك بيـــت المقدس . واشتملت هذه المعاهدة على الامتيازات الرئيسة التالية.(٢)

اولا : يحق للجنويه امتلاك ثلث دخل ميناء عكا .

ثانيا : يحق للجنويه امتلاك كنيسة في عكا .

ثالثا : ان يكون للجنويه السيادة الكاملة على شارع واحد في المدينة .

رابعا : ان يتم اعفاء الجنويه من الرسوم والضرائب اعفاء تاما .

خامسا : ان يمتلك الجنويه ثلث مدينة ارسوف وقيسارية واية مدينة يساهمـــون في احتلالهـا .

سادسا : ان يمنح الجنويه شارعا في بيت المقدس ويافا .

سابعا : تعهد الملك بمنح الجنويه مورداً سنويا قدره (٣٠٠) بيزانتا.

---

(١) : وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ - الكتاب العاشر ص ٤٩٤ و ٤٩٦
ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٥
باركر : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٢) : انظر :
- : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب العاشر ص ٥١٣ .

وبناء على هذه المعاهده ساهم الجنويه مساهمة فعالة في احتلال الفرنج الصليبيين لمدينة عكا سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م [١] ومدينة بيروت سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م. [٢]

ولقد جدد ملوك بيت المقدس هذه المعاهدة للجنويه اكثر من مرة. بحيث لم يأت القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي حتى حصل الجنوية اضافة الى الامتيازات السابقة ، على محاكم خاصة بهم في صور وعكا ،فضلا عن اعفاءات من الرسوم والضرائب المتعلقة بالمتاجر المستوردة من الاقطار العربية الاسلامية. [٣]

اما الامتيازات التي تمتع بها الجنوية في امارة طرابلس ،فقد اكدت المصادر المعاصرة الدور الذي لعبه الجنويه - تحت قيادة اخوين من آل امبرياتشي في احتلال الصليبيين لمدينة جبيل سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤ م ، وقد كافأهم ريموند الصنجيلي بمنحهم ثلث المدينة. وفي سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م وقع برتراند بن ريموند معاهدة مع الجنوية ، منخلال آل امبرياتشي ،وعدهم فيها بمنحهم كل مدينة جبيل وثلث مدينة طرابلس ،في حين تعهد الجنوية بمساعدته في احتلال طرابلس. وبالرغم من ان الجنويه لعبوا دورا هاما في احتلال طرابلس سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م الا ان برتراند بن ريموند حنث بوعده ورفض اعطاء الجنويه اي جزء من طرابلس ، ولذلك قام الجنويه بامتلاك جبيل كلها دونتردد. وقد تسلمها افراد من آل امبرياتشي لفترة محددة من الزمن نيابة عن القومون الجنوي ، مقابل مبالغ سنوية يتوجب ان يبعثها آل امبرياتشي الى الكنيسة والحكومة في جنوه. [٥]

اما في مدينة طرابلس نفسها ، لم يتمتع الجنويه باية امتيازات حتى مستهل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. [٦]

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب العاشر ص ٥١٣

(٢) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩

(٣) : - La Monte: op. Cit. p. 264-265.

(٤) : - La Monte: op. Cit. p. 229.

(٥) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣٥

(٦) : - La Monte: op. Cit. p. 267.

ب - امتيازات مدينة بيزا :

من المعروف ان البيازنه كانوا الجماعة الايطالية الثانية - بعد الجنويه - التي استجابت للدعوة الصليبية . ففي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨ م منح تنكريد البيازنه امتيازات في امارة انطاكيه ، تضمنت حيا خاصا بهم في انطاكيه ، واخر في اللاذقية ،وكنيسة ومستودعات في مدينة اللاذقية ، فضلا عن اعفائهم من الضرائب والرسوم الجمركية في انطاكيه واللاذقية معا . وذلك كله مقابل مساعدتهم في احتلال اللاذقية (التي كانت الدولة البيزنطية قد استعادتها) .

وتم ذلك سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨ م . وقد تم تجديد هذه الامتيازات خلال القرن الثاني عشر ، وامتلك البيازنه احياءواراضي جديدة في انطاكيه واللاذقية . ولكنمسالة الاعفاء من الرسوم والضرائب لم تنفذ . ولكن خفضت الى النصف .(١)

اما في مملكة بيت المقدس ، فقد حصل البيازنه على احياء في مدينة القدس ، فضلا عن ربع مدينة يافا .(٢) واخذ ملوك بيت المقدس يزيدون ويوسعون هذه الامتيازات كلما احتاجوا الى مساعدة البيازنه في احتلال مدن اسلامية جديدة . فصار لهم محكمة خاصة في صور . وسوق تجاري وبيوت سكنيه وكنيسة في يافا واعفوا من نصف الرسوم الجمركية المقررة في ميناء يافا .(٣)

وقد كانت المعاهدة التي عقدت بين البيازنه وكونراد مونتفرات سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م اساسا لكل الامتيازات التي حصل عليها البيازنه في مملكة بيت المقدس ، وبشكل خاص في صور وعكا ويافا ، حتى سقوط هذه المملكة سنة في صور وعكا ويافا ، حتى سقوط هذه المملكة سنة ٦٩٠ هـ/١٢٩١ م .

ومن البنود الهامة في هذه المعاهدة :

اولا : منح البيازنه قطعة ارض لبناء بيوت قرب الموانئ ، فضلا عن افران وحمامات .

(١) : LaMonte: op.cit. p. 270-271.
انظر لذلك :
- : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٩٠-٩١.
(٢) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب التاسع ص ٤٦٨ .
(٣) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣٦ .

ثانيـــا : يحق للبيازنه تعيين موظفيـــن من قبلهم للاشراف على جميع المعاملات التي يقوم بها التجار البيازنه .

ثالثا : اعفاء التجار البيازنه من الضرائب والرسوم .

رابعا : منح القناصل البيازنه الاستقلال في ادارة كل ما يتعلق بشوءون المستوطنه البيزاويه .

خامسا : منح البيازنه سلطات قضائية على المستوطنين البيازنه في كل الحالات ، ماعدا الجرائم الموجهة ضد غير البيازنه ، او مسائل القانون الاقطاعي ، حيث يجب في هذه الحالة احالة القضية الى محاكم المملكة .

سادسا : حماية ممتلكات البيازنه وبضائعهم في حالة غرق سفنهم او تحطمها قرب السواحل الفرنجية الصليبية .

وتعهد البيازنه للصليبيين مقابل ذلك بمساعدتهم لاسترداد عكا ويافـــا اللتين فتحهما صلاح الدين الايوبي ،وحماية مدينة صور من محاولات صلاح الديـــن لاستردادها .(١)

اما الامتيازات التي تمتع بها البيازنه في امارة طرابلس ،فقد جـــاءت متأخرة ، فأول امتياز حصلوا عليه يعود الى عام٥٧٥هـ/١١٧٩م ، ويتضمن منـــح ريموند الثالث ، صاحب طرابلس بيتا للبيازنه في المدينه . الا انه لم ينتــــه القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حتى اصبح للبيازنه محكمة خاصـــة بهم في طرابلس . وتم اعفاءهم من الرسوم الجمركية . كما تم منحهم ثلث مـــوارد طرابلس . بالاضافة الى امتيازات اخرى .(٢)

---

(١) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) : - La Monte: op. cit. p. 271

- : عادل زيتون : نفس المرجع ص ١٣٧ .

ج - امتيازات مدينة البندقية :

منح امراء انطاكيه الاوائل (بوهيموند الاول وتنكرد وبوهيموند الثاني) امتيازات متعددة للبنادقة (تجارية وقضائية وادارية) في مدينة انطاكيه .

وفي زمن الامراء اللاحقين تجددت تلك الامتيازات وتنوعت ،فصارلهم محكمة خاصة ،واعفوا من نصف الضرائب والرسوم المقررة واستمر ذلك طيلة القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي .(١)

اما فيمملكة بيت المقدس ، فقد وقّع غودفري دي بويون سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م معاهدة مع البنادقة تضمنت ثلث كل مدينة يشاركون في احتلالها ، اضافة الى سوق وكنيسة فيها .(٢)

وفي سنة ٥٠٥هـ/١١١١م ، منح الملك بلدوين الاول ، البنادقة حيا في عكا شتمل على كنيسة وسوق وبيوت ،وامتيازات اخرى. وتعتبر المعاهدة التي وقعها بارونات بيت المقدس مع البنادقة سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤ م ، اساسا لكل الامتيازات التيحصل عليها البنادقة في مملكة بيت المقدس حتى أيامها الاخيرة .

ومن اهم بنود المعاهدة :

اولا : ان يمتلك البنادقة كنيسة وشارعا وساحة وحماما وفرنا في كل مدينة من مدن الملك بلدوين الثاني وخلفائه وفي مدن كل باروناته .

ثانيا : اعفاء البنادقة من كل انواع الضرائب والمكوس الجمركية عند الدخول والاقامة والشراءوالبيع والمناورة ، وانما يدفعون فقط ضريبة على سفنهم عندما تنقل الحجاج.

ثالثا : ان تكون لهم محاكم خاصة .

---

(١) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٣٧ - ١٣٨
عادل زيتون: تاريخ العصور الوسطى الاوربية ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٢) : عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية ص ١٣٨

(٣) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الثاني عشر ص ٦٠٢ حتى ص ٦٠٦ .

رابعا : توضع ممتلكات البنادقة المتوفين تحت تصرف البنادقة وكذلك في حالة تحطم سفنهم او غرقها فكل ما ينقذ من البضائع والممتلكات يوضع تحت تصرف البنادقة .

خامسا : يحق للبنادقة امتلاك ثلث مدينتي صور وعسقلان مع توابعهما ،وان يكون حقهم هذا وراثيا اذا تم احتلال هاتين المدينتين بمساعدتهم . ونفذت المعاهدة فعلا في صور التي ساهموا في احتلالها آنذاك ٥١٨هـ/١١٢٤م.(١)

اما في امارة طرابلس فلم يتمتع البنادقة بامتيازات رسمية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد ، عدا بيت في المدينة (طرابلس) ولكنهم حصلوا على امتيازات فيما بعد .(٢)

وبذلك يمكن القول بان الدويلات الايطالية التجارية حصلت على امتيازات متنوعة في الامارات الصليبية الفرنجية في بلاد الشام ، شملت امتيازات تجارية وقضائية وادارية (اقليمية) .

واشتملت الامتيازات الادارية او الاقليمية على منحهم احياء في المدن وبيوت وابنية وادارية وكنائس وحمامات وافران وطواحين وشوارع ، فضلا عن مناطق محددة في المدن لبناء المنازل .

ويتضح من المعاهدات ان الصليبيين كانوا يقتسمون المدن العربية الاسلامية الساحلية ، قبل ان يتم الاستيلاء عليها من قبلهم ،بموجب معاهدات واتفاقيات مع الدويلات الايطالية ، بحيث تأخذ المدينة الايطالية ثلث المدينة المراد احتلالها . وصارت قاعدة الثلث نهجا متعارفا عليه دائما عند عقد مثل تلك الاتفاقيات .

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب الثالث عشر ص ٦٢٧ - ٦٢٨ .

(٢) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١

-Riely Smith: op. cit. p. 67.

ويتضح لنا من خلال معرفتنا للتسهيلات والاعفاءات والامتيازات الجمة التي حصلت اعليها الدويلات الايطالية ، بالاضافة الى حصة الثلث من كل بلد ... مدى المساعدات التي يجب ان تقدمها المدن الايطالية التجارية واهميتها ،في ظروف صعبة قلّت فيها الاقوات والرجال والمعدات ...وصارت تلك المساعدات الايطالية الامل والرجاء الوحيد للامارات الصليبية . ولهذا قبلت - وعن طيب خاطر - مملكة بيت المقدس وباقي الامارات الفرنجية الصليبية بتقديم ثلث كل مدينة يتم الاستيلاء عليها مع الكثير من الاعفاءات والامتيازات الاخرى .

وان تلك الامتيازات الهائلة بكافة انواعها تدل على قصر نظر الحكام الصليبيين ،الذين اهتموا بحماية الهيكل السياسي لدويلاتهم على حساب المصالح الاقتصادية .. وفقد الحكام الفرنج السيطرة على التجار داخل المدن والموانىء الصليبية ،وبالتالي حرموا من اهم الموارد المالية (الضرائب والمكوس).(١) وقد اثر هذا على البنيان الصليبي بكافة اركانه ، وصار فيما بعد السبب في هدمه .

(١) : عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٤٣ .

٣ - ادارة أملاك الدويلات الايطالية التجارية:

تدفق التجار الايطاليون الى المشرق الفرنجي الصليبي، واستقروا في الاحياء التي خصصت لهم، وتحولت جالياتهم فيها الى ما يشبه الدويلات المستقلة وكما يقال: " كانت هذه الاحياء الايطالية قطعة من الدولة الام في أرض أجنبية "(١) مستقلة في شؤونها السياسية والاقتصادية والقضائية في قلب المجتمع الصليبي. وفي الحقيقة لم تكن هذه الجاليات سوى كومونات ذات حكومة مستقلة (٢).

تركزت الجاليات الايطالية التجارية منذ بدايتها، في المدن الساحلية الفرنجية، وعلى الرغم من أن التجار الايطاليين منحوا امتيازات تجارية خلال القرن السادس الهجري في المدن الداخلية مثل مدينة بيت المقدس، الا أن نشاطهم التجاري في هذه المدن كان محدودا (٣).

وبعد تحرير صلاح الدين الايوبي لمدينة بيت المقدس ٥٨٣ / ١١٨٧م، أصبحت مدينة عكا العاصمة السياسية والادارية والتجارية للمملكة الصليبية الفرنجية (٥٨٧ - ٦٩٠هـ/ ١١٩١ - ١٢٩١م) و "قاعدة بلاد الافرنج بالشام "(٤) ومقرا لملك بيت المقدس ونائبه، ومحطة رئيسية للحجاج المسيحيين، ومركزا أساسيا للجاليات الايطالية ونشاطاتها التجارية في الامارات الصليبية كافة، ومقر ادارة أملاك الدويلات الايطالية التجارية. ونقطة التقاء بالغة الاهمية للطرق التجارية التي تتدفق عليها ثروات الشرق الاقصى ومتاجره (٥).

فقد (٦) تدفقت جموع التجار الايطاليين الى عكا، وشكلوا فيها جاليات تجارية غنية. وبالرغم من تعرضها لهزة عنيفة نتيجة فتح صلاح الدين لمدينة عكا، لكن سرعان ما استرد الايطاليون المناطق المخصصة لهم بعد أن نجحت الحملة الصليبية الثالثة في الاستيلاء عليها عام ٥٨٧هـ/١١٩١م (٧).

ولعل هذا هو الذي جعل من الرحالين المسلمين (ابن جبير وبعده ابن بطوطة يقارنان مدينة عكا بمدينة القسطنطينية).

---

(١)- Thompson: op. cit. vol 1 - P. 402.

(٢)- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧١ .

(٣)- عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٤)- ابن جبير : المصدر السابق ص ٢١١ .

(٥)- عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٦)- Thompson: op. cit. vol 1 - p. 413.

(٧)- ابن جبير: المصدر السابق ص ٢١١./ ابن بطوطة: "رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ص ٤٧ .

شكلت الاحياء الايطالية في عكا ما يشبه نصف دائرة حول الميناء الـذي خصص للجنوية كان أقرب الى وسط المدينة منه الى الشاطئ، وبالتالي الميناء أمـا حيّ البيازنة فقد كان قريبا جدا من ميناء المدينة ، وامتد على طول الجزء الجنوبي الغربي من المدينة باتجاه المعبد . أما حيّ البنادقة فكان بالقرب من الميناء وعلى امتداد حيّ البيازنة ومحاذاته . وعلى الرغم من أن أحياء الايطاليين هذه لا تجـاور الميناء تماما، الا أنه كان بامكانهم جلب متاجرهم من سفنهم مباشرة الى المستودعات الموجودة في أحيائهم [١].

اشتملت الاحياء الايطالية في عكا على بيوت سكنية وفنادق وحمامات وأفـران ومستودعات وطواحين ومحاكم خاصة بهم ومكاتب تجارية وحوانيت وأسواق تجارية، فضلا عن كنائس تتبع كنائسهم في المدينة الام . كما ضمت هذه الاحياء أبنية للقناصل وحدائق وأبراجا مرتفعة، وضعت فوقها المنجنيقات وأدوات الحرب والحصار وذلك للتصدي لاي هجوم قد توجه ضدها [٢].

كان معظم سكان الاحياء في عكا تجارا، اضافة الى أعداد كبيرة من الصنـاع الحرفيين الايطاليين الذين استقروا في هذه الاحياء أيضا، كما اعتاد موظفوا المـدن الايطالية " البندقية وجنوه وبيزا " أن يمضوا جزءا من السنة في أحياء جالياتهـم في الشرق ، قبل أن يعودوا الى ايطالية . بالاضافة الى رجال الدين القادمين مـن المدن الايطالية للقيام بالطقوس الدينية، الذين التحقوا بالكنائس التي تضمها أحياؤهم في عكا . كما أقام في الاحياء القناصل الايطاليون والموظفون الذين يساعدونهم فـي أعمالهم ، فضلا عن قضاة المحاكم الايطالية [٣].

وحددت المعاهدات التي عقدت بين المدن الايطالية والامارات الصليبية، طبيعـة العلاقة بين الجاليات الايطالية والقوى الفرنجية في المدن المحتلة في بلاد الشـام. فمن حيث المبدأ كانت الجاليات التجارية الايطالية تابعة الى مدنها الاصليـة الام [٤]. ولكنها شاركت بالدفاع عن المدينة المحتلة التي تعيش فيها عندما كانت تتعرض لهجوم . ولكن لم يكن المستوطنون الايطاليون مسؤولون عن أية خدمات أخرى مهما كان نوعهـا،

---

(١)- عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٧ .
(٢)- عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٨ .
(٣)- عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٨ .
(٤) _ Suchem "Ludollph Von, Description of The Holy Land and The Way Thither" in p.p.T.S London 1895, p. 51-53:
- Thomposon: op. cit. vol I _ P 409.

فلم يكن يطلب منهم المشاركة في الاعداد أو الانضمام الى أية حملة عسكرية صليبية ، وعندما يفعلون ذلك ، كان يتم في ظل معاهدة خاصة . كما أنهم لم يكونوا مسؤولين عن الاضرار التي يلحقها القراصنة من أبناء وطنهم الام بالمدن المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام[١].

أدركت المدن الايطالية التجارية (في ايطالية) أهمية المركزية في إدارة جالياتها في بلاد الشام المحتلة . ولهذا عنيّت كل منها ممثلا عنها على رأس جالياتها في المدن الفرنجية في بلاد الشام . وكان رؤساء هذه الجاليات يعدّون من بين السادة الكبار في مملكة بيت المقدس ،كما أنهم لعبوا دورا هاما في الشؤون الداخلية لهذه المملكة[٢]. واتخذ هؤلاء الممثلون عكا مقرا لهم .

آ - فالممثل البندقي في عكا اتخذ لقب بايلو " Bailo ". والى جانبه شخصية رسمية أخرى اتخذت لقب الفيكونت "Viscount". وهو المشرف على ممتلكات البنادقة في مدن بلاد الشام المحتلة ، ووكيل البندقية لدى السلطات الفرنجية[٣].

ويعتبر البايلو ممثل القومون البندقي في المدن الفرنجية الصليبية كلها . وكان مستقلا تماما عن حكومة بيت المقدس ، ومركزه يشبه الى حد كبير منصب السفير حاليا[٤]. وكانت مهماته واسعة للغاية حيث كان يشرف على شؤون الجاليات البندقية في الامارات الصليبية كلها ، ومن حقه عقد معاهدات بالنيابة عن القومون البندقي ، وتقديم الاحتجاجات الى السلطات الصليبية اذا تعرضت مصالح القومون ورعاياه في المدن الصليبية للخطر . وبذلك كان البايلو واحدا من أبرز موظفي الدولة البندقية في أعمال ما وراء البحار ، كما أن جميع الممثلين البنادقة في انطاكية وبيروت وطرابلس وصور والاسكندرية كانوا تحت زعامته (أي زعامة البايلو البندقي المقيم في عكا)[٥].

(١) - La Monte: op. cit. p. 239-271.
(٢) - La Monte: op. cit. p. 227.
(٣) - انظر فيما سبق ص ٧٢ .
(٤) - عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٥٩ .
(٥) - La Monte: op cit. p. 234.

ب - أما بالنسبة الى ادارة الحي التابع لمدينة بيزا في عكا، فقد عيّنت حكومة بيزا ممثلا عن قومون بيزا في المدن الصليبية اتخذ لقب قنصل[١]، وكان مقره في الحي البيزاوي في مدينة عكا، وكانت مسؤوليته الرئيسة ادارة شؤون التجار البيازنة وتنظيم العلاقة بين الجاليات البيزاوية والحكومات الصليبية الفرنجية[٢].

ج - أما ادارة الاحياء التابعة لمدينة جنوة في المدن الصليبية، فقد تطورت تطورا واسعا خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وذلك لأن أسرة امبرياتشو كانت قد احتكرت ادارة جميع الاحياء الجنوية في المدن المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام بالنيابة عن مدينة جنوة خلال القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي بكامله. وذلك بسبب جهل قومون جنوة نفسه، وعدم خبرته في شؤون الحكم وادارة ممتلكاته فيما وراء البحار، بالاضافة الى أن الفئة الوحدية التي كانت قادرة على ادارة أحياء جنوه في الشام آنذاك، هي العائلات الاقطاعية التي كانت تسيطر على جنوة نفسها، والتي تتحدر أصلا من الكونتات ذوي الخبرة الواسعة في الادارة والتنظيم[٣]، وكانت عائلة امبرياتشو أشهر هذه العائلات الاقطاعية.

استمر احتكار آل امبرياتشو لادارة الاحياء الجنوية في المدن الصليبية حتى أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. حيث بدأت هذه العائلة منذ عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م تقريبا في استخدام أفراد جنويين من خارج العائلة، في حين تفرغ آل امبرياتشو للشؤون السياسية الكبرى في جمهورية جنوه والامارات الصليبية معا. وحدث تطور هام في ادارة الاحياء التابعة لجنوة في المدن الصليبية خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فقد بدأ القومون الجنوي نفسه يتولى مسألة ادارة جالياته في المدن الصليبية في بلاد الشام، وجمعت الادارة كلها بيد اثنين من الموظفين الكبار، الاول اتخذ لقب قنصل، والآخر اتخذ لقب فيكونت. وكان القنصل ممثلا لحكومة القومون الجنوي. في حين كان الفيكونت مسؤولا عن الشؤون القضائية في الحي الجنوي. وكانت مدة خدمة القنصل والفيكونت - من حيث المبدأ - سنة واحدة فقط، ولكن كانت تمتد هذه الفترة مدة أطول، حتى يتم تعيين من يحل محلهما. ويساعد القنصل مجلس من المستوطنين الجنويين[٤].

اتخذ القنصل والفيكونت عكا مقرا لهما. ثم انتقل المقر الرئيسي للادارة الجنوية

---

(١) - Riley Smith: op. cit. P. 70.
(٢) - Thompson: op. cit. Vol 1 - P. 403.
(٣) - عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٦٠.
(٤) - عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٦١.

الى صور سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م بسبب طرد الجنوية من عكا نتيجة النزاع حول دير القديس سابا . وفي سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤م حدث تطور آخر في ادارة أحياء جنوة في المدن المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام، حيث عيّن القومون الجنوي شخصا لادارة أحيائه هذه باسم البودستا بدلا من القنصل ، واتخذ البودستا مدينة صور مقرا له. واستمر البودستا الجنوي في منصبه حتى سقوط المملكة الصليبية في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد[1]. واستبدال لقب القنصل بالبودستا، لم يغير في حقيقة الامر من المهمات الملقاة على عاتقه ، وانما زادها تعقيدا واتساعا، نتيجة ازدهار التجارة الجنوية في المدن المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام في تلك الفترة .

فقد كان على القنصل والبودستا تنفيذ أوامر القومون الجنوي وتعليماته التي ترسل اليهما بواسطة مندوبين رسميين . وكان يجب عليهما أيضا ارسال تقارير دورية ومنتظمة الى حكومتهما حول أحوال الرعايا الجنويين ، التجار منهم المستوطنين ، والقضايا السياسية والاقتصادية في المدن الصليبية. كما كان بامكان القناصل والبودستا توقيع المعاهدات وتصديق الاتفاقيات التجارية واقامة التحالفات الدفاعية والهجومية بالنيابة عن القومون الجنوي[2].

ومن أهم المدن التي وجد فيها الايطاليون بكثرة : انطاكية ـ طرابلس ـ جبيل ـ بيروت ـ صور . كما أقام التجار الايطليون مراكز تجارية لهم في بقية المدن الساحلية المحتلة من الصليبين في بلاد الشام . ولكن حجم هذه المراكز وفعالياتها تراوحت بالنسبة للمدينة وموقعها وثروتها، فضلا عن التسهيلات الملاحية في مينائها.[3] ويؤكد رنسيمان[4] ذلك بقوله: " لقد زخرت مدن مملكة بيت المقدس بالجاليات الايطالية ،فحاز كل من البنادقة والجنويين شوارع في بيت المقدس ذاتها، وكفلت المعاهدات للجنويين اقامة منشآت في يافا وعكا وقيسارية وأرسوف وصور وبيروت وطرابلس وجبيل واللاذقية والسويدية وانطاكية، بينما اقتصرت مؤسسات البنادقة على المدن الكبيرة من بين التي سبق ذكرها. ونزلت جاليات بيزا في صور وعكا وطرابلس والبترون واللاذقية وانطاكية. وحل الامالفيون في عكا واللاذقية . ولم تكن هذه المستعمرات سوى قومونات ذات حكومة مستقلة " .

---

(١) ـ عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٦١ .
(٢) ـ عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٦٢ .
(٣) ـ عادل زيتون : المرجع السابق ص ١٦٤، ١٦٨ .
(٤) ـ انظر: رنسيمان :. المرجع السابق ج٢ ص ٤٧١ .

وهكذا نجد أنه ازدادت أهمية الدويلات التجارية الايطالية بعد معركة حطين ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م، اذ صار الوضع آنذاك يتلخص بسيطرة الفرنج الصليبيين على شاطئ البحر المتوسط ، وسيطر العرب المسلمون على داخلية البلاد. وصارت مملكة بيت المقدس في وضعها الجديد ليست الا مملكة عكا، وهذا ما جعلها تفقد كثيرا من هيبتها الاولى . وقد اتخذت تلك المملكة صفة بحرية بحتة ، وهذا ما جعلها أكثر ارتباطا بالغرب الاوروبي، وأكثر اعتمادا على أساطيل ايطالية في الدفاع عن كيانها، ومن أجل اعادة البناء وتدعيم الاقتصاد[1].

ولكن اعتماد المملكة على الاساطيل الغربية، جعل الدويلات الايطالية تستغل معونتها في فرض نوع من الحماية عليها، والتدخل في شؤونها . وبذلك لم تتمتع بقسط وافر من الحرية والاستقلال الذاتي كما كان من قبل[2]. وهكذا فان المدن الايطالية كانت تتصرف في الساحل المحتل تصرفا تمليه عليها مصالحها الخاصة . كما أنه لم يعد يهمها حسن العلاقة مع دول الفرنج، بل فرضت عليها مصالحها اقامة أو تجديد علاقات الصداقة مع الدول العربية الاسلامية، بعدما لمست منها القوة والمقدرة، ولذلك أخذت تتعهد معها الاتفاقات وتورّد لها الاسلحة والمعدات ، تماما كما تفعل مع الامارات الفرنجية في المناطق المحتلة . وقد عبر صلاح الدين الايوبي في احدى رسائله عن ذلك بقوله :

" ومن هؤلاء الجيوش البنادقة و البياشفة (البيازنة) والجنوية، كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوتهم ولا تطفأ شرارة شرّهم ، وتارة يكونون سفارا يحتكمون على الاسلام في الاموال المجلوبة، وتقتصر عنهم يد الحكام المرهوبة . وما منهم الا من هو الان يجلب الى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويقترب الينا باهداء طرائف أعماله ...."[3]

ولم تفلح المراسيم التي أصدرتها البابوية لمنع التجار الاوربيين من التعامل التجاري مع العرب المسلمين في بلاد الشام ومصر، اذ أدى حرص المدن الايطالية التجارية على مواصلة نشاطها التجاري، الى سعيها لتجديد المعاهدات الاقتصادية مع السلطان العادل بعد وفاة صلاح الدين . كذلك أدت سياسة التسامح التي اتبعها العادل الى اتجاه كثير من التجار الاوربيين بسفنهم نحو شواطئ مصر[4].

ثم ان التنافس التجاري بين البندقية وجنوه وبيزا في الاراضي المقدسة[5]، أدى

---

(١) ـ عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص٨٦٦ ـ ٨٦٧ .

(٢) ـ عاشور: المرجع السابق ج٢ ص ٨٦٧ .

(٣) ـ أبو شامة: المصدر السابق ج١ ص ٢٤٣ .

(٤) ـ عاشور: " مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك " ص ١٣٠ .

Suchem, Ludolphvon: op. cit. p. 53 - 55 - 57.

الى الكثير من المتاعب ، زيادة على المشاحنات بين الداوية والاستبارية . فاذا أضفنا الى ذلك تناقص الفرنج الصليبيين بالشام وتآمر الاباطرة البيزنطيين لاسترجاع بعض الامارات الصليبية بالشام وبخاصة انطاكية ، أدركنا في النهاية حقيقة موقف الامارات الصليبية في بلاد الشام في النصف الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[١].

كما كان التجار من ايطالية ومن فرنسة الجنوبية ينافسون بعضهم بعضا مباشرة. وأحيانا كانوا يشنون بعضهم على بعض حروبا ضارية ويجتذبون اليها الاسياد الاقطاعيين وفي من حرب من هذه الحروب ، شنها تجار جنوه في أواسط القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلاد ، دمر نصف مدينة عكا ، وهلك فيها زهاء ٢٠ ألف نسمة[٢]. ثم ان أطماع تلك الدويلات التجارية كانت السبب في ضياع طرابلس من الفرنج الصليبيين ، اذ ذهب بعض البنادقة الى مصر وحثوا السلطان قلاوون على أخذها ، وذلك انتقاما من الجنوية. وكان أن تم ذلك فعلا وسقطت طرابلس بيد المماليك[٣].

وهكذا غلبت الصفة التجارية البحتة على هذه الجاليات ، بعد أن وضح الاتجاه الاستعماري الاستغلالي في نشاطها ، اذ كان هدفها الاول والاخير منذ قيام الحركة الصليبية حتى نهايتها هو الربح والكسب المادي ولم يكن يعنيها الباعث الديني الا بالقدر الذي يحقق مصالحها . ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذي عرفوا به وقتذاك هو : " لنكن أولا بنادقة ، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين "[٤].

وبذلك حملت المساعدات الايطالية للامارات الفرنجية ، في طياتها بذور الفناء وعوامل الزوال ، كما حملت في البداية عوامل البناء والبقاء .

ثانيا : ادارة المنظمات الدينية :

١ - نشوء المنظمات الدينية :

اذا كان انتصار الفرنج الصليبيين ، وانشاء اماراتهم على الارض الشامية ، جاء على يد عدد من القادة والامراء المغامرين ، فان تثبيت هذا الانتصار، ومدّ عمر هذه الامارات لعشرات السنين ، انما يعود الفضل فيه الى تلك القوة الدينية العسكرية التي

---

(١) عاشور: أوربا العصور الوسطى ج١ ص ٤٥١ .
(٢) زابوروف : المرجع السابق ص ١٥١ .
جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٨٩ .
(٣) عن سقوط طرابلس بيد المماليك انظر :
ابن كثير: المصدر السابق ج١٣ ص ٣١٣ - ٣١٤ .
القلقشندي : "صبح الاعشى في صناعة الانشا" القاهرة - دار الكتب المصرية - ١٩١٩م. ج٧ ص ٣٦٦ - ٦٧٠ .
النويري : " نهاية الارب في فنون الادب " الطبعة الثانية - القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ج٥ ص ١٥٦ - ١٦٠ .
ابن تغري بردي الاتابكي : المصدر السابق ج٧ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١١١٩ - ١١٢٠ .
(٤) - جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ .
عادل زيتون : تاريخ العصور الوسطى الاوربية - ص ٤٣٦ .

نطلق عليها اسم الفرسان الرهبان • وقد ضمت ثلاث طوائف هي فرسان القديس يوحنا الاستبارية " Hospitaliers " وفرسان الهيكل أو الداوية Templiers وفرسان التيوتون • وكان عمر الطائفة الاخيرة قصيرا في الشرق وكذلك كان تاثيرها (١) •

أما بالنسبة للاستبارية (فرسان القديس يوحنا) تقول بعض الروايات ومنها رواية وليم الصوري: أن تجارا من أمالفي (مدينة في ايطالية)، لم يكن لهم مأوى للسكن في بيت المقدس ، قد تسلموا بعض الاراضي في الحيّ المسيحي من الخليفة الفاطمي في مصر (المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ/ ١٠٣٥ -- ١٠٩٤م) (٢) وتقع هذه الاراضي بجانب كنيسة القبر المقدس •

وقد تمت هذه الهبة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، قبل الحملة الصليبية الاولى• وبنى الامالفيون ديرا تكريما للسيدة العذراء وأمنّوا له رئيسا ورهبانا من ايطالية • وبما أن هؤلاء الرهبان من اللاتين فقد عرف الدير باسم دير القديسة مريم اللاتين " • وبعد وقت قصير بني دير القديسة مريم المجدلانية، لتامين المأوى للنساء الحاجّات • لكن الحجيج استمر في الازدياد، كما أن مشكلة المسافرين الاوربيين غير المحميين في أرض غريبة ، أدّت الى بناء تكية ملحقة بالدير ست للقديس يوحنا المعمدان (٣).

---

(١) – للتوسع عن أصول الاستبارية انظر:
– وليم الصوري: المصدر السابق ج١ – الكتاب الاول ص ١٦٤ • وج٢ – الكتاب الثامن عشر ص ٨٣٠ حتى ص ٨٣٤، وكذلك حاشية ص ٨٣١ •
– جوناثان سميث : "الاستبارية" ص ٣٧ حتى ص ٤٢ •
– عاشور: الحركة الصليبية ج١ – ص ٤٨٧ •
– رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٤٨ وما بعد •
ويذكر المؤرخ السوفييتي زابوروف عن أصل كلمة الاستبارية ما يلي: " انبثقت جمعية الوستبالية (الاستبارية) بوصفها منظمة للاخوان. وتمت على أساس بيت لاستقبال الضيوف الغرباء (ضيافة Hospitalité مضيف Hospitaliers) سبق أن بناه حوالي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م في القدس ، تجار من مدينة أمالفي الايطالية • وهذا البيت أو Hospitalier من الكلمة اللاتينية Hospitalis أي ضيف وقد أطلقوا عليه اسم بطريرك الاسكندرية في القرن السابع الميلادي القديس يوحنا " • انظر:
– زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٩ •
(٢) – عن فترة حكمه انظر :
– المقريزي: "اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا"، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – ج٢ ص ١٨٤ حتى نهاية الجزء•
(٣) – جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٣٩ -- ٤٠ •

وهكذا تأسست جمعية فرسان القديس يوحنا أو الاستبارية بالعناية بمرضى زوار الاراضي المقدسة . وذلك حوالي سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٧٠م محدودة في هذا النطاق حتى سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م . ثم توسعوا في أعمالهم وأضافوا اليها أمر الدفاع عن الحكومات اللاتينية . واتخذ فرسان الاستبارية شارة تميزهم عن سائر الطوائف بأن جعلوا صليبا أبيض على سترتهم التي يرتدونها فوق أدواتهم الحربية (١).

أما فرسان الهيكل أو الداوية ، فهم فرسان رهبان منذ نشأتهم سنة ٥١٢ هـ/١١١٨م . وقد كانت غايتهم عسكرية محضة . وكان مقرّهم في المسجد الاقصى الذي كانوا يسمونه بالهيكل (أى هيكل النبي سليمان) فصاروا يسمون أنفسهم بالهيكليين . واتخذوا الصليب الاحمر شعارا لهم ، فجعله الفرسان على أرديتهم البيضاء ، واتخذه الاجناد على سترتهم السوداء (٢). وكان العنصر الفرنسي بارزا في هاتين الجمعيتين (الاستبارية والداوية) (٣).

أما فرسان التيوتون ، فكانوا يتألفون من العنصر الجرماني ، وقد أنشأوا طائفتهم في فترة متأخرة من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام في فترة الحملة الصليبية الثالثة (٤) سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م . وكانت طائفتهم عسكرية دينية قامت بدور في الحروب الصليبية ، لكن فتوحات صلاح الدين أجبرت التيوتون على العودة الى المانيا ، حيث استأنفوا نشاطهم الحربي هناك (٥). وبسبب قصر عمر هذه الجمعية لم يكن لها ذكر كبير كسابقتيها. ارتدى

---

(١) رنسيمان: المرجع السابق ج٢ ص ٢٤٩ .
سميث : المرجع السابق ص ٥٥ حتى ص ٥٧ . ويقول سميث في نفس المرجع ص ٤٢: " على كل حال، من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ تأسيس هذه الجمعيات من المنازل الدينية القريبة من القبر المقدس " .
(٢) رنسيمان: المرجع السابق ج٢ ص ٢٥٠. / باير: المرجع السابق ص ٥٨. حاشية رقم (٢).
(٣) عن تأسيس منظمة الداوية العسكرية انظر: وليم الصوري: المصدر السابق ج١ الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٧ حتى ٥٧٩ .
زابوروف: المرجع السابق ، ص ١٦٠ .
رفيق التميمي: المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩ . وهو يقول عن كلمة داوية مايلي: " هي على ما نظن تعريب لكلمة "ابه" السريانية ومعناها الاخوة. ويظهر أنها كانت شائعة بين النصارى الشرقيين فأخذها عنهم المسلمون ومثل هذا جارٍ حتى في أيامنا هذه فاننا نسمي الفرنج المشتغلين بالتعليم في المدارس الكاثوليكية تارة "فرير" وأخرى "أخوة" المدارس المسيحية ، كما أن المسلمين اليوم عرفوا هذا الاسم "الفرير" من المسيحيين الوطنيين فلا ريب أن المسلمين في زمن الصليبيين أخذوا كلمة "الداوية" من المسيحيين الشرقيين الذين استعملوا هذا الاسم".
(٤)- وليم الصوري: المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٨ .
باركر: المرجع السابق ص ٥٨ حاشية رقم (٢) .
(٥)- ابن موسى : المرجع السابق ص ٩١ .

فرسانها طيلساً أبيض عليه صليب أسود مطرز بالذهب(١). وفضلاً عن تلك المنظمات نشأت على امتداد العقود الاخيرة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي والقرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد أخويات دينية ، هي اتحادات عسكرية لسكان المدن، قريبة من حيث طابعها من الجمعيات الثلاث السابقة الذكر، وفي بعض الحالات كانت مرتبطة بها شكليا بعرى التبعية . وأشهر هذه الاخويات التي ظهرت في العقد السابع من القرن الثاني عشر: أخوية القديسين أندراوس وبطرس التي تأسست في عكا . أخوية البيزيين - الاخوية الايطالية للروح القدس - الاخوية الاسبانية للقديس يعقوب . الاخوية الانجليزية المسماة باسم الملك ادوارد المعترف ، وغيرها .

كانت الاخويات خلافا للجمعيات (الاستبارية والداوية) عبارة عن روابط مؤقتة تضم في قوامها الحجاج من أبناء منطقة واحدة ، وبصورة رئيسة التجار والمعلمين الحرفيين ، الذين قدموا الى مملكة القدس لتصريف شؤونهم، والذين إضطروا بحكم الظروف الى الاشتراك في النضال ضد العرب المسلمين. وهناك ميزة أخرى تختلف بها الاخويات عن الجمعيات ، هي أن بعضا منها (مثل أخوية القديس جرجس في اللد وبيت لحم) كانت تضم أيضا المسيحيين الشرقيين(٢).

٢ - مهام وأعمال منظمتي الاستبارية والداوية :

ذكرنا أن جمعية (منظمة) الاستبارية تأسست لاجل العناية بالمرضى ومعالجة الجرحى من زوار الاراضي المقدسة ، وقد أقامت فنادق لهذا الفرض ، ومنازل لاجل سكن أعضاء هذه الجمعية . وكانوا يستقبلون فقراء الزوار بهذه الفنادق ويقدمون لهم ما يلزمهم من أكل ولبس وغيره من أنواع الخدمة . ثم أضيف عمل هام لهذه الجمعية عندما كانت تحت رئاسة ريموندوي بوي، وهو الخدمة العسكرية(٣). في حين تشكلت جمعية الداوية منذ البداية بهدف عسكري محض وهو الدفاع عن الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام(٤).

---

(١) ابن موسى : المرجع السابق ص ٩١ .
للمزيد من المعلومات عن المنظمات الدينية العسكرية انظر :
- Woodhouse, F. «The Militany Religious Orders of the Middle ages» London. 1879.
- King, E. "The Knights Hospitallers in the Holy Land" London 1931
(٢) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٨ - ١٥٩ .
(٣) - سيد علي الحريري : الاخبار السنية في الحروب الصليبية ص ٣٥ .
(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٧ حتى ٥٧٩ .

كانت هذه المنظمات من حيث السيماء الخارجية ، جمعيات دينية . فقد كان الفرسان الذين ينضمون اليهم يعطون العهود الرهبانية التقليدية الثلاثة ، الفقر والطاعة أي أنهم كانوا يتعهدون بعدم تأسيس عائلات ، وعدم السعي الى تكديس الثروات ، والخضوع بلا قيد ولا شرط لمن هم أكبر وأقدم في المرتبة ، في المنظمة [١].

وقد قدمت هذه المنظمات خدمات جلّى للفرنج الصليبيين في بلاد الشام على رأسها :

آ - سدت هذه المنظمات حاجة عسكرية للامارات الفرنجية ، اذ كان هناك قصور مستمر في العساكر في المناطق المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام فكفلت مددا دائما من العساكر الاتقياء المحترفين ، الذين لم يكلفوا شيئا من النفقات ، والذين توافر لهم من الثروة ما يكفي لان يقيموا من القلاع وينفقوا عليها ، ما لم يتيسر الا لقلة من سادة الاقطاع العلمانيين [٢]. فقد أخذت الهدايا والهبات ترد اليهم من ديار الغرب الفرنجي ومن المناطق المحتلة في الشام حتى تجمعت لديهم ثروات طائلة [٣]. ويشهد تاريخ الحروب الصليبية بالشام، على أن فرسان الداوية والاسبتارية ، كانوا أثبت فئات الصليبيين الفرنج على القتال، وأصلبهم عودا ، وأكثرهم صبرا وشجاعة ، وأنه لولا ما قام به أولئك الفرسان من جهود حربية لانتهى أجل الكيان الصليبي بالشام قبل نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بمدة طويلة [٤]. فهم جمرة الفرنج كما يقول عنهم ابن الاثير، عندما جمع البرنس صاحب انطاكية عساكره ليسير الى بلاد الارمن سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م ، اذ قال: " فخالف عليه الداوية والاسبتارية ، وهما جمرة الفرنج [٥].

ب - حققت هذه المنظمات ما افتقر اليه الفرنج في ذلك العصر من الوجدان والعاطفة . فقد ظلت منظمة الاسبتارية تولي اهتماما بالغا للاعمال الخيرية . اذ اتسع نزلهم

---

(١) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٩ .
جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٩٠ .
(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٥٠٣ .
(٣) - رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٨٠ .
- Grousset: L'Empire du Levant. p. 291-292.
(٤) - عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣٢٤ .
(٥) - ابن الاثير: المصدر السابق ج١٢ ص ٤٦٥ . وجدير بالذكر أن المؤرخين العرب كانوا يطلقون على رجالهم الذين يبلون بلاء حسنا ويستبسلون حتى الاستشهاد بأنهم داوية الاسلام نسبة الى داوية الفرنج . انظر : المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ قسم ٢ ص ٣٥٦ .

في بيت المقدس لايواء ألف حاج، وتولوا الانفاق على مستشفى [illegible] الفقراء الذين ظلوا على قيد الحياة [١]، بعد أن استعاد العرب [illegible]، ودرجوا على أن يوزعوا على الفقراء كل يوم من الصدقات ما أشار [illegible] بها [illegible] الزائرين . وقام الداوية أيضا بتوزيع الصدقات، غير أنهم لم يضارعوا الاستبارية في البذل والعطاء. اذ أن الامور الحربية كانت أكثر ما جذب اهتمامهم [٢].

ج - تولى الاستبارية والداوية حراسة الطرق التي يسلكها الحجاج ، ووجهت الطائفتان اهتماما خاصا الى المواضع المقدسة [٣].

د - يعتبر مقدمو الفرسان الرهبان أو ممثلوهم أعضاء بالمحكمة العليا في مملكة بيت المقدس ، ويشهد ممثلوهم جلسات المحكمة العليا لكل من أمير انطاكية وكونت طرابلس [٤]. أما عن مكانتهم في المحكمة العليا، فلم يكونوا دائما من الاعضاء المسيطرين عليها، كما أنهم لم يمارسوا سلطة قضائية مركزية في المملكة . ولكنهم كانوا يحضرون الاجتماعات بصفة شبه رسمية، حيث يناقش فيها كبار رجال المملكة، السياسة الخارجية ووراثة العرش . كما أنهم لعبوا دورا فعالا في تقرير تلك المسائل [٥].

هـ - لعبت منظمة الاستبارية دورا هاما في سياسة مملكة بيت المقدس ما بين سنتي ٥٥٦ - ٥٨٣ هـ/ ١١٦٠ - ١١٨٧م . اذ اكتسب الاسبتار شهرة كبيرة . وفي سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م، منحت هذه المنظمات حقوقا في أراض لم يتم غزوها والاستيلاء عليها في مصر. وقد عهد أمراء انطاكية بجزء من دفاعاتهم اليها بشروط مجزية، كما فعل كونتات طرابلس سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م . وكانت لهم الحرية التامة في اعلان الحرب على العرب المسلمين ، أو التفاوض بغية توقيع المعاهدات معهم [٦]. ولم يعقد مجلس حرب عام ، أو تدار أية حملة بدونهم في ثمانينات القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي . فاذا ما أعلنت هذه المنظمات الحرب ، أو عقدت الهدنة ، توجب على الحاكم الصليبي الفرنجي التقيد بها، واذا ما فعل ذلك فانهم لا يعدون أنفسهم مقيدين بها . واذا كرهوا السياسة الرسمية ، جاز لهم الامتناع

---

(١) -

(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص٥٠٢ .

(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٧ - ٥٧٨ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص٥٠٢ .

(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص٥٠٢ .

(٥) - جوناثان سميث : المرجع السابق ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٦) - جوناثان شميث : المرجع السابق ص ٦٩ . وعن تلك المفاوضات والمعاهدات انظر :
- القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ ص ٤٢ وما بعد .
" نص الهدنة المعقودة بين الظاهر بيبرس والاستبارية سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١م " .
- القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ ص ٣١ وما بعد .
" نص الهدنة المعقودة بين الظاهر بيبرس والاستبارية سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م " .

عن التعاون، مثلما حدث عندما أعلن الداوية، مقاطعة الحملة الحربية التي توجهت الى مصر سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م[1].

وبذلك كانت منظمتي الداوية والاستبارية حلفاء لملوك وحكام الفرنجية في الاراضي المحتلة من بلاد الشام وليسوا أتباعا لهم .

و - أدى الوضع المستقل والثروة والنفوذ المتزايد للمنظمات الدينية العسكرية (الداوية والاستبارية) الى جعلها جماعة ذات مكانة هامة ولا يستغنى عنها في رئاسة المفاوضات للقضاء على المنازعات في بلد تقسمه النزاعات الداخلية بشكل مستمر ومتزايد . وقد بدأ البابوات والملوك في استخدام المقدمين من هذه المنظمات لهذه المهمة في ثمانينات القرن السادس الهجري/ ثمانينات القرن الثاني عشر الميلادي - وكانوا من بين الذين أرسلهم الملك بلدوين الرابع (٥٧٠ - ٥٨١ هـ/ ١١٧٤ - ١١٨٥م)، للتوسط في خلاف نشب بين بوهيموند أمير انطاكية والبطريرك سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م . وفي العام نفسه أرسل الملك بلدوين الرابع وفدا ضم داويّين واستباريين الى أرناط (رنيالدو شاتّيون) صاحب انطاكية من أجل اعادة الاسرى والغنائم التي آخذها من القافلة العربية الاسلامية التي مرت ببلاده في وقت هدنة[2].

وفي سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦م عيّن البابا مقدمي الداوية والاستبارية، ورئيس أساقفة الناصرة، وسطاء لحل خلافات ونزاعات نشبت بين الجنوبيين والملك بلدوين الرابع وريمون صاحب طرابلس . وفي سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٤ - ١١٨٥م قدمت الى فرنسة وانكلترة سفارة فرنجية من الاراضي المحتلة في بلاد الشام مكونة من بطريرك بيت المقدس ومقدم الاستبارية، وعرضوا تاج مملكة بيت المقدس على فيليب أغسطس ملك فرنسة، وهنري الثاني ملك انكلترة، كي يضمنوا قدومهما في حملة منجدة الى الاراضي المحتلة في بلاد الشام[3].

ز - كلفت هاتين المنظمتين برعاية القلاع الملكية، في فترات الوصاية على الملك مثلا (خلال مدة وصاية ريمون صاحب طرابلس على ملك بيت المقدس الصبي - بلدوين الخامس)، وهذه مسؤولية تتضمن واجبات ادارية هامة[4]. (مثل بناء الملك بلدوين الرابع لحصن بيت الاحزان وتسليمه لفرسان الداوية)[5].

---

(١) - رنسيمان / المرجع السابق ج٢ ص٥٠٣، ولكنه يجعل هذه الحملة سنة ١١٥٨ م.
- La Monte: op. cit. P. 140.
سميل : فن الحرب ص ١٦٩ الحاشية رقم (١).

(٢) - جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) - نظير حسان سعداوي : "الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي" ص ١٩.

(٤) - سميث : المرجع السابق ص ٨١ .

(٥) - وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الحادي والعشرون - ص ١٠٠٨ .

وفي سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م أسندت الى بطريرك بيت المقدس [illegible] الاسبتارية والداوية مهمة الحفاظ على مجوهرات التاج الملكي[1]. وهذا دليل [illegible] بيت المقدس بهاتين المنظمتين في تلك الفترة .

ح - كانت هاتين المنظمتين تستخدمان كمصادر معلومات لرومة ولتنفيذ أوامر البابوية. وذلك بسبب ارتباطها وتبعيتها للبابوية . وقد اعتمد بقاء الامارات الفرنجية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد بشكل كبير على الدعم البابوي والموارد المالية والامدادات التي أرسلت الى المناطق المحتلة من بلاد الشام عبر رومة . فقد كانت هذه المنظمات بمثابة القنوات التي تتدفق من خلالها الاعانات المالية البابوية الى الاراضي المقدسة كما كانت تستخدم كوسيلة لفض النزاعات الداخلية بين الفرنج في الشرق . فقد أنشأ البابا أنوسنت الثالث (٥٩٤ - ٦١٢ هـ/ ١١٩٨ - ١٢١٦ م) نظاما يتم بواسطته ارسال تقارير منتظمة عن الاوضاع في الامارات الفرنجية والدول العربية الاسلامية المجاورة، من قبل البطريرك ومقدمي الاسبتارية والداوية[2].

ط - كان مقدما الاسبتارية والداوية من بين أكثر الاعضاء البارزين في أوليغاركية (حكم الاقلية) التي حكمت الارض المقدسة في غياب أي ملك رسمي . بعد تنحية يوحنا دي برين (٦٠٦ - ٦٢٢ هـ/ ١٢١٠ - ١٢٢٥ م) عن العرش .

ي - أنشأ هؤلاء الفرسان الرهبان كثيرا من القلاع والحصون في ساحل بلاد الشام، وكانوا يقودون فصائل مؤلفة من أتراك وعرب يسمونها توركبول "Turcapol". ويدفعون لافرادها رواتب معينة . وهم جنود مأجورون متمرنون على أساليب الكرّ والفرّ العربية والتركية في الحروب . ولا يختلفون كثيرا عن سائر أبناء جنسهم في بلاد الشام الداخلية الا بقادتهم الذين هم من الفرسان الرهبان . زيادة على ذلك فقد كان لاولئك الرهبان اسطول يمخر عباب البحر ويشترك في المعارك البحرية[3].

ك - كانوا يجبون الضرائب من رعاياهم العرب المسلمين المقيمين في أراضيهم التي بقوا فيها[4] .

ل - كان الداوية ومعهم الاسبتارية يقدمون المشورة في الشؤون العسكرية للقادة الصليبيين في أغلب الاحيان . وكانوا يقومون بدور المرشد والوسيط في السياسة الداخلية[5].

م - أما عن نشاطهم المصرفي، فقد قاموا بتقديم تسهيلات ائتمانية للحجاج الوافدين

---

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٨١ .
(٢) - سميث : المرجع السابق ص ١٥٣ .
(٣) - رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٧٩ - ٨٠ .
(٤) - رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٨٠ .
(٥) - سميث : المرجع السابق ص ٨٢ .

من الغرب ، ولم يتخذ هذا النشاط شكلا استقلاليا . الا في اواخر الاحتلال الصليبي[١].

٢ - التنظيم الاداري في المنظمات الدينية العسكرية :

منذ قيام هذه المنظمات الدينية العسكرية ، اضطرد نموها في كثرة عدد رجالها ووفرة ثروتها ، حتى غدت سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م . أكبر ملاك الاراضي في الاراضي المحتلة في بلاد الشام . وانحاز الى صفوفها عدد كبير من النبلاء الفرنج من أراضي فلسطين المحتلة كما اضطرد قدوم المتطوعين من الغرب لينضموا اليهم[٢]. وقد اجتذبتهم امكانيات واحتمالات تلبية تطلعاتهم العدوانية بواسطتها[٣].

تألفت هذه المنظمات من ثلاث طبقات :

- الاولى : طبقة الفرسان وكلهم ينتمون الى الاشراف .
- الثانية : طبقة القادة الصغار (السرجندارية) أو ما يسمونه الآن بصف الضباط . وكانوا ينتمون الى الطبقة البرجوازية الوسطى[٤].
- الثالثة : طبقة الكهنة[٥].

ويمكن آن نضيف الى هذه الطبقات التركبول الذين ورد الحديث عنهم .

يدير كل من منظمتي الاستبارية والداوية رؤساء ذوي مرتبة عالية ، يدعى الواحد منهم " مقدم " ، فهناك مقدم للاستبارية ومقدم للداوية . وقد تتابع عدد كبير من هؤلاء المقدمين على رئاسة كل من هاتين المنظمتين . فقد بلغ عدد مقدمي الاستبارية في الامارات الفرنجية في الاراضي المحتلة واحدا وعشرين مقدما ، تتالوا على رئاسة هذه المنظمة منذ سنة ٤٩٣ هـ/ ١١٠٠ م - حتى سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣م[٦]. وكذلك بلغ عدد مقدمي الداوية في الاراضي المقدسة نفس العدد[٧].

---

(١) - عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣٢٥ .

(٢) - رنسمان : المرجع السابق ج١ ص ٥٠١ .

(٣) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٤) - يذكر وليم الصوري عن الداوية ما يلي:"ولم يقتصر ارتداء هذه الشارة على الفرسان ، بل شمل الرهبان الادنى مقاما الذين يسمون سرجندارية . ونجح الداوية نجاحا كبيرا ، حيث يوجد اليوم في هذه المنظمة نحو ثلاثمائة فارس يرتدون الرداء الابيض ، ومعهم عدد لا يحصى تقريبا من الرهبان الادنى مقاما" .

انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٨ .

(٥) - رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٧٩ ا.

جوناثان سميث : المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٦) - عن أسماء هؤلاء المقدمين وسني حكمهم انظر فيما بعد الملحق رقم ١٠ ص ٢٢٧

(٧) - عن أسماء مقدمي الداوية وسني حكمهم انظر فيما بعد الملحق رقم ١١ ص ٢٢٨

ويتبع المقدم في كل من هاتنين المنظمتين ، جهاز [illegible]

كان أول مقدمي الاستبارية جيرار (٤٩٣ - ٥١٤ هـ/ ١١٠٠ - ١١٢٠م) وبعده تولى الرئاسة ريموند دي بوي (٥١٩ - ٥٥٣ هـ/ ١١٢٥ - ١١٥٨م)(١). وقد تطور الاستبار بسرعة كبيرة في عهده ، وكانت هناك زيادة كبيرة في ممتلكاته ، كما ظهرت التطورات الاولى في التنظيمات الاقليمية في عهد ريموند هذا . وقد اتخذت الخطوة الاولى في خلق الرهبان العسكريين من قبل ريموند نفسه . وبعد وفاته سنة ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م، ترسخت خطط تطوير المستقبل وتوط استقلال المنظمة عن حكومة الاساقفة . وكدست ممتلكات ضخمة للاستبارية في أوربة وفي بلاد الشام . كما بدأت باحداث تسلسل هرمي من الموظفين المحليين ، وبتطوير أجهزة ادارة مركزية . وأصبح لها قانون ينظم أعمالها. ففي بلاد الشام الشمالية ، كانت تنشئ مقاطعات شبه مستقلة على الحدود العربية الاسلامية ، كما كانت تطالب بأراض خارج السيطرة الصليبية . وقد أدى اعفاء المنظمة من ضريبة العشر (التي كانت تدفع للاسقف) ومن دفع بعض الرسوم عن الاموال المنقولة، التي كانت تدفع الى الحكومة ، الى تخفيف عبء ثقيل عن مواردها المالية في أجزاء عديدة من بلاد الشام المحتلة(٢).

ويمكن أن تأخذ العضوية في منظمة الاستبارية عدة أشكال . فكان هناك الاخوة الكهنة، وفي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، الاخوة الفرسان والاخوة السرجندارية . وكان هناك أخوات القديس يوحنا في القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي، كما كان هناك الرفاق العلمانيون (الاخوة والمحسنون)(٣).

عاش الاخوة حياة عادية في بيوت عرفت كلها بالاديرة التي تنوعت في الحجم بشكل كبير. وفي أوربة، عرفت أصغر الوحدات التي قام بادراتها الاخوة بالحاميات . وقد جمعت الحاميات بعضها مع بعض ضمن حاكميات سميت بالاديرة، الحاكميات الاكليركية أو القلاع الاكليركية ، وكان مدراؤها بمرتبة رؤساء اكليركيين ، الذين يعنيون

---

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٤٨ .
- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٩ .
سميث : المرجع السابق ص ٦٢ .

(٢) - عن هؤلاء بالتفصيل انظر :
سميث : نفس المرجع ص ٢٣١ وما بعد وكذلك ص ٢٣٤ وما بعد. وكذلك ص ٢٣٧ ومابعد. وكذلك ص ٢٦٦ وما بعد .

(٣) - اما بالنسبة الى قبول الاخوة يذكر نفس المرجع ص ٢٢٩ وما بعد:
في البداية كان بامكان أي نائب مقدم أن يقبل أخا فارسا ،مع أن المقدم فقط، أو أي أخ يعينه لهذه المهمة ،يستطيع قبول أخ سرجنداري. وفي المؤسسات الكبيرة مثل عكا وقلعة الحصن وقلعة المرقب فيمكن قبول المرشحين بموجب موافقة هيئة الرهبان المحلية . ويبدو أنه كانت هناك محاولة قليلة لتحديد السن التي يمكن قبول الاخ فيها . ولكن فرضت قيودا على السن التي يرفع بها المرء الى مرتبة فارس أو يعين قسا .

ويعزلون في اجتماع لهيئة الرهبان العامة لكل الاخوة .

وفي أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، جُمعت الاديرة ضمن وحدات أكبر سميت بالحاكميات الكبيرة ، وقد قسمت في أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي الى سبع مناطق رئيسية[١]. كانت الحاكمية هي الوحدة الاساسية في الادارة الاستبارية . وفي بلاد الشام كانت هناك حاكميات وقلاع أيضا ، لكن حاكمها في المناطق المحتلة في بلاد الشام (وفيما بعد من قبرص ، بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام) قد حكم منطقة أكبر من نظيره الغربي ، بينما كانت رتبته رئيسا اكليركيا ، وبهذا كان مساويا للرئيس الغربي[٢].

وكانت مراكز قيادة الاخوية في بيت المقدس وعكا تدعى الاديرة أيضا . وقد اختلفت بنيتها قليلا عن أكثر بيوت الرهبان فقد كانت أكبر بكثير منها ، كما كانت فخمة ،وموظفوها كانوا ذوي أهمية أكبر . كان هناك ثمانية موظفين رئيسيين في المنظمة الدينية وهم : نائب المقدم - المارشال - الاستباري - الجوّاخ - أمين الصندوق - الادميرال - والتركبول . وكانوا يعينون من قبل هيئة الرهبان العامة[٣]. أما الثامن فهو الرئيس الاكليركي الذي كان له وضع خاص سنأتي على وصفه في حينه .

وكان على رأسهم المقدم الذي عهدت اليه أمور ادارة المنظمة . لكن سلطته مثل سلطة أقل القادة أهمية ، مقيدة بواسطة القرارات الجماعية لاخوته ، الذين يجتمعون برئاسته مع هيئة الرهبان العامة في أيام السبت في أي بيت من بيوت الاستبارية . وتسن القوانين لكل المنظمة[٤]. وكان يعقد اجتماع عالم لرؤساء الجماعات مرة واحدة في السنة في مراكز قيادة المقاطعات ، وفي أوقات غير منتظمة ، في بلاد الشام ، ويمارس كل هؤلاء الاعضاء السلطة . ويتولون المناصب الادارية[٥] .

آ - المقدم[٦]: كان المقدم حاكما للمنظمة ، يُختار من بين الاخوة الفرسان ولمدى الحياة ، وذلك من قبل اخوة القديس يوحنا (الاخوة الاستبارية) المعترف بهم . حيث

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٢٢٨ .
(٢) - سميث : نفس المرجع ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٣) - سميث : نفس المرجع ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٤) - سميث : نفس المرجع ص ٢٢٩ .
(٥) - سميث : المرجع السابق ص ٢٢٩ .
(٦) - وتذكر المصادر العربية كبير الداوية وكبير الاستبارية باسم المقدم كذلك في كثير من المواضع مثلا يقول ابن الاثير عند ذكر تخريب حصن بيت الاحزان من قبل صلاح الدين: " ونجا ملكهم فريدا وأسر كثيرا منهم .. ومقدم الداوية ومقدم الاستبارية " .
١- ابن الاثير: المصدر السابق ج١١ ص ٤٥٥ .
٢- القلقشندي: المصدر السابق ج١٤ ص ٣١ - وكذلك ص ٥١ ..

يقومون بتعيين رئيس ولجنة من اثني عشر شخصا لاختيار مقدم ... مدى الحياة. وعندما يتم الاختيار تصدّق هيئة الرهبان العامة بكا... اختيارهم عليه ثم يصادق البابا على اختياره في أغلب الاحوال وتصبح رئاسته شرعية[١].

ـ أعماله: يُقسِم المقدم الجديد قَسَما عند انتخابه يتضمن القول بأن عليه الالتزام بالاعراف القديمة المناسبة، والتي لا تخالف تشريعات المنظمة وأن لا يباشر أعماله دون مشورة هيئة الرهبان العامة في القضايا العامة وذلك بادارة أعمال المنظمة بنصائح الاخوة الرهبان. وأن يعد بالمحافظة على التقاليد الجيدة والقوانين المحلية للمنظمة، ويلتزم بها[٢]. وبالمقابل فان المقدم كان بمثابة الاب، والاخوة أولاده وعليهم الخضوع لطاعته، ويعاقب بالطرد كل من يفعل ما يوجب العقوبة من الاخوة فالمقدم يتحمل مسؤلية الادارة العامة للمنظمة، ولا يتم قبول الاعضاء الاخوة وأعضاء الجمعية الدينية الا بموافقته، ويقوم بالاشراف على قيمي الاديرة، ويمارس القيادة العليا على الحملة، وهو الذي يتلقى الصدقات والهبات، ويقوم بتصريف شؤون الاستبار المالية. وكان يدعو الى الاجتماع ويترأس هيئة الرهبان العامة. وكانت محكمته محكمة العدل النهائية.

وعلى الرغم من وجود قيود على ادارة المقدمين، فقد أصبح بمقدورهم أن يتصرفوا أوتوقراطيا (فرديا) منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حتى نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.وكانت شارات وظيفته هي الحزام والمحفظة والخاتم[٣].

---

(١) ـ حول طريقة الاختيار انظر: سميث: نفس المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٢) ـ سميث: نفس المرجع ص ٢٧١.

(٣) ـ سميث: المرجع السابق ص ٢٧٣.

وحول تصرف مقدمي المنظمات الدينية اوتوقراطيا (فرديا) يذكر وليم الصوري أنه عندما قاد ملك بيت المقدس بلدوين الثالث حصار عسقلان سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وعندما تمكن الفرنج من تحطيم السور حاول الداوية احتكار الثغرة وعدم السماح لاحد باستثناء رجالهم بالنفوذ الى المدينة. فيقول: "...وكان برنارد دي ترميلي مقدم الداوية قد وصل مع اخوته الى هناك قبل البقية بوقت كبير واستولى على الفتحة ولم يسمح لاحد غير جنوده بدخولها، واتهم بأنه أقصى الباقين حتى يتمكن شعبه من الحصول على الجزء الاكبر والاثمن من الاسلاب والغنائم....." .

انظر: وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ ـ الكتاب الثاني عشر ـ ص ٨١٧.

ولما كانت المناطق التابعة للمنظمة قد قسمت اداريا الى عدة مناطق أبرشية ، فقد كان على كل من هذه المناطق أن تعيّن شخصا اداريا شرط أن يكون من الفرسان . والمقدم بصفته رجلا اداريا لمنطقته ، يعتبر أحد أعضاء اللجنة " Diffinton " السباعية التي يعين أعضاؤها مدى الحياة ويختار كل عضو من أعضاء اللجنة الادارية مساعديه . ويمكن لاعضاء هذه اللجنة أن يتقاعدوا بشكل طوعي عند بلوغهم سن الخامسة والتسعين عاما، لكنهم يعزلون من مناصبهم عندما يكتشف أقرانهم بأن قواهم العقلية لم تعد تساعدهم على القيام بمهامهم، وحين يتولى "Diffinton" المنصب يتخلى عن كل المناصب الاخرى للمنظمة ما عدا القيادة في الحرب . وعندما يموت أحدهم، ينتخب خلف له ، من نفس المنطقة من قبل الاخرين . واذا لم تستطع هيئة الرهبان العامة انتخاب مقدم جديد للمنظمة، تقوم اللجنة الادارية السباعية (أو السداسية بسبب موت المقدم) بعملية تعيين المقدم الجديد. كما تقوم اللجنة الادارية بتقرير التشريع والادارة ، واحتياجات الاخوية الاخرى بشكل سري. وفي حال غيابهم يقوم مساعدوهم بالاعمال نيابة ، ولكنهم يتركون مناصبهم عندما يموت الاداريون الاصليون الذين يمثلونهم[1].

ب - نائب المقدم[2]: كان نائب المقدم أو معلم الاستبار هو القائد الرئيسي بعد المقدم. وكان هذا المنصب في اجتماع هيئة الرهبان أمام جميع القيمين الرهبانيين، وكانت شارة سلطته عبارة عن جزدان، وفي نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كانت عبارة عن ختم من الشمع الاخضر مرسوم عليه صورة كلب صغير[3].

كان نائب المقدم يدير المنظمة في غياب المقدم. وقد كلف سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٦م بالاشراف على كل الاماكن المحتلة من الصليبيين في بلاد الشام، كما كلف سنة ٦٦٨ هـ/ ١٢٧٠م بتولي أمر العناية بالاملاك المتروكة بالوصية الى الاخوية بشكل كامل وهذا التكليف أدى الى أن يصل الى نائب المقدم الكثير من الجواهر والبضائع الثمينة المتروكة للمنظمة .

---

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) - يرد ذكر اسم نائب المقدم في المعاهدات المعقودة بين العرب المسلمين وبين الفرنج الصليبيين ومثلا: المعاهدة المعقودة بين السلطان قلاوون وبين حكام الفرنج بعكا سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م حيث يقول: "..... استقرت الهدنة بين مولانا السلطان وبين الحكام بمملكة عكا... والمرشان الاجل افريز كورات نائب مقدم بيت الاستبار...". انظر حول ذلك :
القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ ص ٥١ .

(٣) - سميث : نفس المرجع ص ٢٩٧ .

وبذلك كان على نائب المقدم مسؤولية الادارة العامة للمالك ... كان يزود المنظمة بالضروريات ويشرف على الادارة العامة للمستشفى ... القيادة في المعارك في غياب المقدم ، وفوق ذلك فانه كان مسؤولا عن مصنع الاقواس والسهام أما مناطق نفوذه فقد قسمت الى عدة دوائر[١].

ج - أمين الصندوق: كان يعين من قبل هيئة الرهبان العامة في نفس الوقت مثل الاستباري، مباشرة بعد نائب المقدم . وله ختم خاص . وكان أمين الصندوق مسؤولا عن المال بالطبع[٢].

د - الجوّاخ : تضمن دستور الاستبارية أنظمة صارمة فيما يتعلق بملابسهم . فقد توجب أن يوجد هناك ضابط مسؤول عن توزيع الملابس واللوازم لكل استباري ومع ذلك فان الجوّاخ لم يرد ذكره حتى سنة ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦م فقد تقلد منصبه في الوقت الذي تقلد فيه المارشال مهام وظيفته في هيئة الرهبان العامة ، وكان له ختم خاص كذلك . وكان يعاونه مساعد واحد على الاقل[٣].

فاذا اعتبرنا نائب المقدم وأمين الصندوق والجواخ ، قيمون رهبانيون اداريون ، يمكن أن نعد المارشال والتركبول وغيرهم مراتب عسكرية .

هـ - المارشال: وجد لاول مرة في الستينات في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . وعلى الرغم من أن المقدم أو نائبه كانا يمارسان سلطة عسكرية عليا ، فقد كان المارشال يمارس سلطته على الضباط العسكريين الادنى مرتبة وعلى تابع المقدم وحامل الراية وآمر الفرسان. وكانت لديه سلطات اصدار الاوامر على قادة القلاع ، وكانت له سلطة على الادميرال عندما يكون موجودا في الاسطول . وكان المارشال يرسل التقارير عن وضع وظيفته الى هيئة الرهبان العامة مباشرة بعد نائب المقدم . كانت شاراته علم الاخوية وكيس دراهم وختما . وكان ختمه في أواخر القرن السابع الهجري/ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي من الشمع الاخضر مصورا عليه صورة فارس مدجج بالسلاح ويحمل راية) . وقد تحكم المارشال بكل الامور المتعلقة بالفرسان[٤].

وظهرت منذ سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م مرتبة عسكرية عرف صاحبها بالكنداسطبل " " وربما بقي نائبا للمارشال حتى سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩ م .

---

(١) - للتوسع عن مسؤوليات ومهام نائب المقدم انظر:
سميث : المرجع السابق من ص ٢٩٧ حتى ص ٣٠٢ .
(٢) - عن أمين الصندوق انظر نفس المرجع ص ٣٠٢ حتى ص ٣٠٤ .
(٣) - عن الجواخ انظر : نفس المرجع ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٤) - حول المارشال انظر نفس المرجع ص ٣٠٦ حتى ص ٣١٢ .

وظهر حامل العلم " Confanonier " لاول مرة سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م، وكان مسؤولا عن راية المنظمة ، وعضوا في حاشية المارشال[١].

و - التركوبول : كانوا الاكثر عددا في المرتزقة ، وكانوا اما من المولديين ، أو من السكان المحليين ، وهم عبارة عن خيالة خفيفي التسليح يجهزون أحيانا بقوس ، وكانوا يستخدمون لتعزيز الفرسان، وقد أصبح التركبول جناحا شبه دائم في قوات المنظمة ، وجد قائد التركبول ، الذي يمارس السلطة عليهم لاول مرة سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣ م، وكان يعمل تحت امرة المارشال[٢]، مع أن التركبول أنفسهم وجدوا منذ فترة طويلة.

ز - الادميرال والاسطول : امتلكت منظمة الاستبارية في القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي سفنها الخاصة ، وفي أواخر الثلاثينات من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كان لدى الاخوية اسطول كبير، يرسو في عدة مرافئ أوربية.

وذكر القطبان الاستباري لاول مرة سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م، وكان يدعى آمر السفينة ، وكان أخا مهمته الاساسية نقل البضائع الى الشرق لمنظمته ، وقد يعمل التجارة لصالحها أحيانا ، ويظهر أن سفن المنظمة كانت سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م، سفن نقل تجارية أكثر منها سفنا حربية ، وبعد تحرير بلاد الشام بدأ كل من الاستبارية والداوية في بناء الاساطيل الحربية من مناطق خارج بلاد الشام وقد قاد هذا النشاط الى ظهور قيّة جديدة، فظهر الادميرال لاول مرة سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م، وكانت له القيادة العليا على الاسطول.وفي حال وجود المارشال في الاسطول كان يمارس القيادة العليا بنفسه[٣].

---

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٢) - عن التركبول انظر : ابن القلانسي: المصدر السابق ص ٣١٤ - حاشية رقم ٢ .
سميل : فن الحرب ص ١٨٠ .
سميث : الاستبارية ص ٣١٦ - ٣١٩ .
سهيل زكار: حطين مسيرة التحرير ص ١٠٧
باركر : المرجع السابق ص ٥٨ حيث يقول : " يضاف الى هذه القوى المختلفة ، فرسان الطوائف الدينية وجيوشهم المؤلفة من السكان الوطنيين " .

(٣) - انظر حول ذلك :
سميث : المرجع السابق ص ٣٢١ .
ابن موسى : غزوات الافرنج ص ٩٢ .
زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٥ .

ح - الاستباري : وقف على رأس المنظمة الخيرية، وقد ظهر منصبه سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م كان قائدا للدير سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م . وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أصبح يرسل التقارير الى هيئة الرهبان العامة مباشرة بعد المارشال . وكان له خاتم من الشمع الاسود، رسم عليه شكل رجل مريض مستلق على السرير يزود بالطعام بواسطة رجل آخر ولهذا السبب تولى العناية بالارث المتروك بشكل خاص للمرضى . وتحت امرته عدد كبير من الموظفين[1].

ط - الرئيس الرهباني : لم يكن الرئيس الرهباني ، الذي عرف لاول مرة برئيس الدير، والسيد، أو القيم على الكنيسة ورئيس رجال الدين، فيما اكليركيا، لانه ليس مسؤولا أو منتخبا من قبل هيئة الرهبان العامة . كان مسؤولا عن كنائس المنظمة وتجهيزاتها وكهنتها، لهذا كانت سلطته واسعة . وكان الرئيس الرهباني يوجه كل الكهنة في المنظمة بشكل غير مباشر[2].

هذا الجهاز الاداري والديني في منظمة الاستبارية، كان له مثيل عند منظمة الداوية وفرسان التيوتون . فعلى رأس كل منظمة كان يقف الاستاذ الاكبر (المقدم) الذي كان يسمى بالالمانية في جمعية الفرسان التيوتون " غروس ميستر"[3]، وكان يخضع لهذا المقدم آمرو الاقسام المحلية للمنظمة (الباياجات والمحافظات) والمحافظات فروع اقليمية كبيرة تضم بضعة باياجات . وآمر الاقسام هؤلاء هم المعلمون والبريسيبتورات (المؤدبون) والكومندورات (محاربون) وتبع هؤلاء سلم طويل من الموظفين بقدر ما كانت تتنامى المنظمات تلك . فعند الداوية مثلا كان هناك رئيس مطعم الهيكل - والمارشال - آمر الخيالة - وكثير من الرؤساء الاخرين ذوي الالقاب من كبار وصغار يماثلون ما ذكرناه عند منظمة الاستبارية . ومنهم كان يتألف المجلس العام (الكابيتول) برئاسة المقدم . ومنذ أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أخذت تنتخب المقدم الكبير هيئة مؤلفة من ١٣ ناخبا، وصار يشغل وظيفته للعمر كله . وهكذا تشابهت المنظمات في نبيتها الادارية وتسلسل موظفيها[3].

---

(١) - للتوسع عن مهام ومسؤليات الاستباري انظر : سميث: المرجع السابق ص ٣٢٥ - ٣٢٩ .

(٢) - عن الرئيس الرهباني انظر : سميث : المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٣) - عن أسماء قادة منظمة الثيوتون وسني حكمهم ، انظر فيما بعد الملحق رقم ١٠ ص ٢٧٥

(٤) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٦١ .

تمتعت هذه المنظمات بأملاك واسعة ، فهي لم تمتلك ضياعا وأراضي وأسواقا ومراعي ومواشي فحسب ، بل امتلكت أيضا كثيرا من المدن والحصون والقلاع وكلهت بالدفاع ضد المسلمين . ولاشك في أن هذه الممتلكات جاءت على حساب بقية الفئات الصليبية بالشام(١).

نجح الاستبارية في امتلاك نسبة جيدة من الاراضي ، وفي احدى الفترات حصلوا على ١٧٠ قرية من أصل ٨٥٨ قرية كانت موجودة في مملكة بيت المقدس . ويبدو أن أملاكهم من الاراضي كانت تشكل أعلى نسبة من أراضي طرابلس وانطاكية . وتم الاحتفاظ بأكثر أراضيهم الواقعة في القرى عن طريق منحها على شكل اقطاعات . فمن المعروف أن أراضي وممتلكات منظمة الاستبارية ، تم الحصول عليها بعدة طرق .

فهناك الاراضي والقلاع التي منحت لهم كصدقات وهبات مثل آفامية – عرقة – جبيل – الحصن – المرقب ... مع مساحات واسعة من الاراضي المحيطة بهذه المدن والقلاع والواقعة بالقرب من حمص وطرابلس وانطاكية وغيرها . وهناك الاراضي التي تم شراؤها من قبلهم وبناء الحصون والقلاع فيها . فقد اشتروا احدى قطاعاتهم بالقرب من عكار بمبلغ ١٦٠ بيزنطا.(٢). كما أن الحجاج النبلاء الراغبين بالسفر من أوربة الى فلسطين كانوا يكلفون الجمعيات الدينية بأن تشتري من أجلهم في بلاد الشام عقارات وقصورا وبيوتا في المدن ليحلوا فيها عند مجيئهم وبعد ذهابهم الى الغرب ثانية تعود ملكيتها للجمعيات الدينية(٣). كما أنهم قاموا باستئجار عددا من المزارع مثل دير جبل طابور والاراضي التابعة له والواقعة الى الشمال الغربي من قلعة كوكب . هذا بالاضافة الى مجموعات من الاراضي تم الاستيلاء عليها .

وهناك الاراضي والممتلكات التي تمت مقايضتها مع الداوية كما حدث في جبيل والمرقب سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م(٤). وفي مملكة بيت المقدس تركزت أراضي المنظمة في مناطق معينة ، بين الخليل وعسقلان نحو غربي بيت المقدس والبحر الميت وامتلكوا مقاطعات غنية مثل قيسارية والرملة وجبيل وغيرها .

---

(١) – Tompson: op. cit. p. 407.

(٢) – سميث : المرجع السابق ص ٤٢٢ .

(٣) – زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٤) سميث : نفس المرجع السابق ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .

وتميزت هذه الممتلكات التي أصبحت تحت أيديهم وسلطتهم في المناطق المحتلة من بلاد الشام بأنها أملاك عامة ، ولا وجود للاراضي الخاصة بها ، وكان الفلاحون يعملون في معظم هذه الاراضي تحت اشراف مرشد أووكيل من السكان المحليين غالبا ، باعتبارهم مزارعين فيها يدفعون الواردات نسبة من المحاصيل ، ومبالغ نقدية كأجور اضافية محددة وأحيانا يفرض على الفلاحين حد أدنى من عمل السخرة [1].

وفي حالة غياب الاستبارية ، يشرف على عمل الفلاحين المحليين في الاراضي المحتلة حاكم مسلم ،(وأحيانا [illegible] عدة حكام مسلمين، ويكونون عادة من السكان الاصليين)، وهو مسؤول أمام المنظمة فيما يتعلق بحكم القرية بطريقة سلمية ، ويدفع عائداتها نقدا وعينا . وكان منصب هؤلاء الحكام يعتمد فقط على مشيئة المقدم والاخوة . وقد ترك هؤلاء لوحدهم دون أن يتدخل أحد في شؤونهم ، باستثناء بعض الزيارات بغرض التفتيش ، وذلك على الرغم من أن الاستبارية عينوا أمناء لتسجيل أعداد الفلاحين في كل قرية والاجور التي يتقاضونها [2]. ولكن هذا لم يكن حال كافة القرى في كافة الامارات الافرنجية . اذ يذكر بعض المؤرخين أن فرسان الجمعيات الدينية كانوا مستثمرين في منتهى القساوة حيال الفلاحين الأقنان في ضياعهم . وأكثر من مرة نشبت الانتفاضات ضدهم [3].

ومن المحتمل أنه قد تم تنظيم القرى في مجموعات كانت مراكزها المستودعات حينا أو المخازن أحيانا أخرى حيث كانوا يرسلون منتجاتهم اليها [4]. وبذلك برعت هذه المنظمة الدينية في أعمال الادارة المحلية وجباية الضرائب كما برعت في الحرب والاعمال الدينية .

أما منظمة الداوية فقد امتلكت مثل الاستبارية عددا من القلاع الهامة والضياع والاراضي الشاسعة لاسيما في امارة طرابلس ، ومن حصونهم الهامة طرطوس وصافيتا وعثليت وغزة وجبيل (حيناً) وغيرها .. وكانت حامياتهم موزعة في مدن مملكة بيت المقدس جميعها ، وكذلك في مدن امارة طرابلس وامارة انطاكية ، وفي كل مكان كانت لهم بيوت أو ثكنات .

---

(١) - سميث : المرجع السابق ص ٤٢٤ .
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٧٤ .

(٢) - سميث : نفس المرجع ص ٤٢٥ .

(٣) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٤) - سميث : المرجع السابق ص ٤٢٥ .

الراجح أن منظمة الاستبارية كانت أكبر المنظمات وأكثرها ثروة[1]. وقد كانت هاتين المنظمتين تملكان آلاف القرى والمروج والكروم واستثمارات الملح، وقطع الاراضي في المدن ، بما فيها الاسواق ، وشتى المداخيل من الاموال المنقولة وغير المنقولة. فمثلا ان قائمة وثائق الداوية العائدة الى أواخر القرن الثاني عشر، تشمل ٤٤٤ وثيقة بالهبات والوصايا والمشتريات ...

وكان لهاتين المنظمتين مقاطعاتهما ، لا في مملكة القدس المحتلة فحسب ، بل أيضا في فرنسة والمانية واسبانية والبرتغال وبلاد التشيك والمجر وانجلترة وصقلية وقبرص[2].

٣ - أثر المنظمات الدينية على ادارة وسياسة الامارات الفرنجية :

منحت البابوية هاتين المنظمتين الكثير من الامتيازات ، سعيا منها لحملهما على خدمة أهدافها كليا. كما أعفيت الجمعيتان (الداوية والاستبارية) من الخضوع للادارة المحلية في مملكة القدس (الدينية والعلمانية) وكانت السلطة العليا على المنظمتين تعود مباشرة الى الكرسي الرسولي في رومة (أي البابا مباشرة). فلا يحق لاحد، عدا البابا أن يحاكم عضو الجمعية ويفرض المنع (حرية التصرف بأمواله) على ملكه. كما أعفي أعضاء هذه المنظمات من دفع ضريبة العشر وسائر الضرائب الكنسية[3].

وبعد أن كدّس الرهبان الفرسان ثروات طائلة ، آخذوا يقومون كذلك بالعمليات الربوية والمصرفية . حتى ان أعضاء الداوية أمسوافي دور المرابين منافسين خطرين على المصرفيين الايطاليين . ومن الطريف أن لفرسان الداوية اخترعوا وطبقوا نظاما معقدا لاعمال الكتابة المالية ، فقد نظموا سجلات المحاسبة ، ووضعوا وثائق حساب الداخل والخارج[4]. غير أن هاتين المنظمتين لم تبلغا من الثراء ما يكفي لتحدي سلطة الملك الا بعد أن انقضى الجيل الاول للصليبيين الفرنج(تقريبا في عهد بلدوين الثالث ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م) [5].

---

(١) - رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١ .
(٢) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٧ .
(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٩ .
زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٢ - ١٦٣ .
(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٠٢ .
زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٥) - رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٠ .

أما سلوكهم نحو الملك ، فانه جرى على أنهم أمراء مستقلون ، ومع ذلك فان مساعدتهم بلغت من شدة الاهمية والحيوية مثلما كان لنفوذهم [illegible] الاهمية (١) وكان ينبغي حسبان الحساب لهذه المنظمات الرهبانية العسكرية ، لان مجمل أعداد الغزاة الصليبيين بالشرق لم يكن كثيرا. وقد لعب أعضاء هاتين المنظمتين دورا كبيرا وهاما في مشاريع الصليبيين الحربية ، سائرين عادة اما في مقدمة الفرسان ، أو في مؤخرتها ، مغطين انسحابها. حتى ان طائفة الاسماعيلية كانت ترهبهم وتدفع لهم الجزية. فقد ذكر جوانفيل في مذكراته ما يلي :

" وكان شيخ الجبل (زعيم الاسماعيلية) يدفع في ذلك الحين (فترة قضاء الملك لويس التاسع ٤ سنوات في مملكة عكا في بلاد الشام بعد الحملة الصليبية السابعة على مصر) جزية للداوية والاستبارية الذين كانوا لا يرهبون بأس الاسماعيلية لمعرفتهم ألا جدوى تعود على شيخ الجبل من موت كبير الداوية والاستبارية. أضف الى ذلك أنه كان يدرك أنه لو أمر بقتل أحدهما ، فسيحل مكانه رجل آخر في مثل كفاءته ، ولذلك لم يكن راغبا بالتضحية برجاله في عمل لا نفع من ورائه "(٢).

وكما ذكرنا، كانت منظمتي الاستبارية والداوية حلفاء لملوك وحكام الامارات الفرنجية ، وليسوا أتباعا. وبذلك فَقَدَ حكام الفرنج الصليبيين سيطرتهم الكاملة على العمليات العسكرية وعلى السياسية ، بعد أن كانوا يمارسونها كاملة في العقود الاولى من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . وكانت هذه المنظمات مستقلة تماما في بلاد الشام عن كل نفوذ سياسي مما جعل منها دولة داخل الدولة الفرنجية الصليبية (٣).

وبعد فقدان القدس سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م بقيت المنظمات الدينية من حيث الجوهر القوة الوحيدة القادرة على القتال في الامارات الفرنجية في الشام . وبالتالي لم تكن تتخذ أية خطوة سياسية في هذه الامارات الفرنجية دون مشاركتها (٤). والفترة الوحيدة التي تغاضى فيها حكم بيت المقدس عن الاخذ بآراء هاتين المنظمتين، كانت

---

(١) - باركر : المرجع السابق .
(٢) - جوانفيل : المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٥ . وتمتد هذه الفترة من سنة ٦٤٨-٦٥٢هـ/١٢٥٠-١٢٥٤م
(٣) - سميل : المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٤) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

فترة قضاء لويس التاسع ملك فرنسا أربع سنوات في بلاد الشام بعد فشله في الحملة الصليبية السابعة على مصر[١]. ولكن على الرغم من ذلك كان [illegible] لهذه المنظمات ، وسوء استعمال الامتيازات فيما بعد، والمغامرات اللصوصية، والنزاعات المتواصلة سواء مع الادارة المحلية ، أو فيما بينها، وغطرسة الرهبان الفرسان . كل هذا أخذ يثير ضدهم تدريجيا الاقطاعيين الدنيويين والاقطاعيين الكنسيين ، كما أخذت ثروات الجمعيتين تثير الحسد[٢]. وبذلك ضعفت أهمية هذه المنظمات في حياة الشرق الفرنجي، فقد كانتا تعيشا في خلاف بينهما. كما أن جشعهما كان يخلق المخاصمات المتبادلة، وكانوا على استعداد لابادة بعضهم بعضا بسبب امتلاك مطحنة أو سوق ماء . وفي سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م ، أجبر البابا اسكندر الثاني المنظمتين على توقيع صلح رسمي كأنما كانتا دولتين متعاديتين[٣].

ومن الجدير ذكره أن الاستبارية كانوا يؤيدون الملك (ملك بيت المقدس) في نزاعه مع أمرائه الكبار (البارونات) بينما كان الداوية يؤيدون البارونات أنفسهم، وهذا ما بدد قوتيهما[٤].

وهكذا مع مرور الزمن انحرفت تلك المنظمات الرهبانية المسلحة عن مبادئها الاصلية، وأصبح رجالها رجال دين ودنيا ، رجال يلبسون مسوح الرهبان ، وفي نفس الوقت يقاتلون من فوق ظهور الخيل ، ويتاجرون ويغنمون ، ويفرضون الضرائب والاتاوات على القوافل المارة بمعاقلهم في الشام[٥]. وكانت المنظمات الدينية هذه سنة ٥٩٦ هـ/١٢٠٠م في وضع لا يستطيع أحد منافستها باستثناء الدويلات التجارية الايطالية[٦].

أما الداوية الذين أخذوا يتعاطون أعمال المصارف بسبب ثروتهم الجسيمة، التي أخذت تنهال عليهم من كافة أنحاء العالم المسيحي في بلاد الشام والغرب ، قد ساءت

---

(١) ـ انظر حول ذلك : جوانفيل : المصدر السابق ص ١٨٣ حتى ص ٢٦٥ .
عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١٠٤٤ .

(٢) ـ زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٩ .
وعن التشاحن والتطاحن بين تلك المنظمات انظر:
عاشور: أوروبا العصور الوسطى ـ ج١ ص ٤٥١ وكذلك ٤٦١ .

(٣) ـ زابوروف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٤) ـ سميث : المرجع السابق ص ١٥٧ .
جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٩٠ .
ويذكر الدكتور عاشور كذلك أن الاستبارية والداوية ،قد دخلتا في النزاع والتطاحن بين الجاليات التجارية الايطالية في الشرق فوقفت الاستبارية الى جانب الجنوية ، ووقف الداوية والتيوتون الى جانب البنادقة والبيازنة وكذلك انقسم الامراء والحكام الفرنج الى جانب أحد هاتين الكتلتين . وبذلك انقسم المعسكر الصليبي في الشام الى جبهتين كبيرتين متعاديتين .
انظر: عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦ .

(٥) ـ جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٩١ .

(٦) ـ سميث : المرجع السابق ص ٨٨ .

حالتهم الاجتماعية وصاروا يتعاطون الموبقات ويشربون الخمر بافراط ويكذبون ولا يرعون عهدا ولا ذمة ، فذاعت عنهم هذه العيوب والنقائص الاخلاقية ، حتى صاروا مثلة في أفواه الناس في أوربة [1]. وبقيت سمعتهم سيئة في أوربة بعد تحرير المناطق المحتلة من بلاد الشام نهائيا، وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ألغيت طائفتهم بأمر من البابا وبقرار من ملك فرنسة فيليب الرابع، وصادر الملك أموالها وترك أراضيها وعقاراتها الثمينة الى البابا كليمنت الخامس (٧٠٥ - ٧١٥ هـ/ ١٣٠٥ - ١٣١٥م) وذلك مكافأة له على قراره بالغاء هذه الطائفة [2].

أما منظمة الاسبتارية فقد انتقلت الى جزيرة رودس بعد تحرير الاراضي المحتلة من بلاد الشام. وهناك ابتعدت عن الغاية التي نشأت من أجلها، وانقلبت الى جمعية أو عصابة حربية مسلحة . وأصبحت تملك اسطولا قويا يحارب ويتجر في آن واحد. ولما امتلك السلطان العثماني سليمان القانوني جزيرة رودس، انتقل فرسان الاسبتارية الى جزيرة مالطة سنة ٩٣٦ هـ/ ١٥٣٠م واستأنفوا فيها أعمالهم التجارية والحربية وظلوا حكاماً على مالطة حتى نشوب الثورة الفرنسية التي قضت عليهم [3].

أما فرسان التيوتون، فبعد عودتهم الى ألمانية (بسبب تحرير صلاح الدين للمناطق المحتلة من بلاد الشام) فقد استأنفوا نشاطهم الحربي هناك ضد منطقة بروسية الوثنية، وأبادوا سكان هذه المنطقة الاصليين وأسكنوا فيها جاليات ألمانية مسيحية، وفي عام ٩٣١ هـ/ ١٥٢٥م أعلن رئيس هذه الطائفة اعتناقه للمذهب البروتستانتي واضمحل ذكر هذه الطائفة. وأصبحت في النمسة طائفة فخرية، حافظ أعضاؤها على ارتداء زيّ فرسانها المكون من طيلس أبيض عليه صليب أسود مطرز بالذهب [4].

---

(١) - وكما قال عنهم وليم الصوري في زمانه (أي قبل معركة حطين): "...وحافظوا على على هدفهم النبيل بشكل سليم لفترة طويلة من الزمن،ونفذوا مهنتهم بحكمة كافية،بيد أنهم بدأوا أخيراً يهملون التواضع - الحارس لجميع الفضائل - الذي بجلوسه الطوعي في المكان الادنى لا يخاطر بأي انحراف عن سبيل الفضيلة". انظر وليم الصوري: المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٧٩ .

(٢) - رفيق التميمي: المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) - رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٨١ .

(٤) - ابن موسى : المرجع السابق ص ٩١ .

وهكذا فكما لعبت المنظمات الدينية العسكرية دور الحارس والمدافع عن الامارات الفرنجية في بلاد الشام ، وكان لها الفضل في تثبيت أركانها وتوسيع حدودها، كانت هذه المنظمات في الفترات اللاحقة من أسباب انهيار البناء الفرنجي بالشام كله .

وما يهمنا هنا هو أثر استقلال هذه المنظمات داخل الامارات الفرنجية الصليبية ، وعدم تقيدها بسياسة الدولة فقد أدى هذا الاستقلال الى أن تصبح الممالك الفرنجية في بلاد الشام موزعة السلطة ، وبالتالي فان ادارتها لم تكن واحدة، لانها كانت تحوي ضمنها مناطق مستقلة . منها هذه المؤسسات الدينية العسكرية . ومنها أملاك مدن ايطالية التجارية . فماذا يبقى للملك بعد ذلك ؟ . لاسيما اذا عرفنا أن أمراءه الكبار أو باروناته كانوا في حالة نزاع معه ، ويعتبرون أنفسهم مساوين له ، ويعملون دائما على الانفراد بسلطتهم وعدم التقيد به ، وكان لهم مناطق ومدن واسعة مقتطعة من المملكة والامارات يديرونها بمشيئتهم .وبذلك لم تكن المملكة والامارات الفرنجية في الشرق دولة واحدة وانما عدة دول متداخلة تعمل كل منها لصالحها ولو تضارب ذلك مع الصالح الصليبي العام . وبالتالي لم تكن هناك ادارة واحدة بل عدة ادارات وكثيرون من المديرين والاسياد .

ثالثا : ادارة بلاد المناصفات بين العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين :

١ - مقدمـــــة :

بالرغم من كثرة الحروب و المعارك بين العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين لم تكن الحروب مستمرة ، و لم يكن العداء مستحكما بين الطرفين بشكل دائـــم ، و في الفترات التي كان يتوقف فيها القتال ، كانت تحدث اتصالات و معاملات و اتفاقيات كبيرة الاهمية ..

و مما لا شك فيه ان نوعا من العلاقات فرضتها الضرورة ، قامت بين سكان البلاد الاصليين و بين المحتلين .

و قد وجدت بلاد خضعت بحكم اوضاعها لادارة الطرفين معا - أي العرب المسلمين من جهة و الفرنج الصليبيين من جهة أخرى - فتمـّت ادارتها و مناصفة دخلهـا بينهما بالتساوي ، يقوم على ذلك هيئة ادارية تمثل الطرفين ، تعمل حســــب قوانين وشروط متفق عليها مسبقا . و قد عرفت هذه البلاد باسم "بلاد المناصفات" .

٢ - تعـــريف بلاد المناصفات :

بلاد المناصفات هي بلاد حدودية - أي تقع على الحدود بين الطرفين المتحاربين و كانت أمورها مضطربة بسبب تعرضها دوما لمشاكل الصراع بين الطرفين (العربي الاسلامي و الفرنجي الصليبي) و لذلك رأى حكامها ، سواء أكانت تابعة للعرب المسلمين ، أم للفرنج الصليبيين ، أن تدار بطريقة المناصفة . و بذلك يتجنبان مشاكلها ، و يستفيدان من عائداتها . و بلاد المناصفات إمّا أن تكون بلاداً تابعـة للمسلمين ، و يتنازلون عن نصف دخلها للفرنج إتقاء لشرهم ، (لأسباب متعددة ، على رأسها عدم تمكن حكامها من الدفاع عنها و كثرة اعتداءات الفرنج الصليبيين عليها) ، و إمّا أن تكون هذه البلاد في حوزة الفرنج ، و يقتسمون ريعها مع المسلمين كنوع من المهادنة أيضا .

و قد ذكر المؤرّخ الفرنجي وليم الصوري عن مدينة بانياس التي جُعلت إدارتها و عائداتها مناصفة بين حاكمها و بين الاستبارية ما يلي :

" .... كانت بانياس تقع على حدود بلاد العدو (أي المسلمين) و كانت قريبة جداً منه بحيث لم يتمكن أحد من الاقتراب من المدينة أو مغادرتها دون التعرض للمخاطر إلاّ إذا كان ضمن جماعة قوية أو إذا سلك طرقا سرية "(١) .

و قد تشمل هذه البلاد (بلاد المناصفات) قرى و مزارع و مدناً و مرافئ ... مع ما تحويه تلك القرى و المدن من حمـّامات و طواحين و مصائد أسماك وملاحات ..

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب ١٨/ ص ٨٤٤ / .

و من الجدير ذكره هنا ، أن نظام المناصفات ، قد عمل به الفرنج أنفسهم في بعض الاحيان ، و ذلك لتأمين الحماية للأراضي الواقعة في حوزتهم ، من خطر المسلمين. حيث يتفق أحد أمراء الفرنج ، ممّن تكون أملاكه واسعة ، وعجز عن حمايتها لوحده ، مع بعض المؤسسات أو المنظمات الدينية ، كالداوية والاسبتارية على مناصفتها . كما حدث مع حاكم تبنين همفري (Humphery of Toron) الذي كان يسيطر على منطقة خصبة في الجليل ، بالاضافة الى اقطاعه مدينة بانياس و منطقتها .

و كان يشكو من ثقل الاعباء الملقاة على عاتقه في حماية حدود مملكة بيت المقدس الشمالية ، باعتباره كان يشغل منصب كونستابل (١) - أو قائد الجيش - في مملكة القدس الفرنجية الصليبية ، لذلك قرر مفاوضة فرسان الاسبتارية لإشراكهم في حكم بانياس و غلاتها و تكاليفها . و حول ذلك يحدثنا وليم الصوري ما يلي :

" (ضاق في هذه الآونة همفري أوف تيرون ، كافل المملكة من استمرار مسؤوليتة عن مدينة بانياس و إنفاقه عليها بعد ورثها ، و نظرا لعدم تمكنه من حكمها وحمايتها بشكل مناسب بدون مساعدة ، قرّر بموافقة الملك أن يتقاسمها بشكل متساوٍ مع فرسان الاسبتارية ، و كانت الشروط المتفق عليها بموجب هذه التسوية على الشكل التالي: يتملك الاسبتارية نصف المدينة و جميع ممتلكاتها المحيطة بها ، و يتوجب عليهم تحمل نصف النفقات لجميع الأشياء اللازمة و المفيدة ، و تحمل المسؤولية القانونية تجاه نصف المدينة ") (٢) .

بالإضافة الى نظام المناصفات ، وجدت نصوص معاهدات شبيهة بالمناصفات ، تم فيها الاقتسام مثالثة بين أطراف الاتفاق . و ذلك منذ زمن مبكر من تاريخ العلاقات بين العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين . ورد ذلك عند ابن القلانسي في حوادث سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م فقال :

" (و فيها ترددت رسل الملك بغدوين (بلدوين الاوّل) الى ظهير الدين (طغتكين أتابك دمشق) في إلتماس المهادنة و الموادعة ، فاستقر الامر بينهما ، على أن يكون السواد و جبل عوف أثلاثا : للأتراك الثلث ، و للافرنج و الفلاحين الثلثان ، فانعقد الأمر على هذه القضية ، و كتب الشرط على هذه النية ")(٣) .

---

(١) عن الكونستابل : أنظر فيما سبق ص ٧١

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ، ج٢ ، الكتاب الثامن عشر - ص ٨٤٤ / .
- مصطفى الحياري : مقال بعنوان "مدينة بانياس في القرن السادس الهجري" ص ١٧٩ - ١٨٠/

(٣) - ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ / و انظر كذلك :
-:Stevenson : op. Cit. P 50.
-:Coskun Alptekin : «Dimask Atabegligi Togteginliler» Istanbul 1985. p. 34-35.

و حدث مثل ذلك في سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م / ٠ من ذلك ما ذكره ابن القلانسي اذ قال :

"(و فيها وصل الملك بغدوين (بلدوين) صاحب بيت المقدس الى ناحية بعلبك وعزم على العبث و الافساد في ناحية البقاع ، و ترددت المراسلة بينه و بين ظهير الدين علي (طغتكين) في هذا المعنى ، الى ان تقررت المواعدة بينهما على أن يكون الثلث من استغلال البقاع للافرنج ، و الثلثان للمسلمين و الفلاحين ، و كتبت بينهما المواصفة بهذا الشرح في صفر من السنة ، و رحل عائداً الى عمله ، و قد فاز بما حصل في يده و أيدي عسكره من غنائم بعلبك ، و البقاع ") (١) ٠

و بذلك يمكن القول بأنه جرى الاتفاق بين حكام العرب المسلمين ، و حكام مملكة بيت المقدس على نوع من الحكم المشترك لمنطقة البقاع ، بحيث يكون الاقتسام مثالثة ٠ فيأخذ حكام دمشق الثلث ، و يأخذ حكام بيت المقدس الثلث الثاني من دخل تلك الاراضي ، أما الثلث الاخير فهو للفلاحين القائمين بالعمل الفعلي في حقول المنطقة المذكورة ٠ و هنا يظهر أن الدافع الى جعل عائدات منطقة البقاع التابعة للعرب المسلمين أصلا ، تقتسم مع حكام الفرنج الصليبيين ، هو عجز حكام دمشق عن صدّ هجمات و غارات الفرنج الصليبيين على تلك الأراضي ٠ و ذلك ليتمكن سكان هذه المنطقة من الفلاحين ، من القيام باعمالهم اليومية الضرورية بأمن و استقرار ، و لو لم يبق لهم في النهاية الا الثلث من محصولهم ٠

---

(١) - ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٧٣ ٠

٣ - ظهـور نظام المناصفات :

يرجع نظام المناصفات الى السنوات الأولى التي أعقبت وصول الفرنج الصليبيين الى بلاد الشام ، و استقرارهم فيها . و ليس إلى أيام الحملة الفرنجية الصليبية الثالثة كما يذكر البعض . (١) .

حيث يعتقد هؤلاء أن أول إشارة لهذا النظام ، ما ذكره المؤرخ ابن شدّاد ، أثناء تناوله المفاوضات بين صلاح الدين و ريتشارد قلب الأسد ، تلك المفاوضات التي كان من شروطها أن تصبح اللد و الرملة مناصفة بين العرب المسلمين والفرنج الصليبيين (٢) . و الدليل على ذلك ما تشير اليه المصادر المعاصرة لتلك الحروب و التي يتضح منها أن نظام المناصفات و الأثلاث عُمل به منذ أيام البرسقي ، ثم عماد الدين زنكي من بعده . حيث يقول ابن العديم في حوادث سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م ما يلي :

" ووقعت الهدنة بين البرسقي و الفرنج على أن يناصفهم في جبل السماق و غيره مما كان بايدي الفرنج ") ثم يقول : "(فجمع البرسقي العساكر و حشد ، و سار نحو الشام لحربهم حتى وصل الرقة ، و سار الى أن نزل بالنقرة على الناعورة ، و أقام بها أياماً و الفرنج يراسلونه ، فراسله جوسلين على أن تكون الضياع ما بين عزاز و حلب مناصفة ، و أن يكون الحرب بينهما على غير ذلك .، فاستقر هذا الامر ") (٣) .

و قد استمر العمل بهذا النظام أيام عماد الدين زنكي . ففي سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠م / استعاد عماد الدين حصن الأثارب ، فيما بين حلب و انطاكية على بعد ثلاثة فراسخ من حلب ،(" وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية ، حتى على رحى لأهل حلب بظاهر باب الجنان ، بينها و بين البلد عرض الطريق ..... ") (٤) .

---

(١) - منهم الدكتور عمر كمال توفيق ،حيث يذكر ذلك في كتابه "الدبلوماسية الاسلامية" /ص ٢٢٠/ .

(٢) - ابن شدّاد : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ /
- ابن واصل : المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٠٢ / و ما بعدها .
- الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي - ص ٦٠٣
- Stanley Lane Pool. op. cit. P. 356 - Amin Maalouf: op. cit. P. 214-215.

(٣) - ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ،ج٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٦ / .

(٤) - ابن الاثير : الكامل في التاريخ،ج١٠ ص ٦٦٢/وكذلك انظر ابوشامة : المصدر السابق/ / ج١ ص ٣٠ /

و في حوادث نفس السنة ، أي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ، يذكر ابن الاثير :

"(ثم سار - أي عماد الدين زنكي - منه (اي حصن الاثارب) الى قلعة حارم ، و هي بالقرب من انطاكية ، فحصرها ، و هي أيضا للفرنج ، فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم ، و هادنوه ، فاجابهم الى ذلك ، و عاد عنهم .... ") (١) .

و قد ذكر ابن قاضي شهبة ، انه في سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، لما اشتد ساعد نور الدين محمود بضمه دمشق لأملاكه ، حاصر قلعة حارم ، و هي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية ، و ضيق على أهلها ، فراسلوه يطلبون الصلح على أن يعطوه حصة من أعمال حارم ، حيث قال :

"(فراسلوا - اي الفرنج - نور الدين في الصلح على أن يعطوه حصة من أعمال حارم فأبى ان يجيبهم إلا على مناصفة الولاية ، فأجابوه الى ذلك ، فصالحهم و عاد")(٢).

و ذكر النويري مثل ذلك في حوادث سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م / فقال :

"(في سنة تسع و خمسين (وخمسمائة) ، ملك - نور الدين محمود - حصن بانياس ، وكان بيد الفرنج من سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة ، ...... ثم شاطر الفرنج على اعمال طبرية ، و قرروا له على الأعمال التي لم يشاطرهم عليها في كل سنة مالا يحملونه اليه ") (٣) .

و هكذا نجد كثرة الإشارات و النصوص ، التي تدل على العمل بنظام المناصفات بين الطرفين العربي الاسلامي و الفرنجي الصليبي ، قبل الحملة الصليبية الثالثة -

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٦٦٣ . و انظر كذلك
- النويري : " نهاية الارب في فنون الادب " تحقيق محمد فوزي العنتيل - مراجعة د. محمد طه
- الحاجري - الهيئة العامة المصرية للكتب ١٩٨٥ - الجزء السابع و العشرون - ص ١٥٨/ و ترد هذه الاحداث عند النويري خلال سنة احدى و خمسين للهجرة حيث يقول :
" و في سنة احدى و خمسين و خمسمائة ، حصر نور الدين قلعة حارم ، وشدد الحصار ، فصالحه الفرنج على نصف اعمال حارم ، و صالحهم و رحل عنهم ، ثم فتحها في شهر رمضان سنة تسع خمسين و خمسمائة " .

(٢) - ابن قاضي شهبة : " الكواكب الدرية في السيرة النبوية " تحقيق د.محمود زايد دار الكتاب - الجديد - الطبقة الاولى / ١٩٧١ - بيروت - ص ١٤٩ / .
(٣) - النويري : المصدر السابق ج٢٧ ص ١٥٨ .

- اي قبل صلح الرملة بكثير - و من ثم دوام العمل بالمناصفات فترة متاخرة من الوجود الفرنجي الصليبي على ارض المشرق العربي الاسلامي . حيث يذكر المؤرخ ابن نظيف الحموي في حوادث سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ما يؤكد ذلك إذ قال:

"(و فيها صالح المظفر صاحب حماة الفرنج بحصن الأكراد على نصف ما كان لهم على بارين اولا ") . (١) .

كما ذكر ما يشبه ذلك في حوادث نفس السنة ، فقال :

"(و فيها صالح الملك العزيز بن الظاهر صاحب حلب الفرنج الديوية (الداوية) على نصف قطعة بلد شيزر على يد سيمون كاتب الاستبار ") . (٢) .

و لو عدنا الى مذكرات جوانفيل عن "القديس لويس - حياته و حملاته على مصر و الشام ") لوجدنا ذكراً لتلك المناصفات بقوله :/

" بعث رئيس فرسان الداوية الى سلطان دمشق لعقد اتفاق يتعلق بقطعة كبيرة من الارض ، اعتاد فرسان المعبد استعمالها كلها ، ثم رغب السلطان في ان يكون استغلالها مناصفة بينه و بينهم ، وارتضى الطرفان هذا الاتفاق على أن يكون تنفيذه مرهوناً بموافقة الملك عليه (اي الملك لويس التاسع ") (٣) .

ثم هناك نصوص المعاهدات المعقودة بين العرب المسلمين و بين الفرنج الصليبيين زمن الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) وزمن السلطان قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ - ١٢٩٠م) وغيرهما .

و هي المعاهدات التي ستقوم بدراستها (٤) ، دراسة مفصلة من اجل معرفة الشروط و البنود ، و القوانين و الانظمة التي كانوا يطبقونها في بلاد المناصفات .

---

(١) - ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ /
(٢) - ابن نظيف الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ /
(٣) - جوانفيل : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ /
(٤) - عن نصوص هذه المعاهدات انظر الملاحق من ١ - ٦ ص ٨٥ وما بعدها

ففي المعاهدة المعقودة بين الملك الظاهر بيبرس - صاحب الديار المصرية و بين الاستبار بحصن الاكراد و المرقب ، سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ، يذكر القلقشندي ما يلي :

"(و على ان المستقر بمملكة حمص المحروسة أن جميع المواضع و القرى و الاراضي التي من نهر العاصي ، و تغرّب الى الحد المعروف من الغرب لبلد المناصفات : عامرًا و داثرًا ، و بما فيها من الغلات صيفياً و شتوياً ، والعداد و غيرها من الفوائد جميعها - تقرر أن يكون النصف من ذلك للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا و الدين أبي الفتح (بيبرس) و النصف لبيت الاسبتار")(١).

و في معاهدة أخرى عقدت بين السلطان الملك الظاهر "بيبرس" وولده الملك السعيد ، و بين الفرنج الاسبتارية سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١م ، على بلاد المرقب بالشام ورد ما يلي :

" و على أن تكون بلاد المرقب و حدودها من نهر لد و مقبلا و مغرّبا الى حدود بلاد مرقبة المعروفة بها ،.... وحد البيوت المحاذية لسور الربض ، تستقر جميعها مناصفة بين السلطان و بين بيت الأسبتار نصفين بالسوية ، وما في جميع هذه البلاد : من بساتين و طواحين ، و معاصر ، و مصائد ، وملاحات ، و.......، و المستغلات الصيفية و الشتوية ، و القطاني، و الحقوق المستخرجة ، و ما هو مزروع من الفدن لأهل الربض و بيادرها ، يكون ذلك مناصفة بين السلطان و بين بيت الاستبار سرجوان بالسوية نصفين " (٢) .

و غير ذلك كثير من النصوص التي ذكرتها المصادر التي عاصرت تلك الحقبة من الزمن ، و هي تدل دلالة واضحة على أن نظام المناصفات وجد منذ بداية الغزو الفرنجي الصليبي ، واستمر طيلة فترة وجوده في الشرق .

---

(١) - القلقشندي : "صبح الاعشى في صناعة الانشا" الموءسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر - الجزء الرابع عشر - ص ٣٢ /

(٢) - القلقشندي : المصدر السابق - ج١٤ - ص ٤٤ / انظر كذلك الملحق رقم ٦ ص ٢١٦

٤ - ادارة بلاد المناصفات :

تخضع بلاد المناصفات لادارة عربية اسلامية - فرنجية صليبية مشتركة .
فيُعيّن لحكم هذه البلاد نائبان ، احدهما يمثل سلطان العرب المسلمين ، والآخر يمثل الحاكم او الامير الفرنجي ، الذي عقد المعاهدة الخاصة بذلك النظام . وكان ينص في المعاهدة على الا ينفرد احد منهما بشيء الا باتفاق من الجهتين . ففي المعاهدة المعقودة سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ، بين الظاهر بيبرس و بين الاستبارية على قلعة ... بالشام جاء ما يلي :

" (و على ان جميع الضمانات يكون نواب السلطان و نواب الاستبار متفقين جملة على ذلك ، لا ينفرد احد منهم بشيء الا باتفاق و تنزيل في دفاتر الديوان المعمور و ديوان بيت الاستبار ، و لا يطلق و لا يحبس الا باتفاق من الجهتين ، و لا ينفرد واحد دون الآخر ") (١) .

و مع ان نصوص تلك المعاهدات لم توضح لنا اختصاصات هذا النائب ، و الاعمال التي كُلّف بها ، الا انه من المرجح ان الشؤون الادارية و المالية كانت من ضمن مسؤولياته .

و كان يعمل تحت امرة كل نائب منهما جهاز اداري بسيط ، يضم عددا من الموظفين من اصحاب الاختصاصات المختلفة . فمنهم من كانت مهمته جمع الرسوم و الضرائب من شتى المرافق الاقتصادية ، في بلاد المناصفات ، و منهم من يقوم بفض المنازعات و اصدار الاحكام و تنفيذها ، و غير ذلك .

و قد جاء ذكر هؤلاء في معاهدة سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م بين الظاهر بيبرس و بين الاستبارية حين ذكر القلقشندي نواب المباشِر فقال :

وعلى أن نواب المباشر المقدم الكبير لبيت الاستبار،وولاته ،وكتابه ومستخدميه وغلمانه، يكونون آمنين .... و كذلك غلماننا وولاتنا و نوابنا و مستخدمونا و كتابنا و رعايا بلادنا ...... ") (٢) .

و يضاف الى هؤلاء الموظفين ، المشد ، الذي كان على ما يبدو يتولى امر الدواب و الماشية في المراعي الواقعة في بلاد المناصفات المتفق عليها .

---

(١) - القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ - ص ٤٦ / .

(٢) - القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ - ص ٤٥ - ٤٦ / .

و ربما ايضا مناطق صيد الاسماك ، و الاشراف على قسمتها بين الطرفين و يفترض ان يكون هناك مِشدّ من قبل العرب المسلمين ، و آخر من قبل الفرنج الصليبيين في بلاد المناصفات .

و كان يساعد المشد عشرة انفار من المشاة ، يعملون في خدمته ، لهم بيوت يسكنونها ، حيث جاء في نص المعاهدة المبرمة سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م / بين السلطان الملك المنصور قلاوون ، و بين بيت الاستبار ، و بوهيموند السابع امير طرابلس (٦٧٤ - ٦٨٦ هـ / ١٢٧٥ - ١٢٨٧ م) ما يوضح ذلك و يؤكده ، ومما جاء في نص هذه المعاهدة :

"(... و على ان يكون على جسر ارتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق و الغلات ستة عشر نفرا : و هم المشد و غلامه ، و الشاهد و غلامه ، و الكاتب و غلامه ، و عشرة انفار رجالة في خدمة امشد . و يكون لهم في الجسر بيوت س يسكنون فيها على العادة ") (١) .

و يبدو من النص السابق ان الجنود العشرة ، كانوا من قبل السلطات العربية الاسلامية فقط، و لم يذكر النص وجود غلمان مقابلهم تابعين للنائب الفرنجي . و هؤلاء الجنود يفترض بهم ان يحسنوا معاملة الفرنج ، و حمايتهم . يتضح ذلك من العبارة التالية :

"(...... و لا يحصل منهم مضرة لرعية الإ برنس (الحاكم و الامير الفرنجي) و انما يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات) " (٢) .

أما الكاتب ، فكان عليه تدوين كل ما يتعلق بالمعاملات المختلفة من تحصيل الرسوم و الضرائب ، و مقادير المحصولات ، و الاغنام و الماشية ، و ما يفترض عليها ، في دفاتر خاصة ، و يشهد على كل ذلك الشاهد ، الذي كان يقوم بمساعدة الكاتب احيانا في هذه العمليات الحسابية .

---

(١) - المقريزي : " السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق محمد مصطفى زيادة - لجنة طلتاليف و الترجمة و النشر - القاهرة ١٩٣٤ - ج١ قسم٣ - ص ٩٧٦ / .
(٢) - المقريزي : المصدر السابق - ج١ - قسم ٣ - ص ٩٧٦ / .

و بذلك كانت بلاد المناصفات ، تدار من قبل جهاز إداري يعمل تحت امرة النائبين ، العربي الاسلامي ، و الفرنجي الصليبي . و ان بساطة هذا الجهاز الاداري تدلنا على ان نوعا من التفاهم الودي كان متبادلا بين الطرفين المذكورين في بلاد المناصفات ، على الاقل لانه لو كانت تحدث مشاكل و مخالفات كثيرة في تطبيق بنود تلك المعاهدات ، لما اكتفي بهذا الجهاز البسيط لادارة تلك البلاد ، و لما تمكن الجنود العشرة من منع الممنوعات ، و حفظ النظام .. بل لاحتاج الامر الى عدد كبير من الجنود المسلمين و بالطبع هذا لا ينفي وقوع بعض المخالفات و المصادمات احيانا ، ولكنها كانت سرعان ما تُفض و تحسم .

و لم تذكر المعاهدة السابقة شيئا من حمل هؤلاء الجنود للسلاح ، و انما كانت مهمتهم ، كما جاء في المعاهدة السابقة الذكر :

" (... و لا يحصل منهم مضرة لرعية الابرنس .وان يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ، و الا يمنعوا ما يكون من عرقا (عِرْقة) (١) و بلادها ، وما يعبر من غلالها من اراضيها ، مما يستغل منها و من بلادها على ما تشهد به الهدنة ، من الصيفي و الشتوي ، و غير ذلك مما يتعلق بعرقا (عرقة) و بلادها ، لا يعارضهم المشد فيه ، و ما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق. و لا تدخل الى طرابلس غلة محمية باسم البرنس ولأصحابه الا و تؤخذ الحقوق عليها ") . (٢) .

و يبدو ان استخدام السلاح الثقيل ، لم يكن ضروريا لهؤلاء الجند ، لان حق حمايته بلاد المناصفات يقع على عاتق الموقعين على المعاهدة من الطرفين. كما يتضح ذلك مما جاء في بنود المعاهدة المعقودة بين الظاهر بيبرس ، و بين الاسبتار بحصن الاكراد و المرقب سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧م ، حيث ذكر ما يلي :

---

(١) - عرقة : بكسر أوله ، وسكون ثانيه : بلدة في شرقي طرابلس بينهما اربعة فراسخ . انظر مادة عرقة في معجم البلدان لياقوت الحموي - دار صادر-بيروت - ١٩٥٧ - ج٤ /

(٢) - المقريزي : المصدر السابق - ج١ - قسم ٣ - ص ٩٧٦ - ٩٧٧ / .

" و على أن الملك الظاهر يحمي بلد المناصفات المقدم ذكرها من جميع عسكره و اتباعه ، و ممن هو في حكمه و طاعته ، و من جميع المسلمين الداخلين في طاعته كافة .

و كذلك مقدم بيت الاستبار و اصحابه يحمون بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه الهدنة " (١) .

و من الجدير ذكره في هذا المجال ان مواد المعاهدات المتعلقة ببلاد المناصفات ، كانت تنص على سلامة و امن ممثلي كل من الطرفين ، كما تهتم بتنسيق التعامل بينهم . و الدليل على ذلك ما جاء في نص المعاهدة التي تم توقيعها بين السلطان الظاهر بيبرس و بين مقدم الاستبارية - افريزآولد كال و مقدم جميع بيت استبار سرجوان بالبلاد الساحلية - سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م ، حيث ورد البند التالي :

" .... و على ان نواب المباشر المقدم الكبير لبيت الاستبار ، وولاته و كتابه و مستخدميه و غلمانه ، يكونون امّنين مطمئنين على نفوسهم و أموالهم و جميع ما يتعلق بهم .

و كذلك غلماننا وولاتنا و نوابنا و مستخدمونا و كتابنا و رعايا بلادنا يكونون آمنين مطمئنين على نفوسهم و اموالهم ، متفقين على مصالح البلاد و أخذ الحقوق ، و سائر المقاسمات ... " (٢) .

كما كان لا يسمح لاي طرف من الطرفين أو اتباعهما باستخدام تلك البلاد للعبور منها لمهاجمة بلاد الطرف الآخر ، كما لا يسمح للقاطنين في بلد المناصفات ، بالدخول الى بلاد الفرنج ، و يتضح ذلك مما جاء في المعاهدة السابقة ، حيث ورد ما يلي :

" .... و على ان لا يدخل احد من القاطنين في بلد المناصفات ، من الفلاحين و العرب و التركمان و غيرهم ، الى بلاد الفرنج و النصارى كافة لإغارة او أذيّة بعلم الملك الظاهر و بلاد معاهديه ((و لا يدخل أحد)) بلاد المسلمين لإغارة ولا أذيّة بعلم بيت الاستبار ولا رضاهم ولا إذنهم " (٣) .

---

(١) - القلقشندي : المصدر السابق - ج٢٤ ص ٣٢ /
(٢) - القلقشندي : المصدر نفسه - ج١٤ ص ٤٥ - ٤٦ / .
(٣) - القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ ص ٤٨ /

و من تلك النصوص ، و كثير مثلها تبين لنا مدى حرص الطرفين ، العربي الاسلامي و الفرنجي الصليبي ، على تأمين الامن و الضمان و السلامة لهذه البلاد و لكل من عليها من اداريين و رعايا و مسافرين (١) . و ان دل هذا على شيء فإنما يدل على اهمية بلاد المناصفات لكلا الجانبين . فقد كانت المعاهدة الواحدة من تلك المعاهدات - المتعلقة ببلاد المناصفات - تشمل العديد من الشروط و البنود و المواد الهامة ، التي توضح وضع القاطنين في بلاد المناصفات و حقوقهم وواجباتهم ، و كيفية ادارة المنطقة المعقودة عليها الهدنة ، و واجبات كل من الطرفين اللذين عقدا هذه المعاهدة .

ه - أنظمة و قوانين بلاد المناصفات :

مما يلاحظ على المعاهدات المتعلقة ببلاد المناصفات ، هو كثرة موادها و بنودها ، و كبر حجمها .... و لذلك فهي لم تترك أمرا الا و بحثته . كما اهتمت بامر التجار و السفار و المترددين على هذه البلاد . و كذلك البدأة و الاكراد و التركمان الداخلين الى هذه البلاد . و قد اهتمت ايضا بالنظر في الدعاوي الخاصة بالسرقات و ما يقترف من جرائم القتل و غيرها ووضعت شروطها حول ذلك .

و لم تنس ذكر الرسوم و الضرائب المفروضة على كلا الطرفين ، في جميع الاحوال . هذا بالاضافة الى الكثير و الكثير من المواد الهامة التي سنقوم بذكرها في حينها .

و مما يلاحظ على تلك المعاهدات ، انها سارت على مبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية في حال كون الشخص مسلماً ، و تطبيق القانون الفرنجي ان كان الشخص فرنجياً . مثال ذلك ما جاء في احد بنود المعاهدة التي تم عقدها بين الظاهر بيبرس و الاستبارية في حصن الاكراد و المرقب سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م :

---

(١) - انظر فيما بعد ص (١٨٧-١٨٨) من هذا البحث .

" و على ان يكون امر فلاحي بلد المناصفات في الحبس [illegible]ية راجعا الى نائب مولانا السلطان ، باتفاق من نائب بيت الاستبار ، على ان يحكم فيه بشريعة الاسلام ان كان مسلما ، و ان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد " (١) .

و في موضع آخر جاء النص صريحا (٢) :

" و على ان اي مسلم تصدر منه اذية يحكم فيه بما تقتضيه الشرع الشريف في تاديبه ، يعتمد ذلك فيه نائبنا : من شنق يجب عليه ، او قطع ، او أُدِّبَ بحكم الشرع الشريف : من شنق ، و قطع ، و كحل أعين ، بحيث لا يعمل ذلك الا بحضور نائب من جهة بيت الاستبار ، حاضر يعاين ذلك بعينه ، و يكون قد عرف الذنب و تحققه . و ان كان ذنبه يستوجب جناية او غرامة دراهم او ذهب أو مواش او غير ذلك على اختلاف اجناسه ....." (٣) .

و فيما يتعلق بالنظر في الدعاوي الخاصة بالسرقات و ما يغتصب من أشياء ، و ما يقترف من جرائم القتل ، فقد وردت بشانها بنود خاصة في تلك المعاهدات فذكر منها ما جاء في معاهدة عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م المذكورة آنفا و التي ابرمت بين الظاهر بيبرس و بين الاستبار بحصن الاكراد و المرقب :

"..... و متى وقعت دعوى على الجهة الاخرى ، وقف امرها في الكشف عنها اربعين يوما ، فان ظهرت أعيدت على صاحبها ، و ان لم تظهر حلف ثلاثة نفر ممن يختارهم صاحب الدعوى على ما يعلمونه في تلك الدعوى ، و ان ظهرت بعد اليمين اعيدت الى صاحبها ، و انه كان قد تعوض عنها اعيد العوض .

و كذلك يجري الامر في القتل عوض الفارس فارس ، و عوض الراجل راجل ، و عوض البركيل بركيل ، و عوض التاجر تاجر ، و عوض الفلاح فلاح . و اذا انقضت الاربعون يوما المذكورة لكشف الدعوى و لم يحلف المدعى عليه للمدعي وجب عليه العوض حتى يرد ، و أن ردّ اليمين على المدعي و مضى على ذلك عشرة ايام ، و لم يحلف صاحب الدعوى بطلت دعواه و حكمها ، و ان حلف اخذ العوض " (٤) .

---

(١) - القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ - ص ٣٢ / .
(٢) - يقصد بذلك المعاهدة المبرمة بين الظاهر بيبرس والاستبارية على قلعة لد بالشام سنة تسع و ستين و ستمائة للهجرة / انظر الملحق رقم ٥١ ، ص ٢٦٤
(٣) - القلقشندي : المصدر السابق ج١٤ - ص ٤٦ / .
(٤) - القلقشندي : المصدر نفسه ج١٤ - ص ٣٧ - ٣٨ / .

و قد أكدت ذلك المعاهدة التي وقعت بين السلطان الظاهر بيبرس وولده السعيد بركة مع الاستبارية على قلعة لدّ بالشام - المذكورة آنفا - سنة تسع و ستين و ستمائة للهجرة ، فقد ذكر حول هذه النقطة ما يلي :

" ..... و ان قُتِلَ قتيلٌ او أُخذتْ أخيذةٌ في حدود المناصف ببلاد المرقب يقع الكشف عن ذلك عشرين يوما ، فان وجد فاعل ذلك ، يؤخذ الفاعل بذنبه . و ان لم يظهر فاعل ذلك مدة عشرين يوما فيُمسكُ رؤساء مكان قطع الطريق أخذ الأخيذةِ ، و قتلِ القتيلِ ، ان كان أخْذٌ و قتْلٌ " - مكانَ مَنْ قَتَلَ القتيلَ و أخَذَ الأخيذةَ - أقربَ القرباءِ الى الذي قَطَع عليه الطريقَ او قَتَل قتيلا . فان خفي الفاعلُ لذلك ، و عجِزَ عن احضاره بعد عشرين يوما ، يُلزمُ اهلُ نوّابِ الجهتين من القُرباءِ الاقربَ لذلك المكان بألف دينار صورته : للديوان السلطاني النصف ، و لنقيب الاستبار النصف الآخر ، و لا تتكاسل الولاة في طلب ذلك ، ويكون الجميع يدا واحدة ، و لا يختص الواحد دون الاخر . و لا يحابي احد منهم لاخذ الفلاح في هذا او غيره في مصلحة عمارة البلاد ، و استخراج الحقوق ، و مقاسمة الغلال و طلب المفسدين ليلا و نهارا " (١) .

و فيما يتعلق بالرسوم و الضرائب على اختلاف انواعها ، فقد كانت مناصفة بين السلطان و المسؤول الفرنجي في بلاد المناصفات ، و قد امتدت هذه الرسوم لتشمل شتى الموارد و المرافق الاقتصادية المعروفة آنذاك ، سواء أكانت في الاراضي الزراعية ، بما فيها البساتين .... و المحاصيل الصيفية و الشتوية ، و الطواحين ، او الثروة الحيوانية ، من اغنام و ابقار و دواب ، و مصائد الاسماك و الملاحات ، و كذلك ما يفرض من رسوم على ما يمر بالبلاد وموانيها من سلع تجارية . (٢) .

فقد جاء في نص المعاهدة المعقودة بين السلطان قلاوون ، و ملكة صور مرغريت (٣) سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م / ذكر المزارع و القرى و الحصون و الطواحين

---

(١) - القلقشندي : المصدر السابق - ج١٤ ، ص ٤٧ - ٤٨ / .

(٢) - القلقشندي : المصدر نفسه - ج١٤ ، ص ٣٢ - ٣٣ / .

(٣) - هي : Dam Manguenite fille de Ain Henni, file du Prince Boemond.

و الأنهار الداخلة في الهدنة :

" .... تكون هذه القرايا المذكورة في هذه الهدنة جميعها بمزارعها و حقوقها و أراضيها و طواحينها و انهارها و بساتينها و متحصلات مغلاتها و .... مناصفة بين مولانا السلطان الملك المنصور ، و بين الملكة دام مراريت (مرغريت) مالكة صور يقسم جميع المتحصل بها من ...... و الغلة و حقوق وزكاوات و عداد و حكورات و اجر و ضمانات و خراجات و جبايات و مواريث و غير ذلك من سائر الحقوق قليلها و كثيرها نصفين بين الجهتين بالسوية " . (١) .

و جرت العادة ان يتم اقتسام تلك الضرائب و الرسوم بعد تسجيلها في ديوان كل طرف من الطرفين ، و في حالة غياب أحد النائبين ، فانه كان يتعين على نائب الطرف الاخر الموجود ان يحتفظ بالقدر المستحق له من تلك الضرائب و الرسوم ليسلمها اليه عند حضوره . كما جرت العادة ايضا انه متى دخل احد في بلاد المناصفات ، ممن تجب عليه تلك الرسوم و الضرائب ، و امتنع عن دفعها فان نائب احد الطرفين ، الذي يكون موجودا ، ياخذ منه رهنا بمقدار الرهن بين الطرفين . كذلك اذا عجز النائب الحاضر عن اخذ رهينة من ذلك الشخص وخرجمن بلد المناصفات ، فان دُخلَ بلدا من البلاد التابعة لاحد الطرفين ، تحتم على هذا الطرف ان يوصل الى الطرف الاخر حقه .

ففي معاهدة سنة ٦٦٥ هـ بين بيبرس و الاستبارية المذكورة سابقا جاء ما يلي:

" و على انه متى دخل في بلاد المناصفات احد ممن يجب عليه العداد ،وامتنع عن ذلك ، و كان عداد احدى الجهتين حاضرا: اما عداد ديوان الملك الظاهر و اما عداد بيت الاستبار ، فلنائب العداد الحاضر من احدى الجهتين ، ان ياخذ من ذلك الشخص الممتنع عن العداد ، او الخارج من بلد المناصفات رهنا بمقدارما يجب عليه من العداد ، بحضور رئيس من رؤساء بلد المناصفات ، و يترك الرهن عند الرئيس وديعة الى ان يحضر النائب الاخر من الجهة الاخرى ، و يوصل الى كل من الجهتين حقه من العداد .

---

(١) - ابن عبد الظاهر : "تشريف الانام و العصور في سيرة الملك المنصور" تحقيق مراد كامل - القاهرة / ١٩٦١ - ص ١٠٣ - ١١٠ / .

و ان خرج أحد ممن يجب عليه العداد ، و عجز النائب الحاضر عن اخذ رهنه فان دخل بلدا من بلاد الملك الظاهر ، كان على النواب ايصال بيت الاستبار الى حقهم مما يجب على الخارج من العداد . و كذلك اذا دخل الخارج المذكور الى بيت الاستبار ، كان عليهم ان يوصلوا الى نواب الملك الظاهر حقهم مما يجب على الخارج من العداد " . (١) .

كذلك تم النص في المعاهدات المعقودة بين الطرفين بانه لا يجوز لطرف من الطرفين او من ينوب عنه ، كائنا من كان ، ان يحمي احدا ، ممن يستحق عليه دفع تلك الرسوم و الضرائب ، او ان يتواطامعه ، لكي يضيّع على الطرف الاخر نصيبه بعد التأكد من ذلك بالمحاققة . .

فقد جاء في المعاهدة التي ابرمها السلطان الظاهر بيبرس مع الاستبارية سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م / ما يلي :

" و على انه لا يحمي احد من الاخوة الخيالة ، و الوزراء ، و الكتّاب و النواب و المستخدمين شيئا على اسم بيت الاستبار ، ليستطلق الحق ، و يمنع من استيدائه ، و لو انه اقرب اخ الى المقدم او ولد المقدم . اذا ظهر منه خلاف ما وقّع عليه الشرط ، اخذ جميع ماله مستهلكا للجهتين : للديوان السلطاني المعمور ، و لبيت الاستبار ، إن كان خارجا من البحر او نازلا الى البحر ، صادرا وواردا ، و كذلك في البر صادرا وواردا بعد المحاققة على ذلك وصحته "(٢) . أو بعبارة اخرى انه متى اكتشف مثل هذا التلاعب فان الشخص نفسه كان يعاقب ... بمصادرة كل ما معه من اموال .

و فيما يتعلق بالمراعي الموجودة في بلاد المناصفات ، فقد وردت مواد خاصة باستعمال هذه المراعي ، و تأمين الرعاة و الماشية الخاصة بكل طرف من الطرفين يفهم منها ان كلا من الجهتين كانت تجتهد و تحرص على عمارة بلاد المناصفات و مراعيها ، و ان كل من يدخل الى تلك المراعي من الفلاحين بدواب ، او من التركمان او من البدو ، او من الاكراد ، او من غيرهم ، كان عليهم العداد كجاري العادة .

---

(١) – القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ – ص ٣٦ – ٣٧ / .

(٢) – القلقشندي : نفس المصدر ، ج١٤ – ص ٣٣ / .

أي كان عليهم دفع الضرائب المستحقة على تلك الدواب الماشية والاغنام و يكون النصف من ذلك للسلطان ، و النصف الاخر للفرنج ، الا انه لم يكن يسمح لهم بدخول هذه المراعي في حالة واحدة ، هي ان يكونوا في حالة حرب مع بعض الفرنج الداخلين في الهدنة .

فقد جاء في نص الهدنة المعقودة سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م التي سبقت الاشارة اليها :

" و على ان الملك الظاهر لا يمنع احدا من العربان و التركمان و غيرهم : ممن يوءدي العداد ، من الدخول الى بلد المناصفات ، الا ان يكون محاربا لبعض الفرنج الداخلين في هذه الهدنة ، فله المنع من ذلك ..." (١) .

و أما خيول الطرفين ، فقد كان لها الحق في ان ترعى في مراعي بلاد المناصفات معفاة من الرسوم و الضرائب ، كما جاء في نص المعاهدة المبرمة بين الظاهر بيبرس و الاستبارية سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م :

"..... و ان تكون خُشارات الملك الظاهر و خشارات عساكره و غلمانهم وأهل بلده ترعى في بلد المناصفات آمنة من الفرنج و النصارى كافة . و كذلك خُشارات بيت الاستبار و خشارات عسكرهم و غلمانهم و اهل بلدهم ، ترعى آمنة من المسلمين كافة في بلد المناصفات . و عند خروج الخشارات من المراعي و تسليمها لاصحابها لا يؤخذ فيها حق ولا عداد و لا تعارض من الجهتين " . (٢) .

كذلك وقّعت بنود خاصة باستغلال مصائد الاسماك في بلاد المناصفات ، و كذلك الطواحين ، التي تدار بقوة اندفاع تيار مياه الانهار و غيرها ، و التي عادة ما كانت تستخدم لطحن الحبوب . فقد ذُكر في احدى المعاهدات المشار اليها :

" و على ان تكون مصيدة السمك الرومية مهما تحصّل منها ، يكون النصف منه للملك الظاهر و النصف لبيت الاستبار . كذلك المصايد التي في الشط الغربي من العاصي ، يكون النصف منه للملك الظاهر و النصف لبيت الاستبار " .

و من اجل الطواحين ورد ما يلي :

---

(١) - القلقشندي : المصدر نفسه - ج١٤ - ص ٣٣ / .

(٢) - القلقشندي : المصدر نفسه - ج١٤ - ص ٣٣ / .

".... و تقرّر ان الطاحون المستجد المعروف بانشاء ... الذي كان حصل الحرب فيه ، و البستان الذي هناك المعروف بانشاء بيت الاستبار ايضا يكون مناصفة . و ان يكون متولي امرهما نائب من جهة نواب السلطان و نائب من جهة بيت الاستبار ، يتوليان امرهما و التصرف فيهما و قبض متحصلهما . وتقرر مهما يجدده بيت الاستبار على الماء الذي تدور به الطاحون و يسقي البستان من الطواحين و الابنية و غير ذلك ، يكون مناصفة بين الملك الظاهر و بين بيت الاستبار " . (١)

و من الطريف ذكره هنا انه حتى القش و الليونوفر ، لم ينس ذكرهما في هذه المعاهدات ، فقد ذكر حولهما ما يلي :

" .... و يكون لبيت الاستبار في كل سنة خمسون دينارا صوريّه من القش يكون القش جميعه للملك الظاهر يتصرف نوابه فيه على حسب اختيارهم . ويكون الليونوفر مناصفة . النصف منه للملك الظاهر و النصف لبيت الا ستبار " . (٢) .

أما عن الفلاحين الموجودين في الاراضي التي خضعت لهذا النوع من الحكم المشترك : العربي الاسلامي و الفرنجي الصليبي – و نقصد بهم فلاحي بلاد المناصفات نظرا لاهمية هؤلاء الفلاحين ، لكونهم الايدي العاملة التي تحتاج اليها الارض الزراعية عماد الدخل في هذه البلاد بوجه عام . فقد حرص كل طرف من الطرفين على فلاحية و على سلامتهم . فضلا عن عدم تسخيرهم في أي عمل من الاعمال ، لايطرف من الاعمال ، و الدليل على ذلك ، ما ذكر في هدنة سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م / السابقة الذكــر :

" .... و ان يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين ".(٣)

و يبدو انه امام حالات الحرب المستمرة التي وقعت بين الطرفين ، اضطر بعض فلاحي بلاد المناصفات لهجرها ، عندما تشتد شوكة الفرنج ، و يهددون بالاغارة

---

(١) – القلقشندي : المصدر السابق – ج١٤ – ص ٣٤ / .

(٢) – القلقشندي : المصدر السابق – ج١٤ – ص ٣٣ – ٣٤ . و هي المعاهدة المبرمة بين الظاهر بيبرس و الاستبارية بحصن الاكراد و المرقب سنة خمسوستين وستمائة للهجرة أنظر الملحق رقم ٢ الصفحة ٢٠١ .

(٣) – القلقشندي : صبح الاعشى ، ج١٤ ص ٣٣/ .

على املاك المسلمين ، لذلك حرص الطرفان ان تتضمن المعاهدات بنودا تنص على عدم ممانعة احد من الطرفين لعودة هؤلاء الفلاحين الى اراضيهم . مثال ذلك ما جاء في نص المعاهدة المبرمة بين الظاهر بيبرس و الاسبتارية بحصن الاكراد و المرقب سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م / حيث ذكر ما يلي :

" ..... و على ان الملك الظاهر لا يتقدم بمتع احد من الفلاحين المعروفين بسكنى بلاد المناصفات من الرجوع اليها ، و السكن فيها اذا اختاروا العود "(١) .

و على هذا الاساس حرص حكام المسلمين دائما في معاهداتهم التي عقدوها مع حكام الفرنج ، على النص على ضرورة عودة الفلاحين الى الاراضي التي هجروها بعد عقد الهدنة ، و لا يسمح لهم بالبقاء في المنطقة التي هاجروا اليها ، مثال ذلك ما جاء في نص الهدنة المبرمة بين السلطان المنصور قلاوون و حكام الفرنج في عكا و صيدا و عثليت سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م / :

" و على انه ينادى في البلاد الاسلامية و البلاد الفرنجية الداخلة في هذه الهدنة : انه من كان من فلاحي بلاد المسلمين يعود الى بلاد المسلمين مسلما كان او نصرانيا . و كذلك من كان من فلاحي بلاد الفرنج مسلما كان او نصرانيا ، معروفا قراريا من الجهتين ، ومن لم يعد بعد المناداة يطرد من الجهتين . و لا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام في بلاد الفرنج المنعقد عليها هذه الهدنة ، و لا فلاحو بلاد الفرنج من المقام في بلاد المسلمين التي انعقدت عليها هذه الهدنة و يكون عود الفلاح من الجهة الى الجهة الاخرى بامان " (٢) .

كما ورد في معاهدة اخرى ما يشير الى تمتع هؤلاء الفلاحين في بلاد المناصفات بحرية التنقل بين شطري البلاد ، مع السماح لهم ببيع منتجاتهم و شراء ما يلزمهم، يقومون بذلك مطمئنين لا يتعدى احد عليهم :

" و تقرر أن يكون فلاحو بيت الاستبار رائحين و غادين و متصرفين في بيعهم و شرائهم ، مطمئنين لا يتعدى احد عليهم ... " (٣) .

---

(١) - القلقشندي : نفس المصدر ، ج١٤ ص ٣٣ / .
(٢) - القلقشندي : نفس المصدر ، ج١٤ ص ٦١ / .
(٣) - القلقشندي : المصدر نفسه ، ج١٤ ص ٣٥ / .

و لم تذكر لنا نصوص المعاهدات المتعلقة بنظام المناصفات ... الفلاحين العاملين في هذه البلاد • و يمكن ان نقول انه بعد جمع المحصول يأخذ المسؤولون عن الجباية ما يتقرر على كل شخص من غلة و يتركون له الباقي • و هذا الباقي قد يكون الثلث - كما ذكر ابن القلانسي في المعاهدة التي عقدت بين طغتكين أتابك دمشق و بين بلدوين الاول ، ملك بيت المقدس سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م • و كذلك سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ، المذكورة سابقا•(١) وقد يكون الربع او النصف •• أما ما جُمع من الجباية ، فيجمع كله في مكان واحد ، ثم يقسم بين الجهتين المتعاقدتين ، أي (العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين) • (٢)

و كما حرص الطرفان على النص في المعاهدات ، على حرية تنقل الفلاحين بين قطري بلاد المناصفات مع الالتزام بضرورة العودة ، مع تأمينهم و سلامتهم ، فقد حرص الطرفان ايضا على ذكر حدود بلاد المناصفات هذه ، و رسمها بشكل توضيحي في بداية كل معاهدة ، و ذلك بعد ذكر أطراف الاتفاق ، و مدة الهدنة ، و تاريخها بالتقويمين الهجري و اليوناني •(٣)

مثال ذلك نص الهدنة التي وقعت بين الظاهر بيبرس و الاسبتارية سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م ، و التي كانت مجال حديثنا بمعظم بنودها • (٤) و كذلك المعاهدة التي أبرمها السلطان المنصور قلاوون مع مالكة صور - مرغريت - المذكورة آنفا ، سنة ٦٨٤ هـ /١٢٨٥م/ نقد تم فيها ذكر مزارع و قرى بلاد المناصفات هذه ، و التي بلغ عددها ثمان و سبعين ضيعة و مزرعة تتبع مدينة صور ، تمّ تحديدها و ذكر اسمائها ، و تعيين حدودها القبلية و الشمالية و الغربية ، بحيث لا يحدث فيها اي التباس او غموض•(٥)

---

(١) انظر صفحة (١٦٢) و صفحة (١٦٨) من هذا البحث •
(٢) انظر فيما سبق ص ١٧٢ و ما بعدها من هذا البحث •
(٣) انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ - ص ٣١ و ص ٤٠ / •
(٤) القلقشندي / المصدر السابق ، ج١٤ - ص ٣٢ و ٣٤ و كذلك ص ٥٢ / •
(٥) - ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ / •
- المقريزي : المصدر السابق ، ج١ - قسم٢ - ص ٥٩١ - ٥٩٢ / •

كما تعددت النصوص في تلك المعاهدات ، و التي تتعلق [illegible]، و عدم التعرض لممتلكات احد من الطرفين ، و الحيلولة دون وقوع اي اعتداء عليها سواء من قبل القوات العسكرية ، او من جانب اللصوص و قطاع الطرق. فقد جاء في احدى المعاهدات المذكورة :

" و على ان الملك الظاهر يحمي بلد المناصفات المقدم ذكرها من جميع عسكره و اتباعه ، و ممن هو في حكمه و طاعته ، و من جميع المسلمين الداخلين في طاعته كافة . و كذلك مقدم بيت الاستبار و أصحابه يحمون بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه الهدنة "(١) .

و في معاهدة اخرى ذكر ما يلي :

" و على ان السلطان يأمر نوابه بحفظ مناصفات بلاد المرقب الداخلة في هذه الهدنة ، من المفسدين و المتلصصين و الحرامية ممن هو في حكمه و طاعته . و كذلك الماستر المقدم افريزا ولد كال يلزم ذلك من الجهة الاخرى "(٢) .

كما يلاحظ وجود بعض التحفظات على المباني العسكرية الواقعة على حدود بلاد المناصفات و الحرص على إبقاء الحصون و القلاع على حالها دون اي تعديل في تحصيناتها .

و من البنود التي جاءت في هذا الشأن في المعاهدة التي تم توقيعها بين السلطان المنصور قلاوون و بين الفرنج في عكا و صيدا و عثليت سنة ٦٨٢ هـ/ / ١٢٨٣ م / . :

" و على ان الفرنج لا يجددون في غير عكا و عثليت و صيدا ، مما هو خارج عن اسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات ، لا قلعة ، و لا برجا ، و لا مستجدا "(٣).

---

(١) – القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ – ص ٣٢ / .

(٢) – القلقشندي : نفس المصدر ، ج١٤ – ص ٥٠ / و هذا المقدم المذكور هو مقدم جميع بيت استبار سرجوان بالبلاد الساحلية . انظر تلك المعاهدة من نفس المصدر – ج١٤ – ص ٤٢ / .

– المقريزي : المصدر السابق – ج١ – قسم ٣ – ص ٩٦٤ / .

(٣) – القلقشندي : المصدر السابق – ج١٤ – ص ٥٦ / .

" أما عن المعاملات التجارية ، و معاملة التجار المترددين على بلاد المناصفات ، فمما يسترعي النظر في تلك المعاهدات ، كثرة ما جاء فيها من المواد المتعلقة بالتعامل التجاري بين الطرفين الاسلامي و الفرنجي . و قد تناولت هذه المعاهدات امورا متعددة من التي تعرض للتجار عند ممارستهم لنشاطهم التجاري . من اهمها التأكيد على أمنهم و حريتهم و حرية تجارتهم ، و حرية تنقلهم من البلاد الاسلامية الى البلاد التابعة للفرنج و بالعكس ، و عدم فرض رسوم جديدة عليهم .

فقد جاء في المعاهدة التي عقدها السلطان الظاهر بيبرس مع الاسبتارية سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م / :

" و على ان التجار و السفار و المترددين من جميع هذه الجهات المذكورة يكونون آمنين من الجهتين : الجهة الاسلامية ، و الجهة الفرنجية و النصرانية ، في البلاد التي وقعت هذه الهدنة عليها - على النفوس و الاموال و الدواب و ما يتعلق بهم ، يحميهم السلطان و نوابه ، و يتعاهدون البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة الواقع عليها الصلح و في بلد المناصفات - من جميع المسلمين . و يحميهم بيت الاسبتار في بلادهم الواقع عليها الصلح و في بلد المناصفات - من الفرنج و النصارى كافـــة " (١) .

و في احدى تلك المعاهدات جاء :

" و على ان لا يجدد على احد من التجار المترددين رسم لم تجر به عادة ، بل يجرون على العوائد المستمرة ، و القواعد المستقرة من الجهتين .." (٢) .

و هكذا حرص الطرفان على ابقاء الرسوم الجمركية على ما هي من دون زيادة حرصا منهما على تشجيع التبادل ، كما حرص الطرفان على تأمين ممتلكات التاجر عند وفاته . ففي نص المعاهدة المعقودة بين السلطان قلاوون و بين حكام الفرنج بعكا سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م / ورد ما يلي :

" و متى توفي احد من التجار الصادرين و الواردين : على اختلاف اجناسهم و اديانهم ، من بلاد السلطان وولده ، في عكا و صيدا و عثليت ، و البلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة على اختلاف اجناسهم و اديانهم (فيحتفظ على ماله حتى يسلم لنواب السلطان وولده) ، و اذا توفي احد في البلاد الاسلامية الداخلة في هذه الهدنة يحتفظ على ماله الى حين يسلم الى كفيل المملكة بعكا و المقدمين " (٣) .

---

(١) - القلقشندي : المصدر نفسه - ج١٤ - ص ٣٧ / .
(٢) - المصدر نفسه - ج١٤ - ص ٤١ / .
(٣) - القلقشندي : نفس المصدر ، ج١٤ - ص ٥٩ / .

كما وضعت مواد خاصة في المعاهدات التي تم عقدها بين الطرفين تتناول السلع الممنوعة و المحظور التعامل بها او نقلها من بلاد الفرنج الى بلاد المسلمين و بالعكس : " و على ان الممنوعات المعروف منعها قديما تستقر على قاعدة المنع من الجهتين . و متى وجد مع احد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين و غيرهم على اختلاف اديانهم و اجناسهم شيء من الممنوعات بعكا و البلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة ، مثل عدة السلاح و غيره ، يعاد على صاحبه الذي اشتراه منه ، و يعاد اليه ثمنه ، و يرد و لا يؤخذ ماله استهلاكا ، ولا يؤذى . و للسلطان وولده ان يفصلا في من يخرج من بلادهما من رعيتهما الذين يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة في هذه الهدنة " (١) .

هذا بالاضافة الى الكثير من المواد الاخرى التي تم الاتفاق عليها في تلك المعاهدات و لكننا لم نأت الا على ذكر أبرزها .

و يتضح مما ورد ان بلاد المناصفات لم تكن قاصرة على المناطق الزراعية فقط، بل إنها شملت العديد من المدن و الموانىء ، مثال ذلك ما ذكره المقريزي في نص الهدنة المعقودة بين السلطان الملك المنصور قلاوون و بيت الاستبار و امارة طرابلس سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م ، حيث قال :

" و على جميع بلاد السلطان و ما اشتملت عليه من الاقاليم و الممالك و القلاع و المدن او الحصون ، و البلاد و القرى ، و المزارع و الاراضي ،والموانىء و البحور ، و المراسي و الثغور ، و سائر البلاد من الفرات الى النوبة" (٢) .

و كذلك ذكر المؤرخ نفسه في موضع آخر من نفس المعاهدة ، ما يلي :

".... و يستقر النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية و مينائها في استخراج الحقوق و الجبايات و الغلات و غيرها مناصفات ، و يستقر مقامهم بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية (بيبرس) " (٣) .

---

(١) - القلقشندي : المصدر السابق ، ج١٤ - ص ٥٧ / .
(٢) - المقريزي : المصدر السابق ، ج١ - قسم٣ - ص ٩٧٥ / .
(٣) - المقريزي : المصدر السابق ، ج١ - قسم٣ - ص ٩٧٦ / .

و كذلك جاء في المعاهدة المعقودة بين السلطان الملك الظاهر بيبرس و بين ملكة بيروت سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ، ما يلي :

" ...... و ذلك مدينة بيروت و اماكنها المضافة اليها : من حد جبيل الى حد صيدا ، و هي المواضع الآتي ذكرها : جونية بحدودها ، و العذب بحدودها" (١) .

و بذلك يمكن القول ان نظام المناصفات ، وجد منذ بداية الوجود الفرنجي الصليبي على ارض المشرق العربي الاسلامي ، و قد عمل به بحسب متطلبات الظروف السائدة آنذاك ، من اجل استمرار النشاطات الاقتصادية و الحياتية للطرفين — العربي الاسلامي و الفرنجي الصليبي — فكان هذا النظام دليلا على قيام نوع من العلاقات الودية بين الطرفين المذكورين ، و كانت بنود معاهدات المناصفات دلائل حية على مراعاة مصالح الجانبين الاقتصادية و الاجتماعية . و بذلك تكون معاهدات المناصفات هذه قد خدمت جوانب متعددة سياسية و اقتصادية عند محوري الصراع ((العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين)) .

و بذلك يمكن القول بأن هذا النظام ، او هذا النوع من العلاقات فرضته الظروف الراهنة في تلك العصور . و لذلك فقد وجد مع بداية الوجود الفرنجي الصليبي على أرض المشرق العربي الاسلامي ، و انتهى بانتهائه .

---

(١) — القلقشندي : المصدر السابق — ج١٤ — ص ٤٠ / .

رابعـــــا : وضع اهالي البلاد في ظل ادارة الفرنج الصليبيين

كان المجتمع الفرنجي فيبلاد الشام خليطاً من الاجناس ، و القوميات ، و اللغات ، و الأديان . ما بين شرقيين و غربيين ، بينهم الفرنسي و الانجليزي و الايطالي و الالماني ، كما فيهم العربي و التركي و الكردي و الأرمني ، و كذلك نرى بينهم اليهودي و المسلم و النصراني ما بين روم و أرثوذكس ولاتين و موارنة و نساطرة و يعاقبة ، أو سني و شيعي و درزي و نصيري و اسماعيلي .... هذا مع تفاوت في المظهر الاجتماعي و الدرجة الثقافية . (١) .

و لكن من المرجح أن غالبية مواطني كل دولة من دويلات الفرنج الصليبيين كانت من العرب المسلمين . و كان التعايش السلمي بينهم و بين المحتلين ضرورة من ضرورات الاستيطان . و ثمة أسباب كثيرة تجعل من المحال أن تكون العلاقة بينهم و بين الفرنج مشفوعة بروح الحرب دائما لان ذلك يحتاج الى وجود عدد كبير من الاداريين و العسكريين ، بينما كان عدد المستوطنين الفرنج قليل إذا ما قيس بالمساحات الواسعة التي استولوا عليها لذا كان استغلال الفلاحين المسلمين و الاستعانة بهم ، و الابقاء عليهم ضمن الاراضي المحتلة ضرورة اقتصادية لاصحاب الاقطاعات من الاراضي . (٢) .

و قد أدى هذا التعايش ، و ما نتج عنه من التعامل اليومي المستمر الى نوع من التفاهم . (٣) . فلم يكن العداء مستحكما بين الطرفين بشكل دائم . و في الفترات التي كان يتوقف فيها القتال ، كانت تحدث اتصالات حضارية و معاملات اقتصادية على جانب كبير من الاهمية بين العرب المسلمين و الفرنج الصليبيين(٤) .

و لما كان عدد الفرنج المستوطنين قليل ، فقد كانوا مضطرين لمنح بعض الحقوق و الادارة الذاتية لاصحاب البلاد إضافة الى حرية التمتع بتقاليدهم وعاداتهم الخاصة (٥) .

---

(١) - زكي النقاش : المرجع السابق ص ١٣٩ / .

(٢) - Paul Des Champs: op.Cit. P.7 + Stanly Lane Pool: op.Cit. p28.

(٣)- سميل : المرجع السابق ص ٩٨ / .

(٤) - عاشور : مصر و الشام في عصر الايوبيين و المماليك ص ١٣٠ / . حسن حبشي : نور الدين و الصليبيون ص ١٤٦ / و كذلك ص ١٥٧ / .

(٥) - سميل : المرجع السابق ص ٩٨ / .

و لما كان عدد الفرنج المستوطنين قليل ، فقد كانوا مضطرين بعض الحقوق و الادارة الذاتية لاصحاب البلاد اضافة الى حرية التمتع بتقاليدهم و عاداتهم الخاصة . (١) .

ففي انطاكية و بعد استقرار الفرنج الصليبيين فيها لم يتعرضوا لاتباع المذهب الارثوذكسي في البلاد التي استولوا عليها ، و انما تركوا حرية العقيدة لجميع المسيحيين ، بما في ذلك السريان و الارمن، و سمحوا لهم باصلاح كنائسهم و زخرفتها بالفسيفساء و الايقونات و الصور و غيرها ، و تركوا رجال الدين الارثوذكس في اماكنهم و لم يتعرضوا لهم ، لكنهم عينوا بعض رجال الدين الكاثوليك في الاسقفيات الشاغرة . (٢) و يذكر وليم الصوري حول ذلك ما يلي :

" و على هذا تقرر بناء على رغبة الجميع إعادة رجال الدين الى مناصبهم الرفيعة السابقة في الكنائس بدون تأخير ......

و عيد البطريرك يوحنا الى كرسيه البطركي الخاص ، ...... هذا و ارتؤي انه من غير الحكمة اختيار أو رسم بطريرك من عرقنا اللاتيني ، ما دام الشاغل السابق لذلك المنصب ما يزال على قيد الحياة ، .... هذا و لم يمض اكثر من عامين حتى غادر يوحنا طوعا مدركا انه لن يستطيع كرجل اغريقي ، حكم اللاتين بشكل فعال .... " (٣).

و الدلائل المتوفرة عن تلك الفترة تشير الى ان الفرنج كفئة حاكمة لم يبدلوا ما نهج عليه سابقوهم ، و المرجح انهم حافظوا على نظم المحاسبة و التسجيل التي وجدوها قائمة . (٤) .

و يبدو ان حكام الفرنج الصليبيين في بلاد الشام كانوا يطبقون نظاما يؤمن لهم ريعا يجنونه من السكان المحليين و يتركون لهم قدرا لا بأس به في الحرية في ترتيب شؤونهم المحلية .

---

(١) – سميل : المرجع السابق ص ٩٨ / .
(٢) – عاشور : تاريخ العلاقات ص ١٧٠ / .
(٣) – وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب السادس ص ٣٦٩ – ٣٧٠ / .
(٤) –
– La Monte: op. Cit. p. 167.

و قد أكد ذلك ابن جبير المؤرخ العربي المعاصر لتلك الاحداث فقال:

" .... و رحلنا من تبنين ... و طريقنا كله على ضياع متصلة و عمائر منتظمة ، سكانها كلها مسلمون ، و هم مع الافرنج على حالة ترفيه ، و ذلك انهم يؤدون لهم نصف الغلة عند اوان ضمها ، و جزية على كل رأس دينار و خمسة قراريط ، ولا يعترضونهم في غير ذلك ، و لهم ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضاً ،و مساكنهم بأيديهم ، و جميع أموالهم متروكة لهم " . (١) .

يلاحظ من كلام ابن جبير ، انه كانت هناك طريقة تعايش سلمية بين الطرفين، و ذلك لحاجة الفرنج الى الاستعانة بالسكان المحليين من العرب المسلمين والمسيحيين للعمل في الارض ، و لتأمين موارد لهم (للفرنج) ، دون تكلفة و جهد كبير من جهة ، و مستغلين حاجة الفلاحين الى الاستقرار للعمل في أراضيهم من جهة ثانية و كذلك كان اهالي بلاد المناصفات يعيشون حياة لا بأس بها ضمن القوانين التي وضعت ، و نصّت عليها المعاهدات بين الطرفين . (٢) .

و مع أن ابن جبير شاهد عيان ، و ذكر ما ذكره عن اوضاع السكان المحليين أصحاب الاراضي تحت الاحتلال الفرنجي ، فان هذه المعاملة المعقولة التي دعت اليها الحاجة الماسة الى اليد العاملة ، فانه يمكن القول ، بانها لم تستمر طويلا و لم تكن عامة ، و ذلك لان مؤرخاً آخر لا يمكن تجاهله كابن طولون ذكر بان اصحاب الاراضي من السكان المحليين كانوا يعانون من الظلم و سوء المعاملة .

فقال على لسان الحافظ ضياء الدين :

" و سمعت غير واحد من اصحابنا يقولون أن المسلمين صاروا تحت ايدي الفرنج بارض بيت القدس و نواحيها يعملون لهم الارض ، و كانوا يؤذونهم و يحبسونهم و ياخذون منهم شيئا كالجزية .... " (٣) .

---

(١) - ابن جبير : المصدر السابق ص٢١٠ - ٢١١ / .

(٢) - أنظر فيما سبق ادارة بلاد المناصفات .

(٣) - محمد بن طولون الصالحي : "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحة" تحقيق محمد احمد دهمان . طبعة عام ١٩٤٩ - القسم الاول ص ٢٦ / .

و يوءكد ما ذكره ابن طولون ابن العديم بقوله :

" و خرج الفرنج فقبضوا على الفلاحين الذين تحت ايديهم في هذه الاعمال من المسلمين و عاقبوهم و صادروهم ، و اخذوا منهم من الاموال و الغلات ما تقووا به ... " (١) .

و في السنوات الاولى بالذات من تأسيس دول الفرنج ، تعرضت جماهير السكان العرب في القرى و المدن للابادة . و اضطر قسم من المسلمين (الزراع و الحرفيون) الى مغادرة أراضيهم ، و أمّا من بقي فقد باعوهم عبيدا . (٢) .

و لم تكن ظروف حياة الاقنان افضل بكثير من ظروف حياة العبيد . فقد كانوا يتعرضون للاستثمار القاسي من قبل اسيادهم و من قبل السلطة المركزية و كانت اراضيهم تعتبر ملكا للغزاة الفرنج . و كانوا يربطون الاقنان بقطع الارض التي كانوا يشترونها و يبيعونها معهم (و احيانا بمعزل عنهم) و كانوا يفرضون على الاقنان فرائض عديدة ، و متنوعة ، عينية و نقدية ، و كانوا يكلفونهم أيضا بضرائب الدولة . (٣) .

---

(١) - ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٥٦٠ / .

(٢) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٣٤ / حيث يقول :

"و قد تعرض هوءلاء الذين اصبحوا عبيدا لشتى اعمال التعذيب و الاهانة من ضرب و غيره . و خشية من تكتل هوءلاء العبيد و خروجهم عن الطاعة ، و ضمان هيبة السلطة ، وجد الفرنج الصليبيون منذ السنوات الاولى لاحتلالهم لبلاد الشام أن يصدروا بعض قرارات في حق العبيد المذنبين و ذلك في المجمع الكنسي المنعقد في نابلس سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ، و بموجبه تقرر شنق العبد الذي يقتل مسيحيا . وحرق العبدة التي تقتل مسيحيا ".

(٣) - زابوروف : المرجع السابق ، ص ١٣٤ / .

١ - الضـــرائــب : كان الفرنج الصليبيون يجبون من الفلاحين المحليين شتى أنواع الجزاء و المدفوعات ، و حول ذلك يذكر ابن طولون ما يلي :

" و كان اكثر الفرنج أهون من ابن بارزان (١) ، و كانت تحت يده جمّاعيل (٢) قرية اصحابنا ، و مردا و ياسوف و غير ذلك ، و كان اذا اخذ الكفار من كل رجل ممن تحت يده دينارا اخذ هو من كل واحد منهم أربعة دنانير ، و كان يقطع آرجلهم و لم يكن في الكفار أعتى منه و لا اكثر تجبرا ". (٣) .

و هكذا كان لزاما على الفلاح ان يؤدي الى سيده ضريبة شخصية ، هي ضريبة الرأس ، بالاضافة الى ما التزمت به القرى من تقديم نصيب من انتاجها .(٤) . فالضريبة النقدية القديمة "المؤونة" صارت تسمى الآن مونة " و ضريبة الخراج ضريبة الارض - صارت تسمى الآن ترج . (٥) . و بذلك كان السيد الاقطاعــــي الفرنجي يطالب بحقه في انتاج الارض ، و في نسبة من مردود الحصاد و ايجار الدواب بالاضافة الى الضرائب الاخرى ، و هي ضريبة النقد او التقدمة " PresenTaLiCa " و كانت تستوفى هذه الضريبة ثلاث مرات في العام و هناك ضريبة غير النبلاء التي كانت ربما تفرض على غير اللاتين (٦) .

---

(١) - في الاصل ابن باران . و التصحيح من الروضتين لأبي شامة (ج٢،ص ٦٥)/ و الفتح القسي (ص ٣٧) . و يسميه أبو شامة و العماد الاصفهاني (باليان بن بارزان) و هو الذي فاوض السلطان صلاح الدين بتسليم بيت المقدس . وهو حاكم نابلس الكبير .

(٢) - قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : جمّاعيل بالفتح و تشديد الميم والف و عين مهملة مكسورة و ياء ساكنة ولام . قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين.

(٣) - ابن طولون : المصدر السابق - القسم الاول ص ٢٧ / .

(٤) - رنسيمان : المرجع السابق ، ج٢ ص ٤٧٨ / .

(٥) - زابوروف : المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ / .

(٦) - سمسيث : المرجع السابق ، ص ٢٣ / .

و هكذا كانت الضرائب التي ينبغي تحملها من قبل ... المحتلة اراضيهم ، لصالح الفرنج الحكام المتغطرسين تتزايد • فقد كان على السكان آن يدفعوا ضرائب مختلفة عن الحقل المحروث ، و المرعى ، و البستان • و كما ذكر ابن جبير ، فقد كان الفرنج يجبون من الفلاحين (الاقنان) قدراً من محاصيلهم يتراوح بين الثلث و النصف • كذلك كان للسيد الاقطاعي الفرنجي نصيب من غلة الاشجار المثمرة و أشجار الزيتون ، و غالباً ما يبلغ نصيبه نصف محصول العنب (١)

كذلك كان الفلاحون يدفعون ضرائب الدولة (عن الاشجار المثمرة) فضلا عن شتى الرسوم (لقاء نقل المنتوجات الزراعية الى اسواق المدن ، و لقاء هذه المنتوجات ، اضافة الى الرسوم القضائية ••)

و كانت ضريبة الرأس ظاهرة جديدة شديدة الوطأة على السكان الكادحين ، وكما في الغرب منح الاسياد الفرنج الاقطاعيين انفسهم هنا حقوقا احتكارية في امتلاك المعاصر ، و أفران الخبز ، و المطاحن (٢) • و هناك ناحية جديدة بالملاحظة ، وهي ان الصليبيين كانوا يعمدون في بعض الاحيان الى زيادة الضرائب المقررة و ذلك عند حاجتهم و كذلك حين تستنفد الحرب قدراً كبيراً من الثروة العامة ، وحين يشعر القائمون ببيت المال بحاجته الملحة الى ما يسد هذا النقص • كما انهم قد يفرضون ضرائب اضافية اذا دعت احدى الضرورات الحربية ،كاقامة الاسوار او ترميم الحصون ، دفعا للاذى (٣) وخضع الرعايا المسلمون لضريبة العشر ، التي تؤدى للكنيسة • ودأب موظفو الكنيسة اللاتينية (الفرنجية الصليبية الغربية) على ان تمتد ضريبة العشر ، فيطبقونها على المسيحيين الذين ينتمون الى الكنائس المخالفة • غير انهم لم ينجحوا في ذلك (٤).

هذا ورغم تغير الاقطاعية والاستيطان الغربي الفرنجي ، نظام الزراعة المحلي في بلاد الشام • وكانت الوحدة الاساسية هي القرية المحاطة باراضيها ، التي

---

(١) : ابن جبير : المصدر السابق ص ٢١٠ - ٢١١

(٢) : زابوروف : المرجع السابق ص ١٣٥

(٣) : حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ١٥٢ - ١٥٣ •

(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٧٨

تختلف عن بعضها بعضا كثيرا من حيث المساحة ،والتيكان العمل فيها مشترك من قبل الفلاحين العرب المحليين (المسلمين والمسيحيين) وكان يديرها اما الدليل السياحي " Dragoman " وهو لاتيني عادة ، او المختار ، وهو رجل وطني حر يمارس سلطاته كرئيس مسؤول عن النظام والعدل في القرية (١) وبذلك كانت القرية " Casal " هي وحدة قياس الاقطاع ، وقل استخدام نصف القرية او ثلث القرية ، على أن القرى اختلفت أيضا فيما بينها في عدد السكان لم يتجاوز متوسط سكان القرية حول صفد في شمال الجليل اربعين ساكنا ،وكان هناك قرى حول الناصرة أكبر حجماوأكثر كثافة بالسكان .(٢)

ويذكر باركر انه قام بمملكة بيتالمقدس نظام الضياع " Manoral System " وهذا النظام ليس الا استمراراً للنظام القروي المعروف عند العرب. ان كل قرية " Casale " تألفت من اسرات ويعتبر العاملون فيها مستأجرين ، يدفعون لاصحاب الاقطاع الجدد ربع الى ثلث المحصول ، فضلا عن الجزية واجور الاكرة (٣). ومعظم سكان القرى من الاهالي الوطنيين في بلاد الشام ، وقلما اقام الفرنج في قرية من القرى ،واشتغلوا بالفلاحة . وما اصاب الفلاحين من الظلم والاستبداد على ايدي ارباب الاقطاعات او نوابهم ، أدى الى تدهور الزراعة وتدمير اقتصاد مملكة بيت المقدس .(٤)

وقد ذكر وليم الصوري ان هؤلاء الفلاحين المحليين (الكسيلية)(٥) كثيرا ما كانوا يقفون مع اخوانهم العرب المسلمين في وجه اسيادهم الاقطاعيين الصليبيين، فقال : " تخلى خدمنا عنا خلال هذه الايام بالاضافة الى السكان العرب في قراننا

---

(١) : سميث : المرجع السابق ص ٢٣

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٧٧

(٣) : اجور الاكرة : هي الاجور التي يدفعها الفلاحون لسادتهم الاقطاعيين ،وهي عبارة عن اجرة عن الارض التي يستغلونها ،غير قابلة للتغيير (اكاره - Cens) . كانت تطبق في الغرب ،وقد استمر الفرنج بتطبيقها في بلاد الشام .
انظر : سعيد برجاوي : المرجع السابق ص ٧٦

(٤) : باركر : المرجع السابق ص ٧١ الحاشية رقم (١)

(٥) : الكسيلية نسبة الى اسم القرية (Casal) وقد كان هؤلاء في بعض النواحي وحدات من التنظيم الزراعي والاقتصادي مثل الاقطاعات الغربية . انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الحادي عشر - حاشية رقم (٧٥)

التي تسمى كاسيليا ،وانضم هوءلاء الى كتائب الاعداء وعلموهم كيف نتوقع ابادتنا ، وتمكن الاعداء من صنع هذا بشكل جيد لانه كانت لديهم معلومات كاملة من موقفنا . ذلك انه ليس هناك وباء أشد هلاكا وفعالية من عدو داخل منزل المرء " .(١)

وهوءلاء الفلاحين من السكان المحليين ، الذين اعتبروا اقنانا ،لم يكونوا يتحملون مالاً عد له من الفرائض والمدفوعات وحسب ،بل كانوا كذلك محرومين تماما من الحقوق ، علماً بان الفرنج الصليبية لم يكونوا يقيمون اي فرق من حيث الانتماء الديني بين السكان الخاضعين لهم ، فقد كانوا يعاملون المسيحيين بنفس القدر في القسوه الذي كانوا يعاملون به المسلمين .(٢) وبذلك يمكن القول بان العلاقات بين مالكي الاراضي من الاقطاعيين الفرنج والزراع كانت علاقات بين الغالبين والمغلوبين . وبعد دفع الضرائب كافة للسيد الاقطاعي الفرنجي ، لم يكن يبقى للفلاح الا قدر زهيد كان بالكاد يكفي لاطعام عائلته وللبذار المقبل . (٣) اما علاقات اهل القرى بالسيد الاقطاعي ، فكانت تجري عن طريق رئيس القرية ، الذي احتفظ بالاسم العربي " رئيس " في بعض الاحوال . بينما كان معروفا في احوال اخرى عند الافرنج باسم الوسيط " Regulus " ويستخدم السيد من جانبه احد مواطنيه ليكون مرشداً له ، وكاتباً ملماً باللغة العربية يتولى امر سجلاته .(٤)

٢- العلاقة بين الفرنج والسكان المحليين :

وعلى العموم فان الفرنج ظلوا طبقة حاكمة منفصلة عن المواطنين المحليين من حيث اللغة والدين ، مستخدمين القوة رادعاً أخيراً في ممالكهم . فالسمة الاساسية لتنظيم الدويلات الفرنجية هي تسلط طبقة ارستقراطية عسكرية صغيرة على جماهير السكان الوطنيين ،وهذه الطبقة الحاكمة استغلت الشعوب الخاضعة لها اقتصاديا . مع انها لم تدخل سوى تعديلات طفيفة على الحياة اليومية للسكان المحليين (٥)وهي في ذلك مضطرة لا راضية بسبب قلة عدد افرادها بالنسبة لعدد

---

(١) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب الحادي عشر ص ٥٥٠
(٢) : زابوروف : المرجع السابق ص ١٣٥ .
حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ١٤٩.
(٣) : زاربوروف : المرجع السابق ص ١٣٦
(٤) : رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٧٤-٤٧٥ وانظر فيما سبق الدليل السياحي والمختار ص ١٩٦ .
(٥) :سميل : فن الحرب ص ١١٠ .

المواطنين المحليين الكبير . وهذا رد على اراء بعض المؤرخين الغربيين الذين يقولون بان الفرنج تلائموا مع محيطهم الشرقي ومدوا جذورهم بين الشعوب التي حكموها ، فنتج بذلك مجتمع جديد له حياته الخاصة ،تمازجت فيه عن رضى كافة العناصر تمازجا تاما بحيث تشكلت امة فرنجية سورية ،وهم يتخذون دليلهم على ذلك روح الاستشراق التي طغت على سلوك الفرنج في بلاد الشام ،وتمثل الفرنج لكثير من العادات المحلية في الطعام واللباس [١]. ومن ثم توظيف الفرنج للعرب المسلمين في بعض المناصب،والوظائف الحكومية الصغيرة مثلهم كمثل العرب من المسيحيين الوطنيين ،موظفين في الديوان (الجمرك) وفي جباية الضرائب ،[٢] وكذلك وظيفة المحتسب التي اخذها الفرنج عن المسلمين بلفظها وعملها [٣]وكانوا يوءثرون أن يتسلمها رجل مسلم . وهناك وظيفة الكتاب التي كان الموظفون فيها من الصليبيين والعرب على السواء .[٤] ولكن وعلى الرغم منذلك فهذه الامثلة الصغيرة لاتدل على قيام تمازج تام وتفاهم بين المجتمعين الفرنجي والشامي العربي/ بل يمكن القول بان الفرنج الصليبيين ونتيجة لاستقرارهم في مناطق اكثر سكانها من اصحاب البلاد الاصليين لهم عاداتهم الشرقية الخاصة ، اخذوا يتمثلون هذه العادات وكان هذا بداية ذوبانهم في المجتمع الشامي العربي ،وتخليهم عن ذاتهم الفرنجية تدريجيا.وصور الموءرخون الفرنج ذلك بانه نسيان لأصلهم واندماج مع السكان المحليين ،فقد ورد على لسان احد موءرخيهم ما يلي:" لقد قلب الله الغرب شرقا... وقد بقي الحجاج في الاراضي المقدسة حيث اندمجوا مع السكان ،وكان يتوافد الكثير من الاقارب لينضموا الينا فالذين كانوا على جانب من الفقر في بلدهم ، جعلهم الله اغنياء ، فلماذا العودة الى الغرب ؟ حيث كان الشرق مواتيا كليا له) [٥].

---

(١) : تذكر المصادر والمراجع العديد من الامثلة التي عدلت فيها انماط معيشة الفرنج بعد ان استوطنوا بلاد الشام . وهي تدل على ان الفرنج استخدموا الاطباء والطباخين والخدم والحرفيين من اهل البلاد . وانهم تزيوا بالازياء الشرقية وطعموا فواكه البلاد واطباقها .. وخططوا منازلهم على النمط السوري ،واستخدوا الراقصات في افراحهم ،والندّابات المحترفات في اتراحهم ... انظر :
اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٨٠-١٨١ وكذلك ص ١٦٩ وما بعد .
سميل : المرجع السابق ص ٨٣
باركر : المرجع السابق ص ٦٩
حسن حبشي : المرجع السابق ص ١٥٣ - ١٥٤ وكذلك ص ١٥٦ .

(٢) : رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٧٩ .
(٣) : عن المحتسب انظر فيما سبق ص ٧٢
(٤) : حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ١٥١.
(٥) : _ Paul DesChamps : op.cit. p. 7

ومع الاعتراف بوجود علاقات بين الطرفين ، لكنها كانت علاقات مصلحتهم مجتمعة . ولم تخلق نتيجة المحبة والوفاق والرضى ، بل نتيجة ضغط المصلحة والمنفعة للجهتين ونتيجة التعايش والاختلاط المستمر . ولذلك فقد كانت هناك هوة واسعة من الصعب ربط ضفتيها بين الفرنج الصليبيين والسكان المحليين في بلاد الشام . وان الشعوب العربية التي خضعت للاحتلال الفرنجي لم تكن سعيدة وراضية بما هي عليه ، على الرغم من السكون والهدوء الذي كان يبدو احيانا على المواطنين في الاراضي المحتلة ، ذلك أنه كان هوءلاء المواطنون يتحفزون للوثوب على الفرنج الصليبيين في كل حين ، وعندما تسنح الفرص بذلك . وكان يظهر ذلك واضحا عندما يتعرض هوءلاء الفرنج لمآزق حربية صعبة .. تدل على ذلك كثرة الامثلة التاريخية عن مواقف كهذه ، ليس فقط عند العرب المسلمين ، بل حتى عند العرب المسيحيين(والارمن) المتفقين دينيا مع الصليبيين الفرنج.(١) لان هذا التوافق الديني بين المسيحيين المحليين والمسيحيين الغزاة (الافرنج) يقابله تعاطف وطني واجتماعي وضمني لاخوانهم المسلمين يفوق بكثير التعاطف الديني المذكور .

وكما يقول احد الموءرخين : " ان الحملة الصليبية الاولى تركت في التاريخ اثرا موءلما يدل على اقسى ما عرف من التعصب ،لاضد المسلمين فحسب ،بل وضد مسيحيي الشرق ، اذ انه بمجرد استقرار الامر في ايدي الصليبيين بادروا باتهام مسيحيي الشرق بالالحاد والتمرد على سلطة الكنيسة الشرعية - يقصدون سلطة البابا- فاضطهدوهم وحاربوهم في ارزاقهم وطردوهم من اعمالهم .. ان مسيحيي الشرق لاقوا من اولئك الذين جاءوا لانقاذهم من حكم المسلمين ما جعلهم يقارنون بحسرة بين سماحة الحكام العرب وكرمهم ، وبين ما لاقوه من التنكيل والعذاب على ايدي حكام الغرب "(٢) وبالمقابل فان الفرنج لم يكن في وسعهم منح ثقتهم الكاملة لاي من الفئات الخاضعة لهم ،والتي كانوا يخشونها اعظم الخشية وخاصة عندما تفعق فاعليتهم القتالية العسكرية ، يدل على ذلك ما كان يقوم به الفرنج من نزع

---

(١) : سميل : المرجع السابق ص ١١٠

(٢) : محمد الفتيت : المرجع السابق - ج ١ ص ٣٤ .

السلاح من جميع السكان المحليين الشرقيين دون استثناء علما يتعرضون لخطر حرب اوحصار .

كما ان كثرة القلاع التي وجدت في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ،يدل على قلة الثقة بين الحاكمين والمحكومين ،اي بين الفرنج والسكان المحليين ،حيث كان الفرنج يلوذون بها عند الشدة ، لأنها الوحيدة القادرة على حمايتهم بالاضافة الى استخدامها كمقر للقيادة والهجوم والدفاع .(١)

ونخلص الى القول بان الصليبيين ظلوا في المشرق عبارة عن موءسسة عسكرية محتلة ،كانت تعمل من اجل مصلحتها ، وتسخر السكان الاصليين من اجل نفعها ، وحين تقيم علاقات اقتصادية مع السكان المحليين الخاضعين لحكمها أو مع الدول العربية المجاورة ، كانت تضع مصلحتها الاقتصادية بالدرجة الاولى . لقد عاش الصليبيون في المشرق غرباء ، وملكوا القدرة على البقاء طالما ملكوا القدرة العسكرية ، لكن عندما فقدوا ذلك ،صار وجودهم مزعزعا . (٢)

ومما لاشك فيه انه تم تحقيق الكثير بصدد العلاقات الودية التي كانت تقوم غالبا بين الحكام اللاتين وحكام الدول الاسلامية ،ولم تكن السياسة وحدها هي التي توءدي الى اقامة التحالف في بعض الاحيان . اذ كثيرا ما كانت العلاقات الشخصية تقوم نتيجة المجاملة والصداقة . والامثلة الكثيرة التي اقتبست في هذا المجال مأخوذة من كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ . فقد كان اسامة فردا من افراد اسرة عربية نبيلة حكمت شيزر ما بين العامين(٤٧٤-٥٥٣هـ/١٠٨١-١١٥٧ م) وتربى في شبابه على موضوعين رئيسين هما الحرب والصيد، لذا نجد معظم مذكراته ، تدور حول هاتين الهوايتين . وكل ما يمكن استخلاصه من افاداته هو وجود علاقات صميمية في كثير من الاحيان بين افراد الطبقة العسكرية الصغيرة الحاكمة لدى كل من الطرفين . حيث كانت تطلعاتهم واذواقهم مشتركة الى حد كبير بسبب

---

(١) : فولفغانغ مولّر ڤينر : المرجع السابق ص ٩
- Stanley Lane Pool: op. cit. P33.
محمد فريد ابو حديد ،المرجع السابق - ص ٥٥

(٢) : وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - المقدمة ص ٧٢
سهيل زكار : حطين مسيرة التحرير ص ٧٠ .

وضعهم المتميز في المجتمع وحماستهم للحرب والفروسية والصيد ، الذي كانوا يشاطرون فيه بعضهم بعضا .[١] اضافة الى وجود علاقات تدل على الجفاء والبعد بين السكان الاصليين المحليين وبين الغزاة الصليبيين ، تتضح من العناوين الجزئية التي اتخذتها القصص الطريفة العديدة الموجودة في الكتاب .

مثل : " افرنجي يتنصر بعد اسلامه "[٢] مع ما يحمله معنى التنصر بعد الاسلام من معنى عند المسلمين ." افرنجية تؤثر ان تكون زوجة اسكاف فرنجي"[٣] بعد ان كانت زوجة صاحب قلعة جعبر المسلم . بالاضافة الى تكرار كلمة لعنهم الله وقبحهم الله التي يتردد ذكرها كثيرا ، حيث يقول مثلا :" وهم ،لعنهم الله ،جنس ملعون لايألفون لغير جنسهم " [٤] . وهذا يدل على مدى كره المسلمين للفرنج ولعاداتهم واخلاقهم ....

ومن صور العلاقات الودية المتبادلة بين الطرفين (العربي الاسلامي - والفرنجي الصليبي) ،التعزية في الاحزان ،والتهنئة في الافراح ، وعند استلام ملك جديد. فيذكر المؤرخون انه :

" لما ملك نور الدين دمشق ، كتب ملوك الفرنج اليه يهنونه بدمشق ويتقربون اليه ويخضعون له " و[٥] كما ذكر القلقشندي رسالة ارسلها صلاح الدين الى ملك القدس الصليبي الجديد . بلدوين الثالث معزيا بابيه ومهنئا له بجلوسه على عرش القدس .[٦]

---

(١) : سميل: المرجع السابق ص ٨٥

(٢) : اسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٦٧ وما بعد .

(٣) : ابن منقذ : المصدر السابق ١٦٦ - ١٦٧

(٤) : ابن منقذ : المصدر السابق ١٦٦ - ١٦٧

(٥) : ابو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ٩٧ حيث يقول :
" ..... ولما ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج وعلموا انه لايقعد عنهم وعن غزو بلادهم والمبادرة الى قتالهم ،فراسله كل كند وقمص وتقربوا اليه".
ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ -١٢ ص ٢٣٢ .

(٦) : القلقشندي: المصدر السابق ج٧ ص ١١٥-١١٦. و انظر كذلك :
ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري ص ٢٥٧ .

وبلغ من تعلق الفرنج الصليبيين ببعض العادات والعقائد الدينية ان كانوا يصلون في المزارات التي يقدسها المسلمون واليهود . فقد ذكر ابن جبير في رحلته : " .... وفي شرقي البلدة (مدينة عكا) العين المعروفة بعين البقر ،وهي التي اخرج الله منها البقر لادم صلى الله عليه وسلم . والمهبط لهذه العين على ادراج وطية ،وعليها مسجد بقي محرابه على حاله ، ووضع الافرنج في شرقيه محرابا لهم ،فالمسلم والكافر يجتمعان فيه ،يستقبل هذا مصلاه ،وهذا مصلاه ،وهو بأيدي النصارى معظم محفوظ ، وابقى الله فيه موضع الصلاة للمسلمين"(١) وكذلك كان الفرنج يدعون المسلمين لحضور بعض حفلات الزفاف في ايام السلام بينهما.(٢)

وكان الفرنج في خصوماتهم الخاصة والقتال المستمر فيما بينهم ،يرحبون بالمساعدة التي تأتيهم من اعدائهم المسلمين . وكان يحدث العكس كذلك (٣) حيث يذكر العماد الاصفهاني المستأمنين من الفرنج ودورهم في حصار عكا ، فيقول : (والمستأمنون هم قوم من الفرنج ، طلبوا الامان من المسلمين فامنوهم) " وفي يوم كذا.... عاد المستأمنون من الفرنج الذين انهضهم السلطان في براكيس (٤) ، ليغزوا في البحر ،ويكونوا ايضا لنا جواسيس . فرجعوا وقد غنموا وغلبوا..."(٥)

---

(١) : ابن جبير : المصدر السابق ص ٢١٢.

(٢) : ابن جبير : المصدر السابق ص ٢١٣.

(٣) : يذكر ابن الاثير أمثلة كثيرة على ذلك في عدة مواضع انظر : المصدر السابق ج ١٠ - ص ٤٦٤ - ٤٦٥ وكذلك ص ٥١٠
ج ١١ ص ٥٢٧ وكذلك ص ٧٤ .
فيليب حتي وغيره (جبرائيل جبور وادوار جرجي) تاريخ العرب - الطبعة الخامسة عام ١٩٧٤. دار غندور ص ٧٣٣ .

(٤) : البركوس : جمع براكيس . وهي نوع من السفن كانت تستعمل في الحروب بين الشرق والغرب في مياه المتوسط في العصور الوسطى وهي اصغر حجما من البطسه (السفينة الكبيرة التي تستخدم للحرب او للتجارة) . انظر :
-: ابن شداد : المصدر السابق - ص ١٤٣ الحاشية رقم (٦) .

(٥) : الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٤٦٠ .

وفي موضع اخر يقول : " كان المستأمنون من الفرنج الذين تسلموا براكيس يغزون فيها ويجرون بجواريها ،،،،،، ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرس يوم عيدهم ، وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبهم وبعيدهم . فصلوا معهم فيها صلاتهم ، ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليأمنوا افلاتهم . واسروهم باسرهم وسبوهم وبغتوهم من البلاء بما اتوهم وبلوهم . وكنسوا كلما كان في الكنيسة من الاعلاق النفيسة ، وقسوا على قسيسهم ، وعادوا به وبهم الى براكيسهم " (١).

وبذلك استخدم صلاح الدين الايوبي المستأمين من الفرنج ضد اخوانهم كجواسيس عليهم . وكثيرا ما استعمل المسلمون نساء الفرنج في هذه المهمات . حيث يقال ان جواسيس المعظم عيسى ، في جبل عكا ، كانوا اتفقوا مع بعض نساء الفرنج ان يشرن اليهم بالشموع ليلا لينقلن اليهم اخبار الافرنج ،فاذا عزم الفرنج على اخراج مائة جندي اوقدت المرأة شمعة واحدة ،وان كانوا مئتين اوقدت شمعتين . ثم تشير المرأة بهذه الشموع الى الجهة التي يريد الجند قصدها ...(٢)

وبالمقابل فقد برع الفرنج الصليبيون في تصيد اخبار المسلمين اكثر من المسلمين انفسهم .(٣)

- بعض المعاهدات بين الطرفين :

اشتهرت الفترة التي قضاها الفرنج في بلادنا بكثرة الهدن والمعاهدات ،تشهد على ذلك كثرة النصوص والوثائق التي ينقلها لنا المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة .

فالمدن الساحلية مثل عكا – عسقلان – صور ،ارسوف – قيسارية ... طلبوا الصلح مع مملكة بيت المقدس منذ ايام غودفري وبلدوين الاول ،مقابل اموال يدفعونها . واستمر ذلك الوضع حتى اخذت هذه المدن تسقط الواحدة بعد الاخرى بيد الفرنج .(٤) .

---

(١) : الاصفهاني : المصدر السابق ص ٤٧٦ .
(٢) : ابن موسى : غزوات الافرنج ص ٩٨
(٣) : رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٧٨.
(٤) : عاشور : تاريخ العلاقات ص ٢١٤-٢١٥-٢١٦ .

اما المدن الداخلية مثل حلب ودمشق ... فقد كانت تعقد الصلح تبعاً للضرورات السياسية والعسكرية والاقتصادية فقد عقدت دمشق هدنة سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م بين طغتكين اتابك دمشق وبلدوين الاول ملك بيت المقدس، تعاهدا فيها على اقتسام السواد (سواد طبريه) وجبل عوف اثلاثا بين الفرنج وطغتكين والفلاحين اصحاب الجبل والسواد . [(١)] ويقول ابن القلانسي في ذلك : " وفيها (سنة ٥٠٢)هـ ترددت رسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهادنه والموادعة، فاستقر الامر بينهما، على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثا : للاتراك الثلث، وللافرنج والفلاحين الثلثان . فانعقد الامر على هذه القضية، وكتب الشرط على هذه النيه " [(٢)]

اما مدينة حلب، فقد تعرضت لهجمات تنكرد العنيفة بعدسقوط حصن الاثارب بايدي الفرنج (فقد استولى عليه تنكرد سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م) وبذلك دفعت حلب جزية قدرها ٣٠ الف دينار مع شروط اخرى . [(٣)]

اما شيزر وحماه فقد دفعتا الجزيه ايضا ثمنا لشراء مسالمة تنكرد . فدفع امير شيزر اربعة الاف دينار ، ودفع امير حماه عشرة الاف دينار . [(٤)]

اما بالنسبة لمناطق الحدود بين الطرفين، فقد جرى اقتسامها انصافاً واثلاثاً بحسب وضعها، وكانت المناصفات (الاقتسام مناصفة) كثيرة خلال فترة الوجود الصليبي على ارض الشام .

---

(١) : ورد ذكر هذه المعاهدة عند :
ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٤
ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٦٧
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٨٠
ابن كثير: المصدر السابق ج١٢ - ص ١٧٠
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان (مخطوط) ج ٨ ص ١٧
الذهبي : دول الاسلام ج ٢ ص ٣١
ابن خلدون : المصدر السابق ج٥ ص ١٧٥
- Steven San: op.cit, p. 50.
- Coskum Alptekin: «Dimask Atabegligi, Tog-Teginliler» P. 34-35.
حيث يقول : " ان معاهدة الصلح الاولى المعقودة مع مملكة القدس سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٨م، لها اسباب تجارية، وان هذه المعاهدة لها اهمية تجارية لاتابكية دمشق، اما بالنسبة لمملكة القدس فاهميتها تكمن في تقوية خطوط الامداد والدعم بين القدس وساحل المتوسط، وان منطقة طبريه هي الساحة الرئيسة لحركة الوحدات الاسلامية وكذلك الفرنجية . ولهذا لايمكن ان يقال بان احدهما سيطر سيطرة مطلقة على هذه المنطقة . وكان عقد الصلح ضروريا للطرفين " .

(٢) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٤.
(٣) : عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٠٨
(٤) : ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٨
عاشور : المرجع السابق ص ٤٠٩ .

وبشكل عام يلاحظ كثرة الاتصالات والمعاهدات بين المسلمين والفرنج منذ أيام صلاح الدين ومابعد، اذا ماقيست بالفترة السابقة . ولعل مرد ذلك ان الفرنج في الفترة الاولى، فكانت حروبهم اكثر من مسالمتهم . اما عندما شعروا بضعفهم لجؤوا الى المفاوضات والسلام .

وهكذا لم تحدث مفاوضات أو محاولات اتصال أو مكاتبات شخصية مباشرة أو غير مباشرة بين ساسة الشرق والغرب بشأن تقريب وجهات النظر، أو وقف الحرب بين الشعبين (العربي الاسلامي والفرنجي)، على الرغم من أنهما سئما أعباء الحروب، وضرس جيوشهما أهوال القتال . وقد يكون السبب في ذلك بالاضافة الى ماذكر . هو عدم وجود نظام التمثيل السياسي بمفاهيمه الواضحة الان (١). وكيفما كان الامر، فان الاتصال الرسمي من أجل تحقيق السلام العالمي يرجع الى أوائل عام ٥٧٧هـ/١١٨١م . عندما أحس الصليبيون في الشرق بخطر صلاح الدين بعد تحريره لعدة حصون، منها حصن بيت الأحزان (٢) وبعد دخول اسطوله ميناء عكا، واستيلائه على عدة مراكب صليبية . وأضحى سلم صلاح الدين موضع التبجيل والاكبار في جميع البلاد التي دانت له . فلا غرابة أن يكاتبه البابا لوكيوس الثالث بشأن معاملة الأسرى الصليبيين ومبادلتهم بالأسرى المسلمين. (٣)

وهكذا ابدأت المحاولات السلمية بين صلاح الدين وساسة أوربه، لإنهاء حالة الحرب الشبه بين الشعبين. وقد اقتفى خلفاء صلاح الدين أثره في المحافظة على هدنة السلام .

أمّا فترة سلاطين المماليك، فتتصف بكثرة الهدن التي وقعت مع ممثلي البقايا الصليبية في الشام لتصفية المشكلة الصليبية (٤). وفعلا تمت تصفية هذه المشكلة زمن سلاطين المماليك . حيث تم سقوط آخر معاقل الفرنج (عكا) سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م وبالتالي كان جلاء هؤلاء الغزاة عن ارضنا .

---

(١) : نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ص ١٧ .

(٢) : ابو شامة : المصدر السابق ج٢ ص ١٣-
وليم الصوري : المصدر السابق ج ٢ - الكتاب الحادي والعشرون ص ١٠١٥ .
مصطفى الحياري : مقالة حصن بيت الاحزان ص ٥٥

(٣) : نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ص ١٧-١٨ .

(٤) : نظير حسان سعداوي : المرجع السابق المقدمة ص (و - ز).
ومن الجدير ذكره هنا انه : " ومن جملة شروط هدنة الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك كبير، مالهم في دفعه تدبير، انهم يعاونونه ولايباينونه، ويحالفونه ولايخالفونه ، فاذا عاد عادت الهدنه كما كانت " .
انظر :
البنداري : " سنا البرق الشامي " ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
الاصفهاني : البرق الشامي تحقيق مصطفى الحياري ط ١ ١٩٨٧ الاردن - ج ٣ ص ٥٢ - ٥٣ .

البـــاب الثـــانـــــي

الحيـاة السياسيـه فـي الإمـارات الفرنجيـه الصليبية في بلاد الشـام

المقدمـــــــة :

الملامح الأساسية لنظام الحكم في الامارات :

كان النظام السياسي في دول الفرنج الصليبيين ، عبارة عن تسلسل مراتبي اقطاعي من الأسياد ، يشبه تقريبا التسلسل القائم آنذاك في الغرب . وكانت مملكة القدس تعتبر الأولى بين دول الصليبيين المحتلة في بلاد الشام ، ولكن ملوك القدس لم يكونوا يملكون من حيث جوهر الأمر ، آية مزايا وأفضليات بالنسبة للأمراء الثلاثة الآخرين ، الحاكمين في طرابلس وأنطاكية والرها . وكان هؤلاء الأمراء مستقلين فعلا عن الملك ، على الرغم من أنهم كانوا شكلا مرتبطين به برباط الخضوع والطاعة . وعمليا كان الملك يشغل وضع رئيس أسمى لأعضاء متساوين في الحقوق في ضرب من اتحاد كونفدرالي من الدول . وكان حكام أنطاكية والرها وطرابلس ، يملكون في اماراتهم نفس السلطة التي يملكها سيّدهم في مملكة بيت المقدس .(١)

لقد تبنى الفرنج الصليبيون أشكال الحكومة التي عرفوها في بلدانهم الأصلية ، وخاصة في فرنسة بشكل طبيعي . وقد تعدّل النظام الفرنجي الذي كان يحمله المحتلون بشكل طبيعي وفقا للنمط الذي اتخذه الغزو الفرنجي ووفقا لأصل طبقتي النبلاء والبرجوازية ، والأنظمة الزراعية والادارية الموجودة في بلاد الشام نفسها ، وكذلك وفقا للاستيطان وسيطرة المدن ، وسلطة الملكية في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وانبثقت مملكة طبقّت في مؤسساتها أنظمتها الخاصة ، المتطورة أصلا عمّا كان في بلادهم الأصلية .(٢) فقد قامت الدويلات الفرنجية الصليبية في بلاد المشرق العربي، التي ضمت بين سكانها أبناء البلاد الأصليين ، ووضعت فوقهم طبقة عسكرية مسيطرة سياسيا وعسكريا ومستغلة اقتصاديا والى جانبها طبقة برجوازية أجنبية محتلة تهتم بالعمل التجاري وهي مستغلة أيضا .

---

(١) زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٠

Paul Des Champs: "Le Crac des Chevaliers", p. 6.

(٢) رايلي سميث : المرجع السابق ص ٢١ – ٢٢

زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٣

وظهرت الحاجة الى توزيع الاقطاعات ، ووزعت الأراضي على الأسياد و[illegible]ل الفلاحون أصحاب الأراضي والعاملون بها معاملة الأقنان • وأثقل السكان بالضرائب المختلفة وتركوا وشأنهم الخاص يتدبرون أمورهم حسب أعرافهم المحلية[1] وارتبط أصحاب الاقطاع بالملك برباط التبعية ، ونفذ الملك والنبلاء والكنيسة واجباتهم المتعلقة بهم ضمن اطار اقطاعي •

كان همّ المحتلّين قبل كل شيء فرس النظام الاقطاعي الغربي بكل ملاكاته وتسلسله والافادة منه الى الحدّ الأقصى للحصول على خدمة عسكرية ناجلة • ولهذا أكثروا من الاقطاعات المضيرة • وكان التابع فيها يأخذ من الأمير دخلا نقدا بالاضافة الى الاقطاع يساعده على مجابهة الالتزامات العسكرية المحددة • وكان على كل مُقطَع أن يسوق عددا من الرقباء والجنود يتناسب مع اقطاعه ، ومحصول هذا الاقطاع لتأدية خدمة عسكرية غير محددة المدة • على عكس ماهو سائد في أوربة[2] •

ولما كان القصد من تأسيس الاقطاع ، حشد القوى العسكرية للمحتليين تحت ادارة واحدة ، ضد أبناء البلاد الأصليين ، لذلك كان من نتيجته انشاء هرم اقطاعي أكبر وأكمل بكثير مما كان سائدا في معظم البلاد الأوربية[3] •

---

(١) انظر ماسبق ص ١٤١

(٢) من خلال قراءة كتاب وليم الصوري نلاحظ بأن الملك كان يجمع الفرسان والقواد بشكل دائم للخوض المعارك ، ولم يكن يتقيد بمواعيد وأوقات محددة :

- الدكتور نور الدين حاطوم والدكتور عادل زيتون : " في ذكرى معركة حطين " ص ٨٨

- باركر : المرجع السابق ص ٥٧ حاشية رقم (٣) حيث يقول :

" والمعروف أن أرباب الاقطاعات ، ينالون الى جانب اقطاعاتهم من الأراضي رواتب •••

أما الجند المأجورة ، فلا يتقاضون الا مرتبات " •

(٣) انظر فيما سبق [illegible] وما بعدها ،

وكان الأمير أو الملك، السيد الأعلى لكل أرض ، واليه تعود الخدمة الاقطاعية العسكرية بشكل مباشر أو غير مباشر . كان لأمراء وملوك الامارات الفرنجية مكانة محترمة في النظام الاقطاعي في بلاد الشام ، لكن هؤلاء الأمراء والملوك لايتمتعون بسلطة حقيقية مطلقة ، وملكيتهم الشخصية قليلة ازاء ملكية كبار البارونات من أصحاب الامارات الواسعة (١) .

وعلى العموم فان الفرنج الصليبيين الذين بنوا نظامهم السياسي والاداري والاقتصادي على أساس اقطاعي بغاية تقوية البلاد وسهولة الحصول على الجند وتموينهم ، فان هذا النظام حمل كثيرا من التناقضات وعوامل التفكك . ولم يكن يجمع هؤلاء الا محاولة العرب المسلمين استعادة أراضيهم المحتلة بالقوة وكان هذا يشكل تهديدا مستمرا لهم حتى أنهم كانوا كجزيرة وسط بحر متلاطم الأمواج من العرب المسلمين (٢) . وكان الصليبيون يؤلفون أقلية ضئيلة داخل هذه الامارات ، والفئة المسيطرة منهم كانت تتمثل في الفرسان والمقاتلين . وأما غير المقاتلين ، وهم كبار السنّ وبعض التجار من مدن بيزا وجنوة والبندقية الايطالية وغيرها ، اعتبروا أنفسهم من طبقة الأسياد على سكان البلاد الأصليين مسيحيين ومسلمين . وتمتعوا بحقوق سياسية كبيرة ، وكانت لهم محاكم خاصة وقوانين مميزة ، وكثير من هؤلاء الصليبيين الغربيين الذين صنفوا أنفسهم ضمن طبقة الأسياد كانوا أرقاء وأجراء في بلادهم الأصلية (٣) .

وقد ظل الصليبيون لفترة طويلة يتعاملون في المناطق التي احتلوها ببلاد الشام ، بقانون العرف . وهو عبارة عن مجموعة من العادات والتقاليد المرعيّة في بلادهم الأصلية والتي لم يجر تدوينها (٤)

---

(١) نور الدين حاطوم وعادل زيتون : المرجع السابق ص ٨٩

(٢) Grousset: Hist. des. Croisades. vol 1. p. 181

(٣) ابن موسى : المرجع السابق ص ٨٩

(٤) عن هذه القوانين انظر :

- باركر : المرجع السابق ص ٦٠ الحاشية .

وقد وصل الينا أثر تاريخي هام يثبت قواعد الحق الاقطاعي الصليبي المطبق في مملكة بيت المقدس هو " أسيزدي جيروزالم " (Assise de Jérusalem) أي مجموعة الأحكام التشريعية التي تعتبر إلزامية بالنسبة للطبقة السائدة في هذه المملكة . وقد وردت بدون أي نظام معين ، وبدون أي تتابع دقيق . ولذا كانت مجموعة هشة عن أعراف وعادات لها قوة القانون ، وتتناول شتى جوانب حياة الاقطاعيين الافرنج، والعلاقات فيما بينهم في مملكة القدس في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي . أما القواعد الحقوقية القديمة ، التي كانت تعكس الوضع القائم في العقود الأولى من تاريخ الصليبيين فقد ضاعت . وكان يوجد في كل من دول الصليبيين الفرنج أسيزًا خاصا بها ولكننا لانملك معلومات عنها تقريبا : " ان أسيز دي جيروزالم تعيّن بصورة مفصلة جداً نظام الخدمة العسكرية الاقطاعية ، وحقوق الأسياد ، وواجبات الأتباع (المقطعين) وتضبط العلاقات المتبادلة بينهم ... "(1)

---

(1) - زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٣ حتى ص ١٥٤

الفصـــــــــــــل الاول

ملـك بيـــت المقـدس

أولا : شروط وصول ملـوك بيت المقدس الى العرش .

ثانيا : تتويج الملك ومراسيم التتويج .

ثالثا : صلاحيات ملك بيت المقدس .

رابعا : الملوك الذين حكموا مملكة بيت المقدس .

أولا : شروط وصول ملك بيت المقدس الى العرش :

قبل الحديث عن هذه الشروط لابدّ لنا من ذكر النزاعات والخلافات التي جرت حول التاج اثر سقوط بيت المقدس بأيدي الفرنج ، فقد اجتمع قادة الفرنج الصليبيين في اليوم الثامن ، بعد الاستيلاء على القدس ، من أجل انتخاب واحد منهم • كما اجتمع معهم عدد من رجال الدين[١] وجرى بينهم ما يشبه النزاع حول من سيكون الحاكم ومن أي الفئات ؟• أي هل سيكون من العلمانيين (الامراء) أو من الكنسيين (رجال الدين)؟• وبسبب ظروف الدولة الناشئة وضرورة تامين الحماية لها، الامر الذي يحتاج الى قيادة حربية علمانية للدفاع عنها ضد أعدائها المحيطين بها ، اتجهت الآراء نحو اختيار أحد الامراء العلمانيين لينظم أمور الدولة الوليدة[٢].

ويروى أن غالبية المنتخبين[٣] ، وافقت على اختيار ريموند كونت كولوز (ريموند الصنجيلي) • [٤] وجرى أول الامر عرض التاج عليه ،

(١) ـ المؤرخ المجهول : المصدر السابق ص ١٢٠ •
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ •
عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٢٤٢ •
(٢) ـ عاشور : تاريخ العلاقات ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ •
- Grousset : Hist. des Croisades, Vol 1 - P. 166 - 167.
(٣) ـ ليس معروفا عن أي الفئات تألفت هيئة الناخبين • والراجح أنها تألفت من كبار رجال الدين ، ومن الفرسان الذين يعتبرون أتباعا لامراء الحملة الصليبية الاولى • انظر :
رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٤١١ ـ ٤١٢ •
(٤) ـ وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع ص ٧٤٧ ـ ٤٤٨• وقد أخذ وليم روايته عن المؤرخ الفرنجي ريموند دي أغليرز: انظر الحاشية رقم (٧) من ص ٤٤٨•

لكنه رفضه [١] وبعد ذلك عرض التاج على غود فري دي بويون (Godfrey de Bouillon) فوافق بشرط أن يدعى حامي القبر المقدس، وبذلك كان غودفري أول حاكم فرنجي لبيت المقدس، ولم يقبل غودفري بأن يتوّج أو يسمى ملكا . وقد قال عنه وليم الصوري في ذلك : " رفض غودفري بعد ارتقائه العرش - بسبب تواضع روحه - أن يكلل بتاج من الذهب في المدينة المقدسة ، كما هي عادة الملوك ، لأنه كان قانعاً بالتاج الشوكي ، وأظهر تبجيلا له ، وهو التاج الذي كان منقذ الجنس البشري قد لبسه في تلك المدينة ذاتها..." [٢]

كان حكم غودفري دي بريون بمثابة حل وسط بين النظاميين العلماني والكنسي (الملكي والتيوقراطي) وفيه ترضية ولو جزئية لمطامع الأمراء ومطامع رجال الكنيسة [٣] وبسبب تقوى وتديّن غودفري أوصى قبل وفاته بأن يخلفه البطريرك (دايمبرت) (Dimbert) في حكم بيت المقدس، على حدّ قول وليم الصوري ، وذلك في حالة عدم وجود ورثة مباشرين لغود فري نفسه [٤] لكن المدة التي تولى فيها غود فري حكم بيت المقدس كانت كافية لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية في بيت المقدس، واستبعدت كل فكرة تستهدف قيام حكومة دينية ، ولذلك فعندما توفي غود فري سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠ م حدث هناك نزاع حاد بين البطريرك وبين بلدوين (Baldwin) أخ غودفري الذي استدعي على الفور من قبل رجال وقادة غودفري للحلول محل أخيه في السلطة [٥] . وقد

---

(١) حول سبب رفض ريموند للتاج انظر :

رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤١٢ - ٤١٣

رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٦٢

عاشور : الحركة الصليبية : ج ١ ص ٢٤٣

حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ص ١٩٤

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع ص ٤٥٧ - ٤٥٨

(٣) - Stevenson : op. cit. p. 42.

(٤) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب التاسع ص ٤٦٨

وهناك رأي آخر في المراجع يؤكد أن غودفري أوصى فعلا لأخيه بلدوين أمير الرها بأن يرثه في حكم بيت المقدس، انظر :

- Stevenson : op. cit. p42.

- فيليب حتي وغيره : تاريخ العرب ط٥ ١٩٧٤ ص ٧٢٩

(٥) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر ص ٤٨١ ومابعد

انتصر بلدوين في هذا النزاع وتمكن من الوصول الى عرش بيت المقدس بالرغم من كافة الأخطار والمصاعب التي واجهته ، سواء في الطريق الى بيت المقدس (من قبل العرب المسلمين) أو من البطريرك في بيت المقدس. وقد تمّ تتويج بلدوين في كنيسة بيت لحم ووُضع التاج على رأسه البطريرك دايمبرت نفسه سنة ٤٩٣هـ ١١٠٠م . وبذلك كان بلدوين هو أول ملك متوّج في بيت المقدس. (١) وقد اتخذ بلدوين لقب ملك بيت المقدس بموافقة الجميع ظاهريا وان كان بعضهم يمانع ذلك داخليا دون أن يستطيع اظهار مايضمر . (٢) (٣)

وكان بلدوين هذا يختلف عن أخيه غودفري اختلافا كبيرا ، فهو رجل اداري وسياسي ماهر وكان معروفا عنه لامبالاته الدينية السافرة . لقد كان رجل دنيا قبل كل شيء بدليل أن أول عمل قام به كان تسمية نفسه ملكا . وقبوله التتويج بعكس مافعله أخوه .

ويمكن القول بالنسبة لارتقاء بلدوين العرش بيت المقدس بأن الوراثة كان لها دور كبير آنذاك ، بالرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها بلدوين الأول من قبل رجال الدين بزعامة البطريرك دايمبرت .

كان مبدأ وراثة الحكم عرفا معمولا به في الغرب الأوربي آنذاك ، وكان طبيعيا أن ينقلوا معهم هذا العرف الى الأراضي المحتلة في بلاد الشام . لذلك يمكن القول بأن وراثة العرش كانت المبدأ الذي سار عليه الفرنج في الشرق منذ البداية بالرغم من التشويش والمعارضة - الجزئية - التي لقيها الوارث { بلدوين الأول } في البداية .

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب العاشر ص ٤٨٣ وكذلك ص ٤٨٥ ومابعد .
رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤٥٥ ومابعد . وكذلك /
- Amin Mahlouf : op. cit. p. 61
(٢) عند تتويج بلدوين انظر :
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب العاشر ص ٤٨٩
رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤٥٨ ومابعد .
عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٢٧٨/ حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ص ١٩٥
(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٤٥٩ .

ولو أن بلدوين ملك بيت المقدس خلّف أولادا ، لكان بديهيا أن ينتقل الحكم الى أولاده من بعده ، ولكن عدم انجابه للأولاد جعل مشكلة وراثة العرش تظهر ثانية بعد وفاته ، ولكن بصورة أقل تعقيدا من ذي قبل • وذلك لوجود الشخصية البديلة المناسبة المتمثلة بابن عم بلدوين الأول ، وهو بلدوين دي بورغ (Baldwin de Bourg) حاكم الرها - الذي استلم العرش باسم بلدوين الثاني سنة ٥١٢هـ /١١١٨م بالرغم من مناداة بعض نبلاء المملكة بالأخ الثالث لغودفري ويدعى أوستاش (Ustach) (١) وكان أوستاش قد شارك بالحملة الصليبية الأولى ثم عاد للغرب بعد سقوط القدس) (٢) وبذلك صار وارث العرش ابن عم ملك القدس ، أي بلدوين دي بورغ • (Baldwin de Bourg) (٣)

أنجب بلدوين دي بورغ أربع بنات ولم ينجب ولدا ذكرا وكانت أكبرهن ميليساند ، تعتبر الوريثة الشرعية للعرش وكانت قد تزوجت فولك (Fulk) كونت أنجو (٤) فتسلم العرش وحكم باسم زوجته ميليساند بعد وفاة أبيها سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م فقد كانت البنت الكبرى ترث في حالة عدم وجود ولد ذكر حسب العرف الأوربي آنذاك • توفي فولك سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٤٣م فتولت زوجته ميليساند ادارة شؤون المملكة ، ونازعت ولدها بلدوين الثالث بالتفرد بالسلطة دونه ولكنها تخلت أخيرا وهي مرغمة عن الشؤون السياسية تاركة الحكم لابنها بلدوين الثالث الذي حكم حتى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م (٥) •

---

(١) يذكره رنسيمان باسم ستيفن كونت بولونيا ، وهو أكبر الإخوة الثلاث (استيفن غودفري - بلدوين) • ولم يشأ استيفن هذا أن يغادر كونتيته الجميلة ليواجه أخطار الشرق • انظر :

- رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ - ص ٢٢٩

(٢) عن مشاركة أوستاش أخ غودفري في الحملة الصليبية الأولى انظر :

- وليم الصوري :المصدر السابق ج١ - الكتاب الثامن - ص ٤٣٦ وما بعد •

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٠ •

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٢٢٩ ومابعد •

(٤) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثالث عشر ص ٦٤٣

رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٨٥

رنسيمان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٩

(٥) انظر حول ذلك :

وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ الكتاب السادس عشر ص ٧٣٣ وما بعد •
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١١١

وحكم بعده أخوه عموري الأول (أمِلريك) حتى سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤ م ، ثم تولى الحكم بعد وفاته ابنه بلدوين الرابع (المجذوم) حتى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م • ثم بلدوين الخامس ابن أخت بلدوين الرابع وقد حكم بلدوين الخامس هذا اسميا تحت وصاية أمير طرابلس - ريموند الثالث - حتى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦ م حيث توفي وهو طفل في التاسعة من عمره وقد تزوجت والدته (سيبيلا Sibylla) من جي لوزينيان (Guy de Lusignan)(٤) سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠ م ومنذ ذلك الحين أخذ الارث ينتقل من النساء الى الأزواج الذين ينبغي اختيارهم بشكل دقيق ، وتمّ النزاع على العرش فورا ، بين الأختين سيبيلا وإزابيلا Isabella أولا ، ثم بين " جي لوزنيبان ، وكونراد دي مونتفرات (Conrad de Montferrat)(٥) زوجيهما • ثم جاءت موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م التي قضت على أكبر جيش سبق للمملكة الصليبية أن زجته في الميدان ، وفقدت المملكة معظم أراضيها • وانتهت بذلك مملكة بيت المقدس التي لم تعد قائمة الا بالاسم لأن عاصمتها انتقلت الى عكا وأصبحت لاتحكم الا على أرض ساحلية ضيقة •(٦)

نلاحظ من خلال تسلسل أسماء الملوك : (غودفري أولا كحاكم) ثم بلدوين الأول.

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب السادس عشر ص ٧٣٤ ومابعد وكذلك الكتاب التاسع عشر ص ٨٧٩

- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٦٤٤

- رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١١١

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الحادي والعشرون ص ٩٧٢ •

رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١٥٦ •

(٣) يرد اسم جي لوزينيان • بعدة أشكال في المصادر منها غي لوسينيان أو كي لوزجنان أو جاي لوزجنان وغيرها •••

ابن الأثير : المصدر السابق ج ١١ - ص ٥٢٧

وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثاني والعشرون ص ١٠١٧

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٦٨٢

(٥) رنسيمان : المرجع السابق ج٣ - ص ٤٩

(٦) سميث : الاستبارية ص٢٨

رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١٨٧ ومابعد •

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٧٠٥ ومابعد •

بلدوين الثاني ـ فولك الأنجوي ـ بلدوين الثالث ـ عموري الأول ـ بلدوين الرابع ـ بلدوين الخامس ـ جي لوزينيان ... أن مملكة بيت المقدس سارت على مبدأ وراثة التاج ، وان كان في البداية اختيارا حين اختير غودفري ثم تداخل الاختيار بالوراثة أثناء تولي (بلدوين الأول) وبعد ذلك اتضح مبدأ الوراثة وترسّخ .

والمبدأ الذي سارت عليه وراثة العرش هو أن يرث المُلْكَ الولدُ الأكبر ان وجد عدة أبناء . وان لم يكن الملك المتوفى أبناء ذكور ، فترث البنت الكبرى العرش . وفي هذه الحالة يختار لها مجلس المملكة زوجا مناسبا ليقوم بأعباء الحكم باسمها وفي حال وفاته تتزوّج بثان وثالث ورابع وهكذا .. كما حدث مع ايزابيلا أخت بلدوين الرابع التي تزوجت أربع مرات . وفي كل مرة كان يموت فيها الزوج ، ماعدا المرة الأولى حيث أُجبرت على طلاق زوجها الأول لأنه ضعيف وغير قادر على تحمل مسؤولية الحكم (1) . فان لم يكن للملك أولاد ولابنات ، فيرثه أخوه او ابن عمه .

كما حدث اثر وفاة الملك بلدوين الأول الذي لم ينجب أبدا ، فتسلّم الحكم من بعده ابن عمه بلدوين دي بورغ ... ومع هذا فان الذي يتسلم عرش بيت المقدس في المملكة الفرنجية يجب أن تتوفر فيه عدة شروط ، منها :

- أن يكون فردا من الأسرة المالكة :

ابناً أو بنتاً أو أخاً أو أختاً أو ابن العم أو ابن الأخ أو ابن الأخت فقد كان بلدوين الخامس ابن أخت بلدوين الرابع وهكذا .... وفي حالة وراثة البنت يصبح زوجها (الصهر) ملكا باسمها . وان كان من عائلة غير عائلة الأسرة المالكة .

- ومن الشروط أيضا موافقة المجلس الاقطاعي الملكي المؤلف من كبار الأمراء والقادة الفرسان بالمملكة ، أو ماسميّ بالمحكمة العليا على الاختيار . فقد كان هذ المجلس هو الذي يختار الملوك والأوصياء على الملوك في حالة الأسر أوحداثة السن ...

---

(1) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ـ ص ٦٥ ومابعد .
عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ـ ص ٧٢٤
سميث : الاستبارية : ص ٩٩
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١٨٧ .

- ويجب أن يتوفر فيمن يتولى عرش المملكة قوة الشخصية ، وأن يكون شجاعا قويا • أي أن يكون المؤهل نبيلا فارسا قويا له أعمال حربية سابقة مشرّفة • فقد كانت هذه الصفات هي التي أهّلت فولك الأنجوي البالغ من العمر أربعين عاما ليتزوج الوريثة ميليساند التي مازالت في ريعان الشباب(١) وكذلك يوحنا دي برين البالغ من العمر ستين عاما ليتزوج ماريا البالغة من العمر سبعة عشر عاما (٢) • ومع وجود هذا الشرط فقد كان يصل الى العرش ملوك ضعاف ، ولايملكون الشجاعة اللازمة ، ولاقوة الشخصية •

- يجب أن يكون الملك سليم العقل والجسم ، ليتمكن من القيام بكافة أعباء الحكم والادارة والدفاع دون عائق ، وان كان معتل الصحة أوجب البحث عن وصي له أو نائب (كما في حالة الملك بلدوين الرابع) الذي كان مريضا (٣) ، فدفع هذا الأمر الى اختيار وصي له في شخص ريموند الثالث - حاكم طرابلس - أفضل شخصية سياسية موجودة ليكون وصيا عليه في آخر أيامه بسبب اشتداد مرضه •

- مراعاة نظام القانون والعرف الاقطاعي الذي يقضي بأن يكون الوريث أقرب الموجودين الى الملك نسبا في حال توافر الصفات الأخرى المرعية ، فاذا كان ريموند الثالث قد امتلك من الصفات مايؤهله لحمل التركة الثقيلة المتمثلة بأعباء الحكم في المملكة وادارتها والدفاع عنها ، الا أنه بالرغم من قرابته الى بلدوين الرابع - ملك بيت المقدس - كان لايمكنه أن يلي عرش المملكة وفقا للقانون الاقطاعي ، لأن ترتيبه يأتي الثالث بعد أختي بلدوين الرابع وهماسيبيلا وايزابيلا • وبالتالي سيكون زوج سيبيلا الأخت الكبرى وصيا على العرش ، عرش مملكة بيت المقدس بعد بلدوين الرابع ، وسيتوقف على مقدرته مصير المملكة الفرنجية ، ولذلك كان من الضروري البحث لتلك الأميرة عن زوج تتحقق في شخصه آمال الصليبيين في تلك الفترة الحرجة ، وخاصة وأن المناطق

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثالث عشر ص ٦٤٣.

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج٢ - ص ٩١٢

رنسيمان : المرجع السابق ج٣ - ص ٢٣٧ - ٢٣٨ •

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الحادي والعشرون ص ٩٧٢ - ٩٧٣ •

المحتلة كان معرفة لهجمات صلاح الدين الذي بدأ عملية تحرير الأر[illegible] والسعي للقضاء على دولة الطيبيين في بلاد الشام نهائيا ٠

- يفقد الملك (الزوج) حقّه في العرش بعد وفاة زوجته الوريثة الشرعية ٠ ويرث العرش ابنه أو ابنته (في حال عدم وجود الابن) وهنا يحكم الأب باسم الابن أو الابنة حتى بلوغ سن الرشد (فيستلم الابن المُلْك) وتزوج البنت من فارس شجاع مناسب يتولى الحكم اسمها ٠ كما حدث في حالة استلام يوحنادي برين الذي ماتت زوجته الملكة ماريا الصبيّة بعد زواجها بسنتين وتركت طفلة اسمها يولاند ٠ وهنا صار موقف حنادي برين حرجا لأنه بعد موت زوجته لم تعد له صفة شرعية ، وذلك وفقا للأصول الاقطاعية ٠ ولكن تمّ الاتفاق على أن يقوم حنّا بالوصاية على المملكة وعلى ابنته حتى تبلغ سن الرشد ٠[1] أي أنه حكم في البداية ملكا لمدة عامين فقط ، منذ تاريخ زواجه من ماريا حتى وفاتها ، ثم حكم بعد ذلك وصيّا على المملكة باسم ابنته الطفلة باعتبارها هي الوريثة الشرعية للملك ٠

(١) - عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٩١٢ ٠

ثانيا : تتويج ملك بيت المقدس ومراسيم التتويج :

من المعروف أن غودفري رفض وضع التاج على رأسه ورفض بالتالي أن يسمى ملكا على بيت المقدس بل اكتفى بلقب حامي القبر المقدس أو وكيل كنيسة القيامة (١) . واقتصرت مراسيم الاحتفال باستلامه الحكم حسب ماذكره وليم الصوري ، بذهابه الى قبر المسيح للزيارة والتبرك . وحول ذلك أورد مايلي :

" انتخب غودفري وتمت مرافقته ، بورع كبير الى قبر المسيح (كنيسة القيامة) بمصاحبة غناء الأناشيد الروخية والمزامير الشجية " (٢) . وعلى اثر هذا الاختيار نظم الافرنج حفلات فخمة ابتهاجا بالحاكم الشاب الذي أقاموه على رأس حكومتهم الجديدة (٣) .

أما أول تتويج كانت له مراسيم حقيقية ، فهو تتويج بلدوين الأول ملكا على بيت المقدس في كنيسة العذراء في بيت لحم سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١ م . ويذكر وليم الصوري : ماجرى حول هذا التتويج ، والوساطات التي تمت من أجل إزالة الخلاف بين بلدوين ودايمبرت فيقول :

" في سنة ١١٠١م لتجسيد الرب ، تصالح السيد البطريرك ديمبرت (دايمبرت) مع الكونت بلدوين (بلدوين الأول) بوساطة الجهود الجديرة بالثناء لبعض الوسطاء العقلاء . وفي اليوم المقدس لميلاد الرب جرى تكريس بلدوين لخدمة الرب وعيّن ملكا في الكنيسة في بيت لحم باشراف ديمبرت البطريرك المذكور آنفا ، وتوّج بشكل جليل بالتاج الملكي وذلك بحضور رجال الدين والأهالي ورجالات الكنيسة وأمراء المملكة " (٤)

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ ـ الكتاب التاسع ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٦٢ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب التاسع ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٣) رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٦٢ .

(٤) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ ـ الكتاب العاشر . ص ٤٨٩ .
عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٧٨ .
_ Stevenson: op. cit. P. 44.

وقد لبس بلدوني في حفلة التتويج الفخمة التي أقامها في مدينة بيت لحم تاجا من ذهب ، ثم أخذ يطوف في شوارع هذه المدينة مرتديا الملابس المزركشة ، يتقدمه تابعوه . وقد وضع على رأسه خوذة مذهبة منقوش عليها نسرا باسطا جناحيه ، ومن ورائه رجال حرسه بملابسهم الزاهية الجميلة (١) . ويتقدم الملك في الموكب المشبيل الذي يحمل الصولجان عند التتويج (٢) . ثم الكندا سطبل الذي يحمل لواء الملك ، ويمسك بلجام حصان الملك (٣) .

ويلاحظ أن تتويج بلدوين الأول تمّ في كنيسة بيت لحم بدلا من كنيسة القيامة في مدينة بيت المقدس (بناء على طلب بلدوين ذاته) وذلك احتراما لحزب الالكيروس (رجال الدين) ، الذي كان يطمح في أن تكون القدس جزء من أراضي الكنيسة . وهذا الاجراء يدّل على حكمة ودراية بلدوين الذي لم يشأ في تلك الظروف أن يصطدم مع البطريرك ورجال الدين طالما أنه لم يثبّت أقدامه بعد في المُلك . كما أن بلدوين ضنّ على نفسه بلقب " ملك القدس " في حفلة التتويج . لكنه عاد وانتحله بعد حين (٤) .

ثم تتابع الأمراء الصليبيون في الأشهر التالية ، ليعلنوا ولاءهم لأول ملك وهكذا تحولت امارة بيت المقدس الى مملكة فرنجية صليبية (٥) . وقام بلدوين نفسه بترقية الكنيسة في بيت لحم الى منزلة كاتدرائية سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م فتحولت من أبرشية الى أسقفية (٦) .

أما بلدوين الثاني فقد توّج ملكا على بيت المقدس في كنيسة القيامة سنة ٥١٢هـ / ١١١٨ م (٧) . وقد توّجه البطريرك أرنولف ماركون ، بطريرك بيت المقدس آنذاك . ولم

---

(١) ابن موسى : المرجع السابق ص ٨٥

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٦ .

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٦ – ٤٨٧

(٤) فيليب حتي وغيره : تاريخ العرب ص ٧٢٩ – ٧٣٠

(٥) حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ص ١٩٥

(٦) وليم الصوري : المصدر السابق ، ج ١ الكتاب الحادي عشر ، ص ٥٣٦ – ٥٣٧

(٧) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٥

عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٨٥

تختلف مراسيم تتويج بلدوين الثاني عن مراسيم تتويج بلدوين الاول الا في المكان (مكان التتويج) • ومنذ هذا التتويج فصاعدا أصبحت كنيسة القيامة هي مكان تتويج الملوك ، حتى سقوط بيت المقدس اثر معركة حطين • وذلك لأن بلدوين الأول عمل على تقليص سلطات البطريرك ورجال الدين ، ولم يسمح لهم بالتدخل في شؤون مملكة بيت المقدس • فقد اصطدم مع البطريرك دايمبرت وتمكن من عزله من منصبه وعيّن بدلا منه بطريركا حليفا له ، متفرغا للأمور الدينية ، تاركا الأمور المدنية الدنيوية • ومن الطبيعي أن تترافق عملية التتويج باحتفالات في المملكة ، كما هي عادة الملوك •

أما في حالة كون الوريث أنثى ، فالمجلس الاقطاعي (المحكمة العليا) يختار لها زوجا كفؤا ويتوّج الاثنان معا • فبعد موت الملك بلدوين الثاني ، صارت ابنته ميليساند هي الوريثة الشرعية للمُلْك • وكانت قد تزوجت في حياة أبيها بفولك الأنجوي الذي اختاره والدها لها • ولذلك فانها توجت هي وزوجها بعد وفاة والدها • وفعلا شهدت كنيسة القيامة تتويج الملك فولك والملكة ميليساند ، وجرى الاحتفال بولاية الملك الجديد وسط مظاهر الفرح والسرور سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م بعد ثلاثة أسابيع مضت على وفاة الملك بلدوين الثاني (١) • وكما يقول وليم الصوري في ذلك :

" ••• وتم تتويج الكونت فولك وزوجته ميليساند بشكل مهيب ••• يوم تمجيد الصليب المقدس ، وتم ترسيمهما حسب العرف في كنيسة قبر المسيح (كنيسة القيامة) من قبل وليم بطريرك القدس صاحب الذكرى السعيدة " (٢) •

وبعد وفاة الملك فولك ، صار ابنه من الملكة ميليساند وريثا للعرش • وهو الذي عرف ببلدوين الثالث وباعتباره لم يبلغ سن الرشد بعد ، فقد تولّت والدته الوصاية عليه • وتوّج الاثنان معا • وقد ذكر وليم الصوري ذلك بقوله :

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ الكتاب الرابع عشر - ص ٦٥٥ - ٦٥٦

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٢٩٩

عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٥٢١

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ الكتاب الرابع عشر ص ٦٥٦ •

" توفي الملك فولك ... ومسح بلدوين باجلال ورسم وتوج بالتاج في كنيسة قبر الرّب (كنيسة القيامة) في اليوم التالي ليوم ميلاد الرب من ... السيد الرب ، وقاد البطريرك وليم المراسم أمام الحشد المألوف من الأمراء وجميع أساقفة الكنيسة ... "[1]

وفي موضع آخر يقول : " كانت ميليساند والدة الملك امرأة عظيمة الحكمة ، وذات خبرة كبيرة جدا في جميع أنواع الأمور المدنية ، .... وحيث لم يكن ابنها قد بلغ سن الرشد بعد فقد حكمت المملكة وأدارت الحكومة بعناية بارعة ... "[2] ثم يذكر وليم الصوري نشوب نزاع خطير بين الملك ووالدته وتتويجه بدون علمها . حين بلغ سن الرشد اذ رأى أنه ليس من اللائق أن تتحكم به ارادة امرأة ، وينبغي عليه أن يتولى القيام بنفسه ببعض مسؤولية حكم المملكة وكان ذلك بتحريض من المستشارين المحيطين به ، وقد تأثر بآرائهم " وصمم على تتويج نفسه في القدس في عيد الفصح ، وتوسل اليه البطريرك والرجال الحكماء الآخرون الذين رغبوا أن يحلّ السلام بالمملكة ، بجديّة أن يسمح لوالدته بالمشاركة في مجده ، لكنه بدّل استجابة لنصيحة المستشارين المحرضين له على الانفراد بالحكم الموعد الذي كان قد حدّد للاحتفال حتى لاتتوّج والدته معه ، ثم ظهر فجأة في اليوم التالي وهو متوّج باكليل الغار دون أن يستدعي والدته "[3] وبعد ان انتهى الاحتفال المهيب بالتتويج ، عقد الملك بلدوين الثالث اجتماعا لنبلائه ، وذهب الى والدته وطالبها باقتسام المملكة معه على الفور وأن تخصص له جزءا من ميراث أسلافه . وبعد جدال طويل تم اقتسام المملكة مناصفة بين الملك وأمه ، عيّن الملك كافسلا وقائدا للجيش في مملكته التي تشمل المدن البحرية الواقعة بين منطقتي صور وعكا مع توابعهما . ولم يكتف بذلك بل أخذ يضايق والدته حتى يستولي على حصتها لاسيما مدينة القدس (التي كانت من حصتها) باعتبارها عاصمة المملكة وتوصل الامر به الى حصار القلعة التي التجأت اليها والدته (برج داود) بالمنجنيق وآلات القذف الحربية حتى تنازلت عن القدس واكتفت بمدينة نابلس ومنطقتها[4] .

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ ـ الكتاب السادس عشر ص ٧٣٦

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ الكتاب السادس عشر ص ٧٣٦

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ ـ الكتاب السابع عشر ص ٧٩٧

(٤) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ ـ الكتاب السابع عشر ص ٧٩٧ ـ ٧٩٨ .

ومما يلاحظ هنا هو خوف بلدوين الثالث من أن تتوج والدته على الرغم من بلوغه سن الرشد !! وهذا يعني أنه كان من الممكن تتويج الملك مع والدته الملكة للمرة الثانية ، لو أن بلدوين قَبِلَ ذلك . وأن هذا أمرا مقبولا في المملكة على الرغم من أننا لم نسمع عن حادثة مشابهة لذلك سابقا أو لاحقا . وقد تكون قوة شخصية الملكة ميليساند وادارتها الحكيمة على حد قول وليم الصوري (١) وكونها الوريثة الشرعية للمُلك منذ حياة والدها بلدوين الثاني (باعتباره لم ينجب ذكورا) وطيلة مدة حكم زوجها فولك ثم ابنها بلدوين الثالث ، لذلك كان أمرا طبيعيا بقاؤها ملكة متوجة حتى عند بلوغ ولدها الملك سن الرشد . ولكن ظهور طرف معارض للملكة ولسياستها مؤلف من عدد من النبلاء والمستشارين هو الذي وقف في وجه طموحاتها وجعلها تتخلى عن التدخل في الشؤون السياسية والادارية للمملكة ، لصالح ولدها . وأن بلدوين الثالث لم يفعل مافعله من تتويج بمفرده. وتقسيم المملكة ثم محاصرة والدته الا بناء على تحريض وتخطيط الطرف المعارض للملكة الأم . وبذلك صار بلدوين الثالث الملك الوحيد دون منازع .

أما الملكة سيبيلا (أخت الملك بلدوين الرابع المجذوم) التي انتقل الملك اليها ، فقد رغبت في أن يتولى زوجها جي لوزينيان (Guy de Lusignan) المُلك عنها ، وتوّج لذلك في بيت المقدس . وقد وصف ابن الأثير ذلك التتويج بقوله :

" ثم ان هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كي ، فتزوجته ، ونقلت المُلك اليه ، وجعلت التاج على رأسه ، وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والداوية والبارونية ، وأعلمتهم أنها قد ردّت الملك اليه ، وأشهدتهم عليها بذلك ، فأطاعوه ودانوا له .... " (٢)

أما الاصفهاني فعبّر عن ذلك بقوله :

" وانتقل الملك اليها ، واجتمع الفرنج عليها . فقالت لهم : زوجي أقدر وهو أحقّ بالملك وأجدر . وأخذت التاج من رأسها ، فوضعته على رأسه .... " (٣)

---

(١) انظر الصفحات السابقة

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ج١١ - ص٥٢٧

(٣) الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٦٨ .

وهكذا كان يتم تتويج الملوك في كنيسة القيامة في بيت المقدس، وذلك قبل سقوط القدس بأيدي العرب المسلمين أصحاب الأرض (أي قبل معركة حطين) وكان يقام بعد التتويج حفل رائع يسير فيه الملك في موكب جميل مرتديا الملابس المزركشة، واضعا التاج على رأسه، يتقدمه في الموكب الصنجيل والكند اسطبل • وبعد الملك يأتي رجال حرسه بملابسهم الزاهية، بمرافقة الموسيقا والألحان الجميلة، ويسير الملك مع موكبه في شوارع المدينة (بيت المقدس) أو بيت لحم (بالنسبة لبلدوين الأول) وسط حشود الجماهير على الجانبين وبحضور رجال الدين والأمراء والقواد والفرسان والجنود والخدم •••• ويحدثنا رنسيمان عن آخر الاحتفالات بالشرق الفرنجي سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦ م حيث يقول :

" قام بتتويج الملك هنري الثاني في صور، رئيس الأساقفة بالنيابة عن البطريرك ثم عاد رجال البلاط الى عكا بعد الاحتفال، فأقاموا مهرجانا استمر اسبوعين • اذ جرت الألعاب، وتداريب الفروسية، وفي القاعة الكبرى للاستبارية جرى تمثيل بعض المشاهد، منها مناظر من قصة المائدة المستديرة، بفرسانها لانسلوت وتريسترام وبالاميديس، وقاموا أيضا بتمثيل قصة ملكة فيميني، المستمدة من قصة طروادة • ولم يحدث في الشرق الفرنجي، منذ قرن من الزمان، مايفوق هذا المهرجان بهاء ومرحا وروعة[1] " •

ويمكننا أن نجمل النقاط البارزة في عملية تتويج الملوك بما يلي :

- يتم التتويج بيد البطريرك (بطريرك بيت المقدس) وان تغيّب لظروف طارئة يتم التتويج بيد رئيس الأساقفة، أو بيد أحد الأساقفة في حال غياب الاثنين (كما حدث مع الملك هيو الذي توّج سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩ م بيد أسقف اللد نيابة عن البطريرك)[2] ويتم التتويج بحضور عدد من رجال الدين ذوي المناصب الكنسية العالية في المملكة[3] • وهذا دليل على العمل بمبدأ تلقّي السلطة المدنية من السلطة الكنسية • على الرغم من أن ذلك كان اسميا فقط، ولم يكن له أي أساس

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٣ – ص ٦٧١

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٣ ص ٥٦٤

(٣) انظر حول ذلك :

– وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ – الكتاب السادس عشر – ص ٧٣٦

عملي على أرض الواقع . وما ذكر من ركوع غودفري أمام البطريرك ... لم
فود فري لزمام الحكومة في بيت المقدس ، لم نعد نسمع له مثيلاً فيما بعد .
والسبب في ذلك هو ضعف شخصية غودفري أمام رجال الدين ، وشدة تقواه وورعه
في ظروف كان فيها النزاع شديداً على عرش السلطة بين الحزبين الديني (بقيادة
البطريرك دايمبرت) والعلماني (بقيادة الأمراء) ولذلك كان همّ غودفري
ارضاء رجال الدين . أما بلدوين أخوه فلم يحفل بالأمور الدينية ولا برجال
الدين بل أخذ يحارب البطريرك (دايمبرت) بسياسته الخاصة حتى تمكن من عزله
والقضاء على نفوذه في المملكة (١) . ومنذ ذلك الحين لم نعد نسمع عن ركوع ملك
بيت المقدس أمام البطريرك أثناء تلقي التاج منه .

ب - يشارك في حفل التتويج ممثلي السلطتين الدينية والمدنية . أي رجال الدين
برئاسة البطريرك وبحضور الأساقفة والقسوس والرهبان من جهة . وكذلك الأمراء
والنبلاء والقادة والفرسان ... من جهة أخرى . هذا بالاضافة الى حشود جماهير
المملكة .

ج - يتم تتويج الملكة مع زوجها ، أو مع ولدها القاصر . في حال كون الوريث الشرعي
للملك أنثى .

د - لايُطاع وريث المُلْك (المَلِكْ) مالم يتوّج . مهما بلغت قوته وسطوته وحسن
ادارته . فالتتويج يضفي الصفة الشرعية لاستلام الحكم ، وبالتالي يصبح الجميع
مرغمين على طاعة الملك المتوّج ، واحترامه والخضوع له . ولذلك نجد أن الملك
هنري دي شامبني ، الذي تزوج الملكة ايزابيلا (أخت بلدوين الرابع الصغرى)
بعد وفاة زوجها الثاني كونراد دي مونتفرات وحاكم صور - والذي تم الاحتفال
بزواجه منها سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م . ومع ذلك فانه لم يتوج حتى بعد مضي عدة سنوات

---

(١) من الواضح أن اتخاذ غودفري لقب حامي القبر المقدس أو وكيل كنيسة القيامة ، جاء اعترافاً منه بأن الدولة الجديدة ليست لها الصفة السياسية البحتة ، وأن لها صفتها الدينية ، التي تجعل للكنيسة نوعاً من الاشراف عليها وفي ذلك يحدثنا وليم الصوري بما يلي : " وحالما جلس دايمبرت ، رجل الله على العرش البطريركي ، تلقى منه كل من الدوق غودفري والأمير بوهيموند (أمير انطاكية) بتواضع منصب الملكية للأول ، والامارة للثاني ، مظهرين بذلك التبجيل للرب حيث اعتقدا أن نائبه على الأرض هو البطريرك " انظر :
- وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب التاسع ص ٤٦٧ .

على زواجه ، لذلك لم يكن حكمه مستقرا • بالرغم من أن هنري كان نشيطا وحريصا [illegible] على تدعيم نفوذه واحياء مملكته ، ومتحمسا جدا لتحسين [illegible] بيت المقدس •• ولايتضح سبب عدم تتويج هنري دمي شامبني زوج الملكة ايزابيلا ، فربما كان يرجو أن يؤجل هذه الخطوة حتى يسترد بيت المقدس من العرب المسلمين وعندئذ يتوّج فيها ، أو لعلّه أدرك أن الرأي العام ليس راغبا في الاعتراف به ملكا ، أو لعلّه لم يلق من الكنيسة ماينشده من التعاون • وقد ضعف مركزه كثيرا بسبب عدم تتويجه ، وواجه العقبات من قبل آل لوزينيان من ناحية ثم البيازنة من ناحية أخرى •(١)

- صارت كاتدرائية صور منذ تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م الموضع التقليدي الذي يتوّج فيه الملوك •(٢)

و - جرت في تاريخ الحروب الصليبية حالة نادرة وغريبة ، قام فيها ملك بيت المقدس فردريك الثاني بتتويج نفسه بيده ، حيث لم يجرؤ أحد من رجال الدين على القيام بتتويجه •

ففي سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م وصل الى الشام فردريك الثاني امبراطور الامبراطورية الجرمانية المقدسة ، وهو حفيد فردريك بربروسا أي أنه كان من سلالة هوهنشتاوفن التي كانت تحكم صقلية آنذاك بالاضافة الى ألمانيا •

وقد تسلم بيت المقدس من السلطان الكامل بناء على اتفاقية يافا سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨ م •(٣)

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق - ج٣ ص ١٥٥

عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ٥٢١

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٣ - ص ٥٦٤

(٣) انظر عن هذه الاتفاقية :

- ابن الأثير : المصدر السابق ج١٢ ص ٤٨٢ - ٤٨٣

- رنسيمان : المرجع السابق ج٣ - ص ٣٣٠

- أمينة بيطار : المرجع السابق ص ١٨٨ - ١٨٩

- رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٢١٥

وبعد تسلمه أراد أن يتوج كملك لبيت المقدس فدخل كنيسة القيامة (في بيت المقدس) وتوّج بنفسه بيده، بعد أن رفض رجال الكنيسة تتويجه بسبب قرار الحرمان الذي وقعه البابا ضده. وهذا دليل على قوة شخصية فردريك الذي لم يحفل بقرار الحرمان الكنسي، ولا بأوامر وتوصيات البابا، وانما كان يقوم بما تمليه عليه رغبته وارادته. يدّل على ذلك سيرته وأعماله واصطدامه مع البابا في روما منذ البداية.(١)

ذكر وليم الصوري حالة تم فيها تتويج الملك مرتين. وذلك بسبب عودته منتصرا من احدى المعارك مع العرب المسلمين. فمن المعروف أن الملك بلدوين الثاني توّج في كنيسة القيامة سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م في بيت المقدس.(٢) وبعد معركة دانيث التي انتصر فيها الفرنج عاد الملك الى المملكة " وهناك توّج مع زوجته في الكنيسة في بيت لحم في يوم ميلاد الرب المجيد "(٣) سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م وقد يكون سبب هذا التتويج هو الاحتفال بالانتصار على العرب المسلمين. في هذه المعركة الشهيرة مع أننا لم نسمع بمثل ذلك ثانية بالرغم من كثرة الحروب والمعارك بين الطرفين، والتي كان بعضها للعرب المسلمين، وبعضها الآخر للفرنج.

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٣ - ص ٣٣٤
رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٢١٥
أمينة بيطار : المرجع السابق ص ١٨٨ - ١٨٩
باركر : المرجع السابق ص ١١٤
(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب ١٢ ص ٥٧٥
(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج٣ - الكتاب ١٢ ص ٥٨٧

ثالثـا : صلاحيات ملك بيت المقدس :

بالرغم من أن ملك بيت المقدس كان يحتل قمة الهرم الاقطاعي ، غير أن هذه القمة لم تكن شامخة . ومعنى ذلك أنه لم يكن له مطلق الصلاحية في تدبير شؤون المملكة. كانت له حقوق كثيرة على أتباعه ، لكن واجباته نحوهم فاقت تلك الحقوق . كما أنه وجدت أكثر من مؤسسة ادارية في المملكة ، كانت تتصرف بما تمليه عليها مصالحها الخاصة دون الأخذ برأي الملك . ونقصد بذلك القومونات الايطالية التجارية من جهة ، والمؤسسات الدينية كالاستبارية والداوية وغيرها من جهة أخرى . ثم هناك كبار المقطعين بالمملكة الذين كانوا يعملون على الحدّ من سلطة الملك بما لهم من حقوق واسعة ومصالح تتعارض مع مصلحة الملك أحيانا .

أ - أعماله :

يتولى ملك بيت المقدس رئاسة المحكمة العليا ، ويعتبر القائد الأعلى لقوات المملكة ، وهو المسؤول عن الادارة المركزية ، فيقوم بتعيين موظفيها . ولما له من السيادة على الأتباع (المقطعين) جاز له أن يمنعهم من التصرف في أراضيهم وأن يختار الأزواج لمن يرث الملوك من الاناث . ولمّا لم يكن له سيد أعلى ، صار بوسعه أن يبذل من ضياعه من المنح متى شاء . وعمل على اشراك زوجته وأبنائه في بذل الهبة . غير أن سلطة الملك تنتهي عند هذا الحدّ ، اذ أن السخاء في بذل المنح أدى الى تحديد موارد الملك وتخفيضها . وأضحى الملك دائما مفتقرا الى المال (١) .

وأكثر ماتتجلى وتتضح حقوق الملك ، حين يقع في امارة من الامارات الثلاث شغور في العرش ، أو اذا كان يتولى الحكم حدثا صغير السن ، أو حين يقع نزاع سواء داخل الامارة أو بين امارتين .

فاذا مات أمير من الأمراء ، دون أن يترك وريثا في سن الرشد ، صار لملوك بيت المقدس الحق في أن يكونوا أوصياء (٢) . وقد قام الملك بلدوين الثاني بالوصاية على

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٠ - ٤٨١

(٢) باركر : المرجع السابق ص ٥٣ .

امـــارة انطاكيـــة مرتيـــن : الاولـــى سـنـة ٥١٣ هـ/ [illegible] والثانيـــة سنـة ٥٢٥ هـ/ ١١١٣م[1] . فـالوصايـــة كانــت مـن حقـوق و[illegible] الملك نفـس الوقـت . وكذلك التدخـل فـي فض النزاعـات التـي اقـع بيـن الامـارات الثـلاث كانت مـن واجباتـه ومـن حقوقـه بنفس الوقـت . وهـذه أمـور تعـد مـن الاعبـاء الثقيلـة التـي كـان علـى ملـوك بيت المقدس القيام بها .

أما واجبات الملك تجاه كبار المقطعين بالمملكة ، أي كبار الأمراء فهي كثيرة .. فهو الذي يصدر المراسيم بتعيين الأمير بعد انتخابه ، وعلى الملك أن ينجد الأمير المقطع اذا تعرض للاعتداء ، أو هدّد بثورة داخلية ، وأن يكون حكما بين الأمراء في الاختلافات التي تحدّث بينهم ، وعليه أن يتشاور مع بقية الأمراء قبل أن يضع قانونا شاملا لكـل الامارات ، وكذلك في منح اقطاعات جديدة لأمراء جدد ، وأن يقسم على احترام حقـوق الأمراء ، كما أنه من حق كل أمير أن يرفع علم العصيان على الملك اذا شعر بأنه هضـم حقا من حقوقه[2] . فالملك الفرنجي ، كان يتحمل واجبات اقطاعية كثيرة نحو الأمـراء ولايطالبهم الا بوجوب مساعدته ، بارسال الجند له حين تكون الحاجة ماسة ، ومن واجباته أن يعوّض لهم خيولهم التي تقتل في المعركة[3] .

وقد ظلت طبقة البارونات (كبار الأمراء) تحدّ من سلطة الملك ، وأصبحت موافقتهم لازمة لاجراء التشريع ، ولاتبذل الاقطاعات الا بموافقتهم . ولم تكن هذه هـي الوسيلة الوحيدة التي تقيد حرية ملك بيت المقدس الفرنجي فهناك البطريرك والمحاكـم الدينية ، والمحكمة العليا ، والمنظمات الدينية العسكرية ، والقومونات الايطالية .

---

(١) ـ وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ـ الكتاب الثاني عشر ص٥٨٧ ـ وكذلك ج٢ ـ الكتـاب الثالث عشر ـ ص٦٤٨

بـاركر : المرجع السابق ص٤٧ .

(٢) ـ ابن موسى : المرجع السابق ص٨٨ .

(٣) ـ رفيق التميمي : المرجع السابق ص٧٣ .

يتضح مما تقدم أن سلطة ملك القدس كانت صورية ، وأن كل أمير في اقطاعه ، كان ملكا قائما بذاته ، كما أن علاقة الأمراء الصغار بالملك لم تختلف كثيرا عن علاقات الأمراء الكبار به ، فكانوا يتمتعون بقسط وافر من الاستقلال الذاتي الذي كان على الملك أن يحترمه (١) .

والحديث عن صلاحيات ملك بيت القدس له علاقة كبرى بصلاحيات الأمراء التابعين لذلك الملك ، سواء في مملكته أو في الامارات الأخرى الكبيرة ، وهذا يدعونا الى الحديث عن علاقة الملك بالأمراء ، وذلك لما حازه هؤلاء الأمراء من سلطات واسعة حدّت من سلطة الملك .

ب - علاقة الملك بأمرائه داخل المملكة :

لو نظرنا الى مكانة الملك من أتباعه " البارونات أو الأمراء الكبار " لوجدناه بحكم القانون كأحدهم ، وان كان هناك شيء يميزه عنهم ، فهو اجماعهم على اختياره رئيسا عليهم (٢) . فالملك بين كبار المقطعين ليس الا مقدما بين أسوياته ، فهو رئيسهم وليس سيدهم . وما ينطوي على ذلك من نظرية أن المملكة لم يفتحها ملك ، بل جماعة من الأسوياء ، اختاروا وقتذاك ملكهم . وهذه النظرية برّرت ما لجأت اليه المحكمة من اختيار الملوك الذين تعاقبوا على ولاية العرش واختيار وصي على الملك أو نائب له في حالة حداثة السن أو وقوعه في الأسر (٣) . فمع أن الملك كان على رأس المملكة الا أنه خضع لقانون المملكة ، ويمثل القانون المحكمة العليا (٤) . فقد تألفت هذه المحكمة من كبار المقطعين بالمملكة ، ومن كبار موظفي الكنيسة الذين يشهدون المحكمة باعتبارهم حائزين لاقطاعات من الأراضي ، كما أن الجاليات التجارية الايطالية (التي امتلكت أراضي) ترسل ممثلين عنها لحضور المحكمة العليا (٥) . وكان ملك بيت المقدس لايستطيع أن

---

(١) ابن موسى : المرجع السابق ص ٨٨

(٢) زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٣

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ الكتاب التاسع ص ٤٤٥ وما بعد .

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٢

- Paul Des Champs : op. cit. P. 6.

(٤) انظر ماسبق ص ٩٢ ،

(٥)

- La Monte : op. cit. P. 87-104.

يتخذ قرارا سياسيا خطيرا دون الرجوع الى رأي جميع الفئات السابقة (١) ولكن في حالات خاصة كان ملوك القدس يصدرون أحكاما دون اللجوء الى المحكمة العليا (٢) واذا التفتنا الى النظام العسكري في مملكة بيت المقدس ، رأينا حظ الملك منه ، كحظه من نظام الحكم اذ كان عليه أن يدفع للمتجندين من أصحاب الاقطاعات جُعلا ، وأن يقدم لهم الخيول أيضا وإلاّ استنكفوا عن القتال وأضربوا عن اللحاق به في الغارات والمعارك (٣) وقد وردت واجبات الملك نحو مقطعيه بوضوح في قوانين مملكة بيت المقدس (أسيز دي جيروز الم Assise de Jérusalem) (٤) ، التي تعيّن بصورة مفصلة جدا نظام الخدمة العسكرية الاقطاعية ، وحقوق الأسياد ، وواجبات الأتباع (المقطعين) وتضبط العلاقات المتبادلة بينهم ... وتقرر الحالات التي يحقّ فيها للملك أو لأي آخر أن يحرم التابع من اقطاعه : واذا تم انتزاع الاقطاع من أي سيد بصورة غير شرعية ، حتى ولو كان المنتزع المَلِك نفسه فان جميع أتباع هذا السيد ملزمون حتما بمساعدة المنكود على استعادة أملاكه ، وفي وسعهم أن يمتنعوا عن أداء الخدمة العسكرية للسيد ، وان كان الملك بالذات مادام قد انتهك حقوق أحد من أتباعه ، ومع ذلك يمكن القول بأنه لم يكن بوسع الملك أن ينتزع من التابع اقطاعه الا بحكم من المحكمة العليا (أو المجلس الاقطاعي) (٥) كما حددت هذه القوانين شروط نقل الاقطاع ، وبموجبها لايمكن للأمير أن يقبل بنقل الاقطاع الى يدي الوارث اذا كان هذا الأخير لايقدر على خدمته عسكريا ، بل كان يوكل به الى فارس يتمتع بكل واردات الاقطاع ريثما يبلغ الوارث الشرعي السن

---

(١) عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣١٩

(٢) — Richand: La Royaume Latine de Jerusalem. p. 69.

ويذكر أسامه بن منقذ مثالا على ذلك قصة الخراف التي أخذها بارون باينـاس في وقت صلح ثم ردها بعد أن أتلفها ، فعمل له الملك فولك حكما بمشاورة سبعة من الفرسان دون أن يأخذ برأي المحكمة العليا ، انظر :

— أسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ٨٤ .

(٣) زكي النقاش : المرجع السابق ص ٣٣

(٤) انظر ماسبق ص ١٥٨ — Richand: op. Cit. P. 67.

(٥) زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٥ — Richand: op. Cit. P. 68-69.

التي تخوّله حمل السلاح.وفي بعض الأحيان كان الأتباع يتمتعون حتى بالحق في منع الملك من عبور أملاكهم . كما فعل برتراند - حاكم طرابلس سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م ، عندما رفض بأن يسمح للملك فولك باجتياز بلاده .[١][٢]

كان الملك ينجح أحيانا في تسيير الأمور لصالح التاج (لصالحه) ، ولكن غالبا ماكانت تلغى القرارات التي يقرّها الملك دون استشارة البارونات والبرجوازيين في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي .[٣] ولكن هذا الوضع لم يطبق بشكل واضح وتام في مملكة القدس الا في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي .

أما في العقود الأولى من تاريخ مملكة بيت المقدس عندما كان الفرسان يتهيئون للقتال ويرصون صفوفهم للسعي في توسيع أراضي ممتلكاتهم فقد مارس الملك سلطة مركزية .[٤] وحتى في عهد الملك بلدوين الثالث (٥٢٨-٥٥٩ هـ / ١١٤٣ - ١١٦٣ م) ، كان في مقدور الملك بموجب ماكان يقوم به أن ينتزع في اثنتي عشرة حالة ، نصّ عليها القانون ، الاقطاعة من التابع دون أن يطلب موافقة المجلس الاقطاعي (المحكمة العليا)[٥] من هذه الحالات : الثورة المسلحّة ضد سيدّه ، خيانة سيّده أو أرض سيّده ، القيام بتزوير العملة ، محاولة دسّ السمّ ضد سيّده أو عائلة سيّده ، مساعدة الخارجين على السيد ، رفض اطاعة سيده لأسباب غير مبررة ولامعقولة ،[٦] واتضح بعدها الاتجاه نحو اللامركزية الذي كان هو السائد ، إذ أخذت القوى الأخرى تثبت وجودها حوالي أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . وهذه القوى تجسّدها الارستقراطية الاقطاعية في الربع الثاني من هذا القرن . ومع ذلك فقد كان الجنوح الى المركزية يظهر من حين

---

(١) نور الدين حاطوم وعادل زيتون : في ذكرى معركة حطين ص ٨٩

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الرابع عشر - ص ٦٥٨ - ٦٥٩

رنسيمان : المرجع السابق : ج٢ ص ٤٨٩

(٣) - Richard: op. cit. p. 69-70.

(٤) والمتصفح لكتاب وليم الصوري يلاحظ ذلك على الفور في كثير من المواضع : ج١ الكتاب التاسع ص ٤٥٨ - ٤٦٠ الكتاب العاشر ص ٤٩٠ - ٤٩٦ ص ٥٠٦ - .....

(٥) زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٥

(٦) - Richard: op. cit. p. 69.

الى آخر • وكان يساعد الملك في تلك الفترة على تركيز السلطات في يده أحيانا عدة عوامل ، على رأسها توتر العلاقات مع العرب المسلمين ، اضافة الى السكان المحليين الخاضعين للطيبيين ، اضافة الى تأزم الوضع الداخلي ، وحدوث صراع اجتماعي داخلي ، متخذا شكل العداوة الدينية (١) كذلك حاول الملك من جهته أن يربط الفرسان من مختلف المراتب به بمزيد من الشدة والثبات • فعندما أقدم البارون جيرار - سيد صيدا - سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢ م على حرمان أحد أتباعه من اقطاعه بدون سبب مبرّر ، عارض الفرسان هذا القرار التعسفي ورفضوه بشكل قطعي (٢) • ووقف الملك عموري الأول الى جانبهم • وهؤلاء الأمراء الصغار ، كانوا مقطعين أراضي ومدن ضمن حدود مملكة بيت المقدس ، أو في القلاع والحصون التابعة للمملكة • وفي سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣ م صدر قانون بشأن " خدمة الأتباع العسكرية " ، أعلنت الملك السيد الأعلى بالنسبة لجميع الاقطاعيين في مملكة القدس • وألزمت كل صاحب اقطاعة من الآن وصاعدا ، أيا كان سيّده المباشر ، بأن يصبح تابعا مباشرة للملك ، وأن يخضع له بوصفه السيد الأعلى (٣) • (فمن المعروف أنه تبع للملك أربعة بارونات كبار ، وتبع هؤلاء مجموعة أمراء صغار (٤)) وفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م اتسع تشكيل المحكمة العليا ، فدخل فيه أتباع كبار المقطعين ، وكان ذلك جانبا من خطة الملك عموري الأول ، حتى يلقى منهم الملك المساندة على كبار الأتباع (البارونات) • وكان الملك عموري الأول قد سبق له أن أجبر المحكمة سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م كما ذُكر على أن تسنّ قانونا يجيز لأتباع كبار المقطعين أن يلجؤوا الى المحكمة العليا لانصافهم من سادتهم ، فاذا رفض السيد الاقطاعي الكبير (البارون) الاستجابة لدعوة المحكمة ، صار لأتباعه الحق في أن يجعلوا أنفسهم في خدمة الملك • ومع أن هذا القانون أمدّ الملك بسلاح فعّال يشهره في وجه النبلاء (كبار الأمراء) فانه بمضي الزمن ، زاد هذا القانون في سلطة المحكمة العليا ، واستخدم لمناهضة الملك نفسه (٥)

---

(١) زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٥

(٢) زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٦ •

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع - ص ٤٧٣

زابوروف : المرجع السابق ص ١٤٦

باركر : المرجع السابق ص ٥٦/ رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٨٢

(٤) انظر ماسبق ص ٦٦ .

(٥) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٢

وهذا ماحدث فيما بعد • فقد كان الملوك الأوائل أقوياء ، ولكن ضعف فيما بعد لصالح البارونات • وظهرت الدلائل الأولى لمعارضة التاج بعد عام ٥٢٥هـ/١١٣٠م، عندما حققت طبقة البارونات الاستقرار ، ووجدت مقاطعات جديدة يحكمها البارونات على حساب الممتلكات الملكية (١) • وصار للبارونات الحق في الفصل بين سائر المتنازعين على الحكم ، كما صار لهم الحق أن يوافقوا رسميا على كل من يلي الحكم من الورثة • وهذا التدخل في اختيار الملك ، أو هذا الحق له دلالته الخاصة ، لالأن البارونات ينتخبون الملك عادة،فقد كان في معظم الأحوال يتسلّم العرش بالحق الوراثي ، وانما المهم بالنسبة الى هؤلاء البارونات خشيتهم أن تقع السلطة بين يديّ وارث غير قادر على أن يكون زعيما عسكريا • وعندما ينتقل التاج بالطريق الوراثي الى البنت ، فان البارونات في مملكة بيت المقدس ينتخبون الزوج الذي يحكم باسمها • فمن ذلك أن مجلس البارونات خلال ثلاث سنوات (٥٨٦-٥٨٨هـ/ ١١٩٠ - ١١٩٢م) ، حكم بانتخاب ثلاثة أزواج للوارثة الشابة ايزابيلا ، التي شاء القدر أن تترمل وهي في ريعان الصبا (٢) • وبالرغم من ذلك وجد بعض الملوك الأقوياء الذين كانوا قادرين على فرض ارادتهم بقوة • ومنهم عموري الأول ، الذي كان قادرا سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦ م على سن القوانين بطريقة تظهر سلطته بوضوح • وفي أوائل القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي كان الملك مخوّلا نظريا بنزع ملكية لاقطاعة من الخونة ، أو من الذين يرفضون اطاعة أوامر معقولة بدون حكم من المحكمة وفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م جعل الملك عموري الأول جميع صلاحيات النظام الاقطاعي بيده ،كما أزال جميع العراقيل المتعلقة بالتبعية والتي تتدخل في ممارسة سلطته (٣) • ولكن بعد موت الملك بلدوين الرابع ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م بدأ التاج يضعف ••• ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥ م ، كان الارث ينتقل من النساء الى أزواجهن وهنا أخذت طبقة البارونات تتدخل أكثر فأكثر وتحقق المزيد من القوة والثبات في وجه هؤلاء الملوك والوارثات •• وهكذا كانت طائفة كبار المقطعين تحدّ من سلطة الملك ، وكان القَسَم الذي يحلفه الملك لرجاله (المقطعين) والذي يلزمه باحترام حقوقهم والمحافظة عليها ، كانت قيدا آخر قيّد به الملك (٤) •

---

(١) - سميث : الاستبارية ص٢٧ •

(٢) - نور الدين حاطوم وعادل زيتون : في ذكرى معركة حطين ص٨٩ - ٩٠ •

(٣) - رايلي سميث : الاستبارية ص٢٨ •

(٤) - باركر : المرجع السابق ص٥٦ •

هذا بالاضافة الى القوى الأخرى والمنظمات الموجودة في المملكة والتي عملت جميعها بقصد أو دون قصد على اضعاف هيبة ونفوذ الملك منذ وقت مبكر من تاريخ بيت المقدس •

رابعا : الملوك الذين حكموا مملكة بيت المقدس :

تتالى على عرش مملكة بيت المقدس عدد كبير من الملوك ، الذين انتموا الى العديد من الأسر • وكان بيت بويون أو أسرة بويون هي أوّل تلك الأسر • وقد تولى ثلاثة من أفرادها الحكم بالتتالي وهم :

- غودفري دي بويون : (Godfrey de Bouillon) وقد حكم من سنة ٤٩٢ – ٤٩٣هـ / ١٠٩٩ – ١١٠٠ م •
- بلدوين الأول (أخ غودفري) : (Baldwin of Boulogne) وقد حكم من سنة ٤٩٣ – ٥١١هـ/ ١١٠٠ – ١١١٨م •
- بلدوين الثاني (ابن عم غودفري وبلدوين) : (Baldwin de Bourg) وقد حكم من سنة ٥١٢ – ٥٢٦هـ/ ١١١٨ – ١١٣١ م .

ولما لم ينجب بلدوين الثاني ولدا ذكرا ، فقد آلت وراثة العرش بعد وفاته الى ابنته الكبرى ميليساند (Melisende) التي كانت قد تزوجت في حياة أبيها من فارس نبيل مغامر ، قدم الى الشرق محاربا ، يدعى فولك كونت أنجو أو فولك الأنجوي وبذلك صار فولك ملكا على بيت المقدس[(١)] وكانت أسرته هي الأسرة الثانية التي حكمت عرش بيت المقدس •

أما ملوك هذه الأسرة فهم :

- فولك الأنجوي : (Fulk of Anjou) الذي حكم من سنة ٥٢٦ – ٥٣٨ هـ / ١١٣١–١١٤٣م
- بلدوين الثالث (ابن فولك) : (Baldwin III) وقد حكم من سنة ٥٣٨ – ٥٥٩ هـ / ١١٤٣ – ١١٦٣ م •
- عموري الأول (ابن فولك) : (Amalric) وقد حكم من سنة ٥٥٩ – ٥٧٠ هـ ١١٦٣ – ١١٧٤م •
- بلدوين الرابع (ابن عموري) : (Baldwin IV) ودام حكمه من سنة ٥٧٠ – ٥٧٩ هـ / ١١٧٤ – ١١٨٣ م •

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ – الكتاب الرابع عشر – ص ٦٥٥ •

- بلدوين الخامس (ابن سيبيلا أخت بلدوين الرابع) : (Baldwin V) ... من سنة ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ / ١١٨٣ - ١١٨٦ م فقد توجّه بلدوين الرابع ملكا تحت الوصاية وقد مات وعمره تسع سنوات .[1]

وبوفاة بلدوين الخامس ، آخذ التاج ينتقل الى النساء . فكانت سيبيلا (Sibylla) والدة بلدوين الخامس هي وريثة العرش . وكان زوجها الأول قد توفي ، ولم يعجبها من بين المتقدمين لخطبتها سوى فارسا وصل حديثا الى الشرق يدعى جي لوزينيان (Guy de Lusignan) فتزوجته ، ووضعت التاج على رأسه[2] . وبذلك صارت أسرة لوزينيان هي الأسرة الثالثة التي حكمت في بيت المقدس . وقد دام حكم هذه الأسرة المتمثل بالملك جي لوزينيان من سنة (٥٨٢ - ٥٨٨ هـ / ١١٨٦ - ١١٩٢م) . ولم يكن حكما مستقرا بل قلقا كثير الاضطراب بسبب معركة حطين التي أضعفت من هيبة ونفوذ الملك جي ، ثم ظهور المنافس له المتمثل بشخصية كونراد دي مونتفرات (Conrad of Montferrat) حاكم صور الذي أثبت للفرنج الصليبيين بأنه الأقدر والأجدر بالحكم بسبب أعماله وخدماته الكثيرة ودوره في الاستنجاد بالغرب الأوربي ، ومجيء الحملة الصليبية الثالثة ، وتأمين المعدّات للصليبيين في بلاد الشام ، ولأنه كان قد تزوج ايزابيلا (Isabella) أخت سيبيلا المتوفاة . بعد طلاقها من زوجها الأول همفري الثالث ابن كافل المملكة[3] . وحين وصول رتشارد قلب الأسد ملك انكلترة الى بلاد الشام على رأس الحملة الصليبية الثالثة ، وجد الاختلاف ناشبا بين جي لوزينيان وكونراد دي مونتفرات ، وقد أيّد ريتشارد جي لوزينيان ، بينما أيّد ملك فرنسة (فيليب) الذي وصل الى بلاد الشام أيضا ، كونراد . وقد توصل المختلفون الى أن يكون جي لوزينيان ملكا مدى الحياة ، على أن يخلفه كونراد . وظل هذا الاتفاق حتى سافر فيليب أوغست ملك

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثاني والعشرون ص ١٠٦٩ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثاني والعشرون - ص ١٠١٧

ابن الأثير : المصدر السابق - ج١١ - ص ٥٢٧ .

الأصفهاني : المصدر السابق ص ٦٨

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثاني والعشرون - ص ١٠٢٢ .

فرنسا الى بلاده . واتضح أثر هذه الحملة في احتلال عكا ، ثم ما[1] ـــــن الانتصار في يافا وأرسوف ثم صلح الرملة المعروف ، فباع ريتشارد جزيرة قبرص الى[2] جي لوزينيان ، واعترف بملكية كونراد على فلسطين . ولكن بعد بضعة أيام من هذا الاعتراف ، قتل كونراد سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م فانتخب العرش القدس هنري دي شامبني[3] (Henry of Champagne) الذي حكم حتى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م . حيث توفي . فتزوجت أرملته ايزابيلا من عموري لوزينيان (Amalric de Lusignan) أخ جـي لوزينيان . وبذلك يمكن القول بأن تاريخ مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين ، تتالت عليه عدّة أسر . مثلتها أسر أزواج الملكات الوريثات للعرش . وهم :

- جاي لوزجنان : (Guy de Lusignan) (زوج سيبيلا أخت بلدوين الرابع) وقد حكم من سنة ٥٨٢ - ٥٨٨هـ/ ١١٨٦ - ١١٩٢ م .
- كونراد دي مونتفرات : (Conrad de Montferrat) (زوج ايزابيلا أخت سيبيلا) حكم سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م ثم قتل .
- هنري دي شامبني : (Henry de champagne) (زوج ايزابيلا بعد كونراد) حكم من سنة ٥٨٨-٥٩٤هـ/ ١١٩٢ - ١١٩٧م .
- عموري دي لوزينيان (ملك قبرص) : (Amalric de Lusignan) (زوج ايزابيلا وأخ جي لوزينيان) حكم ٥٩٤ - ٦٠٢هـ/ ١١٩٧ - ١٢٠٥م وهنا صار ملوك بيت المقدس يدعون باسم " ملك قبرص وبيت المقدس " لأنهم كانوا يحكمون قبرص وبيت المقدس في آن واحد .

مات عموري لوزينيان (عموري الثاني) سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م . فاجتمع الافرنج في بلاد الشام ليختاروا ملكا عليهم ، فلم يتفقوا على أحد ، فأرسلوا الى فيليب أوغسطس ملك فرنسا ، ليختار لهم ملكا ، فاختار يوحنا دي برين (John de Brienne

---

(١) رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١٨٧
باركر : المرجع السابق ص ٨٦ ومابعد . وكذلك ص ٩٠
(٢) ابن شداد : المصدر السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥
(٣) رنسيمان : المرجع السابق - ج٣ - ص ١٢٤ .

على أن يتزوج بمريم وريثة العرش ، ومريم هذه أو (ماريا) هي ابنة ايزابيلا من زوجها كونراد دي مونتفرات • وقد حكم يوحنا من سنة ٦٠٧- ٦٢٢هـ/ ١٢١٠ - ١٢٢٥ م• وخلال أعوام: ٦٠٢- ٦٠٧هـ/ ١٢٠٥ -١٢١٠م كانت ماريا مونتفرات هي الملكة • ريثما تزوجت من يوحنا دي برين •

ومنذ سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م ، انتقل التاج الى أباطرة عائلة هوهنشتاوفن " Hohenstaufen " ومنذ ذلك التاريخ وحتى سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨ م (سنة تحرير أنطاكية) كان هناك ملوك متغيبون عن بلادهم وغير مرغوب فيهم شعبيا ،وحكمت المملكة في معظم هذه الفترة بنوع من الأوليفاركية (حكم الأقلية) • وكانت المحكمة العليا (البارونات) تقوّم أمورها الهامة بصورة دائمة • (1)

وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨ م أُعدم كونرادين بن فردريك الثاني (وريث العرش) (Hohenstaufen Conradin) وعاد ملوك قبرص الى تسلم العرش • وتزايد ضعف المملكة الفرنجية عاما بعد عام حتى سقوط عكا سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١ م • وبالتالي طرد الصليبيون من بلاد الشام ، ليتابعوا نشاطهم في قبرص وأرمينية فترة أخرى •

ويمكن تعداد الملوك الذين تعاقبوا على العرش منذ مابعد عموري الثاني (لوزينيان) كالتالي :

- ماريا مونتفرات : (Mriya of Montferrat)(ابنة ايزابيلا وكونراد مونتفرات) حكمت من سنة ٦٠٢- ٦٠٧هـ/ ١٢٠٥ - ١٢١٠ م •
- يوحنا دي برين : (John de Brienne) (زوج ماريا) حكم ملكا من سنة ١٢١٠ - ١٢١٢ ثم وصيا حتى ١٢٢٥م •
- هوهنشتاوفن وممثلوها :
- الامبراطور فردريك الثاني (Fredric II Hohenstaufen) (زوج يولاند ابنة يوحنا دي برين) ٦٢٢ - ٦٤٨هـ ١٢٢٥ - ١٢٥٠ م • ثم حكم :
- كونراد الرابع (ملك ألمانية) ملك اسمي من سنة ٦٤٨- ٦٥٢هـ/ ١٢٥٠ - ١٢٥٤ م
- كونرادين (ملك اسمي)(Conradin) وهو ابن فردريك الثاني وقد حكم من سنة ٦٥٢- ٦٦٧هـ / ١٢٥٤ - ١٢٦٨ م ثم انتقل العرش الى عائلة لوزينيان من جديد :
- هيو الأول لوزينيان ملك قبرص : (Hugh I) وقد حكم من سنة ٦٤٤ -٦٥١هـ/١٢٤٦

(1) : سميث : المرجع السابق ، ص ٩٨

- ١٢٥٣ م .

- هيو الثاني لوزينيان ملك قبرص : (Hugh IV) وامتد حكمه من ٦٥١ - ٦٦٦هـ / ١٢٥٣ - ١٢٦٧ م .

- هيو الثالث - لوزينيان ملك قبرص وبيت المقدس (Hugh III) ٦٦٢ - ٦٨٢هـ / ١٢٦٨ - ١٢٨٤ م .

- شارل أنجو ملك صقلية (مغتصب العرش) ووريث فردريك الثاني (Charles of Anjou) ٦٧٦ - ٦٨٤هـ / ١٢٧٧ - ١٢٨٥ م .

- يوحنا لوزينيان - ملك قبرص وبيت المقدس (John Lusignan) ٦٨٢ - ٦٨٤هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٥ م .

- هنري الثاني - لوزينيان ملك قبرص وبيت المقدس (Henry II Lusignan) ٦٨٤ - ٦٩٠هـ / ١٢٨٥ - ١٢٩١ م . (١)

(١) : أسماء هؤلاء الملوك جميعهم مأخوذة من كتاب :

- : رنسيمان : المرجع السابق ، ج٢ ، الملحق الرابع ، ص ٨٢٧ وما بعدها

ج٢ ، الملحق الرابع ، ص ٨٤١ وما بعدها

الفصل الثاني

أمراء الامارات

أولا : ألقابهم .

ثانيا : شروط وصولهم لعرش الامارة .

ثالثا : صلاحياتهم .

رابعا : العلاقة بين أمراء الامارات وملك بيت المقدس .

أولا : ألقــاب أمــراء الامــارات :

لقد درج المؤرخون الغربيون على استعمال ألقاب معينة لكل امارة مـن امارات الفرنج الثلاث التابعة لمملكة بيت المقدس .

فسميت الرها بـ كونتية الرها ، وحاكمها يلقب بـ بالكونت "   " وبالتالي مجموعة حكامها كونتات . وسميت انطاكية بـ امارة انطاكية ، وحاكمهـــا يلقب بـ أمير "   " ومجموعة حكامها أمراء . وسميت طرابلس بـ مقاطعـــة طرابلس وأحيانا بـ كونتية طرابلس . ويلقب حاكمها بلقب الكونت "   " أيضـــا .

ولعل مرد هذه التسميات لكل امارة مأخوذ من لقب منصب مؤسس كل امـــارة قبل مجيئه الى الشرق ، ومن تسلسل مرتبته في النظام الاقطاعي الغربي أنذاك .

فمن المعروف أن النظام الاقطاعي الغربي في أوربة في تلك الفترة ، كـــان يؤلف هرما متسلسلا من المناصب الاقطاعية . يقف فيها الملك على قمة هذا الهرم . وبعد الملك هناك الدوق (ومما يذكر أن غودفري أول حاكم لبيت المقدس كان دوقا فـــي اللورين[1]).

ثم الماركيز (مثل : كونراد دي مونتفرات أمير طرابلس)[2].

فالكونت (مثل ريموند الصنجيلي كونت تولوز مؤسس امارة طرابلس . وكذلك هنـــري

(١) أ- وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني - ص ١٩٨ .

رنسيمان : المرجع السابق ج١ ص ٢١٠ .

(٢) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٧٦٢ .

دي شامبني ملك بيت المقدس وروبرت كونت نورماندي ...)
فالفيكونت - فالبارون - وأخيرا سيد القصر .(١)

كان بلدوين - مؤسس امارة الرها - الابن الأصغر في أسرة يوستاس " Ustach "
كونت بولونيا وقد تألفت الأسرة من :

الأخ الأكبر : يوستاس الثالث كونت بولونيا . وقد شارك في الحملة الطيبية الأولى (على حد قول وليم الصوري) ثم عاد الى الغرب بعد سقوط بيت المقدس بأيدي الفرنج .(٢)

الأخ الأوسط : غودفري . دوق اللورين الأسفل . وقد ورّثه خاله (غود فري الملتحي) الدوقية في الغرب لأنه لم يكن لديه أولاد . وغودفري هذا صار أول حاكم لبيت المقدس .(٣)

الأخ الأصغر : بلدوين . الذي كان من المقرر أن يلتحق بالكنيسة ، ولذا لم ينل شيئا من أملاك الأسرة .(٤) ويقول وليم الصوري حول ذلك : " نال بلدوين في شبابه تربية جيدة في الدراسات العقلية ، ويقال انه أصبح رجل دين ، وشُغِلَ بسبب نسبه اللامع وظائف كنسية مفيدة تعرف بشكل عام باسم الأوقاف الكنسية في كنائس الرايم وكامبير اوليينبخ هذا وقد تخلّى فيما بعد ، لأسباب نجهلها ، عن المنصب الكنسي ، وحمل الأسلحة الحربية ."(٥)

وقد رحبّ بلدوين بالحملة الطيبية ، اذ أن موطنه لم يهبه المستقبل ، على حين أنه كان يأمل أن يقيم لـه مملكة بالشرق . فلما تأهب للمسير في ركاب الحملة الطيبية الأولى ، صحب معه زوجته وأطفاله . وكان عازما على ألا يعود الى الغرب ثانية .(٦) وقد انطلق محبة أخيه ، وتبعه كأحد فرسانه ، اذ لم يكن يحق له قيادة جيش كغود فري

---

(١) سعيد برجاوي : الحروب الطيبية في المشرق ص ٧٢
عاشور : تاريخ العصر الوسيط في أوربا - ص ٥٢٣ وما بعد .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني - ص ٢٢٩ حاشية رقم (١)

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق - ج١ - الكتاب الثاني - ص ١٩٨ حاشية رقم (١)

(٤) رنسيمان : المرجع السابق - ج١ - ص ٢١٢

(٥) وليم الصوري : المصدر السابق - ج١ - الكتاب العاشر - ص ٤٧٨

(٦) رنسيمان : المرجع السابق ج١ - ص ٢١٢

من الملاحظ أن بلدوين لم تكن له مرتبة اقطاعية في بلاده مثل (كونت أودوق)[١] قبل حضوره الى الشرق • كما هو معروف ، ومع ذلك فان وليم الصوري يلقبه ب اللورد " Lord " أي السيّد • وذلك على الرغم من تسميته في بعض المصادر باسم بلدوين البولوني Baldwin of Boulogne[٢] بدون لقب، واتخذ اللقب بعدما استولى على الرّها وأسس أول امارة فرنجية فيها فصار يدعى الكونت ولذلك فان تأسيس امارة الرها ، أعطاه لقب الكونتية الذي خطط له منذ كان في الغرب • فصار يقال : بلدوين كونت الرها " Baldwin Cont of Edessa" ولكن القدر خبأ له أكثر من ذلك ، اذ أنه لم يبق كونتا إلا سنتين فقط (٤٩١ — ٤٩٣ هـ / ١٠٩٨ — ١١٠٠م) ثم صار ملكا على بيت المقدس لمدة ثمانية عشر عاما •

أما بوهيموند — أمير انطاكية — فلم يختلف كثيرا عن بلدوين ، من حيث أنه كان محروما من الأملاك في بلده ايطاليا • فمن المعروف أن والده روبرت جويسكارد طلّق زوجته الأولى التي أنجب منها بوهيموند ، وأوصى بدوقية أبوليا الى ابنه روجر بورصا من زوجته سيجلجايتا •

فأعلن بوهيموند الثورة على أخيه روجر ، وعزم على أن يستخلص لنفسه أو ترانتو (تارنت) في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة[٣] • ومع أنه لم يحقق حلمه في احتلال تارنت أثناء هذا النزاع ، الا أنه حمل في جملة ألقابه فيما بعد لقب أمير تارنت • وعلى كل فقد سبّب بوهيموند — الذي وَرِثَ جميع براعة والده — المتاعب لأخيه وانتزع منه بعض التنازلات عن الأراضي[٤] • ومن أهم ماكان يملكه مدينة باري • ولذلك فقد قدّمت له الحملة الصليبية فرصا أكبر ، خاصة وأنه يملك من الصفات القيادية مايؤهله لاحتلال مركز هام ، فقد كان حازما قادرا ، بحيث تمكن من اغواء العديد من جند أخيه ليتبعوه الى الشرق ومع كل الجهد الذي بذله من

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ — الكتاب الثاني — ص ١٩٨

(٢) Stanly Lane pool : op. cit. - diagram :—

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج ١ — ص ٢٢٢

(٤) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ — الكتاب الثاني — ص ٢١٤ — حاشية رقم (٢)

أجل تكوين جيش قادر، فانه يمكن القول أن مجموعته ربما كانت المجموعة الأمم بين الفرق الرئيسة للجيش الذي كوّن الحملة الصليبية الأولى (١) • وقد رأى بوهيموند أنه من الخير أن يقيم له مملكة على الساحل الشرقي للمتوسط بدل الصراع في بلاده على الارث وامتلاك الأراضي (٢) • وتحتقره الأميرة والمؤرخة البيزنطية - أنّا كومينيا - لفقره وقلة جنده ولا تلقبّه بأي لقب، بل تذكر اسمه مجردًا (٣) • كما أنها تقول عنه : " ... ووصل بعد هذا بوهيموند الى أبروس مع بقية الأمراء ، عارفا نفسه أنه لم يكن من أصل نبيل ومن غير قوّات عسكرية خاصة به من الأتباع ، لقلّة موارده ... " (٤).

واذا حرمت أنا كومينيا بوهيموند من اللقب فان وليم الصوري كان يلقبه بلقب الأمير (٥) • وقد يكون اتخذه بعد احتلال أنطاكية وتولّيه امارتها ، وذلك بسبب أهمية مدينة أنطاكية وكونها مركز بطريركية •

ولذلك فهو يختلف عن بلدوين بكونه أميرا ، يقود جيشا من الفرسان والجنود والأتباع .. وان كان عددهم أقل من عدد جند البعض الآخر ، بينما لم يتوفر ذلك لبلدوين •

ولعلّه من هنا دعيت أنطاكية - منذ سقوطها بيد الفرنج وبفضل براعة وجهود بوهيموند - بامارة أنطاكية • وبالتالي حمل بوهيموند في الشرق لقب الأمير (الذي كان يصارع لأجله في الغرب) • كما حمل خلفاؤه من بعده هذا اللقب •

أما تنكرد ، عندما صار وصيا على امارة أنطاكية ، فقد حرص على أن يكون أمينا في وصايته على الامارة • فلم يتخذ لنفسه لقب " أمير أنطاكية " وان لقبّته الوثائق الصليبية المعاصرة بلقب " الأمير الكبير " أو لقب " خادم الله " لتمييزه

(٣) أنا كومينينا : المصدر السابق ص ١٣٥ - وكذلك ص ١٣٧ - ١٣٨ •

(٤) أنّا كومينينا : المصدرالسابق ص ١٣٤ - ١٣٥

(٥) وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الثاني ص ٢١١ وبالرغم من لقب الأمير الذي أطلقه عليه وليم الصوري فاننا نراه أحيانا يدعوه ب اللورد • انظر : وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني ص ٢١٦ •

(١) وليَم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني ص ٢١٤ - حاشية رقم (٢)

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٢٢

عن سائر أمراء الامارة · والواقع أنه لم يكن في استطاعة تنكرد أن يتصرف غير ذلك ، نظرا لبقاء أهل امارة أنطاكية على ولائهم لبوهيموند ، مما كان من المحتمل أن يعرضه لمقاومة شديدة ، اذا حاول أن يعتدي على حقوق بوهيموند في حياته (١) ·

أما طرابلس — الامارة الأخيرة في الشرق العربي من حيث زمن تأسيسها — فكانت تدعى أحيانا مقاطعة طرابلس وأحيانا كونتيه طرابلس · ولقب الكونتية ، مأخوذ من لقب الكونت ريموند دي تولوز أو ريموند الصنجيلي · " Raymond of S.T. Gilles " مؤسسها · وكان ريموند يحمل مرتبة الكونت منذ كان في الغرب (٢) · ويقول عنه رنسيمان :

" أما ريموند الرابع كونت تولوز ، والذي اشتهر عادة باسم كونت سانت جيل ، التي تعتبر أحبّ الممتلكات اليه ، فقد بلغ وقتذاك سنّ النضوج ، اذ اقترب من الستين وتعتبر كونتيته التي ورثها عن أسلافه أغنى دوقية في فرنسا ، وورث أخيرا ماركيزية بروفانس ، التي تضارع دوقيته في الثروة والغنى (٣) ·· "

ويبدو من هذا النص بأنه حَكَمَ ماركيزية ودوقية فهو اذن ماركيزاً ودوقاً أيضا (وهي مراتب أعلى من مرتبة الكونت) ، ولكن المؤرخين الغربيين ومنهم وليم الصوري درجوا على دعوته كونتا · أما سبب ذهابه الى الشرق محاربا ، بالرغم من غناه وثروته في الغرب (فهو لم يكن بحاجة الى أملاك وأراضي ، كبوهيموند وبلدوين مثلا ، لتوفرها لديه في وطنه) فقد يكون طلبا للشهرة والمجد ، فهو قد اشترك في كثير من الحروب المقدسة ضد المسلمين باسبانيا · وذاع صيته في أوربا عند البابا والأمراء الآخرين · وكان يأمل بأن يكون القائد العلماني للحملة الصليبية الأولى بأجمعها (٤) ·

وهكذا نلاحظ بأنه من الممكن أن تكون ألقاب الامارات الفرنجية الصليبية الثلاث ، مأخوذة من ألقاب مؤسسيها · وقد تكون متعلقة بمساحة ودرجة أهمية كل امارة ·

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ — ص ٣٧٨

رنسيمان : المرجع السابق ج٢ — ص ٩٣٢

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ — الكتاب الثالث — ص ٢٣٥

آنّا كومينينا : المصدر السابق — ص ١٣٩

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج١ — ص ٢٢٩

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج١ — ص ٢٢٩

ولكن مهما تكن الأسباب ، فان تلك الألقاب المختلفة (كونتية - امارة - مقاطعة) لم تستعمل بشكل دائم عند المؤرخين (حتى الغربيين منهم) . وانما كان اللقب المتعارف عليه هو لقب امارة لكل منها ، أي :

امارة الرها - امارة أنطاكية - امارة طرابلس .

فالنظام الاقطاعي في المشرق لم يستعمل ألقاب (دوقية - ماركيزية - كونتية - بارونية ..) المعروفة في الغرب وانما مملكة وإمارة) .

أما بالنسبة لحكام تلك الامارات ، فيمكن تسميتهم بأمراء كذلك . فيقال : (أمير أنطاكية - أمير طرابلس) ، أو كونتات مثل : (كونت الرها - كونت طرابلس) ، أو حكام . فيقال : حاكم الرها - حاكم أنطاكية - حاكم طرابلس .

ولكن درج على الأغلب استعمال لقب كونت لكل من حكام طرابلس والرها . (كونتات الرها - وكونتات طرابلس) ودرج على استعمال لقب أمير لأنطاكية فحسب . (أمراء أنطاكية) .

ومعلوم أن الاقطاعات الصغرى في مملكة بيت المقدس سميّ حكامها باسم أمراء فهناك :

أمراء الجليل - أمراء صيدا - أمراء بيروت ...

ومما يلاحظ في امارة طرابلس بأن حكامها الأوائل اتخذوا لقب كونت مثل ريموند الأول - برتراند - بونز .... ولكن حين جمع أمراء أنطاكية عرش طرابلس منذ سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م . صاروا يحملون لقب أمير بمعنى أن حكام طرابلس من البيت النورماندي حملوا لقب أمير ، وهم :

(بوهيموند الثالث - بوهيموند الرابع ...) وهذا يعني بأن خلفاء ريموند دي تولوز وَرَثوا منه لقب الكونتية . بينما ورث خلفاء بوهيموند الأول لقب الامارة منه أيضا ، حتى عندما صاروا حكاما على طرابلس .

ثانيـــا : شروط وصول أُمراء الإمارات لعرش الإماره :

حكم امراء الامارات الفرنجية الثلاثة (الرها - أنطاكية - طرابلس) اماراتهم بشكل وراثي وذلك بسبب الطريقة التي تمّ فيها تأسيس كل امارة من الامارات .

فامارة الرها يعود الفضل في تأسيسها الى بلدوين الأول وحده . وامارة أنطاكية تأسست بجهود بوهيموند وبراعته دون غيره ، أما طرابلس ، فمؤسسها الأول هو ريموند دي تولوز ، الذي بذل جهودا كثيرة من أجلها ، وقضى نحبه في سبيلها ، بالرغم من أن سقوط عاصمتها لم يتمّ على يديه (١) .

أما بالنسبة لمملكة بيت المقدس ، فلا يعود الفضل في تأسيسها لأمير معيّن من الأمراء ، بل شارك كثير من الأمراء في الاستيلاء عليها . ويقال بأن غودفري ، كان أول من تسلّق أبراجها (٢) . ومن هنا كانت نظرية أن المملكة لم يفتحها ملك ، بل جماعة من الأسوياء ، اختاروا وقتذاك ملكهم (٣) . ولهذا ظلت ملكية بيت المقدس اختيارية من حيث المبدأ في البداية ، بالرغم من الشعور العام الذي يساند دعوى الوراثة في الحكم (٤) . بينما كان مبدأ وراثة الحكم في الامارات الثلاث عرفا معمولا به منذ أول الطريق وبما أن الوراثة ، كانت المبدأ الذي عملت به الامارات للوصول الى عرش الامارة لذلك يشترط بالمؤهل لعرش الامارة مايلي :

١ - أن يكون وارث العرش فردا من الأسرة الحاكمة للامارة . كأن يكون ابنا للأمير - حاكم الامارة - أو ابنة له (وفي هذه الحالة تزوج بأمير جدير كما في مملكة بيت المقدس) أو أخا للأمير الحاكم (مثل بونز pons الذي خلف أخاه برتراند .

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٢٠

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثامن - ص ٤٣٦

(٣) رنسيمان : المرجع السابق - ج٢ - ص ٤٨٢

(٤) عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣١٩ . كما حدث عند تولية بلدوين الرابع ملكا سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤ م وهو في الثالثة عشر من عمره بعد وفاة أبيه .

-: Grousset: Hist. des. Croisades vol2 p.609

في حكم امارة طرابلس[1] •

٢ - اذا لم يكن للأمير - صاحب الامارة - المتوفى أولاد نهائيا ، يعيّن أحد الأشخاص ممن يوثق به كحاكم للامارة خلفا له • ويراعى في ذلك أن يكون من نفس أسرة الأمير المتوفى ، كابن عمه وابن أخيه أو ابن أخته ،وبالأحرى أقرب الأحياء اليه نسبا ممن يصلح لتولي الامارة ، ويحمل مؤهلات الحاكم ، من ذلك تعيين بوهيموند عندما سافر الى الغرب سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م) لتنكرو ابن أخته وصيا على الامارة[2]. ثم تعيين تنكرو - حاكم امارة أنطاكية - عندما حضرته الوفاة لروجر دي سالرنو Roger de Salerno ابن أخيه • وكذلك خلف وليم جوردان William Jordan ابن عمه ريموند دي تولوز بعد وفاته ، في تولي حكم امارة طرابلس •

وكذلك نلاحظ نفس الأمر في حالة انتقال حاكم الامارة الى حكم امارة أخرى • وهذه الحالة حدثت فقط في امارة الرها ، مرتين متتاليتين • الأولى عندما انتقل حاكم الرها • بلدوين الأول - الى حكم مملكة بيت المقدس ، حيث " عهد بالعناية ببلاده (الرها) لواحد من أقاربه واسمه بلدوين دي بورغ (بلدوين الثاني) وكان رجلا عاقلا وممتازا ، وقد خلفه في كونتية الرها ثم خلفه في مملكة بيت المقدس أيضا "[3] •

والمرة الثانية ، عندما صار بلدوين الثاني - بلدوين دي بورغ - ملكا على بيت المقدس ، فعهد بأمور الرها الى قريبة جوسلين دي كورتناي (Joscelin de Courtenay) وقد ذكر وليم الصوري ذلك بقوله :

" وبعدما وصل (بلدوين الثاني) الى العرش (عرش بيت المقدس) ، بات شديد

---

(١) رايلي سميث : المرجع السابق ص ٢٩

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق - ج ١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥١٨

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج ١ - الكتاب العاشر - ص ٤٨٤ •

القلق حول كونتية الرها التي تركت دون حاكم ، واستدعى قريبه جوسلين (الأول دي كورتناي سنة ٥١٤ هـ / ١١١٩م) ، .... وعهد اليه بالمسؤولية الكاملة عن الكونتيـــة بحكم كونه الرجل الوحيد الذي يعرف المنطقة معرفة جيدة ، وطالما أدّى جوسلين يميـــن الولاء أعطي الراية وسلّم ملكية الرها " (١) . ولما توفي جوسلين الأول سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م، تولى ابنة جوسلين الثاني الحكم (٢) .

وهكذا كان جوسلين الثاني (ابن جوسلين الأول الذي حكم من سنة (٥٢٦ - ٥٣٩ هـ / ١١٣١ - ١١٤٤م) هو الحاكم أو الأمير الوحيد الذي توصل لحكم امارة الرها بمبـــدأ الوراثة ، بالرغم من العمل بهذا المبدأ واقراره ، وكان السبب في ذلك هو الظروف التـــي أحاطت بالامارة من جهة ، ومع ذلك يمكن القول بأنه عندما لايكون هناك وريث يـــرث الأمير المتوفي كالابن أو الابنة ، في امارة الرها ، فقد كان يختار لها حاكم مـــن أقرباء الأمير المتوفي من الدرجة الأولى وهو من سلالة ملوك بيت المقدس من جهة ثانية .

٣ - ان كان وريث عرش الامارة طفلا ، يعيّن له وصيّا يدير شؤون الامارة ، ريثما يبلغ الوريث سنّ الرشد . مثل بوهيموند الثاني الذي ورث امارة أنطاكية من والـــده بوهيموند الأول ، وهو طفل صغير عمره سنتين ، فعيّن ملك بيت المقدس (بلدويـــــن الثاني) وصيا عليه ، ريثما يبلغ سن الرشد واستمر في الوصاية حتى سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٦م عندما وصل بوهيموند الثاني بن بوهيموند الأول من الغرب ليتحمل المسؤولية الملقـــاة عليه ، وتسلم حكم امارة انطاكية من ملك بيت المقدس (٣) .

٤ - تزوّج وريثة عرش الامارة بفارس شجاع يحمل صفات النبل والفروسية ، ومـــن الأفضل أن يكون له ماض صليبي مجيد . وبذلك يصبح أميرا للامارة باسم زوجتـــــه . الأمثلة على ذلك كثيرة مثل زواج كونستانس ابنة بوهيموند الثاني من رينالد دي شاتيتون " Reginald de Chatillon " الذي تدعوه المصادر العربية باسم أرناط ســـنة

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٤ - ٥٧٥

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، الجزء الثاني - ص ١٣١٣

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الثالث عشر - ص ٦٣٨
رايلي سميث : المرجع السابق ص ٣١ .

٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .[1]

٥ - لايظهر دور المحكمة العليا (في كل من هذه الامارات) في اختيار الحكام، لأنهم يصلون الى عرش الامارة وفق مبادئ الوراثة ، ولكن يظهر دورها في حالة تعيين الوصي على عرش الامارة اذ لايتم تعيينه الا بموافقتها وموافقة البطريرك أيضا .[2]

ثالثا : صلاحيات أمراء الامارات :

تمتع الأمراء في اماراتهم ، بنفس ماتمتع به ملك بيت المقدس في مملكته من حقوق ، بل لقد فاقوه في الصلاحيات . ومن هذه الصلاحيات :

- يحق للأمير - حاكم الامارة - أن يعقد المعاهدات مع العرب المسلمين على انفراد ، وألا يتقيد بمعاهدة كان قد عقدها الملك .[3]
- يعتبر الأمير مستقلا في امارته ، فاذا خف لنجدة الملك حين الحاجة ، فانه يتمتع بنفس المقام الذي يكون فيه سائر الأمراء .[4]
- تعود الى هؤلاء الأمراء السلطة القضائية العليا ، وكانوا يحاكمون وينفذون الأحكام .
- كان لهم الحق في اعلان الحرب وعقد الصلح .
- كان الكثير منهم يملك الحق في سك نقود خاصة بهم .[5]

---

(١) سميث : المرجع السابق ص ٣٢

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق - ج١ - الكتاب الثاني عشر - ص ٥٨٧
سميث : المرجع السابق - ص ٣٢

(٣) مثل ذلك المعاهدة التي وقعها ريموند الثالث أمير طرابلس وأمير الجليل مع صلاح الدين قبل معركة حطين فقد "عقد ريموند كونت طرابلس هدنة لصالح كونتيته ، وأمدها حتى شملت امارة زوجته بالجليل ، على الرغم من أن الملك الذي له السيادة على الجليل ، قد يشتبك في حرب مع المسلمين" . انظر :
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٧٢٨ .

(٤) رفيق التميمي : المرجع السابق - ص ٧٣ (٥) زابوروف : المرجع السابق - ص ١٤٧ .

- كان من العادة أن تؤرخ وثائق ومكاتبات كل امارة بالتاريخ الذي تقلد الأمير فيه شؤون امارته[1] .

فكل أمير كان في امارته ملكا قائما بذاته . وكان من حقه أن يرفع علم العصيان على الملك ، اذا شعر بأن الأخير هضم حقا من حقوقه[2] وكانت القيود التي تقيد الأمير في امارته هي نفس القيود التي كانت تقيد سلطة ملك بيت المقدس في مملكته . وتنحصر هذه القيود في الصلاحيات التي كانت للبطريرك وللمحاكم و للمحاكم الدينية ، ولمجالس الرهبان الفرسان ، وللدويلات التجارية الايطالية ، والتي كانت تحدّ من سلطته ،وتقف في طريقه[3] .

رابعا - العلاقة بين أمراء الامارات وملك بيت المقدس :

كان لملك بيت المقدس السيادة النظرية (الظاهرية) على سائر امارات الفرنج الصليبيين في الشرق ، وكان من حقه أن يطلب من أمرائها أن يرسلوا له العساكر للاستعانة بهم في حملاته . والواقع أن السيادة لم تظهر الا عندما كان ملك بيت المقدس يملك من القوة مايكفي لفرضها ، وظهرت سيادة ملك بيت المقدس بشكل خاص على كل من امارتي طرابلس والرها[4] . وهذه السيادة التي كانت لملوك بيت المقدس على طرابلس تتعلق بتأسيس هذه الامارة ، والتي لم تتأسس الا بمساعدة ملك بيت المقدس ، بسبب المشاكل التي أحاطت بها في فترة التأسيس[5] ولذلك فان الكونت برتراند (٥٠٣ - ٥٠٥ هـ / ١١٠٩ - ١١١٢ م) أمير طرابلس ، قدم يمين الولاء عن بلاده للملك بلدوين الأول - ملك بيت المقدس - عن قبول ورضى . ولمّا تولى امارة طرابلس ابنه وخليفته بونز (٥٠٥ -٥٣٢هـ / ١١١٢ - ١١٣٧م)

---

(١) رفيق التميمي : المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) ابن موسى : المرجع السابق ص ٨٨

(٣) عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣١٩ .

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٩ وما بعد .

(٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٦٢
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٣٣ .
باركر : المرجع السابق ص ٤٧ .

حاول بعد مدّة من تولية حكم الامارة في سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أن يتنكر لما كان قد أعلنه أبوه من الولاء لملك بيت المقدس . غير أن محكمة طرابلس العليا ، أجبرته على الرضوخ للملك على أنه مالبث أن عاد ثانية لاظهار استقلاله فلم يسمح في سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢م ، للملك فولك ملك بيت المقدس أن يجتاز بلاده . غير أن الملك أنزل به العقاب وأرغمه مرة أخرى على الاذعان . بعد معركة عنيفة جرت بين الطرفين بالقرب من الروج ، انهزم فيها أمير طرابلس ، وفرّ مع رجاله ، بعد أن أسر الكثير من جنوده[١] . وتولى الملك عموري الأول (٥٥٩ - ٥٧٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٧٤م) الوصاية على كونتية طرابلس باسم الكونت ريموند الثالث الطفل في الفترة مابين ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م حتى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م . فلمّا شبّ ريموند الثالث ، وبلغ سن الرشد ، لم يقبل هذه السيادة[٢] ، على الرغم من أنه كان يعتبر من أتباع الملك[٣] .

ولملوك بيت المقدس صلة شخصية بامارة الرها ، فحينما قام بلدوين الأول بتعيين بلدوين الثاني ليخلفه على حكم الرها ، حصل منه على يمين التبعية . وجرى بلدوين الثاني على هذا النحو مع جوسلين دي كورتناي ولم يكن جوسلين دي كورتناي يتبع ملك بيت المقدس فقط ، بل اضطر في أيامه الأخيرة الى الاعتراف أيضا بأمير

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٩

(٢) ذكر ابن القلانسي هذه الأحداث فقال :

" في المحرم منها (سنة ٥٢٧ هـ) وردت الأخبار من ناحية الافرنج بوقوع الخلاف بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ، ونشبت المحاربة بينهم ، وقتل منهم جماعة " .

- ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٣٧٤ . كذلك فمان ؛

- وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الرابع عشر - ص ٦٥٨ ، ذكر هذه الحادثة قائلا :

" .. وجمع الملك قوة كبيرة بقدر الامكان ، وتقدم نحو خصمه (بونز أمير طرابلس) والتقت القوات بالقرب من الروّج ، وكان الجانبان معبأين بترتيب المعركة ، فنشبت معركة عنيفة ... ومع ذلك فاز الملك ، وشرع الكونت ورجاله يلوذون بالفرار وأسر الكثير من جنود الكونت .. " - وكذلك ذكر ابن العديم هذه الأحداث انظر :

- ابن العديم : المصدر السابق ج٢ - ص ٦١٥

- عاشور : الحركة الصليبية ج٢ - ص ٥٢٣

- رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٩ . ولكنه جعل هذه الحوادث سنة ١١٣١ م .

(٣) - رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٨٩ .

أنطاكية سيّدا أعلى (١) .

ولأنطاكية وضع مختلف ، فلم يقرّ بوهيموند الأول لأحد بالسيادة عليه ،و الأدلة على ذلك كثيرة منها أنه بعد معركة حران ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م . و انتصار العرب المسلمين على الفرنج ، حاول جكرمش حاكم الموصل أن يحاصر الرها لأخذها من الفرنج ، لكن الفرنج ثبتوا له وطلبوا نجدة من بوهيموند . وجرى اشتباك قصير بين الطرفين ، انسحب جكرمش على اثره . ويقال ان الصليبيين أسروا عندئذ أحد كبار الأمراء السلاجقة ، فعرض جكرمش على بوهيموند استعداده لمبادلة ذلك الأمير ببلدوين الثاني (الأسير) أو دفع مبلغ ١٥ ألف دينار مقابل اطلاق سراح ذلك الأمير السلجوقي . وعندما وصلت أخبار ذلك العرض الى بلدوين الأول ملك بيت المقدس ، أرسل الى بوهيموند يطلب منه مبادلة الأمير ببلدوين الثاني فورا ، لكن بوهيموند فضّل المال على ذلك لحاجته اليه . فظل بلدوين الثاني - حاكم الرها - أسيرا لمدة أربع سنوات ، حتى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م (٢) .

وكذلك لم يقرّ سيادة ملك بيت المقدس أيضا الوصيّان تنكرو وروجر ذي سالرنو . وتولى بلدوين الثاني الوصاية على الأمير الصغير ، بوهيموند الثاني بين سنتي (٥١٣ - ٥٢٠ هـ / ١١١٩ - ١١٢٦م) ، غير أن الوصاية لم تستند الى حق شرعي ، بل جرت بناء على دعوة المحكمة العليا في امارة أنطاكية (٣) .

وتلقّى بلدوين الثاني الدعوة للوصاية مرة أخرى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣١م ، مع سبب اضافي وهو أنه كان جداً للأميرة الصغيرة كونستانس . التي تبيّن للمحكمة العليا ، أن مصالح كونستانس تتعرض للخطر من قبل أمها أليس . التي كانت تطمع بالسلطة . وحدث بعد وفاة بلدوين الثاني ٥٢٧ هـ / ١١٣١م وحينما حاولت أليس مرة أخرى أن تنتزع السلطة أن دعت المحكمة العليا الملك فولك ليتولى الوصاية مكان بلدوين الثاني . وكان الملك فولك أيضا أقرب فرع الذكور للأميرة الصغيرة ، في بلاد الشام باعتباره زوج

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ٤٨٩ - ٤٩٠

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج١ - ص ٤٣٣ - ٤٣٤

(٣) باركر : المرجع السابق ص ٥٣

خالتها ، لأنه لم يكن في بلاد الشام في تلك الفترة آمير من بيت [illegible] ولو كان هناك أمير منهم لوقع الاختيار عليه (١) .

وشبيه بذلك ، أنه عندما اختار الملك زوجا للأميرة كونستانس ، لم يتصرف الا بناء على طلب المحكمة العليا ، لاباعتباره سيّدا . وسبق للملك بلدوين الثاني أن طلب الى ملك فرنسا أن يختار زوجا لوريثة عرشه ميليساند دون أن يشير الى أنه يقبل السيادة الفرنسية (أي سيادة ملك بيت المقدس على هذا الزوج) وعندما حان الوقت الذي اتخذت فيه كونستانس زوجا آخر ، لم تقم بهذا الاختيار الا باعتبارها أميرة حاكمة ، ولم تطلب الاذن من الملك بلدوين الثالث ، الا لأن (أرناط) الزوج الذي وقع الاختيار عليه ، كان من أتباعه (٢) .

وفي سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م طلب أهل أنطاكية الى الملك بلدوين الثالث أن يتولى الوصاية ، وكان أكثر الناس قرابة الى أمير أنطاكية الصغير من فرع الذكور . والواقع أن الوضع القانوني لم يتحدد في وضوح . والراجح أن أمير أنطاكية حتى ذلك الوقت أقرّ مالملك بيت المقدس من الحقوق عليه ، ولكنه لم يقبل تفوقه عليه (٣) .

وهكذا فان أمراء الامارات حين كانوا يقدمون الاجلال للملك فانهم يقدمونه على أن الملك ليس الا رئيس اتحاد دويلات لا أكثر (٤) .

ومن هنا كانت الرئاسة النظرية لمملكة بيت المقدس على تلك الامارات ، وكانت هذه الزعامة تزيد أو تنقص تبعا لشخصية الملك صاحب السلطة ، ومقدرته على الهيمنة

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٩٠

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب السابع عشر . ص ٨١٤

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٩٠
-: La Monte : op. cit. p. 187- 202

(٤) -: Richard : op. cit. p. 80

على شؤون تلك المملكة . فملوك بيت المقدس الأوائل (وبخاصة بلدوين الأول الذي سعى جاهدا لجعل نفسه السيد الأعلى للصليبيين عامة في الشرق) [1] ، كانوا يعملون دائما على فرض هيبتهم ، ومكانتهم على الامارات الأخرى وكانوا يسرعون بالتدخل في شؤونها كلما شعروا بمحاولة أمرائها الخروج عن طاعتهم . ويهبّون عند الاستغاثة بهم . ويتدخلون عند تعيين الوصيّ ... كل ذلك لأنهم يرون أنفسهم أسيادا للفرنج في بلاد الشام ، ويعملون على كسب اعتراف زعماء الامارات الأخرى بسيادتهم . وقد نجحوا في ذلك شيئا فشيئا ، حيث ساعدتهم الظروف التي عاشتها كل امارة في بداية تأسيسها (من حروب مع الجيران ومشاكل داخلية بين الورثة) الى تحقيق ذلك . وقد شاء حسن حظ مملكة بيت المقدس أن يخلف بلدوين الأول مجموعة من الملوك ، عرفوا جميعا بالمقدرة والكفاية والحرص على الصالح الفرنجي الصليبي العام في بلاد الشام . وهم بلدوين الثاني ، وفولك الأنجوي، وبلدوين الثالث ، وعموري الأول ، وأخيرا بلدوين الرابع [2] .

وبذلك تكون مملكة بيت المقدس الصليبية قد تمتعت بأولوية ظاهرة على باقي الامارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام ، بالرغم مما ادعاه كل واحد من أمراء تلك الوحدات الصليبية من استقلال وسيادة . وذلك بحكم أوضاع مملكة بيت المقدس الدينية والتاريخية [3] .

أما بعد معركة حطين فقد ضعفت هيبة ومكانة ملك بيت المقدس كثيرا ، ولم يعد لملوك بيت المقدس تلك السلطة والمقدرة التي كانت لهم سابقا . وقد خسر الفرنج امارة الرها . وتوحد عرش امارتي طرابلس وأنطاكية تحت حكم أمراء أنطاكية . وانتقل تاج مملكة بيت المقدس الى النساء اللواتي نقلوه بدورهن الى ازواجهن . وأصبح تاريخ المملكة مضطربا مشوبا بالكثير من الفوضى والمؤامرات . وازداد دور الدويلات التجارية

---

(١) حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ٩

قدري قلعجي : " صلاح الدين الأيوبي " دار الكتاب العربي - ص ٧٦

(٢) Grousset: Hist. des Croisades, vol 3. p. 14 :-

(٣) Grousset: L'Empire du Levant p. 197-199 :-

الايطالية وتأثيرها السلبي على المملكة ، ولذلك فقد اختلف ملك بيت المقدس بعد حطين كثيرا عن ملك بيت المقدس قبل معركة حطين • من حيث هيبته ومكانته عند أمراء الامارات الأخرى ، وكذلك داخل مملكته •



الفصل الثالث

— البطريرك —

أولاً ـ اختيار البطريرك وتحديد مناطق نفوذه .

ثانياً ـ صلاحيات البطريرك .

ثالثاً ـ بطاركة انطاكيه وبيت المقدس زمن الاحتلال الصليبي (اللاتين) .

أولا - اختيار البطريرك وتحديد مناطق نفوذه

أول المهام الادارية التي واجهت الفرنج بعد الاستيلاء على بيت المقدس، كانت اختيار الحاكم والبطريرك. وقد جرت خلافات حول من سيُختار أولا، الحاكم أم البطريرك؟

فقد أصرّ رجال الدين على اختيار البطريرك أولا، وهو بدوره (أي البطريرك) يقوم باختيار الحاكم وتعيينه. لكن الأمراء والقواد (وهم الذين تم النصر على أكتافهم) رأوا ضرورة اختيار الحاكم أولا، وبالتالي أن تكون حكومة بيت المقدس حكومة مدنية لادينية، بسبب الأوضاع الصعبة والأخطار الجمّة، المحيطة بها، والتي تحتاج الى قيادة علمانية للدفاع عنها، باعتبارها تقع وسط محيط واسع من سكان البلاد الأصليين العرب المسلمين (أعداء الفرنج المحتلين). (١)

وبذلك وقع اختيارهم على غودفري دي بويون ليكون حاكما للدولة الناشئة، وبعد فترة وجيزة اختير أرنولف مالكون بطريركا على بيت المقدس، في اجتماع عقده رجال الكنيسة سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م (٢) على أن أرنولف لم يستمر طويلا في منصبه وكان تسلمه للبطريركية في بيت المقدس لمدة خمسة أشهر فقط اذ اعتبر انتخابه لاغيا و واختير دايمبرت رئيس أساقفة بيزا مكانه. وقد قال وليم الصوري في ذلك:

".... وجرى احلال دايمبرت المبجّل، بعد دراسة متروية كثيرة وبموافقة شاملة، في المقر البطريركي، لأن الانتخاب السابق لأرنولف، الذي حكيناه كان قد تمّ بسرعة وجعل باطلا ولاغيا بسهولة مثلما تمّ بتهور واندفاع" (٣) وكان ذلك سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م. وقد نشب نزاع خطير بين غودفري ودايمبرت حول ملكية برج داود

---

(١) وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ - الكتاب التاسع ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ - الكتاب التاسع ص ٤٥٠
رنسيمان: المرجع السابق ص ٤١٤
-: Richard: op. cit. p. 93

(٣) وليم الصوري: المصدر السابق ج ١ - الكتاب التاسع ص ٤٦٦
رنسيمان: المرجع السابق ج ١ - ص ٤٣٠ - ٤٣١
عاشور: الحركة الصليبية ج ١ - ص ٢٦٤

وربع مدينة يافا وصل الى درجة الصراع • وقد تجدد النزاع بين بلدوين الأول ودايمبرت ، الذي كان جشعا ومحبا للتملك والتسلط •(١)

ويمكننا أن نرى في هذا النزاع صورة من صور الصراع القديم بين السلطتين الدينية والمدنية • لقد خضعت الكنيسة في مملكة بيت المقدس لسلطة بطريرك بيت المقدس ، على أن البطريرك ، أضحى فعلا خادما للملك بعد أول فتنة أثارها طموح دايمبرت ،وفشله في مسعاه •(٢)

لقد تولى اختيار البطريرك هيئة رجال الدين في كنيسة القيامة ، حيث تعرض على الملك مرشحين اثنين ليختار أحدهما •(٣) وكان الباباوات في روما يتدخلون بواسطة رسلهم في انتخابات البطاركة ، بالرغم من أن هذا الحق كان يعود شكلا وصراحة بكليته الى رجال الدين والبارونات في مملكة بيت المقدس • وأحيانا كانت الظروف تتطور ، بحيث أن بضعة اشخاص ، كانوا يرشحون في الوقت نفسه الى كرسي البطركية •

وفي هذه الحالة ، كان ممثلوا البابا ، يحاولون تمييز وانجاح المرشح الذي يرضى عنه البابا ويناسب مايرا ه(٤) وبعد اختيار البطريرك يثبّت من قبل البابا الروماني ويمنح طيلسان الحبرية كدلالة على موافقة البابا عليه •(٥)

وبالاضافة الى بطريرك بيت المقدس ، كان هناك بطيريرك أنطاكية • فقد جرى الوضع منذ القرن الرابع الميلادي ، على أن يكون في بلاد الشام كرسيّان بطركيان كبيران ،

---

(١) عن هذا النزاع انظر :
وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب التاسع ص ٤٦٨ •
(٢) رنسيمان : المرجع السابق – ج٢ – ص ٤٩٨
(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – المدخل ص ١٠٥
– رنسيمان : المرجع السابق ج٢ – ص ٤٩٨
– عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣٢٣
(٤) زابوروف : المرجع السابق ص ١٥٣
(٥) وليم الصوري : المصدر السابق – ج٢ – الكتاب الثامن عشر – ص ٨٥٨ •

أحدهما في بيت المقدس ، والآخر في أنطاكية • وقد استمرّ هذا الوضع سائداً في فترة الاحتلال الفرنجي الصليبي • ولذلك سنتطرق بشيء من الايجاز له • فقد حدث في أنطاكية ماحدث في بيت المقدس ، بأن تولى انتخاب البطريرك هيئة رجال الكنيسة الكاتدرائية نظريا فيها ، والواقع أن أمير أنطاكية ـ الحاكم الزمني ـ هو الذي نصبّه ، وبوسعه أيضا أن يعزله •

وكما أن بعض الأمراء بذلوا الولاء للبطريرك عند تتويجهم ، والراجح أن ذلك لم يحدث الا في ظروف استثنائية (١) •

وحدث بعد سقوط أنطاكية بيد الفرنج الصليبيين ، أن أبقي البطريرك الأرثوذكسي يوحنا الرابع ـ الموجود قبل قدوم الفرنج في مركزه البطريركي ، بناء على توجيهات المندوب البابوي أدهمار ، المرافق للحملة الصليبية الأولى • لكن البطريرك يوحنا ، غادر طوعاً الى القسطنطينية بعد عامين من سقوط أنطاكية ، وكما قال وليم الصوري :

" ••• هذا ولم يمضي أكثر من عامين حتى غادر يوحنا طوعا مدركا أنه لن يستطيع كرجل اغريقي ، حكم اللاتين ، بشكل فعّال ، وذهب الى القسطنطينية ، واجتمع رجال الدين وأهل المدينة بعد رحيله ، واختاروا برنارد أسقف أرتاسيوم (أرتاح) ليكون بطريركا عليهم ، وهو من مواليد فالنس " Valence "(٢) ويعتقد أن تنحية يوحنا بطريرك أنطاكية الأرثوذكسي ، وتعيين برنارد دي فالنس الكاثوليكي ، قد تم بتدبير بوهيموند الأول ـ أمير أنطاكية ـ الذي كان يطبّق سياسة الكثلكة في امارته(٣)• وبذلك كان لأمير أنطاكية اليد العليا في تعيين البطريرك فيها •

يخضع لسلطة بطريرك بيت المقدس رؤساء الأساقفة الأربعة ، في صور وقيسارية والناصرة ومؤاب(٤) • ويجعلهم بعض المؤرخين خمسة رؤساء أساقفة في (صور وقيسارية

---

(١) رنسيمان : المرجع السابق ـ ج٢ ـ ص ٥٠٠ •

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ـ الكتاب السادس ـ ص ٣٧٠

(٣) انظر حول ذلك :

ـ وليم الصوري : المصدر السابق ج١ ـ الكتاب السادس ـ ص ٣٧٠ ـ حاشية رقم (١٦)

ـ : Grousset: Hist des Croisades vol 1 - p. 114

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ـ ص ٤٩٨ •

والناصرة والكرك وبصرى) [(١)] . كما يتبع بطريرك بيت المقدس تسعة أساقفة ، وتسعة رؤساء أديرة ، وخمسة مقدمي أديرة [(٢)] .

أما بطريرك أنطاكية ، فكانت تتبعه كنائس أنطاكية وطرابلس والرها . بمعنى أنه كان يتبعه رؤساء أساقفة طرابلس وطرطوس وجبلة والبارة وطرسوس والمصيصة . فضلا عن الرها [(٣)] . أما رئاسة أسقفية تل باشر ، فانها لم تقم الا في زمن لاحق ، وصار متوليها يعرف رسميا باسم رئيس أساقفة منبج (Hierapolie) . وقد تغير عدد الأسقفيات وفقا للأحوال السياسية . اذ كان بولاية كنيسة أنطاكية ، أكثر من تسعة أديرة من أهمها : ديرا القديسين بولس وجورج ، ودير القديس سمعان . ولم يتوافر لكنيسة أنطاكية من الثروة ماتوافر لكنيسة بيت المقدس . والواقع أن أديرة فلسطينية كثيرة حازت ضياعا في امارة أنطاكية [(٤)] .

وقد أدى تحديد مناطق نفوذ البطريرك الى اثارة المشاكل ، اذ جرى العرف بأن تدخل صور في نطاق بطركية أنطاكية وذلك قبل احتلال الفرنج الصليبيين لبلاد الشام ولكن بعد سقوط صور سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م .بيد الفرنج وبحكم عملية الاستيلاء عليها (التي قام بها ملك بيت المقدس بمساعدة البنادقة) اعتبرت جزءا من مملكة بيت المقدس ، ولذلك جرى التنافس عليها بين البطريركتين (أنطاكية وبيت المقدس) .

وقد قرر البابا باسكال الثاني أنه لابدّ أن تنتقل تبعية كنيسة صور بما

تتمة (٤) - المطران يوسف الدبس : " من تاريخ سورية الدنيوي والديني " المطبعة العمومية في بيروت ١٩٠٢ الجزء السادس - ص ١٧٠ .

(١) عاشور : تاريخ العلاقات ص ٣٢٣ . وكذلك :

-: Richard : op. cit. p. 98

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٩٨

(٣) عاشور : المرجع السابق ص ٣٢٣

المطران يوسف الدبس : المرجع السابق - الجزء السادس - ص ١٦٩

(٤) رنسيمان : المرجع السابق ص ٥٠٠ .

يتبعها من أسقفيات عكا وصيدا وبيروت الى كنيسة بيت المقدس وجل ... يتناسب مع الأوضاع والوقائع السياسية[١] .

على أن كل المحاولات التي بذلها بطاركة بيت المقدس لبسط سلطانهم على أسقفيات طرابلس وطرطوس وجبلة الواقعة في امارة طرابلس ، باءت بالفشل ، بالرغم مما تلقّوه من حين الى آخر من مساندة البابوية . وكان ريموند دي تولوز ، ريموند الصنجيلي - يأمل في أن تكون له كنيسة مستقلة في امارته طرابلس ، حتى قبل أن يحقق وجودها السياسي ، غير أن من خلفوه في ادارة الولاية اعترفوا بسيادة كنيسة أنطاكية . ولم تكن هذه السيادة شديدة الوطأة عليهم ، لأنهم عينّوا أساقفتهم دون أن يتعرضوا الشيء من التدخل[٢] .

ثانيا - صلاحيات البطريرك :

قال ابن الأثير عن البطريرك : " .... وهو عندهم كالامام الذي للمسلمين لايخالف أمره ... "[٣] ولذلك فقد تولى البطريرك القيام بمهام عديدة ، وكانت له صلاحيات واسعة منها :

١ - كان البطريرك يوجّه ويدير شؤون المملكة في حالة غياب الملك . كما حدث أثناء غياب الملك فولك الذي خرج لمحاربة المسلمين سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م[٤] .

٢ - كان للبطريرك دور هام في حال وقوع الملك في الأسر غير مهمة الوصاية على المملكة وادارتها ، ونقصد بذلك مساعدة الملك في الخلاص من أسره سواء بدفع الفدية أو غير ذلك من الشروط . كما حدث عند أسر الملك لويس التاسع ٦٤٦ - ٦٥٢هـ / ١٢٤٨ - ١٢٥٤م

(١) وليم الصوري : المصدر السابق - ج٢ - الكتاب الرابع عشر - ص ٦٧١ - ٦٧٢ .
رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٤٩٩

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ٥٠٠

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٠ - ص ٤٦١

(٤) عاشور : الحركة الصليبية ج١ - ص ٥٢٦ .

في حملته على دمياط (الحملة الصليبية السابعة) ، والذي أجرى من أجله مفاوضات مع السلطان الأيوبي توران شاه ، وحصل بعد ذلك على الموافقة على اطلاق سراحه. وكما يذكر المؤرخ جوانفيل :

" ... واستطاع بطريرك بيت المقدس - وكان شيخا موقراً في الثمانين من عمره - أن يتفق مع المسلمين على صيغة قسم يحفظ على الملك احترامه ، وجاء لمساعدة الملك في مفاوضاته لاطلاق سراحه "(١) . وسبب ذلك أن الملك لويس - ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة - رفض أن يقسم بالصيغة التي طلبها منه سلطان مصر وأمراؤه لاطلاق سراحه من الأسر .

وكذلك عندما أسر ملك بيت المقدس - بلدوين الثاني - ٥١٧ هـ / ١١٢٣م ، اجتمع القادة والبطريرك في عكا وتداولوا الأمر وعينوا يوستاس غرينر حاكما عليهم . وكما يذكر وليم الصوري :

" واستبد بقادتنا قلق كبير ازاء رخاء المملكة عندما بلغهم نبأ الكارثة المريعة التي حلّت بالملك ، واجتمعوا كرجل واحد في مدينة عكا للتداول مع البطريرك ومطارنة الكنيسة ، حيث جرى بموافقة شاملة تعيين يوستاس غرينر حاكما عليهم .. "(٢)

٣ - كذلك كان يحق للبطريرك والنبلاء في المملكة أن يعقدوا الاتفاقيات التجارية مع الدويلات الايطالية التجارية ، وتحدد شروط التعاون بين الطرفين . وذكر وليم الصوري حالة مماثلة عند وقوع بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - في الأسر ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م .

ووصل في هذه الفترة اسطول للبنادقة الى ميناء عكا ، حيث قال :

" ..... اجتمع السيد البطريرك والرجال القياديون ... مع كامل الناس من مدينة عكا حيث كان اسطول البنادقة راسياً بأمان في الميناء ، وجرى تبادل الأيمان المغلظة ووافق الطرفان بوساطتها على أن يحافظا باخلاص على شروط الميثاق الذي كانا قد دخلا فيه."(٣) وكذلك كان توقيع البطريرك على وثيقة تلك الاتفاقية أسبق التواقيع .(٤)

---

(١) جوانفيل : المصدر السابق - ص ١٦٩ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الثاني عشر - ص ٥٩٢ .

(٣) وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الثاني عشر - ص ٦٠١ - ٦٠٢ .

(٤) انظر حول تلك الوثيقة والتواقيع التي عليها من جانب مملكة بيت المقدس :

- وليم الصوري : المصدر السابق ج١- الكتاب الثاني عشر ص ٦٠٦ .

٤ – ومن صلاحيات البطريرك أيضا ، أن يكون شاهدا عند تعيين من يخلفه في الملك حين وفاته : حيث يذكر العماد الأصفهاني أن الملك بلدوين الرابع – المجذوم – عندما أحس بوطأة المرض تشتد عليه عين وليّا لعهده بحضور البطريرك ، وعما أورده حول ذلك :

" .... فلما أحسّ بهلاكه ، وسكون حراكه ، أحضر البطريرك والقسوس والمقدمين والرؤوس ، وكان له ابن أخت صغير ، عن التطاول الى الملك قصير ، وقال لهم : المُلْك في هذا ، ولكن القومص (ريموند الثالث أمير طرابلس) يكفله مدة سني صغره ..."(١) .

٥ – كان للبطريرك دور أحيانا في اختيار الملك ، فعندما رُشِّحَ جوسلين دي كورتناي وكان أمير الجليل آنذاك بلدوين الثاني – أمير الرها – ليكون ملكا على بيت المقدس ، لم يستطع تنفيذ ترشيحه لولا أنه لقي مساندة من البطريرك أرنولف ، واستطاع البطريرك وجوسلين معا أن يقنعا مجلس المملكة بالموافقة على اختيار بلدوين الثاني ليكون ملكا على بيت المقدس . (٢)

٦ – كان البطريرك يرأس الوفد الذي يذهب الى روما – للاستغاثة – وطلب النجدة ضد العرب المسلمين بعد كل نصر كبير يحققه المسلمون عليهم .

ففي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، وبعد أن أصبح صلاح الدين الأيوبي السيد المطاع على مصر والشام ومناطق أخرى ، وأحاطت الممتلكات التي وحّدها بالامارات الفرنجية في بلاد الشام ، وشعر الفرنج في الشام بقوته ومقدرته وتصميمه على تحرير المناطق الممتلكة ، خشية الفرنج ، ورأوا الاستعانة بالغرب الأوربي ، وطلب معونة عاجلة منهم ، لذلك سافر وفد لاتيني مؤلف من بطريرك بيت المقدس ومقدمي الداوية والاستبارية الى غرب أوربا ، ليستنجدوا بملوكها، وقد عرضوا تاج مملكة القدس على كل من فيليب أوغسطس ملك فرنسا

---

(١) العماد الأصفهاني : الفتح العشي في الفتح القدسي ص ٦٧ – ٦٨ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق ج١ – الكتاب الثاني عشر ص ٥٧٢ – ٥٧٣ .
رنسيان : المرجع السابق ج٢ – ص ٢٣٠ .

وهنري الثاني ملك انكلترا بشرط أن يخف أحدهما الى نجدة الدول والامارات الفرنجية في بلاد الشام [1].

(.. كان وقتها بلدوين الرابع – ملك بيت المقدس – يعاني الآلام في جسده والمشاكل في امارته – وحدثت نزاعات كثيرة حول العرش والوصاية ..) [2].

ومن ذلك نلاحظ أنه كان يحق للبطريرك أن يعرض تاج مملكة بيت المقدس على ملوك أوربا بشرط أن يهبوا لنجدة اخوانهم في بلاد الشام وكان ذلك يحدث في حالات نادرة يكون فيها الموقف الفرنجي متأزما في بلاد الشام مع انشغال البابا عن تلبية نداء الاستغاثة .

وبعد معركة حطين واسترداد بيت المقدس وغيره من الأماكن الهامّة وعودتها الى العرب المسلمين ، بعث الفرنج سفارة ثانية باكية الى أوربا ، مكوّنة من الرهبان والقسوس بزعامة بطريرك بيت المقدس ، لتصور لأهل أوربا محنة بيت المقدس ، ولتحث ملوكها وشعوبها على الاشتراك في نجدة عاجلة [3] .

ويصف ابن الأثير مكانة البطريرك في تلك الفترة – فترة مابعد حطين واتجاه صلاح الدين لتحرير القدس – :

" ... سار عن عسقلان (أي صلاح الدين) الى البيت المقدس ، وكان به البطريرك المعظم عندهم ، وهو أعظم شأنا من ملكهم "[4]. وهذا يعني أن مكانة البطريرك كانت عالية عند الفرنج ، لكنها تزداد علوّا وأهمية في أيام الشدائد وفي حالات ضعف الملك أو غيابه .

٧ – يحق للبطريرك أن يحرم الأمراء الفرنج في بلاد الشام من حماية الكنيسة كما يحق له أن يفسخ عقود نكاح الأمراء اذا تقاعسوا عن مساعدة اخوانهم أو اذا كان هناك شك في خيانتهم . كما حصل لريموند الثالث – أمير طرابلس – حيث يذكر ابن

---

(١) رفيق التميمي : المرجع السابق ص ١٥٥ .
نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ص ١٩ .
(٢) عن تلك المشاكل والاضطرابات انظر :
-:وليم الصوري : المصدر السابق ج٢-الكتاب الحادي والعشرون ص ٩٧٧ ومابعد .
(٣) نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ص ١٩ – ٢٠ .
(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١١ – ص ٥٤٦ .

الأثير ذلك بقوله :

" أرسلوا الى القمص (ريموند الثالث صاحب طرابلس وطبرية) البطرك والقسوس والرهبان ... وتهدّده البطرك أنه يحرمه ، ويفسخ نكاح زوجته ، الى غير ذلك من التهديد ، فلما رأى القمص شدة الأمر عليه خاف ، فاعتذر وتنصّل وتاب ، فقبلوا عذره ، وغفروا زلّته ... "(١) .

وذكر جوانفيل مثل ذلك في مذكرته عن موقف للبطريرك من الكونت وولتر بيافا فقال :

" أصدر البطريرك قرار الحرمان ضد كونت وولتر ، لأنه أبى أن يسلّم برجا في حوزته بيافا يعرف ببرج البطرك ، والتمس رجال لنا من وولتر أن ينهض معهم لمحاربة امبراطور فارس (الامبراطور السلجوقي) ، فقال انه مستعد لذلك على أن يمنحه البطرك الغفران حتى العودة ، فرفض البطرك هذا الطلب ، الا أن رفضه هذا لم يمنع الكونت وولتر من الذهاب معهم "(٢) ويتابع جوانفيل حديثه فيقول :

" ولما رأى الكونت انصرافهم (أي الفرسان) عن دعواه (لمهاجمة امبراطور فارس بسرعة) جاء الى البطرك وتوسل اليه أن يمنحه الغفران على الصورة التي التمسها منه من قبل ، الا أن البطرك ظل مقيما على رفضه ... "(٣) .

٨ ـ كان البطريرك يشارك في الحروب والمعارك .

ففي معركة حران سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م ، التي انتصر فيها المسلمون على أميري أنطاكية والرها ، وقع بلدوين الثاني ـ أمير الرها ـ وقريبه جوسلين دي كورتناي أسيرين في قبضة المسلمين ، أما بوهيموند فقد لاذ بالفرار ، بعد أن بلغ بهم الاضطراب والذعر حداً جعل برنارد بطريرك أنطاكية يقطع ذيل فرسه لئلا يجذبه منه أحد الأتراك المسلمين

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج١١ـ ص ٥٣٢ .
ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ـ ج٣ ـ ص ٨٣٩ .
(٢) جوانفيل : المصدر السابق ص ٢٣٤ .
(٣) جوانفيل : المصدر السابق ص ٢٣٥ .

ويفتك به (١) .

وفي معركة الرملة الثالثة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م بين الفاطميين والفرنج الصليبيين في مملكة بيت المقدس ، طلب ملك بيت المقدس - بلدوين الأول - من البطريرك أن يحضر معه كل ما استطاع تجنيده منها من العساكر ، وكان عددهم مائة وخمسون جلا ، ومعه الصليب المقدس ، وعند طلوع الفجر ، لمّا نشبت المعركة ركب البطريرك وأخذ يغدو ويروح أمام صفوف الفرنج ، وقد ارتدى كامل ملابسه ، وحمل الصليب في يده ، وصار يبذل بركاته وتحلله .... "(٢) .

وكذلك يذكر أنه قبل أن يتقدم زنكي لاقتحام حصن بعرين ، أنفذ الملك فولك الرسل الى بطريرك بيت المقدس والى كونت الرها والى أمير أنطاكية ، يطلب منهم المبادرة الى بذل المساعدة ، واستجاب هؤلاء الثلاثة لندائه ، وقام وليم بطريرك بيت المقدس بحشد من تبقى من الحرس الوطني في فلسطين ، وتولى قيادته وتوجه به الى طرابلس ، وقد رفع الصليب المقدس في مقدمة الجيش . ولم يكد البطريرك يغادر البلاد (فلسطين) حتى أمعن في الغارة في الجنوب الى أن بلغ مدينة نابلس المكشوفة فأجرى السيف في أهلها . (٣)

٩ - كان البطريرك أحيانا يفرض رأيه على الملك وينصحه في مواقف معيّنة اذا كان يرى أن فيما يبديه خير للصالح الفرنجي الصليبي العام . وأن مايقوم به الملك ، أو يعزم القيام به يضرّ بالصالح العام . مثال ذلك ماحدث عندما كان القديس لويس التاسع في بلاد الشام وقد صمم على عدم العودة الى بلاده - فرنسا - بالرغم من حاجتها اليه - وأراد البقاء في فلسطين ، فقال :

" ولما رحل الملك (لويس التاسع) عن مدينة صيدا التي حصّنها بالأسوار العظيمة و الأبراج القوية والخنادق المنيعة من الداخل والخارج ، جاء البطرك والبارونات فقالوا له : " .. ... وقد تباحثنا الوضع فيما بيننا فوجدنا أن لانفع لمملكة بيت المقدس يرتجى من

(١) عاشور : الحركة الصليبية ج١ - ص ٣٩٢ .

(٢) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ - ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) رنسيمان : المرجع السابق ج٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

طول اقامتك هنا بعد ، ومن ثم جئنا ناصحين لك ، مشيرين عليك أن [illegible] في فترة الصوم الكبير القادم ،وأن تعدّ العدة لسفرك حتى تكون قادرا على الرجوع الى فرنسا بعد حلول عيد الفصح "[1]. فنزل الملك عند رأي البطرك والبارونات •

وبذلك كان للبطريرك مهام كثيرة دينية وسياسية وعسكرية ، وأحيانا ادارية ففي المعارك والحروب نراه حاملا الصليب المقدس بيد والسيف بيد ، وفي الاتفاقات مع الدول الايطالية نراه يديرها ويتولاها اذا كان الملك غائبا • كما يقوم بادارة شؤون المملكة والوصاية عليها في حال أسر الملك أو غيابه واذا لم يكن هناك وصيّ • كما كان يذهب الى روما للنجدة وطلب الاستغاثة ، وكذلك يمارس سلطته الدينية كاملة فيحرم رجال الفرنج وحتى الأمراء منهم من حماية الكنيسة وهكذا يمكن القول بأن صلاحياته قد حدّت من سلطة وصلاحية الملك بل وفاقتها أحيانا •

ولم تكن صلاحيات بطريرك أنطاكية ، تقل عن صلاحيات بطريرك بيت المقدس • فقد كان له الحق والصلاحية في القيام بمثل ما يقوم به بطريرك بيت المقدس من أعمال ومهمّات •

---

(١) جوانفيل : المصدر السابق ــ ص ٢٦٧

ثالثا: بطاركة انطاكية وبيت المقدس اللاتين زمن الاحتلال الصليبي

قبيل مجيء الفرنج الصليبيين الى بلاد الشام ، كان بطاركة انطاكية وبطاركة القدس يتبعون الامبراطورية البيزنطية وينتمون الى المذهب الأرثوذكسي . ولذلك فقد ظلت بيزنطة تطالب الفرنج الصليبيين باختيار البطاركة الارثوذكس ، لاسيما على كرسي بطريركية انطاكية . فقد نصت معاهدة ديفول[1] التي وقعها بوهيموند الأول بعد هزيمته أمام الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومينين سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م، على أن يكون بطريرك انطاكية أرثوذكسيا من بيزنطة ، وألا يكون بعد ذلك بطريرك لاتيني . لكن تنكريد - الوصي على إمارة انطاكية - لم يقبل شروط المعاهدة . واضطر بعد ذلك بطاركة انطاكية الارثوذكس للعيش في القسطنطينية .

وقد استمرت بيزنطة بتعيين البطاركة الاثوذكس في بطريركيتي إنطاكية وبيت المقدس بالرغم من وجود البطريرك اللاتيني في كل منهما . ولكن البطاكرة الارثوذكس عاشوا بشكل دائم تقريباً في القسطنطينية ، لذلك لن أتطرق لذكرهم ، وسأذكر البطاركة اللاتين الذين تولوا بطريركيتي انطاكية وبيت المقدس[2].

١ - بطاركة انطاكية اللاتين :

كان يشغل بطريركية انطاكية عند سقوطها بيد الفرنج الصليبيين سنة ٤٩١ هـ/١٠٩٨م، البطريرك يوحنا الرابع (الارثوذكسي)، الذي قال عنه وليم الصوري ما يلي :

"..... هذا وارتؤي أنه من غير الحكمة اختيار أو رسم بطريرك من عرقنا اللاتيني مادام الشاغل السابق لذلك المنصب مايزال على قيد الحياة ، خشية أن يشغل اثنان المنصب نفسه ، وهي حالة من الواضح أنها تخالف القوانين الكنسية المقدسة مع تشريعات الاسلاف المقدسين)؛ هذا ولم يمض أكثر من عامين حتى غادر يوحنا طوعا مدركا أنه لن يستطيع كرجل اغريقي، حكم اللاتين بشكل فعال، وذهب الى القسطنطينية ..."[3].

---

(١) - عن هذه المعاهدة انظر ما سبق ص ٤٨ حاشية رقم (١)

(٢) - انظر حول ذلك [illegible]

- المطران الكسندروس : "تاريخ الكنيسة المسيحية" طبعة عام ١٩٦٤، ص ٣٩٧ .
- المطران يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٦٠ ومابعد حتى ص ١٦٩ .
- خريسوستمس بابادوبولس : "تاريخ كنيسة انطاكية " تعريب الاسقف استفانس حداد منشورات النور ١٩٨٤ - ص ٦٨٣ .

(٣) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب السادس - ص ٣٧٠ .
- المطران الكسندروس : المرجع السابق - ص ٣٩٧ .

وبعد رحيله اجتمع رجال الدين وأهل مدينة انطاكية لاختيار برنارد دي فالنس ليحل محله ، وقد ذكر وليم الصوري ذلك بقوله :

"…. اجتمع رجال الدين وأهل المدينة بعد رحيله (أي رحيل يوحنا الرابع) واختاروا برنارد أسقف أرتاسيوم (أرتاح) ليكون بطريركا عليهم… "(١).

وبذلك كان برنارد دي فالنس هو أول بطريرك لاتيني ، تولى بطريركية انطاكية ، وكان ذلك سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م. كان برنارد فرنسيا من مواليد مدينة فالنس ، وقد استمر في منصبه الى سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥م أو ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م ، حيث توفي(٢). ثم خلفه رالف - رئيس أساقفة المصيصة . ويسميه المطران يوسف الدبس رودلفس ، ويقول عنه :

"…. وخلفه رودلفس ويسمى الاول ، انتخبه الشعب وأطاعه بعض الاكليروس ، وعصاه بعضهم ، واتشح بالباليوم (الطيلسان) درع الرئاسة ، قبل أن يثبته الحبر الروماني مدعيا أنه خليفة بطرس في انطاكية كخلافة البابا له في رومة ، فطرده أمير انطاكية منها ، فسار الى رومة ، فشفع به أصدقاؤه الى الحبر الروماني البابا اينو شنيسوس الثاني (أنوسنت الثاني) (٥٢٥ - ٥٣٨ هـ/ ١١٣٠ - ١١٤٣م) ، فقبله…. "(٣).

وهكذا فقد استمر رالف في منصبه من سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٦ حتى ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م. حيث خلع وزج في السجن لتمرده . ثم انتقل الى رومة ، وهناك مات مسموما(٤). ثم خلفه على كرسي البطريركية ايملاي أو ايماريكس أو أموري الذي استمر في المنصب فترة طويلة من سنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م حتى سنة ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م ، وكان ايمري هذا رجلا أميا من اقليم ليموسين . وكان شماسا في كنيسة انطاكية عندما وقع الاختيار عليه ، وبعد وفاته خلفه رودلفس الثاني ، الذي استمر في منصبه حتى سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٢٠م(٥). وبعد وفاته صار بطرس الاول بطريركا على انطاكية وذلك في سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٢٠م. ولما تولى ريموند كونت طرابلس انطاكية ، وقع خصام شديد بينه وبين هذا البطريرك فسجنه ، وتوفي في السجن سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م. وخلفه بطرس الثاني ، الذي أثبته البابا أنوسنت الثالث (اينوشنسيوس الثالث) (٥٩٥ - ٦١٣ هـ/ ١١٩٨ - ١٢١٦م) وأوصى بطاعته واحترامه ، وقد أعاقه المرض

---

(١) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب السادس - ص ٣٧٠
- خريبوستمس : المرجع السابق ص ٦٨١ .
(٢) - انظر حول تاريخ وفاته : المطران يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٦٩ .
(٣) - المطران يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٤) - انظر حول ذلك : وليم الصوري : المصدر السابق ج٢ - الكتاب الخامس عشر - ص ٧١٩ - ٧٢٠ .
- خريبوستمس بابا دوبولس : المرجع السابق ص ٦٨١ .
(٥) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٧٠ .

عن أن يشهد المجتمع اللاتراني الرابع الذي عقده البابا ... سنة ٦١٢ / ١٢١٥م، فأرسل نائباً عنه، ثم توفي سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م، وفرغ كرسي انطاكية من البطاركة حتى سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م. وكان يديره آنذاك كاهن اسمه بطرس من كابوا، فرقاه البابا المذكور الى مقام الكردينالية وأقام على الكرسي الانطاكي دنياريوس أحد كهنة الكنيسة الرومانية، ثم توفي دنياريوس سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م. وخلفه روبرتوس فدبر مهام هذا الكرسي من سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م . أو سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٧م الى سنة ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦م، ثم توفي في رومة [1]. فخلفه ايليا من رهبانية القديس عبد الاحد، وبعد وفاته صار كويستيانوس من هذه الرهبانية بطريركا على انطاكية، واستمر على كرسيها الى سنة ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨م، حين قتله عسكر الملك الظاهر بيبرس عند تحريرهم انطاكية [2].

٢ - بطركة بيت المقدس اللاتين :

كان آرنولف مايكون كى أول بطريرك لاتيني في بطريركية بيت المقدس، لكنه لم يستمر في منصبه طويلا، حيث بقي خمسة أشهر فقط وذلك سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م. فقد اعتبر اختياره لاغيا وغير شرعيا واختير بدلاً عنه دايمبرت رئيس أساقفة بيزا، وذلك بتدبير من دايمبرت نفسه وبيوهيموند - أمير انطاكية - [3] ولكن دايمبرت كان رجلاً جشعاً ومحباً للسيطرة وسرعان ما وقع في نزاع مع ملك بيت المقدس - بلدوين الاول - الذي قام بعزله سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م . وبذلك بقي دايمبرت في منصبه من سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م حتى سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م [4]. وأقيم مكانه ابرمار - رئيس أساقفة قيسارية - والذي يسميه وليم الصوري (الشاغل اللاشرعي) وذلك لانه شغل كرسي البطريركية مع وجود الشاغل الشرعي على قيد الحياة، وهو يقصد بذلك دايمبرت المطرود والمنفي [5]. وقد استمر ابرمار في منصبه الى سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٧م، حيث خلفه غبلين أو جيبالينس - رئيس أساقفة آرلز - الذي أرسله البابا الى الشرق لاجراء تحقيق بشأن قضية اختيار ابرمار بطريركا. وقد تم الاجماع على اختيار غبلين نفسه مكان ابرمار، وكان ذلك سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م . وقد

---

(١) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٥ .

(٢) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٦ .
حول بطاركة انطاكية زمن الاحتلال الصليبي انظر:
خريسوستمس بابا دوبولس : المرجع السابق من ص ٦٨١ حتى ص ٦٩٠ .

(٣) - انظر ما سبق ص ٢٥٩، وانظر: وليم الصوري: المصدر السابق ج١ الكتاب التاسع ص ٤٥٠.
- الكسندروس : المرجع السابق ص ٣٩٧ .

(٤) - وليم الصوري : المصدر السابق ج١ - الكتاب التاسع - ص ٤٦٦ .

(٥) - وليم الصوري: المصدر السابق ج١ - الكتاب الحادي عشر - ص ٥٢٤ .

وقد استمر غبلين في منصبه حتى سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١م حيث توفي[١]. وهنا خلفه أرنولف مارلكون - أول بطريرك لاتيني في بيت المقدس - وكان أرنولف في هذه المدة يشغل منصب رئيس شمامسة القدس. وقد استمر أرنولف في منصبه من سنة ٥٠٥ - ٥١٢ هـ/ ١١١١- ١١١٨م. حيث توفي فخلفه كورماندس أو غورموند، من مدينة (Pecguini) الواقعة في أسقفية أفنر. بقي غورموند هذا في منصبه عشر سنين من سنة ٥١٢ - ٥٢٢ هـ/ ١١١٨-١١٢٨م[٢] ثم اختير ستيفن - من أهالي تشارترز - ومن أقرباء الملك بلدوين الثاني وشغل ستيفن كرسي البطريركية من سنة ٥٢٢ - ٥٢٥ هـ/ ١١٢٨ - ١١٣٠م. وقد قامت عداوة خطيرة بينه وبين الملك بلدوين الثاني، حيث كانت آراؤه وأفكاره مشابهة لافكار دايمبرت في المطالبة بربع مدينة يافا، وكذلك طالب بمدينة عسقلان عندما يتم سقوطها بأيدي الفرنج[٣].

وبعد ستيفن صار وليم - رئيس كنيسة القيامة - وهو من أهالي مالينز، بطريركا على بيت المقدس، وقد استمر في منصبه حتى سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م[٤]. حيث توفي فخلفه فولتشر أو فولكاريوس - رئيس أساقفة صور - وقد توفي سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م[٥]، فخلفه أمالرك أو الماريكس - رئيس شمامسة كنيسة القيامة - وقد كان فرنجي المولد من مدينة نسله الواقعة في أسقفية نيون[٦]. وقد توفي سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م فخلفه هرقل، الذي كان رئيس أساقفة قيسارية، وقد اعترض وليم الصوري - المؤرخ المشهور ورئيس أساقفة صور - على اختيار هرقل، فقد كان وليم نفسه مرشحاً لهذا المنصب. وكان من المعتاد بالنسبة لرجال الدين أن يقدموا اسمين الى الملك لاختيار أحدهما، ففاز هرقل المرشح الثاني[٧]. وفي أيام هرقل حرر صلاح الدين الايوبي مدينة القدس من الفرنج الصليبيين. وقد توفي البطريرك هرقل سنة ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م. وبقي كرسي بطريركية بيت المقدس شاغرا الى سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤م حين انتخب موناماكس، الذي سماه البعض أموري أو الماريك وكان أسقفا على قيسارية، وقد توفي سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م وقيل سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢[٨]. واختير

---

(١) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٧١ .
(٢) - وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ الكتاب الثالث عشر - ص ٦٤٤ .
(٣) - وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ الكتاب الثالث عشر - ص ٦٤٤ - ٦٤٥ .
(٤) - وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ الكتاب الثالث عشر - ص ٦٤٨.
(٥) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٧١ .
(٦) - وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ الكتاب الثامن عشر - ص ٨٥٧.
(٧) - وليم الصوري: المصدر السابق ج٢ الكتاب الثاني والعشرون - ص ١٠٢٢ .
يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٧١ .
(٨) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ١٧١ .

بعده البرتس سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م، وقد كان أسقفاً في ايطاليا وقد ثبته البابا انوسنت الثالث، ويقال أن هذا البطريرك كان محبوباً حتى من قبل الصليبيين وبالرغم من ذلك مات البطريرك البرتس هذا غيلة سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤م، وانتخب بعده كاتاروس أو لوتاروس - أسقف عكا - وبعضهم يقول أسقف بيزا، وكان قد أتى مع جماعة من أبناء أبرشتيه لنجدة الفرنج بفلسطين، فاختير بطريركا بيت المقدس سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م، ثم توفي فخلفه رودرلفوس (رودلف) واستمر في البطريركية الى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م فخلفه جيرالدوس[1]. وفي أيامه أتى فردريك الثاني امبراطور المانيا الى فلسطين، فشكا البطريرك الى البابا بأنه كان يعيبه بعقده - أي الامبراطور فردريك - الهدنة مع السلطان الايوبي الكامل، فاستدعاه البابا ونبهه بألا يتدخل بأعمال هذا الامبراطور، وقد توفي البطريرك رودلفوس سنة ٦٣٧ هـ/ ١١٣٩م. وبعد وفاته طلب مجمع كنيسة بيت المقدس الى البابا أن يرسل اليهم الكردنيال يعقوب دي فيتري، الذي كان قبلا أسقفا على عكا، فلم يجب البابا غريغوري التاسع (٦٢٥ - ٦٣٩ هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٤١م) الى طلبهم، ونصّب بطريركا على بيت المقدس سماه بعضهم روبرتس وبعضهم كويدن[2] وقد توفي سنة ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤م. فخلفه يعقوب الذي أكمل تاريخ وليم الصوري الذي أتى الى عكا سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م وعاد الى الغرب سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م، وقد توفي البابا فانتخب يعقوب هذا بابا وسمي أوربانوس الرابع وقد توفي سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م. وكان قد اختير لكرسي بطريركية بيت المقدس وليم - فسار الى عكا سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣م، ومضى الى قبرص سنة ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٧م فتوج جي لوزينيان ملكاً عليها[3]، ثم توفي سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م. وخلفه توما سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م، وقيل بأنه توفي عند وصوله الى عكا سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م وقيل أيضا بل بقي حيا الى سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م، فانتخب خلفاً له ايكلاريوس - رئيس أساقفة نابولي - فلم يثبته البابا نيقولاوس الثالث (٦٧٦ - ٦٧٩ هـ/ ١٢٧٧ - ١٢٧٠م) بل انتخب مكانه يوحنا رئيس رهبانية القديس عبد الاحد، فاستعفى، فعدل البابا الى انتخاب ايليا سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م[4]، وقد توفي ايليا سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧م أو سنة ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨م. فاختار

---

(١) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٦ .

(٢) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٧ .

(٣) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٧ .

(٤) - يوسف الدبس : المرجع السابق ص ٣٤٧ .

بعده البرتس سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م، وقد كان أسقفاً في ايطالية، وقد ثبته البابا انوسنت الثالث ، ويقال أن هذا البطريرك كان محبوباً حتى من قبل العرب المسلمين ، وبالرغم من ذلك مات البطريرك البرتس هذا غيلة سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤م، وانتخب بعده كاتاروس أو لوتاروس - أسقف عكا - وبعضهم يقول أسقف بيزا، وكان قد أتى مع جماعة من أبناء أبرشتيه لنجدة الفرنج بفلسطين ، فاختير بطريركا بيت المقدس سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م، ثم توفي فخلفه رودرلفوس (رودلف) واستمر في البطريركية الى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م فخلفه جيرالدوس[1]. وفي أيامه أتى فردريك الثاني امبراطور المانيا الى فلسطين ، فشكا البطريرك الى البابا بأنه كان يعيبه بعقده - أي الامبراطور فردريك - الهدنة مع السلطان الايوبي الكامل ، فاستدعاه البابا ونبهه بألا يتدخل بأعمال هذا الامبراطور، وقد توفي البطريرك رودلفوس سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م. وبعد وفاته طلب مجمع كنيسة بيت المقدس الى البابا أن يرسل اليهم الكردنيال يعقوب دي فيتري، الذي كان قبلا أسقفا على عكا ، فلم يجب البابا غريغوري التاسع (٦٢٥ - ٦٣٩ هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٤١م) الى طلبهم ، ونصّب بطريركا على بيت المقدس سماه بعضهم روبرتس وبعضهم كويدن[2] وقد توفي سنة ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤م. فخلفه يعقوب الذي أكمل تاريخ وليم الصوري الذي أتى الى عكا سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م وعاد الى الغرب سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م، وقد توفي البابا فانتخب يعقوب هذا بابا وسمي أوربانوس الرابع وقد توفي سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م. وكان قد اختير لكرسي بطريركية بيت المقدس وليم - فسار الى عكا سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣م، ومضى الى قبرص سنة ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٧م فتوج جي لوزينيان ملكاً عليها[3]، ثم توفي سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م. وخلفه توما سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م، وقيل بأنه توفي عند وصوله الى عكا سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م وقيل أيضا بل بقي حيا الى سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م، فانتخب خلفاً له ايكلاريوس - رئيس أساقفة نابولي - فلم يثبته البابا نيقولاوس الثالث (٦٧٦ - ٦٧٩ هـ/ ١٢٧٧ - ١٢٧٠م) بل انتخب مكانه يوحنا رئيس رهبانية القديس عبد الاحد ،فاستعفى، فعدل البابا الى انتخاب ايليا سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م[4]، وقد توفي ايليا سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧م أو سنة ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨م. فاختار

---

(١) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٦ .
(٢) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٧ .
(٣) - يوسف الدبس : المرجع السابق ج٦ ص ٣٤٧ .
(٤) - يوسف الدبس : المرجع السابق ص ٣٤٧ .

البابا نيقولاوس الرابع (٦٨٧ - ٦٩٢ هـ/ ١٢٨٨ - ١٢٩٢م) نيقولا الاول [illegible] انية القديس عبد الاحد. بطريركا على بيت المقدس . ولما حاصر السلطان الملك الأشرف عكا وفتحها سنة ٦٩١ هـ/ ١٢٩١م ، ألح الفرنج على البطريرك أن يفرّ بسفينة ، وأكرهوه أن ينزل بها ، فأخذ معه كثيرين ممن لا تطيق السفينة حملهم ، فغرقت بهم جميعا (١).

(١) - يوسف الدبس : المرجع السابق ص ٣٤٨ .

الخاتمـــــة

وفي ختام هذا البحث،ومن خلال المعلومات التي توفرت فيه ،يمكن القول بـــأن الامارات الفرنجية الصليبية التي اقيمت على ارض بلاد الشام في القرن السادس والسابع للهجرة / الثاني والثالث عشر للميلاد ،طُبِّقت نظماً اادارية وسياسية لم تختلف كثيـرا عن النظم التي عرفتها وعاشت في ظلها في الغرب الاوربي قبل غزو الشرق. او بعبارة اخرى،نقل الفرنج الصليبيون الى الشرق العربي الاسلامي نظمهم الادارية والسياسيـــة القائمة على اساس اقطاعي،بعد ان عدّلوها بما يناسب طبيعة الشرق وأحوال سكانـــه، والنظم الادارية القائمة فيه.

وبشكل عام فان الاساس الاقطاعي الذي بنى عليه الفرنج الصليبيون نظامهـــم السياسي والاداري،حمل كثيرا من التناقضات وعوامل التفكك ،التي ظهر تأثيرها السلبـي والهدّام في مراحل ضعف المملكة والامارات. فزادت الضعف ضعفا.

فالدويلات التجارية الايطالية ،شكلت قومونات مستقلة ،لها ادارتها الخاصة وسياستها الخاصة ضمن مدن المملكة والامرات الاخرى.

والمنظمات الدينية العسكرية "لاسيما الاسبتارية والداوية" كانت بمثابة دولـة داخل الدولة لاتتقيد بسياسة الدولة الفرنجية ولاتأتمر بأمرها.

اما امراء الامارات فكانوا ملوكا في اماراتهم. بل فاقوا الملك نفسه في سلطاتهم وصلاحياتهم. ومِثْلهم تقريبا كان حال الامراء الكبار "البارونات" ضمن مملكة بيت المقدس فقد اعتبروا أنفسهم مساوين للملك،وكان لهم من الصلاحيات ما حدّ من نفوذه وسلطته.

ثم كان هناك خليط السكان الذي ضمته تلك الدويلات الفرنجية "المملكة والامرات"،فقـد تعددت فيه الجنسيات والاديان والمذاعب ،مما ادى الى التناحر والتنافس فيما بينهـا وبالرغم من ذلك كله ،كان ملك بيت المقدس يحاول دائما ان تكون له السيادة المطلقـة والكلمة العليا في تلك الامارات. وهو ان حقق شيئا من ذلك في البداية ،لكنه سرعـان ماظهر ضعيفا عاجزا مقيدا بشتى انواع القيود.

وفوق ذلك،كان التناقض والاختلاف بين الفرنج المستوطنين في الشرق،والفرنـج القادمين حديثا،والذين لم يتقيدوا بآراء ملك ولا بسياسة المملكة او الامارات يضـاف الى ذلك نظام وراثة العرش الذي يخوّل للانثى ان تصل اليه،وهذا ماادى الى اضعاف العرش في أحرج الاوقات.

كل هذه العوامل التي اخذت تفتّ في عضد الكيان الفرنجي الصليبي،كانت من جانـب واحد هو الجانب الفرنجي،فاذا اضفنا لها الجانب الآخر،وأقصد بذلك الجانب العربـي

الاسلامي، الذي ما ان استفاق من غفلته حتى اخذ يكيل الضربات ... لتلك الدويلات ، وادركنا في النهاية كم كان صعبا وضع تلك الامارات القريبة الغريبة في بلاد شرقية اسلامية . ولهذا كان بديهيا ان تلك الامارات لن تعيش طويلا. وقد أحس الفرنج بذلك منذ البداية ، فسرعان ماعقدوا الهدن مع الحكام المسلمين المجاورين منذ بداية استقرارهم في المشرق العربي، ليأمنوا خطرهم من جهة ويتفرغوا لامورهم الداخلية من جهة اخرى.

كما اكثروا من بناء القلاع والحصون ، لانها الوحيدة القادرة على حمايتهم وقت الخطر. وبالاضافة الى ذلك عملوا دائما على تأليب الحكام المسلمين على بعضهم البعض، وعملوا كل مافي وسعهم لمنع ارتباط دمشق بالقاهرة ، واقامة الوحدة بينهما .

لكن ذلك كله لم يجدهم نفعا ، فقد تمت تلك الوحدة ، وتم بعدها النصر والجلاء .

وبالاضافة الى ذلك، طبق الفرنج نظاما جديدا في اماراتهم يؤمن لهم الامن والربح.. واتصد بذلك نظام بلاد المناصفات، تلك البلاد الحدودية ذات الاوضاع المضطربة ، بسبب كثرة الصراع والقتال بين الفرنج الصليبيين والعرب المسلمين، فكان الحل الوحيد لها هو اقتسام دخلها وادارتها بين الطرفين.

وبذلك كان نظام المناصفات دليلا على قيام نوع من التفاهم الودي الذي اقتضته الضرورة ، وتطلبته مصلحة الطرفين المتصارعين. وهو نظام فريد من نوعه ، نادر" ا مايتسم التعامل به بين حاكم ومحكوم.

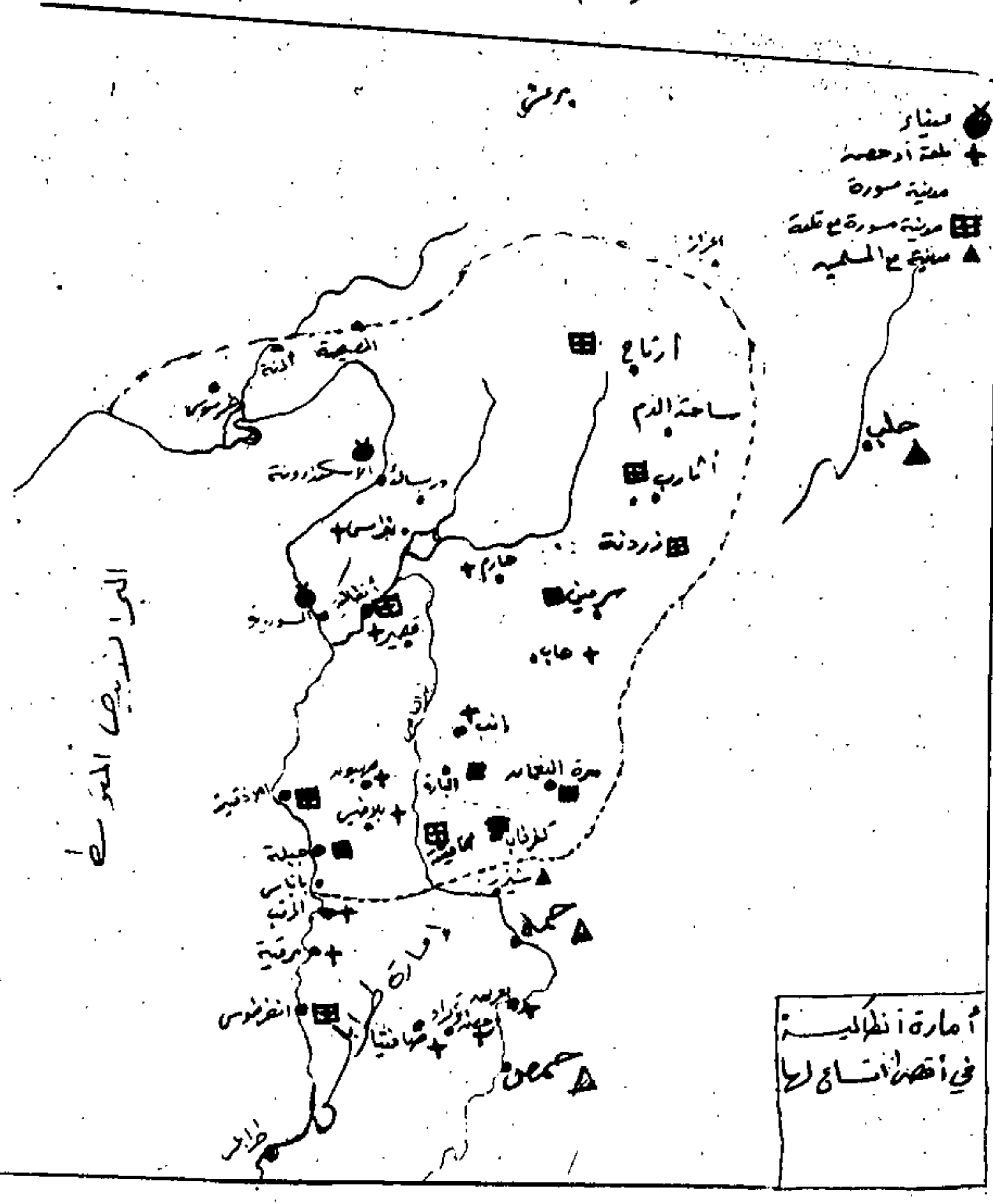
تلك كانت اهم النقاط التي تم بحثها ودراستها في هذه الرسالة ، بالاضافة الى نقاط اخرى اقل اهمية .

وارجو ان اكون قد وفقت في ذلك.

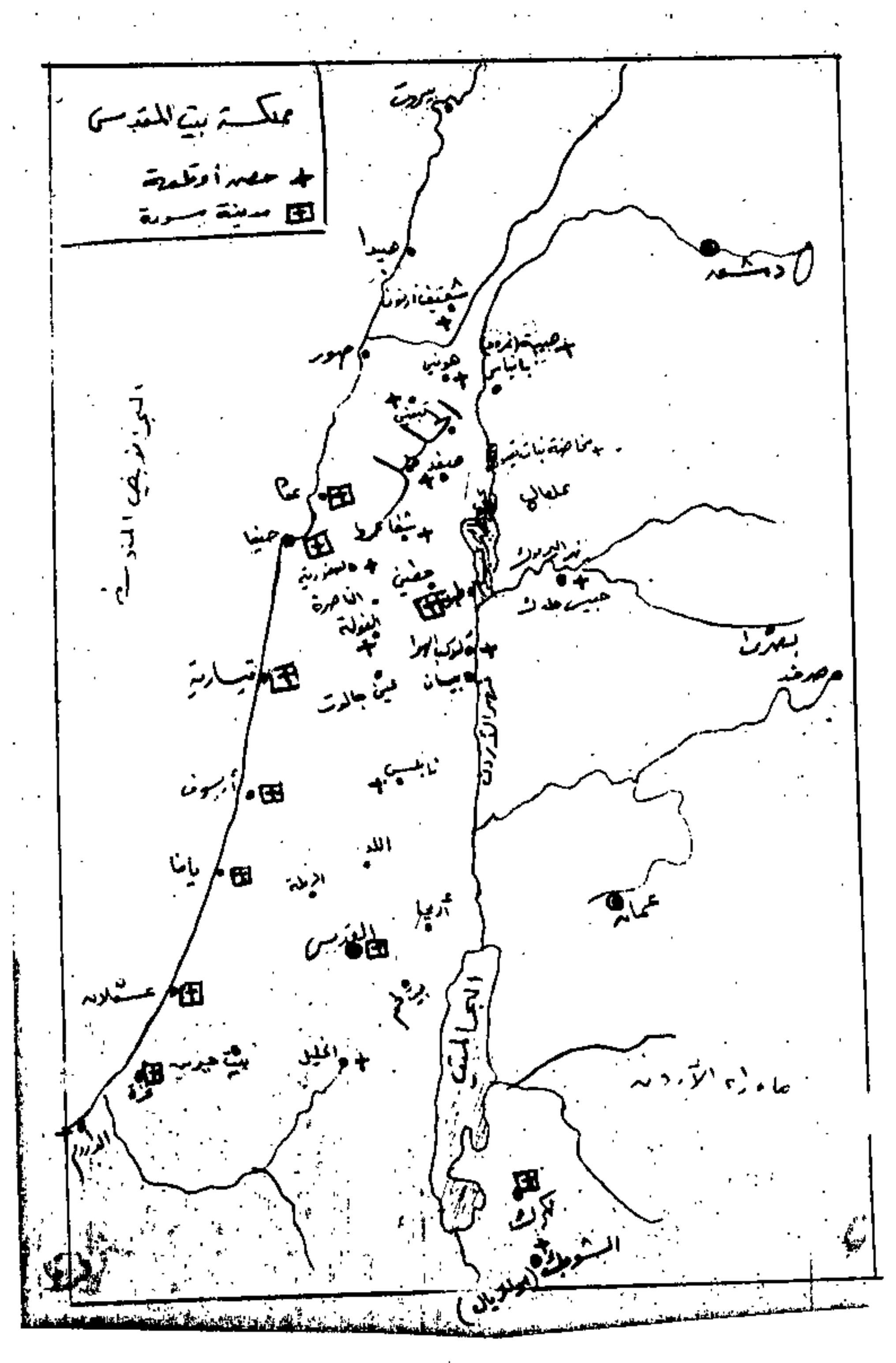
رقم (١)



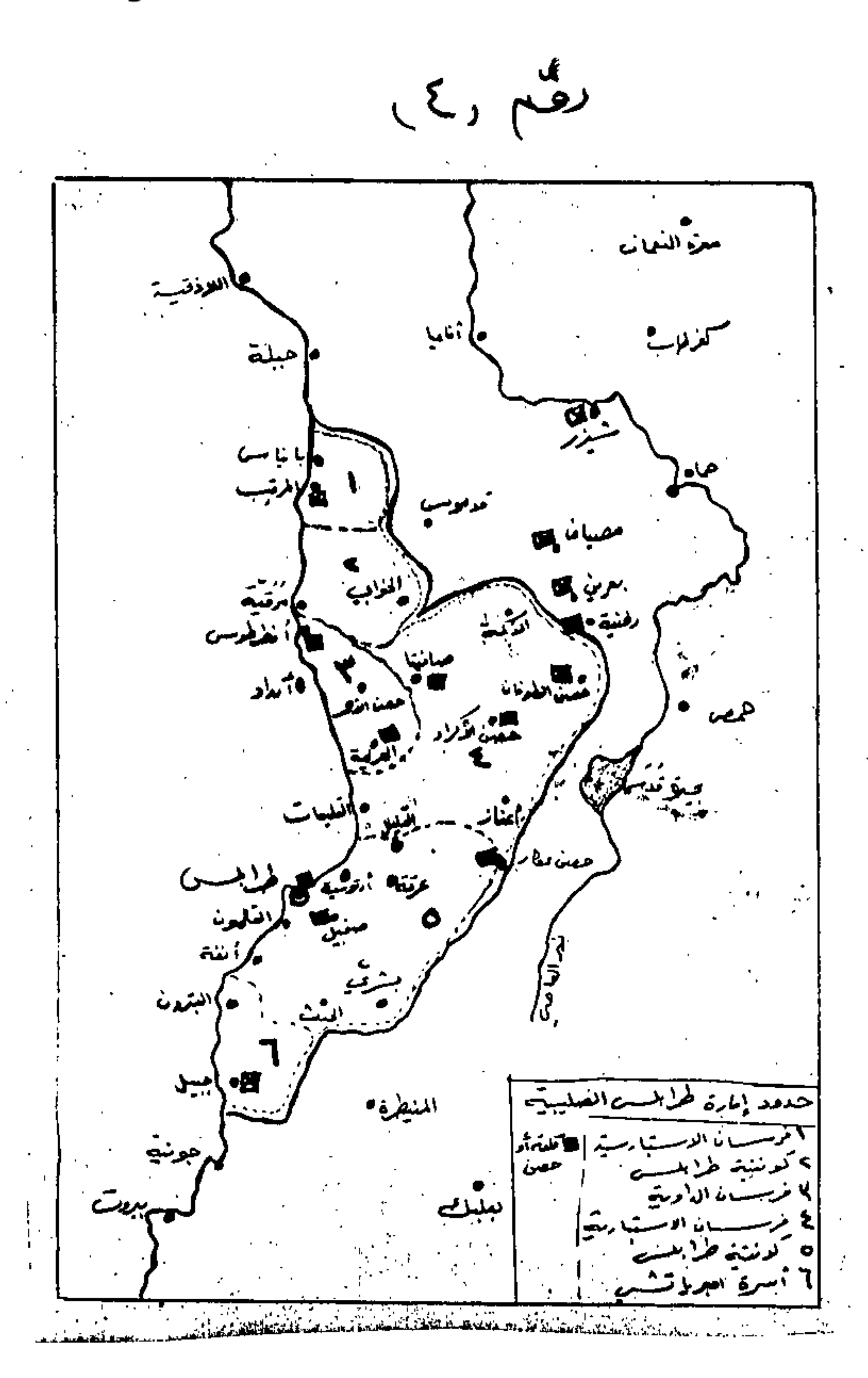
رقم «٢»


ميناء
قلعة أو حصن
مدينة مسورة
مدينة مسورة مع قلعة
حلب
ارتاح
ساحة الدم
زردنا
سرمين
الاسكندرونة
انطاكية
البحر المتوسط
معرة النعمان
البارة
كفرطاب
شيزر
حماه
حمص
اللاذقية
جبلة
بانياس
مرقية
انطرطوس
طرابلس
أمارة انطاكية
في أقصى اتساع لها

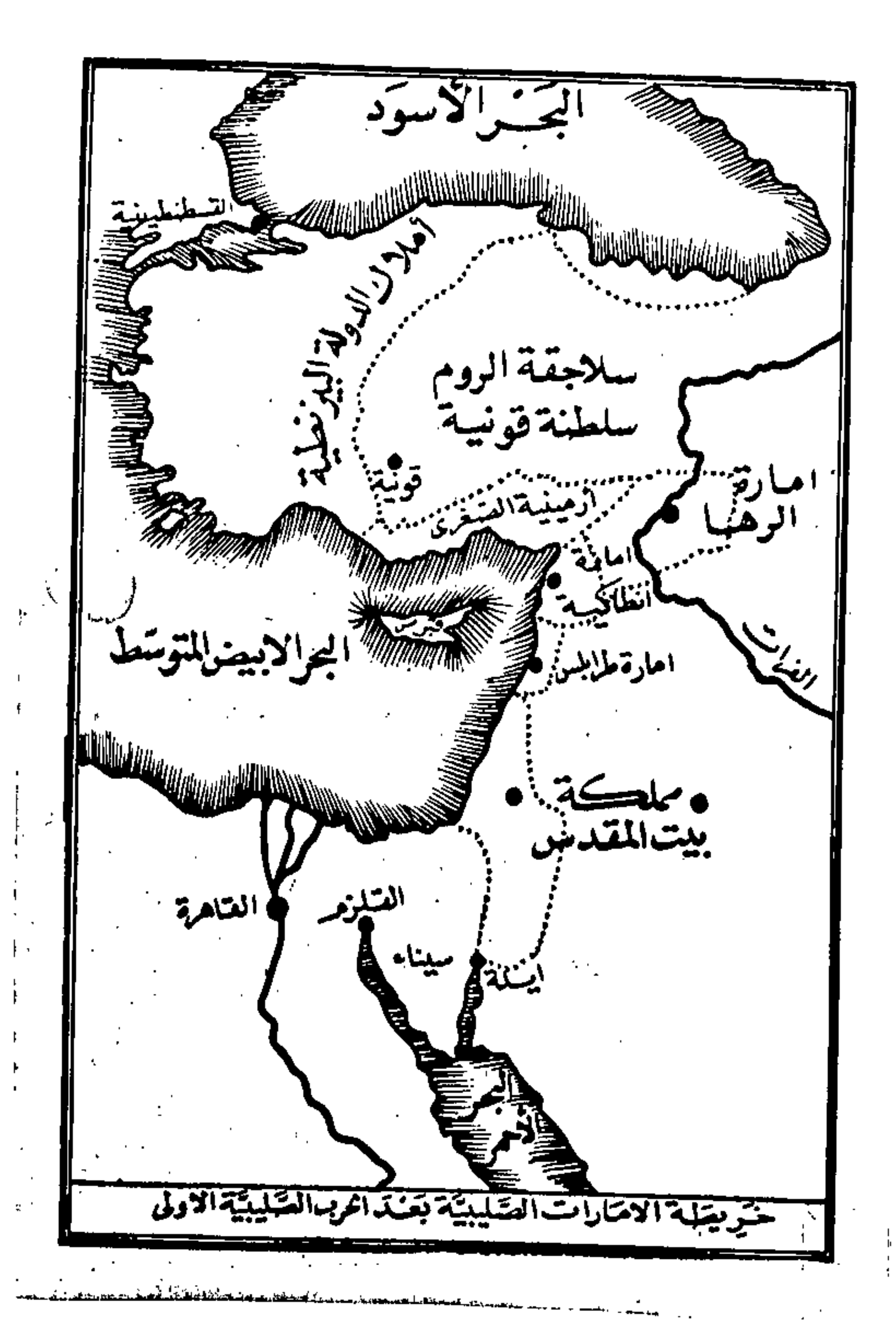
رقم « ٣ »


مملكة بيت المقدس
حصن أو قلعة
مدينة مسورة
بيروت
صيدا
صور
دمشق
عكا
حيفا
قيسارية
أرسوف
يافا
القدس
عسقلان
غزة
الداروم
الخليل
بيت جبرين
نابلس
بيسان
عين جالوت
طبرية
عجلون
عمان
الكرك
الشوبك
البحر الميت
نهر الأردن
بصرى
صرخد
بانياس
هونين
صفد
اللد
الرملة
أريحا
البحر الأبيض المتوسط

رقم (٤)

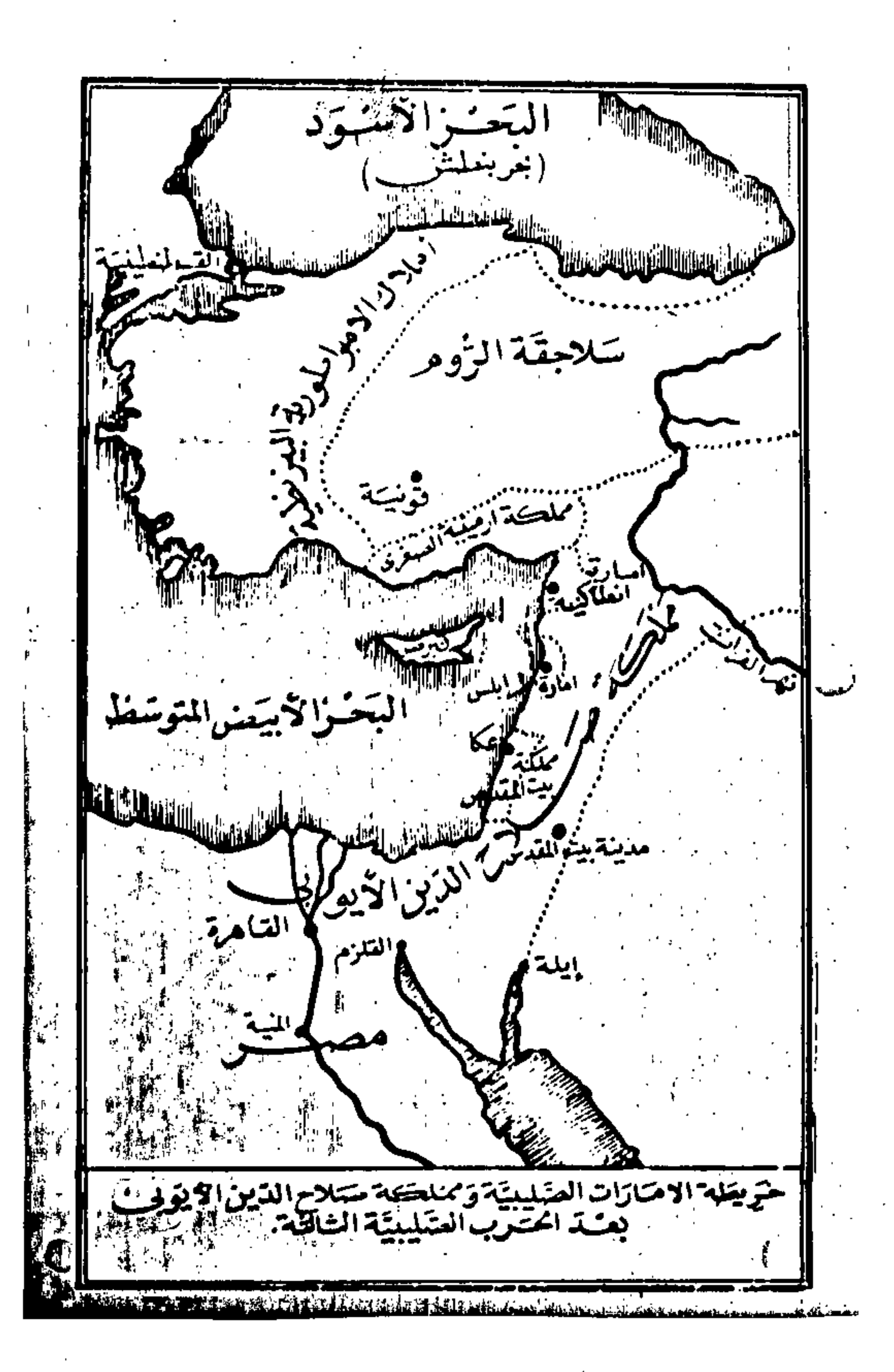

معرة النعمان
اللاذقية
كفرطاب
جبلة
شيزر
بانياس
المرقب
حماه
مصياف
بعرين
رفنية
مرقية
الخوابي
انطرطوس
صافيتا
حصن الأكراد
حمص
القليعات
حصن عكار
طرابلس
عرقة
أنفة
البترون
بشري
جبيل
المنيطرة
جونية
بيروت
بعلبك
حدود إمارة طرابلس الصليبية
١ فرسان الاسبتارية
٢ كونتية طرابلس
٣ فرسان الداوية
٤ فرسان الاسبتارية
٥ كونتية طرابلس
٦ أسرة امبرياتشي
قلعة أو حصن

رقم (٥)



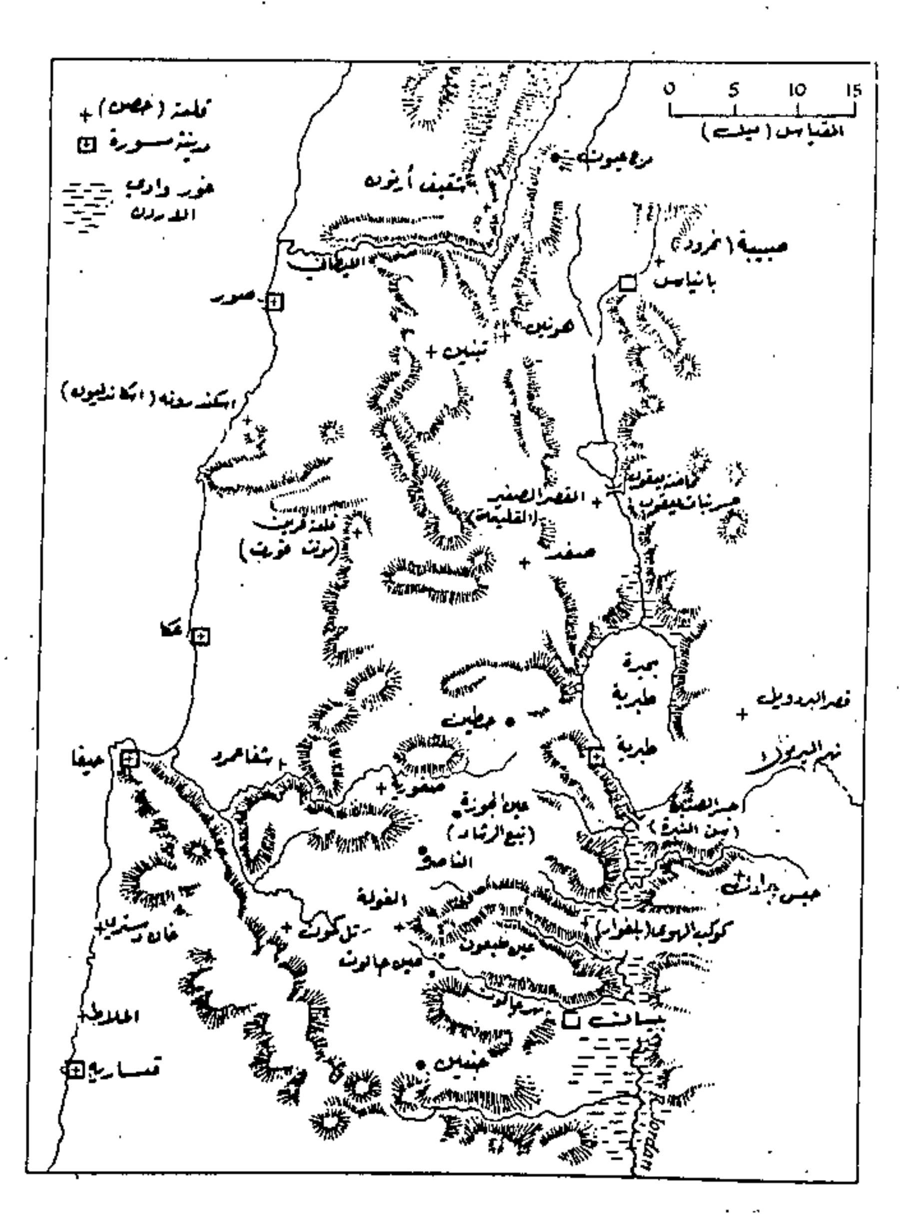
خريطة الامارات الصليبية بعد الحرب الصليبية الاولى

رقم (٦)



خريطة الإمارات الصليبية ومملكة صلاح الدين الأيوبي بعد الحرب الصليبية الثالثة.

رقم (٧)



خريطة الجليل

ملاحق البحث

ـ أُخذ الملحقان الأول والثاني من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ الجزء الأول. القسم الثالث الطبعة الثانية ـ القاهرة . أمّا الملاحق الأخرى فقد أُخذت من كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي . الجزء الرابع عشر منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر .

الملحق رقم « ١ »

نص شروط الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاون وبيت الاسبتار . وإمارة طرابلس فى المحرم سنة ٦٨٠ هـ (أبريل ١٢٨١ م) ، وهو منقول من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، ج ٩ ، ص ١٢٤ ا ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المتحف البريطانى بلندن ، مكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٤٠٢٨) . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ١٢٧٨ ، وما بعدها) .

(ص ١٢٤ ا) ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج على ما نذكر . وفيها تقرّرت الهدنة بين السلطان وولده معا ، وبين مقدّم بيت الاسبتار وجميع الإخوة الاسبتارية ، لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات ، أول

---

(١) أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠ – ٢٩١) هذا النص باختصار قليل ، تحت أخبار السلطان المنصور قلاون .

(٢) انظر ص ٦٨٥ ، سطر ١٠ ، وحاشية ٥ بنفس الصفحة .

ذلك يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ثمانين وستمائة ، الموافق الثالث من شهر إيار سنة (ص ١٢٤ ب) ألف وخمسمائة [و] اثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلبُّس اليونانى ، على جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع ، والمدن والحصون والبلاد والقرى ، والمزارع والأراضى والموانى والجسور ، والمراسى والثغور ، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة ، وعلى التجار والمسافرين فى البر والبحر والسهل والجبل، فى الليل والنهار ، وعلى قلعة المرقب وربض المرقب بحقوقه وحدوده .

وتقرّرت الهدْنةُ مع متملك طرابلس بيمُند بن بيمند ، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضُها بعضاً ، أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة [و] اثنتين وتسعين للإسكندر ، وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية . وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح أعز الله نصرهما ، قريبها وبعيدها ، سهلها وجبلها ، غورها ونجدها ، قديمها ومستجدّها ، وما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها من المملكة البعلبكية جميعها ، وجبالها وقراها الرّحلية[1] والجبلية ، أوجبال الضَّنّيِّين[2] والعضيين[3] وما هو من جملتها وحقوقها ، وعلى الفتوحات المستجدّة : وهى حصن الأكراد وبلاده وافليس[4] وبلادها ، والقليعات وبلادها ، وصافيتا (ص ١٢٥ ا) وبلادها ، وميعار وبلادها ، وأطليعا وبلادها ، وحصن عكار وبلاده ، ومراقية ومدينتها وبلادها ومناصفاتها : وهى بلاد اللكمة[5] [وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها] ، ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته[6] وبلاها ، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى ، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها ، وقرفيص[7] وبلادها ، وجبلة وبلاد اللاذقية وأنطاكية وبلادها ، والسويدية وميناؤها ، وحصن بغراس وبلاده ، وحصن دير كوش وبلاده وشقيف تاميس وبلاده ، وكفر دنين وبلاده ، والدربساك وبلاده ، وثغرى الشغر

(١) كذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) ، والنويرى (ص ٢٧٨ ا) ، ولعل المقصود بالقرى الرحلية ما كان منها على طريق القوافل والرحلة . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) مضبوط هكذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) .

(٣) كذا أيضاً فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٤) كذا فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) ، وهى بغير نقط البتة فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) .

(٥) كذا فى المرجعين ، وقد أضيف ما بين القوسين من النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٦) فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٥ ا) "والديتها" ، والرسم المثبت هنا من النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٧) فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) "وقرقص" .

وبكاس وبلادهما ، والقصير وبلاده ، وصهيون وبلادها ، وبرزية وأعمالها ، والقلعية وأعمالها ، وعيدوا[1] وأعمالها ، ومصياف وبلادها ، وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع : وهي القدموس والكهف والمينقة والخوابي والرصافى والتايعة والعليقة ؛ والمملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها ، وشيزر وأبو قبيس وبلادها ، والمملكة الحموية وبلادها ، والمملكة الحمصية وبلادها ، وجميع ما لمولانا السلطان من ممالك وحصون وبلاده ، وقلاع وثغور وأبراج ، وموانى وسواحل وبرور وأنهار ، وبساتين ومصايد وملاّحات ، وسهل وجبل وعامر ودائر ، وجميع الأمطار مصريها وشاميّها وساحليها وحجازيّها وغربها وشرقها (ص ١٢٥ ب) وما سيفتحه الله على يده ويد ولده ويد عساكرهما وجنودهما من الممالك والحصون ؛ وعلى بلاد الإبرنس : وهي طرابلس وما هو داخلٌ بها ومحسوب منها ، وانفه[2] وبلادها ، وجبيل وبلادها ، ومدينة البترون وأعمالها ، وصنم جبيل وبلاده ، وعرقا وبلادها المعينة فى الهدنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية ، وما هو الخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلداً ، وما هو الفارس روجار[3] دلالولاى من قبلى طرابلس يكون مناصفة ، وعلى أن يستقرّ برج اللاذقيّة وما تجدّد فيه لخاص الإبرنس .

ويستقرّ النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية وميناها فى استخراج الحقوق والجبايات والغلاّت وغيرها مناصفات ، ويستقرّ مقامهم بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية [بيبرس] ، وكذلك فى رعايا مدينة اللاذقية وبلادها ، على ما تضمنّته الهدنة الظاهرية (بيبرس) ، وعلى أن يكون على جسر أرتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلاّت[4] ستة عشر نفراً : وهم المشدّ وغلامه ، والشاهد وغلامه ، والكاتب وغلامه ، وعشرة أنفار رجّالة فى خدمة المشد ، ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنون فيها على العادة . ولا يحصل منهم مضرّة لرعية الإبرنس ، وأن يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ، وألا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها ، وما يعبر من غلالها ومن أراضيها ، مما يستغلّ منها ومن بلادها على ما تشهد به الهدنة ، من (ص ١٢٦ ا) الصيفى والشتوى ، وغير ذلك مما يتعلّق بعرقا وبلادها ، لا يعارضهم المشد فيه وما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق ،

---

(١) كذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٥ ا) .
(٢) كذا أيضاً فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) .
(٣) كذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٥ ب) ، وهو فى النويرى (ص ٢٧٨ ب) "روجا دلالولاى" .
(٤) ليس لهذا اللفظ وجود فى النويرى (ص ٢٧٨ ب) .

ولا تدخل إلى طرابلس غلة محميّة باسم البرنس ولا أصحابه إلا [و] تؤخذ الحقوق عليها ؛ وعلى أن الإبرنس لا يستجدّ خارج مدينته ، ولا فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها بناء يمنع ويدفع ؛ وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة من الأخرى . وكذلك مولانا السلطان لا يستجدّ بناء قلعة ينشئها من الأصل مجاورة للبلاد التى وقعت الهدنة عليها ، ولا يُنتقض ذلك بموت أحد من الجهتين ولا بتغيّره ، ولا برجل(١) غريبة من الفرنج أو التتار بل تكون هذه الهدنة باقية . ومتى جاءت رجل غريبة يداريهم عن بلاده وعن نفسه ، ولا يدخل فى مشورة تؤدّى إلى اعتماد سوء أو مكروه ولا يحسن لأحد من أعـداء مولانا السلطان ، ولا يتّفق عليه برمز ولا خط ، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة . فتقرّر الحال على ذلك ، وعادت رسل كل جهة إليها .

الملحق رقم «٢»

ملحق[١] رقم ٨

نص الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاون وفرنج[٢] عكا ، فى خامس ربيع الأول سنة ٦٧٢ هـ (٣ يوليه ، ١٢٨٣ م) ، وهو منقول من ابن الفرات (تاريخ الدول[٣] والملوك ، ج ١٤ ، ص ١٨٨ – ١٩٥ . صور شمسية من نسخة فينا ، بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٢٩٧ ، تاريخ) . انظـــر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. I. PP. 179 et Seq) ، حيث نقل هذا النص من كتاب اسمه ســـيرة السلطان قلاون[٤] ، مع بعض إضافات وتعديلات من ابن الفرات ، ومصحوبا بترجمة إلى الفرنسية . (PP. 224 et seq) .

(ص ١٨٨ ا) وفى يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة جرت الهدنة بين [السلطان] الملك المنصور [قلاون] وبين الحكام بعكا ، على ما تقرّر بينه وبينهم فى شرحها ، وصورتها :

استقرّت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاون الملكى الصالحى وولده السلطان (ص ٨٨ ب) الملك الصالح علاء الدين علىّ ، خلّد الله سلطانهما ، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، وهم : السنجال[٥]

(١) انظر ص ٧١٣ ، سطر ١٠ ، وحاشية ٤ بنفس الصفحة .

(٢) المقصود بفرنج عكا هنا مملكة بيت المقدس الصليبية ، وكانت قد ظلت اسماً يطلق على ما بقى لها من البلاد بالشام ، وهى عكا وعثليث وصيدا وما حولها ، وكان ملكها تلك السنة شارل الأنجوى (Charles of Anjou) . وهو ملك صقلية أيضاً ، وكان نائبه بالشام أودو پولشيان (Odo Pollechien) ، وهو الذى تولى مفاوضة السلطان فى الهدنة ، كما سيلى بالمتن . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 284; Stévenson : Crusaders In The East. P. 346.)

(٣) يقوم على نشر هذا الكتاب ، منذ سنة ١٩٣٦ ، الدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذة التاريخ الشرقى بجامعة بيروت الأمريكية ، والدكتورة نجلا عز الدين بدائرة التاريخ بكلية البنات الأمريكية ببيروت ، فى سلسلة العلوم الشرقية ، رقم ٩ ، ١٠ .

(٤) انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 158. N. 1.) ، حيث ذكر أن هذا النص منقول من كتاب سيرة السلطان قلاون .

(٥) هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنســـية (sénéschal) ، المأخوذة من اللفظ اللاتينى (senescallus) ، وهو الأقرب إلى لفظ السنجال ، ومعناها هنا النائب – أو الكفيل ، على حد التعبير العربى فى ذلك العصر – ، والمقصود به أودو پولشيان (Odo Pollechien) ، نائب المملكة بعكا . انظر حاشية ٢ .

أود كفيل المملكة بعكا ، وحضرة المقدم عبد الجليل إفرير[١] كليام ديباجوك[٢] مقدّم بيت الديوية ، والمقدم إفرير نيكول ليالُورْن[٣] مقدّم بيت الاسبتار ، [و] المرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الاسبتار الأمن[٤] ، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول ، سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية ، صلوات الله على صاحبها وسلامه ، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة [و] أربعة وتسعين للإسكندر [بن] فيلبس اليوناني ، على جميع بلاد السلطان [الملك المنصور] وولده ، وهي التي في تملكهما وتحت حكمهما وطاعتهما ، وتحويه يدهما يومئذ من جميع الأقاليم والممالك والقلاع والحصون ، والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضي ، وهي[٥] مملكة الديار المصرية حرسها الله تعالى ، وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية ، وثغر دمياط وثغر الإسكندرية المحروسين ، ونستروه وسنتريه ، وما ينسب إليها من المواني والسواحل والبرور ، وثغر فوّة وثغر رشيد ، والبلاد الحجازية . وثغر غزة المحروس ، وما معها من المواني والبلاد ، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها ، والصلت وأعمالها ، وبصرى وأعمالها ، ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه ، ومملكة القدس الشريف وأعمالها ، والأردن وبيت لحم وأعماله وبلادها ، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها ، ومملكة يافا والرملة وميناؤها [وأعمالها] ، وقيسارية وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها ، وبيت جبريل ، ومملكة نابلس وأعمالها [ومملكة الأطرون[٦] وأعمالها] (ص ١٨٩) وميناؤها وسواحلها وأعمالها ، وأرسوف وأعمالها ، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها ، ولدّ وأعمالها وأعمال العوجاء وما معها من الملاّحة ، و[بلاد] الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها[٧] ، [وبيسان وأعمالها وبلادها ، والطور وأعمالها ، واللجون وأعمالها ،

---

(١) هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (frère) ، ومعناها الأخ عامة .

(٢) المقصود بهذا الاسم (Guillaume de Beaujeu) . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 226.)

(٣) المقصود بهذا الاسم (Fr. Nicholas Le Lorgne) . انظر (King : Op. Cit. p. XV).

(٤) كذا في الأصل ، والمقصود لفظ الألمان ، وكان مقدم هذا الفرع من الاسبتارية (Conrad) انظر (Quatre Op. Cit. II. 1. p. 226) .

(٥) سيلاحظ القارئ أن السطور التالية تشمل ثبتا دقيقاً لدولة المماليك بمصر والشام . في عهد السلطان قلاوون .

(٦) أضيف ما بين الأقواس من النص الوارد في (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 179) .

(٧) يلي هذا في نص ابن الفرات العبارة التالية ، "وذكر بقية بلاد الإسلام التي هي في مملكته ...

وجينين وأعمالها ، وعين جالوت وأعمالها ، والقسمون (كذا) وأعماله ، وما ينسب إليه ، وطبرية وبحيراتها وأعمالها وما معها ، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها ، وتبنين وهونين وما معها من البلاد والأعمال ، والشقيف المعروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمال وما هو منسوب إليه ، وبلاد القرن وما معه خارجاً عما عين في هذه الهدنة ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف ضيعة مارن ، بقراهما وكرومهما وبساتينهما وحقولها ، وما عدا ذلك من أعمال إسكندرونة المذكورة ، يكون جميعه بحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده ، والنصف لمملكة عكا ، والبقاع العزيزي وأعماله ، ومشغر وأعمالها ، وشقيف تيرون وأعماله ، والمغاير جميعها — زلايا وغيرها ، وبانياس وأعمالها ، وقاعة الصبيبة وما معها من البحيرات وأعمالها ، وكوكب وأعمالها وما معها ، وقلعة عجلون وأعمالها ، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والمالك والأعمال ، وقلعة بعلبك وما معها وأعمالها ، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود ، ومملكة حماة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها ، وبلاطنس وأعمالها ، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله ، وصافيثا وأعمالها ، وميعار وأعمالها ، والعريمة وأعمالها ، ومرقية وأعمالها ، وحلبا وحصن عكار وأعماله وبلاده ، والقليعات وأعمالها ، وقلعة شيزر وأعمالها ، وأفامية وأعمالها ، وجبلة وأعمالها ، وأبو قبيس وأعماله ، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون ، وأنطاكية وأعمالها وما دخل [منها] في الفتوحات المباركة ، وبغراس وأعمالها ، والدربساك وأعماله ، والراوندان وأعمالها ، وحارم وأعمالها ، وعيتاب وأعمالها ، وتيزين وأعمالها ، وشيخ[1] الحديد وأعماله ، وقلعة نجم وأعمالها ، وشقيف ديركوش وأعمالها ، والشغر وأعمالها ، وبكاس وأعماله ، والسويداء وأعمالها ، والباب وبزاعا وأعمالها ، والبيرة وأعمالها ، والرحبة وأعمالها ، وسلمية وأعمالها ، وشميميس وأعمالها ، وتدمر وأعمالها ، وما هو منسوب إلى جميع ذلك ما عُيّن وما لم يُعيّن] ، وجميع ما هو لمولانا السلطان وأولده من البلاد التي عُينت في هذه الهدنة المباركة ، والتي لم تُعيّن .

وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا ، من سائر الناس أجمعين ، على اختلافهم وتغاير أنظارهم وأجناسهم وأديانهم ، القاطنين فيها والمترددين إليها ومنها من سائر بلاد المسلمين ،

= المنصور وولده ، ثم ذكر بعد ذلك ما صيغته" . وقد رؤى حذف تلك العبارة وإثبات تفاصيل ممتلكات دولة المماليك بين القوسين ، حتى سطر ٢٠ بهذه الصفحة ، من النص الوارد في (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 179).

(١) في الأصل " سح " .

وعلى جميع التجار والسفّار والمتردّدين فى البرّ والبحر ، والسهل والجبل ، فى الليل والنهار ، يكونون آمنين مطمئنين فى حالتى صدورهم ووورودهم ، على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وحريمهم وبضائعهم وغلمانهم ، وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم ، وعلى جميع ما يتعلّق بهم ، وكلّ ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها من الحكام بمملكة عكا[1] : [وهم كفيل المملكة ، والمقدّم إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدّم إفرير نيكول لورن مقدم بيت اسبتار ، والمرشان إفرير كورات نائب مقدم بيت اسبتار الأمن[2] ، ومن جميع الفرنج الإخوة ، والفرسان] الداخلين فى طاعتهم وتحويه مملكتهم الساحلية ، ومن جميع الفرنخ على اختلافهم ؛ الذين يستوطنون عكا والبلاد والبلاد الساحلية الداخلة فى الهدنة ، وكل واصل إليها فى برّ وبحر ، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم ، لا ينال بلاد [مولانا] السلطان [الملك المنصور قلاون] وولده [الملك الصالح] ، ولا حصونهما ولا قلاعهما ، ولا بلادهما ولا ضياعهما ، ولا عساكرهما ولا جيوشهما ، ولا عربهما ولا تركمانهما ؛ ولا أكرادهما ولا رعاياهما ، على اختلاف الأجناس والأنفار ، ولا ما تحويه أيديهم من المواشى والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء ، ولا يخشون من جهتهم أمراً مكروهاً ولا إغارة ولا تعرضا ولا أذية ؛ وكذلك كلّ ما سيفتحه ويضيفه [مولانا] السلطان [الملك المنصور] وولده [الملك الصالح] ، على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما ، من بلاد وحصون وقلاع وملك وأعمال وولايات ، برّاً وبحراً ، سهلا ووعراً .

وكذلك جميع بلاد الفرنج التى استقرّت الآن عليها هذه الهدنة المباركة (ص ٨٩ ب) ، وهى : مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها ، وما يختص بها من كرومها ؛ وما لها من حقوق حولها ، وما تقرّر لها من بلاد فى هذه الهدنة[3] ، [وعدّتها بما فيها من مزارع ثلاث[4] وسبعون ناحية خاصة للفرنج ، وكذلك حيفا والكروم والبساتين ،

(١) يلى هذا فى نص ابن الفرات العبارة التالية : "وذكر ما قدمنا شرحه من أسمائهم ..." ، وقد رؤى حذف ذلك التلخيص وإثبات تفصيله بين القوسين ، من النص الوارد فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 180.)

(٢) كذا فى الأصل . انظر ص ٩٨٦ ، سطر ٢ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٣) يلى هذا فى ابن الفرات العبارة التالية ، ونصها : "وذكر أسماء البلاد التى استقرت الآن عليه هذه الهدنة ، ثم ذكر بعد ذلك ما صيغته ... " ، وقد حذف هذا التلخيص وأثبت ما يقابله منصوصا من (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 181) ، بين الأقواس ، إلى ص ٩٨٩ ، سطر ١٥ .

(٤) فى الأصل "ثلثة" .

والعدة بحيفا سبع نواحى ، وكذلك مارينا(١) بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج ، وكذلك دير السياج(٢) ودير مار(٣) إلياس يكون للفرنج] .

[ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا عنا والمنصورة ، وباقى بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية الفرنج ، وعثليث القلعة والمدينة والبساتين التى قطعت الكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية ، ويكون خاصا لمولانا السلطان ما يذكر : وهو قرية المراميس بكمالها وحقوقها ومزارعها ، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجا عما للخاص الشريف وعما لخاص عثليث يكون مناصفة : وهى ثمانى نواحى ، وفلاحة الإسبتار بعمل قيسارية تكون خاصا للفرنج بما فيها ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج ؛ وما عدا ذلك يكون خاصاً لمولانا السلطان . مهما كان فى إسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة ، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها يكون خاصاً للفرنج ، ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشرة ناحية ، وما فى الوطاة من أنهار ومياه وعيون ، وبساتين وطواحين وقنى ، ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم ، يكون خاصا لهم ، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بكمالها] .

وتكون جميع هذه البلاد العكاوية ، وما عيّن فى هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية ، آمنة من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح ، وآمنة من عساكرهما وجنودهما ومن فى خدمتهما . وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة فى هذه الهدنة المباركة ، الخاص منها وما هو مناصفة ، مطمئنة هى ورعاياها وسائر أجناس الناس فيها ، والقاطنين بها والمترددين إليها ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، والمترددين إليها من جميع بلاد الفرنجية والتجار والسفار ، والمترددين منها وإليها فى برّ وبحر ، فى ليل أو نهار ، وسهل وجبل ، آمنين على النفوس والأموال والأولاد ، والمراكب والدواب وجميع ما يتعلق بهم ، وكل ما تحويه أيديهم من الأشياء على اختلافها ، من السلطان وولده ، ومن جميع من هو يجب عليه طاعتهما ، لا ينالهم ولا ينال هذه البلاد المذكورة التى انعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا إغارة ، ولا ينال إحدى الجهتين المذكورتين الإسلامية والفرنجية من الأخرى ضرر ولا أذية ، ويكون ماتقرر

(١) فى الأصل " مارسا " . انظر (Quatrimère : Op. Cit. II. I. P. 227) .
(٢) فى الأصل " الساج " . انظر (Ibid : Op. Cit. II. I. P. 227) .
(٣) فى الأصل " مارلياس " . انظر (Ibid : Op. Cit. II. I. P. 227) .

أنه يكون خاصاً للفرنج حسبما بُيِّن أعلاه لهم ، وما تقرّر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصا لها ، والمناصفات تكون كما شُرح ، ولا يكون للفرنج من والبلاد والمناصفات إلاّ ما شُرح فى هذه الهدنة وعُيِّن فيها من البلاد .

وعلى أن الفرنج لا يجدّدون فى غير عكا وعثليث وصيدا ، مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث (ص ١٩٠) المذكورات [سورا] ، ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا قديما ولا مستجداً .

وعلى أنه متى هرب أحد كائنا من كان من بلاد السلطان وولده إلى عكا البلاد الساحلية المعيّنة فى هذه الهدنة ، وقصَد الدخول فى دين النصرانية وتنصّر بإرادته ، يرَدّ جميع ما يروح معه ويبقى عريانا ؛ وإن كان يقصد الدخول فى دين النصرانية ولا يتنصّر ، رُدّ إلى أبوابها العالية بجميع ما يروح معه ، بعد أن يُعطى الأمان .

وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، ويقصد الدخول فى دين الإسلام ، وأسلم بإرادته ، يُرَدّ جميع ما معه ويبقى عريانا ؛ وإن كان ما يقصد الدخول فى دين الإسلام ولا يسلم ، يردّ إلى الحكام بعكا ، [وهم] كفيل المملكة والمقدمون ، بجميع ما يروح معه بشفاعة ، بعد أن يُعطى الأمان .

وعلى أن الممنوعات المعروف منعها قديما تستقرّ على قاعدة المنع من الجهتين ، ومتى وُجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم ، على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، شىء من الممنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، مثل عدّة السلاح وغيره ، تُعاد على صاحبه الذى اشتراه منه ، ويعاد إليه ثمنه ، ويؤخذ ماله استهلاكا ، ولا يؤذى بسبب ذلك ، لا هو ولا ماله .

وكذلك إذا طلع تجار الفرنج من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، ووُجِد معهم شىء من الممنوعات مثل عدّة سلاح وغيره ، يعاد على صاحبه الذى (ص ٩٠ ب) اشتراه منه ، ويعاد إليه ثمنه وردّ ، ولا يؤخذ ماله استهلاكا ولا يؤذى . وللسلطان ولولده أن ينفصلا فيمن يخرج من بلادهما من رعيتهما ، على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، بشىء من الممنوعات . وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون لهم أن ينفصلوا فى رعيتهم الذين يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة فى هذه الهدنة .

ومتى أخذت أخيذة من الجانبين ، أو قتل قتيل من الجانبين ، على أى وجه كان والعياذ

منه ، ردت الأخيذة[1] ، بعينها إن كانت موجودة ، أو قيمتها إن كانت مفقودة .
والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه : فارس بفارس ، وبركيل[2] ببركيل ،
وتاجر بتاجر ، وراجل براجل ، وفلاّح بفلاّح ؛ فإن خفى أمر القتيل والأخيذة
كانت المهلة فى الكشف أربعين يوما ، فإن ظهرت الأخيذة أو تعيّن أمر المقتول
رُدّت الأخيذة بعينها . ويكون العوض عن القتيل بنظيره ؛ وإن لم تظهر كانت اليمين
على والى المكان المدعى عليه ، وثلاثة[3] نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك
الولاية . وإن امتنع الوالى عن اليمين حلّف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة
الأخرى ، وأخذت[4] قيمتها . وإن لم ينصف الوالى ولارُدَّ المال أنهى المدعى أمره
إلى الحكام من الجهتين ، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوما . ويلزم الولاة من
الجهتين بالوفاء بهذا الشرط ، ومتى أخفوا قتيلا أو أخيذة ، أو قدروا على أخذ حق
ولم يأخذه كل واحد فى ولايته ، يتعين على الذى يوليّه من ملوك الجهتين إقامة
السياسية فيه : من أخذ الروح والمال ، والسبق والإنكار العام على من يتعين عليه
الإنكار ، إذا فعل ذلك فى ولايته وأرضه . وإن هرب أحد بمال واعترف (ص٩١ ا)
ببعضه ، وأنكر ما ادّعى به عليه ، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ما ردّه ، فإن
لم يقتنع المدّعى بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية أنه لم يطّلع على أنه وصل معه
غير ما ردّه ، وإن أنكر أنه لم يصل إليه شىء أصلا يستحلف الهارب أنه لم يصل معه
للمدّعى شىء ، ويحلف والى تلك الجهات على أنه لم يصل شىء .

على أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده ، التى انعقدت عليها
الهدنة ، ورعيتهما من المسلمين وغيرهم ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ فى ميناء عكا
وسواحلها ، والبلاد الساحلية التى انعقدت عليها الهدنة ، كان كل مَنْ فيها آمنا على الأنفس
والأموال والأمتعة والمتاجر . فإن وُجِدَ[5] أصحاب هذه المراكب التى تتكسر تسلّم
مراكبهم وأموالهم إليهم ، وإن عُدِموا بموت أو غرق أو غيبة فيُحتفظ بموجودهم ، ويُسلّم
لنواب السلطان وولده . وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة

---

(١) فى الأصل " الاخذة " .

(٢) كذا فى الأصل . ولعل المقصود بالبركيل مرتقد البحار من أنجد والمغامرين ؛ فى محيط المحيط أن البراكية ضرب من السفن ؛ وأن البركوس – والبراكوس ، والبريق ، والبرياك – أنواع من السفن أيضا ؛ وفى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فعل "بركل" ، بمعنى داخ من تلاطم الأمواج être agité par les vagues) ؛ وهذا فضلا عن أن من معانى كلمة السفينة فى اللاتينية (barca, barica) ، وفى الفرنسية والإنجليزية (barque) .

(٣) فى الأصل " ثلث " .

(٤) فى الأصل " واحد " .

(٥) فى الأصل " وجدوا " .

للفرنج ، يجرى لها مثل ذلك فى بلاد السلطان وولده ، ويحتفظ بموجودها إن يكن صاحبها حاضرا ، إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا والمقدمين .

ومتى توفى أحد من التجار المترددين ، الصادرين والواردين ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، من بلاد السلطان وولده ، فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، يحتفظ على ماله إلى أن يوصل إلى نوابها . وكذلك التجار الصادرين والواردين ، المترددين من عكا وصيدا وعثليث ، والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، إذا توفى أحد فى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة يحتفظ على ماله إلى حين يسلم ، إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين .

وعلى أن (ص ٩١ ب) شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، ومتى قصدت هذه المذكورة جهة غير هذه الجهات ، وكان صاحب تلك الجهات معاهدا للحكام بمملكة عكا ، فلا تدخل إلى البلاد التى انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تتزود منها . وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التى تقصدها الشوانى المنصورة معاهداً للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة ، فلها أن تدخل إلى بلادها وتتزود منها . وإذا تكسر شيء من هذه الشوانى والعياذ بالله ، فى ميناء من موانى البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها ، فإن كانت قاصدة من له مع مملكة عكا ومقدمى مونها[1] عهد ، ولم يكن لهم معهم عهد ، فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت حفظها ، ويمكن رجالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر منها والعود إلى البلاد الإسلامية ، ويبطل حركة ما ينكسر منها والعياذ بالله ، أو يرميه البحر . هذا إذا كانت قاصدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد ، فإن لم يكن لها معهم عهد فلها أن تتزود وتعمر رجالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة ، وتتوجه إلى الجهة المرسوم لها بقصدها ؛ ويعتمد هذا الفصل من الجهتين .

وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم من جوا البحر ، بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المنعقد عليها هذه الهدنة ، فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا أن يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى الهدنة بمدة شهرين . وإن وصلوا (ص ١٩٢) بعد انقضاء مدة شهرين ، فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون بريئين من عهدة اليمين فى هذا الفصل .

---

(١) كذا فى الأصل .

ومتى تحرّك عدد من جهة البرّ من التتار وغيرهم ، فأىّ من سبق الخبر إليه من الجهتين يعرّف الجهة الأخرى بما سبق الخبر إليه من أمرهم .

وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية والعياذ بالله عدو من التتار وغيرهم فى البر ، وانحازت العساكر الإسلامية من قدّام العدو ، ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ومصدوها بمضرّة ، فلكفيل المملكة بعكا والمقدّمين بها أن يدرأوا عن نفوسهم ورعيتهم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه . وإن حصل والعياذ بالله جفل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر ، ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم .

وعلى أن النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون فى سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها ، أنهم لا يمكّنون حراميّة البحر من الزوّادة من عندهم ، ولا من حمل ماء ، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه ، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه . وكذلك يعتمد [مولانا] السلطان وولده ، ويعتمد فى أمر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين .

وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، كلّ مَنْ عليه مبلغ أو غلة ، فيحلف والى ذلك المكان الذى منه الرهينة ، ويحلف المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة أن عليه كذا وكذا من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره . فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدّم نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه . وأما الرهائن (ص ٩٢ ب) الذين أخذوا منسوبا إلى الجفل والاختشاء[1] أنهم لا يهربون إلى بلاد الإسلام ، ويمتنع الولاة والمباشرون من اليمين عليهم . فأولئك يطلقون .

وعلى أنه لا يُجدّد على التجار المسافرين ، الصادرين والواردين ، من الجهتين حقٌ لم تجْر به عادة ، ويجروا على عوائدهم المستمرّة إلى آخر وقت : وتؤخذ منهم الحقوق على العادة المستقرّة ؛ ولا يجدّد عليهم رسم ولا حقّ لم تجر به عادة ، وكل مكان عُرف باستخراج الحق فيه استخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين . ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفّرين من الجهتين ، فى حالتى سفرهم وإقامتهم : وصدورهم وورودهم ، بما [فى] صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير الممنوعة .

(١) فى الأصل " والاختشا " .

وعلى أن يُنادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هذه الهدنة ، أنه من كان من فلاّحى بلاد الإسلام يعود إلى بلاد المسلمين ،مسلماً كان أو نصرانيا ؛ وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج يعود إلى بلاد الفرنج ،مسلماً كان أو نصرانيا ، مَعروفا قراريا[1] من الجهتين ؛ ومن لم يعد بعد المناداة يُطرَد عن الجهتين . ولا يمكّن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقدة عليها هذه الهدنة ، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان .

وعلى أن تكون كنيسة الناصرة ، وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها ، لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب ، كبيرهم وصغيرهم ، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم ، من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة . ويصلّى بالكنيسة الأقساء والرهبان ، وتكون البيوت المذكورة لزوّار كنيسة الناصرة خاصة ،ويكونون آمنين مطمئنين فى توجههم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة فى هذه (ص ١٩٣) للهدنة . وإذا نقبت الحجارة التى بالكنيسة المذكورة ترمى برّا ، ولا يحطّ منها حجر على حجر لأجل بنايته ، ولا يتعرّض إلى الأقساء ولا الرهبان ، وذلك على وجه الهبة لأهل زوّار دين الصليب بغير حقّ . "

ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة ، من نفسهما وعساكرها وجنودهما ، ومن جميع المتجرمة[2] والمتلصّصين والمفسدين ، ممن[3] هو داخل تحت حكمهما وطاعتهما . ويلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة ، من نفسهم وعساكرهم وجنودهم ،ومن جميع المتجرمة والمتلصصين ، ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم ، بمملكتهم الساحليّة الداخلة فى هذه الهدنة .

ويلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت بها ، الحكام بعكا والبلاد الساحلة الداخلة فى هذه الهدنة ، القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها ، شرطا شرطا وفصلا فصلا ، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها ؛ ويفى كلٌ منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة من أنه يفى بجميع ما فى هذه الهدنة على ما حلفوا به .

تستمرّ هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادهما وأولاد أولادهم ، وبين الحكام

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل " المحرمة " .

(٣) فى الأصل " من " .

بمملكة عكا وصيدا وعثليث ، وهم السنجال أود ، والمقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها ، لا تتغيّر بموت أحد ماوك الجهتين ، ولا بتغيّر مقدّم وتولية غيره ، بل تستمرُّ على حالها إلى آخرها وانقضائها ، بشروطها المحرّرة وقواعدها المقرّرة كاملة تامة .

ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة ، أو وقع والعياذ بالله فسخ ، كانت المهلة فى ذلك أربعون يوما من الجهتين ، ويُنادى برجوع كل أحد إلى وطنه (ص ٩٣ ب) بعد الإشهار ، ليعود الناس إلى مواطنهم آمنين مطمئنين ، ولا يُمنعوا من السفر من الجهتين ، ولا تبطل بعزل أحد من الجهتين ، وتستمرُّ[1] أحكامها متتابعة متوالية بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها .

ويلزم المعزول والمتولى حفظها والعمل بشروطها إلى آخر مدتها المعينة ، [و] تستمرُّ هذه الهدنة بشروطها وفصولها وفروعها وأصولها ، ويجرى الحال فيها على أجمل الحالات إلى آخرها ؛ وعلى جميع ذلك وقع الرّضا والصّلح والاتّفاق ، وحُلِف عليها من الجانبين . والله الموفّق .

• • •

نسخة اليمين التى حلف السلطان الملك المنصور عليها فى هذه الهدنة المباركة : أقول وأنا ... ...[2] والله والله والله ! وبالله وبالله وبالله ! وتالله وتالله وتالله ! والله العظيم الطالب الغالب ، الضارّ النافع ، المدرك المهلك ، عالم ما بدا وما خفا ، عالم السرّ والعلانية ، الرحمن الرحيم . وحقّ القرآن ومن أنزله ، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية ، وحقّ شهر رمضان ، إننى أنى بحفظ هذه الهدنة المباركة ، التى استقرّت بينى وبين مملكة عكا والمقدّمين بها ، على عكا وعثليث وصيدا وبلادها ، التى تضمّنتها هذه الهدنة ، التى مدّتها عشر[3] سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر[4] ساعات ، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة ، من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ، ولا أتأوّل فيها ولا فى شىء منها ، ولا أستفتى فيها (ص ٩٤ أ) طلبا لنقضها ، ما دام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث ، وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الديوية ، ومقدم بيت الاسبتار ، ونائب مقدم بيت اسبتار الأمن[5] الآن ؛ ومَنْ يتولّى

(١) فى الأصل " تستمر " .
(٢) بياض فى الأصل : والمقصود به أن يوضع اسم السلطان الذى يقسم اليمين ، أو من ينوب منه فى ذلك .
(٣) فى الأصل " عشرة " . (٤) فى الأصل " عشرة " .
(٥) كذا فى الأصل . انظر ص ٩٨٦ ، سطر ٢ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

بعدهم فى كفالة مملكة ، أو مقدّم بيت عنهم ، بهذه المملكة المذكورة ، وافين باليمين التى يحلفون بها لى ولولدى الملك الصالح ولأولادى ، على استقرار هذه الهدنة المحرّرة الآن ، عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها ، إلى انقضاء مدّتها ، ملتزمين بأحكامها . وإن نكثتُ فى هذه اليمين فيلزمنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة ، حافيا حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمنى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ، ويذكر بقية شروط اليمين ، والله على ما نقول وكيل .

• • •

نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها فى هذه الهدنة: والله والله والله ! وبالله وبالله وبالله! وتالله وتالله وتالله ! وحقّ المسيح وحقّ المسيح وحقّ المسيح ! وحقّ الصليب وحقّ الصليب وحقّ الصليب ! وحقّ الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد ، المكنى بها عن الأب والإبن والروح القدس إله واحد . وحقّ اللاهوت(١) المكرّم الحالّ فى الناسوت المعظم ، وحق الإنجيل المطهّر وما فيه ، وحقّ الأناجيل الأربعة التى نقلها متّى ومرقس ولوقا ويُحنّا ، وحقّ صلواتهم وتقديساتهم ، وحقّ التلاميذ الاثنى عشر ، والإثنين وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة ، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، وحق الستّ مارية أم النور مارت مريم ، ويوحنا (ص ٩٤ ب) المعمودين ومرتمان ومرتمانى ، وحقّ الصوم الكبير ، وحقّ دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية ، وما تلقته من الآباء والأقسام المعمودية ، إننى من وقتى هذا وساعتى هذه ، قد أخلصت نيتى ، وأصفيت طويتى ، فى الوفاء للسلطان المنصور وولده الملك الصالح ولأولادهما ، بجميع ما تضمّنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليها ، على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيها ، التى مدتها عشر(٢) سنين كوامل وعشرة أشهر وعشر أيام وعشر(٣) ساعات ، أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة [و] أربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى ، وأعملُ بجميع شروطها شرطا شرطا ، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدّتها .

وإنى والله والله ! وحقّ المسيح ! وحقّ الصليب ! وحقّ دينى ! لاأتعرّض إلى بلاد

(١) فى الأصل " الصليب " . انظر (Quatremère : Op. Cit. II 1. p. 233 N. 1.)
(٢) فى الأصل " عشرة "
(٣) فى الأصل " عشرة " .

السلطان وولده ، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين ، ولا إلى من يتردد منها إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة ، بأذية ولا ضرر ، فى نفس ولا فى مال . وإنى والله ! وحقّ دينى ومعبودى ! أسلكُ فى المعاهدة والمهادنة ، والمصافاة والمصادقة ، وحفظ الرعية الإسلامية والمتردّدين من البلاد السلطانية ، والصادرين منها وإليها ، طريق المعاهدين المتصادقين ، كفّ الأذيّة والعدوان عن النفوس والأموال ؛ والتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها ، ما دام الملك المنصور وافيا باليمين التى حلف بها على الهدنة ؛ ولا أنقضُ هذه اليمين ولا شيئاً منها ، ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها طلبا لنقضها . ومتى خالفتها أو نقضتها فأكون بريئاً من دينى واعتقادى (ص ١٩٥ ا) ومعبودى ، وأكون مخالفا للكنيسة ، ويكون علىّ الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة ، حافياً حاسراً ، ويكون علىّ فك ألف أسير مسلمين من أسْرِ الفرنج وإطلاقهم ، وأكون بريئا من اللاهوت الحالّ فى الناسوت ، واليمين يمينى ، وأنا فلان ، والنية فيها بأسرها نية السلطان الملك المنصور ، ونية ولده الملك الصالح ، ونية مستحلفى لهما بها على الإنجيل المكرَّم ، لا نية غيرها ، والله والمسيح على ما نقول وكيل .

ملحق[1] رقم ٩

وصف الأبنية والعمائر التى شيّدها السلطان الملك المنصور قلاون ، نقلا عن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ ا ـ وما بعدها . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، معارف عامة ، رقم ٥٤٩) .

(ص ٢٨٢ ا) ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل . قال ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحة[2] أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل ، فاشتريت الدار القطبية[3] وما يجاورها ـ وهى بين القصرين ـ من خالص

(١) انظر ص ٧١٢ ، سطر ١٣ ، وما بعده ، وحشية ٦ بنفس الصفحة .
(٢) المقصود بالتربة الصالحية تربة السلطان الملك الصالح أيوب .
(٣) فى الأصل " القبطية " . انظر ص ٧١٦ ، سطر ١١ .

الملحق رقم « ٣ »

المذهب الثاني

(أن تُفتتحَ الهُدنة : بلفظ : «استقرّتِ الهُدنة بين فلانٍ وفلانٍ»
ويقدم فيه ذكر الملكِ المُسلِم)

وعلى ذلك كانت الهُدَنُ تُكتَبُ بين ملوك الدّيار المصرية، وبين ملوك الفرنج، المتغلّبين على بعض البلاد الشامية .

وهذه نُسخة هُدنةٍ على هذا النّمط . دون تحريرٍ من الجانبين ؛ كُتِبتْ بين الملك الظّاهر « بيبرس البندقداري » صاحبِ الدّيار المصرية ، وبين الاسبتار[1] بحصنِ الأكراد والمرقب ، في رابع شهر رمضانَ سنة خمسٍ وستين وستمائةٍ، وهي :

استقرّتِ الهُدنةُ المباركةُ الميمونةُ بين مولانا السلطانِ الملكِ الظّاهرِ ركنِ الدّين أبي الفتح «بيبرس» الصّالحيّ النّجميّ ، وبين المقدم الكبيرِ الهُمام فلانٍ مُقدّمِ بيتِ الاسبتار الفلانيّ بعكّا، والبلادِ السّاحلية، وبين فلانٍ مقدّمِ حصنِ الأكراد، وبين فلانٍ مُقدّمِ حصنِ المرقب ، وجميعِ الإخوةِ الاسبتار ، لمدّة عشرِ سنين متوالية وعشرةِ أشهرٍ وعشرةِ أيامٍ وعشرِ ساعات : أولها يومُ الاثنين رابعَ رمضانَ سنة خمسٍ وستين وستمائةٍ من الهجرة النبويّة على صاحبها أفضلُ الصّلاة والسلام ، الموافقُ لليومِ الثّلاثين من أيام [2] سنةَ ألفٍ وخمسمائةٍ وتسعةٍ وسبعين سنة للإسكندر بن فيلبس اليونانيّ ـ على أن جميعَ المملكةِ الحمصيّة والشّيزرية والحموية وبلادِ الدّعوةِ المُباركة، واقعٌ عليها الاتفاقُ المُبارك، ومُستقرّةٌ لها هذه الهُدنة الميمونة بجميع حُدود هذه الممالك المعروفه ، وبلادِها الموصوفه ؛ وقُراها وضياعِها ، وسهلِها وجبلِها ، وعامرِها وغامرِها ، ومزروعِها ومُعطّلِها ، وطُرقاتِها ومياهِها ، وقلاعِها

(١) الاسبتار بتقديم الموحدة على التاء هو رئيس الطائفة الدينية المعروفة في الكتب العربية بالاسبتارية .
(٢) بياض بالأصول .

وحُصونها ـ على مايُفَصّلُ فى كلّ مملكة، ويُشْرَح فى هذه الهُدْنةِ المباركة للدّةِ المعيّنة إلى آخرها .

وعلى أن المستقرّ بمملكة حِمْص المحروسة أنّ جميع المَواضع والقُرَى والأراضى التى من نَهْر العاصى، ومتقرّبه إلى الحَدّ المعروف من الغَرْب لبَلَدِ المُناصَفات : عامرًا ودَاثرًا، وبمـا فيها من الغَلّات صَيْفيا وشَتْويا، والعداد وغَيرها من الفوائد جميعها ـ تقرّر أن يكونَ النّصفُ من ذلك للسُّلطانِ الملِكِ الظاهر ركْنِ الدنيـا والدّين أبى الفتح «بيبرس»، والنّصف لبَيْتِ الأسبِتار .

وعلى أن كلًّا من الجهتين يجتهدُ ويحْرِص فى عمارة بَلَد المُناصفاتِ المذكورة بجُهْدِه وطاقَتِه، ومَن دخل إليهـا من الفلّاحين بدَوابّ، أو من التُّركمان، أو من العَرَب، أو من الأكْرَاد، أو من غيرهم، أو الفُنَاة ـ كان عليهم العِدادُ بجَارى العَادة . ويكون النّصْفُ للسلطانِ، والنّصفُ لبيْت الاسْبِتَار .

وعلى أن المَلِكَ الظاهر يحْمِى بلَدَ المناصفات المقدّم ذِكْرُها من جميع عَسْكَره وأتباعه، وممّن هو فى حُكْمِه وطاعَتِه، ومن جميع المسلمين الدّاخلين فى طاعته كافّة . وكذلك مقدّمُ بَيْتِ الاسْبِتَار وأصحابُه يحْمُونَ بِلادَ مولانا السلطانِ الدّاخلةَ فى هذه الهُدْنة .

وعلى أنّ جميعَ من يتعدّى نَهْر العاصى مُغَرّبًا لرَعْيِ دوابِّه : سواءٌ أقام أو لَمْ يُقِمْ، كان عليه العِدادُ سِوَى قُنَاة البلد ودَوابّه، ومن يخرجُ من مَدينة حِمْص ويعودُ إليها، ومن غَرّبَ منهم ومات كان عليه العِدّادُ .

وعلى أن يكون أمرُ فلّاحى بلَدِ المناصفات فى حَبْس والإطلاق والجِباية راجعاً إلى نائبِ مولانا السلطان، بآتّفاق من نائب بَيْت الاسبِتار، على أن يحكُمَ فيه بشريعة الإسلامِ إن كان مُسْلمًا، وإن كان نَصْرانياً يحكم فيه بمقتضى دَوْلَة حصْن الأكْراد .

وأن يكونَ الفلاحونُ الساكنون فى بلاد المناصفات جميعها مُطْلَقين من السُّخَر من الجانبين .

وعلىٰ أن المَلِكَ الظاهرَ لا يأخذُ فى بَلَدِ المناصفات المذكورة : من تُرْكمانٍ ولا عَرَبٍ ولا أكرادٍ ولا غيرِهم عِدَادًا ولا حقًّا من حقوق بَلَدِ المناصفات، إلا ويكونُ النِّصفُ منه للمَلِك الظاهر، والنِّصفُ الآخرُ لبيت الأسْبِتَار .

وعلىٰ أن المَلِكَ الظاهرَ لا يتقدَّمُ بمنع أحَدٍ من الفَلَّاحين المعروفين بسُكْنَى بلاد المناصفات من الرُّجوعِ إليها، والسَّكَنِ فيها إذا آختاروا العَوْدَ. وكذلك بيتُ الأَسْبِتَار لا يمنعون أحدًا من الفَلَّاحين المعروفين بسُكْنىٰ بلاد المناصفات من الرُّجوعِ إليها والسَّكنِ فيها إذا آختارُوا العَوْد .

وعلىٰ أن المَلِكَ الظاهرَ لا يمنعُ أحدًا من العُرْبانِ والتُّركمان وغيرهم : ممَّن يُؤدِّى العِدَاد، من الدُّخولِ إلىٰ بَلَدِ المناصفات، إلَّا أن يكونَ مُحارِبًا لبَعْض الفِرَنج الداخلين فى هذه الهُدْنة، فله المَنْع من ذلك . وأن تكونَ خُشَاراتُ الملك الظاهر وخُشَاراتُ عساكرِه وغِلمانُهم وأهلُ بَلَدِه تَرْعَىٰ فى بلد المناصفات آمِنَةً من الفرنج والنَّصارىٰ كافَّةً . وكذلك خُشَاراتُ بَيْتِ الاسْبِتَار وخُشَاراتُ عَسْكرِهم وغِلْمانِهم وأهلِ بَلَدِهم ترعى آمِنةً من المسلمين كافَّةً فى بَلَدِ المناصفات . وعند خروج الخُشارات من المَرَاعِى وتَسْليمِها لأصحابها، لا يُؤخَذُ فيها حقٌّ ولا عِدَادٌ ولا تُعارَضُ من الجهتين .

وعلىٰ أن تكونَ مِصْيَدةُ السَّمكِ الرُّومِيَّة مهما تحصَّلَ منها، يكونُ النِّصفُ منه للمَلِكِ الظاهرِ والنِّصفُ لبَيْتِ الاسْبِتَار . وكذلك المَصَايِد التى فى الشَّطِّ الغَرْبِىِّ من العاصى يكونُ النِّصفُ منه للمَلِك الظاهِر والنصفُ لبَيْتِ الاسْبِتَار . ويكونُ لبَيْتِ الاسْبِتَار فى كلِّ سنةٍ خمسُونَ دينارًا صُورِيَّة عن القَشّ، ويكون القَشّ جميعُه للمَلك الظاهر يتصرَّفُ نُوَّابُه فيه علىٰ حَسَبِ آختيارهم . ويكونُ اللَّيْنُوفَرُ مناصَفَةً : النِّصفُ

منه للملك الظاهر والنصف لبيت الاسبتار . وتقرر أن الطاحون المستجد المعروف بإنشاء بيت الاسبتار، الذى كان حصل الحرب فيه، والبستان الذى هناك المعروف بانشاء بيت الاسبتار أيضا يكون مناصفة . وأن يكون متولى أمرهما نائب من جهة نواب السلطان ونائب من جهة بيت الاسبتار ، يتوليان أمرهما والتصرف فيهما وقبض متحصلهما . وتقرر أن مهما يجدده بيت الاسبتار على الماء الذى تدور به الطاحون ويسقى البستان من الطواحين والأبنية وغير ذلك، يكون مناصفة بين الملك الظاهر وبين بيت الاسبتار .

وأما المستقر بمملكة شيزر المحروسة، فهى شيزر، وأبو قبيس وأعماله، وعيتاب وأعمالها، ونصف زاوية بفراس المعروفة بحماية بيت الاسبتار وأعمالها، وجميع أعمال المملكة الكسروية والبلاد المذكورة بحدودها المعروفة بها ، وقراها المستقرة بها ، وسهلها وجبلها وعامرها وغامرها .

وما استقر بمملكة الملك المنصور، ناصر الدين «محمد» بن الملك المظفر أبى الفتح «محمود» بن الملك المنصور «محمد» بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب فهى : حماة المحروسة وقلاعها ومدنها ، والمعرة وقراها وسهلها وجبلها وأنهارها، ومنافعها وثمارها وعامرها وغامرها، وبلاد رقيبة وبلاد بارين بحدودها وتخومها وعامرها ودائرها وجميع من فيها وما فيها ـ على أن الملك المنصور لا يرخص للتركمان ولا للعرب أن ينزلوا بلد رقية و بارين سوى ثلاثين بيتا يحملون الغلة لقلعة بارين ، وإن أرادوا الزيادة يكون بمراجعة الإخوة الاسبتارية والاتفاق معهم على ذلك .

وعلى أنه إن تعدى أحد من أصحابه بأذية، أو تعدى أحد من الفرنجة فى بلاده بأذية ، كانت المهلة فى ذلك خمسة عشر يوما ، فإن انكشفت الأخيذة ،

امينت . وإلا تُحلّفُ الجهَةُ المدَّعَى عليها أنها ما عَلِمتْ وما أحَسَّت ، وكما لهُـم ، كذلك عليهم .

والمستقرُّ لمملكة الصاحبَيْن : نَجْمِ الدِّينِ وجَمالِ الدِّين، والأميرِ صارِمِ الدِّين نائبي الدَّعوةِ المُبـاركة ، وولَدِ الصاحِب رَضِيِّ الدِّين، وهي : مِصْيافُ والرُّصافَةُ وجميعُ قِلاعِ الدَّعْوةِ وحُصُونِهـا وسَهْلِها ووَعْرِها وعامِرِها وداثِرِها ، ومُدُنِهـا وبلادِها ، وضِياعِها وطُرقاتِها ، ومياهِها ومنابِعِها ، وجميعُ بلادِ الإسماعيلية بجَبَلَيْ بَهْرا واللُّكَّام ، وكلُّ ما تشتمِلُ عليـه حُدود بلادِ الدَّعوة وتُخُومِها ـ أن يكونَ الجميع آمِنِينَ من علَى الرَّصيف الذي بشَـيْزَر إلى نهاية الأراضِي التي بحُصُون الدَّعوة وبلادِها . وحمايةُ القَرْيَةِ المعروفة بمرطار (؟) يكونُ له أسوة الاسماعيلية . وإن عَلِم الأصحابُ أن أحدًا من الإسماعيلية قد عَبَر إلى بَيْتِ الاسبتار لأذِيَّة ، أعلمُوا بَيْت الاسبتار قبلَ أن تَجْرِيَ لأذِيَّة ، وما لم يُعْلِمُوا به عليهـم اليمينُ أنَّهـم ما عَلِمُوا به ، وإن لم يحلِفُوا ردُّوا الأذيَّةَ التي تجْرِي .

وتقرَّر أن يكونَ فلَّاحُو بَيْتِ الاسبتار رائحينَ وغادِينَ ومتَصرِّفِينَ في بَيْعِهـم وشرائِهم ، مطمئِنِّينَ لا يتعَدَّى أحدٌ عليهم . وكذلك جميعُ فلَّاحِي بلاد الإسمـاعيلية لا يتعدَّى أحدٌ عليهم ، وأن يكونُوا آمنينَ مطمئِنِّينَ في جميع بلاد الاسبتارية ، وإن تعدَّى أحدٌ من الجهتين في سُوقٍ أو طَرِيقٍ ، في لَيْلٍ أو نهار ، تكون المُهْلَة خمسة عشَرَ يوما ؛ فإن ردَّت الشَّكْوَى كلُّها فما يكون إلا الخَيْرُ بينهم ، ومن توَجَّهتْ عليه اليمينُ حلَف ، ومن لم يفعلْ يحلِّفُ وإلا يَرُدُّ الأذيَّة . وتكون الضَّيْعةُ التي رهَنَها عبدُ المسيح رئيس المَرْقَبِ الاسبتار ، وهي المشيرفة تكون آمنةً إن كان الحال آستقرَّ عليها إلى آخر وقتِ عند كتابة هـذه الهُدْنة المباركة بين الأصحـاب وأصحابهم . ويحمل الأمرُ في الحقوق .

ويبطل ما هو على بلاد الدّعوة المباركة من جميع مالبَيْت الاسبتار على حماية مصْياف والرُّصافة، وهو فى كلّ سنة ألفٌ ومائتا دينارٍ قومصية، وخمسون مُدًّا حنطةً، وخمسون مُدًّا شعيرا، ولا تبقَى قطيعةٌ على بلاد الدّعوة جميعها، ولا يتعرّضُ بَيْتُ الاسبتار ولا نوّابهم ولا غلمانُهم إلى طلبِ قديم من ذلك ولا جديد، ولا مُنْكسر ولا ماضٍ، ولا حاضرٍ ولا مُسْتقبلٍ على اختلافه .

وتقرّر أن تكونَ جميعُ المباحات من الجهتين مُطْلقةً مما يختصّ بالمملكة الحِمْصية، يسترْزِقُ بها الصّعاليكُ . وأنّ نوّابَ الملك الظاهرِ يحمونهم من أذيّةِ المسلمين من بلاده المذكورة ، وأن نُوّابَ بَيْتِ الاسبتار يَصُونونَهم ويحْرُسونهم ويحمُونهم من النّصارى والفرنج من جميع هذه البلادِ الداخلةِ فى هذه الهُدْنة ، ولا يتعرّضُ أحدٌ من المسلمين كافّةً من هذه البلادِ الدّاخلةِ فى [هذه] الهُدْنة [إلى بلاد الاسبتارية] بأذيّةٍ ولا إغارة، ولا يتعرضُ أحدٌ من جميع الفرنجة من هذه البلاد الداخلة فى هذه الهُدْنةِ بحُدُودها الجارية فى يَدِ نُوّابِ الاسبتار وفى أيديهم، إلى بلاد الملك الظاهر بأذيّةٍ ولا إغارة .

وعلى أنه متى دخل فى بلاد المُناصَفات أحدٌ ممن يجبُ عليه العِدادُ وامتنع من ذلك ، وكان عِدادُ إحدى الجهتين حاضرًا : إمّا عِدادُ ديوان المَلِك الظاهر، إمّا عِدادُ بَيْتِ الاسبتار ، فلنائبِ العِدادِ الحَاضر من إحدى الجهتين أن يأخذ من ذلك الشّخصِ الممتنع عن العِدّاد أو الخارج من بَلَدِ المناصفات رَهْنًا بمقدارِ ما يجبُ عليه من العِدَاد، بحضورِ رئيس من رُؤَساءِ بَلَدِ المُناصَفات ؛ ويُتْرَكُ الرّهْنُ عند الرّئيس وَديعةً إلى أن يحْضَرَ النائبُ الآخرُ من الجهةِ الأخرى، ويُوصَّلَ إلى كلّ من الجهتين حقّه من العِدّاد .

وإن خرج أحدٌ ممن يجبُ عليه العِدادُ، وعَجَز النائبُ الحاضرُ عن أخْذِ رَهْنه : فإن دخلَ بلدًا من بلاد المَلك الظاهر، كان على النوّابِ إيصالُ بَيْتِ الاسبتار إلى حقّهم

ما يجب على الخارج من العِداد . وكذلك إن دخل الخارجُ المذكورُ إلى بَيْت الاسبتار، كان عليهم أن يُوصِّلوا إلى نوابِ الملك الظاهِرِ حقَّهم مما يجب على الخارج من العِداد . وكذلك يعتمدُ ذلك فى المملكةِ الحَمويّة و بلادِ الدَّعوة المحروسة .

وعلى أن التُّجَّار والسُّفَّارَ والمتردِّدِينَ من جميع هـذه الجهات المذكورة يكونون آمِنِينَ من الجهتَيْنِ : الجهةِ الإسلامية ، والجهةِ الفرنجية والنَّصرانيَّة ، فى البلاد التى وقعتْ هذه الهُدنَةُ عليها ـ على النُّفوسِ والأموالِ والدَّوابِّ وما يتعلقُ بهـم ، يحميهم السُّلطانُ ونوابُه ، ويتعاهدُون البلادَ الداخلةَ فى هـذه الهُدْنة المبـاركةِ الواقعِ عليها الصُّلح وفى بَلَد المناصفات ـ من جَميع المسلمين . ويحميهم بَيْتُ الاسبتار فى بلادهم الواقع عليها الصُّلح وفى بلد المناصفات ـ من الفَرَنْج والنصارى كافَّة .

وعلى أن يتردَّدَ التُّجَّارُ والمسافِرُون من جَميع المتردِّدين على أىِّ طريقٍ آختاروه من الطُّرق الداخلةِ فى عَقْد هذه البلاد الداخِلةِ فى هذه الهُدْنةِ المباركة المختصَّة بالملك الظاهِرِ ، و بلادِ مُعاهَدِيه ، و بلادِ المناصفات ، وخاصِّ بَيْتِ الاسبتار والمناصفات ؛ يكونُ السـاكِنُون والمتردِّدُون فى الجهتَيْنِ آمِنـينَ مُطْمَئِنِّين على النُّفوس والأموال ؛ تحمِى كلُّ جِهةٍ الجهةَ الأخرى .

وعلى أنَّ ما يختص بكلِّ جهةٍ من هـذه الجهات : الإسلامية ، والفرنجية الاسبتارية . لا يكونُ عِدادٌ على ما لَهـا فى المناصفات : من الدَّوابِّ والغَنَم والبَقَرِ والجِمَالِ وغيرها ، على العادةِ المقرَّرة فى ذلك .

وعلى أنَّ إطلاقَ الرُّؤساءِ يكونُ باتفـاقٍ من الجهتين : الإسـلامية ، والفرنجية الأسبتارية . ومتى وقعتْ دعوى على الجهـة الأخرى ، وُقِفَ أمرُها فى الكشف عنهـا أربعين يومًا ، فإن ظهرت أُعيدتْ على صاحبها ، و إن لم تظهرْ حَلَفَ ثلاثة

نفرٍ ممّن يختارهم صاحبُ الدّعوىٰ على ما يعلمونَه فى تلك الدّعوىٰ، وإن ظهرتْ بعد اليمين أعيدَتْ إلىٰ صاحبها، وإن كان قد تَعوَّض عنها أُعيد العِوَضُ .

وعلىٰ أن يكْتشِفُوا عن الأخيذة بجُهْـدِهم وطَاقتِهم . ومتىٰ تحققتْ أعيـدتْ الىٰ صاحبها ، فإن حَلَفوا يبرءون من الدعوىٰ ، و إن ظهرتْ بعـد اليمين أعيدتْ علىٰ صاحبها ، و إن آمتنع المدّعىٰ عليـه من اليمين حَلَف المدّعى، ولا يسـتحق[1] عوض ما عدم من كل شيء مثـله . وكـذلك يجرى الأمْرُ فى القتْل : عِوَضُ الفَارِس فارِسٌ ، وعِوَضُ الرَّاجِل راجِلٌ ، وعِوَضُ البَرْكِيل برَكِيلٌ ، وعِوَضُ التّـاجر تاجِرٌ ، وعِوَضُ الفـلّاح فَلّاحٌ . وإذا آنقضت الأربعون يومًا المذكورةُ لكَشْف الدعوىٰ ولم يَحْلِف المدّعَىٰ عليه للدّعى وجب عليه العِوَضُ حتّىٰ يردّ، وإن ردّ اليمينَ علىٰ المدّعِى ومَضىٰ علىٰ ذلك عشرةُ أيامٍ، ولم يَحْلِف صاحب الدعوىٰ بطلتْ دعواه وحُكْمُهـا، و إن حلف أخَذَ العِوَض .

ومتىٰ هَرَب من إحدى الجِهَتين إلىٰ الأخرىٰ أحَدٌ، ومعه مالٌ لغيره أُعيـدَ جميعُ مامعه، وكان الهـاربُ مُخيّرًا بين المُقام والعود . و إن هرب عبدٌ وخرج عن دِينِه، أُعِيدَ ثَمَنُه ، و إن كان باقيًا علىٰ دِينِه أُعيد .

وعلى أن لا يدخلَ أحدٌ من القاطِنِينَ فى بلَدِ المناصفات : من الفلّاحينَ والعرَبِ والتركمانِ وغيرِهم، إلىٰ بلادِ الفَرَنْج والنّصارىٰ كافّةً لإغارة ولا أذيّةٍ بعِـلْمِ المَلِك الظاهر و بلاد مُعاهَديه ، [ولا يدخُلَ أحدٌ] بلاد المسـلمين لإغارة ولا أذيّةٍ بعلم بيْتِ الاسبتار ولا رِضاهُم ولا إذْنِهم .

وعلىٰ أنّ الدعاوىٰ المتقدّمةَ على هـذا الصُّلح يحَلّ أمْرُها على شَرْط المُواصَفَة التى بين المَلِك الظاهر و بين مُعاهَديه و بين بَيْت الاسبتار .

---

(١) كذا فى الأصل ؛ ولعل الصواب «ويستحق» كما هو ظاهر .

وعلى أن هذه المدنة تكونُ ثابتةً مُستقرةً، لا تُنقضُ بموت أحدٍ من الجهتين، ولا وفاةِ ملِك ولا مُقدَّمٍ، إلى آخر المدّة المذكورة، وهي : عشرُ سنين وعشرةُ أشهرٍ وعشرةُ أيام وعشرُ ساعات، أوّلها يوم تاريخه .

وعلى أن نُوّابَ الملِكِ الظاهر ومعاهديه لا يتركونَ أحدًا من التُّركمان، ولا من العُربان، ولا من الأكرادِ، يدخلُ بلادَ المناصَفات بغيرِ اتّفاقٍ من بيْت الاسبتار أو رضاه، إلا أن يكفُلوه على نفوسهم في هذه الطوائف المذكورة، ويعلَموا حالَه، لئلّا تبدُوَ منهم أذيّةٌ أو ضررٌ أو فسادٌ ببلد المناصفات وببلد النصارى . ولنوّاب مولانا السلطان أن تتركهم على شرْطِ أنهم يعلَمُ بهم بيْتُ الاسبتار في غدِ نزولهم المكان، إن كان المكانُ قريبا . وإن ظهر منهم فسادٌ كان النوّابُ يحاوبون بيْت الاسبتار .

وعلى أن المهادنةَ بحُدُودِها يكونُ الحكمُ فيها كما في المناصفات، والحدُودُ في هذه البلاد جميعها تكونُ على ما تَشْهدُ به نسخ المُدَن، وما استقرَّ الحالُ عليه إلى آخرِ وقتٍ .

وعلى أن تحِلّ أمورُ المملكةِ الحِمصيّة على ما كان مستقرًّا في الأيام الأشرفيّة، على ما قرّره الأمير علَمُ الدِّين «سنجر» .

هذا ما وقع الاتّفاقُ والتّراضي عليه من الجهتين . وبذلك جرى القلمُ الشريفُ السلطانيُّ المَلَكيُّ الظاهريُّ : حجّةً بمقتضاه، وتأكيدًا لما شُرح أعلاه . كُتب في تاريخ كذا وكذا .

الملحق رقم «٤»

وهذه نُسخةُ هُدْنَةٍ من هذا النَّمط . عُقِدتْ بين السلطان المَلِكِ الظاهر «بيبرس» أيضا ، وبين مَلِكةِ بيروت من البلاد الشامية ، فى شُهُور سنة سبع وستين وستمائة حين كانت بيدها ، وهى :

آستقرت الهُدْنة المباركةُ بين السُّلطانِ المَلِكِ الظاهرِ رُكْنِ الدين «بيبرس» وبين المَلِكَة الجليلة المَصُونة الفاخرة ، فُلانة آبنة فلان ، مالِكَةِ بيروت وجميع جبالها وبلادها التَّحْتِية مدّةَ عَشْرِ سنين متوالية ، أوّلُها يومُ الخميس سادسُ رمضانَ سنة سبع وستين وستمائة الموافِق لتاسع إيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية ـ علىٰ بيروتَ وأعمالها المضافة إليها ، الجارى عادتُهم فى التّصرُّف فيها فى أيام المَلِكِ العادِل ، أبى بَكْرِ بنِ أيُّوبَ ، وأيامِ ولدِه المَلِكِ المعظَّم عِيسَى ، وأيَّامِ المَلِكِ الناصِر صلاحِ الدِّين يُوسُفَ بن المَلِك العَزِيز . والقاعدةِ المستقِرّة فى زمَنِهم إلىٰ آخر الأيام الظاهرية ، بمقتضى الهُدْنَةِ الظاهريّة ، وذلك مدينةُ بيروتَ وأماكِنُها المضافةُ إليها : من حدّ جُبَيْلٍ إلىٰ حدّ صَيْدا ، وهى المواضع الآتى ذِكْرُها : جُونِيَّة بحدودها ، والعذب بحدودها ، والعصفورية بحدودها ، والراووق بحدودها ، وسِنّ الفيل بحدودها ، والرح والشويف بحدودها ، وانطلياس بحدودها ، والحديدة بحدودها ، وحسوس بحدودها ، والبشرية بحدودها ، والدكوانة وبرج قراجار بحدودها ، وقرينة بحدودها ، والنصرانية بحدودها ، وجلدا بحدودها ، والناعمة بحدودها ، ورأس الفيقه ، والوَطاءُ المعروف بمدينة بيروتَ ، وجميعُ ما فى هذه الأماكِنِ من الرَّعايا والتُّجّار ، ومن سائر أصناف الناس أجمعين ، والصّادرين منها والواردين إليها من جميع أجْناسِ النّاس ، والمتردّدين إلىٰ بلاد السلطان فلان ، وهى : الجيرةُ وأعمالُها وقِلاعُها وبلادُها وكُلّ ماهو مختصٌّ بها ، والمَمْلكة الأَنْطاكِيّة وقِلاعُها وبلادُها ، وجَبَلَةُ واللّاذِقِيّةُ وقِلاعُها وبِلادُها ، وحِمْصُ المحروسةُ وقِلاعُها وبِلادُها وما هو مختَصٌّ بها ، ومملكةُ حِصْنِ عَكّا وما هو مَنْسُوبٌ إليه ، والمملكةُ الحَمَويّةُ وقِلاعُها وبِلادُها وما هو مختَصٌّ بها ، والمملكة الرَّحَبِيّة وما هو مختَصٌّ بها : من قلاعِها وبِلادها ، والمملكةُ البَعْلَبَكِّيّة وما هو مختَصٌّ بها : من قلاعها وبلادها ، والمملكةُ الدِّمَشْقِيّةُ وما هو مختَصٌّ بها : من قِلاعِها وبِلادها ورعاياها

وممالِكها، والمملكة الشَّقيفيَّة وما يختصُّ بها من قِلاعِها وبِلادِها ورعاياها، والمملكةُ القُدْسيَّة وما يختصُّ بها، والمملكةُ الحَلَبيَّة وما يختصُّ بها، والمملكةُ الكَرَكيَّةُ والشَّوْبَكيَّة وما يختص بها من القِلاعِ والبلادِ والرَّعايا، والمملكةُ النَّابُلُسِيَّةُ، والمملكةُ الصَّرْخَدِيَّةُ، ومملكةُ الدِّيارِ المِصْريَّة جميعها : بثُغُورِها، وحُصُونِهـا، وممـالِكها، وبلادِها، وسَواحِلِها، وبَرِّها، وبَحْرِها، ورعاياهَا، وما يختصُّ بها، والسَّاكنينَ في جميع هـذه الممـالك : المذكورة وما لم يذكر من ممالك السُّلْطانِ وبلادِه، وما سيفتحُه اللهُ تعالىٰ علىٰ يَدِه ويَدِ نُوّابِه وغِلْمانِه يكونُ داخلًا في هـذه الهُدْنة المباركة، ومُنْتَظِمًا في جُمْلة شروطِها، ويكونُ جميعُ المتردِّدين من هذه البلاد وإليها آمنينَ مُطْمئنِّين علىٰ نُفُوسِهم وأموالِهم وبضائِعِهم، من المَلِكة فلانةَ وغِلمانِها، وجميعِ من هو في حُكْمِها وطاعتِها: برًّا وبحرًا، ليلًا ونهارًا، ومن مَراكِبِها وشوانِيها . وكذلك رعيَّةُ المَلِكة فلانةَ وغِلْمانُها يكونون آمنين علىٰ أنْفُسِهم وأمْوالِهم وبضائعهم من السُّلطانِ ومن جميعِ نُوّابِه وغِلْمانِه ومَن هو تحت حُكْمِه وطاعتِـه : برًّا وبحرًا، ليلًا ونهـارًا : في جَبَلَة، واللَّاذِقِيَّة، وجميعِ بلادِ السـلطان، ومن مَراكِبِه وشَوانِيه .

وعلىٰ أن لا يُجـدَّدَ علىٰ أحدٍ من التُّجّارِ المتردِّدين رَسْمٌ لم تَجْرِ به عادةٌ، بل يُجْرَوْنَ علىٰ العوائد المُسْتَمِرَّة، والقواعد المُسْتَقِرَّة من الجِهَتَين . وإن عُدِمَ لأحَدٍ من الجانبين مالٌ، أو أُخِذَتْ أَخِيـذَةٌ، وصحَّتْ في الجِهَة الأخرىٰ رُدَّتْ إن كانت موجودةً، أو قيمَتُها إن كانتْ مفقودةً . وإن خَفِيَ أَمْرُها كانت المدّةُ للكَشْفِ أربعين يومًا، فإن وُجِدتْ رُدَّت، وإن لم توجدْ حَلَفَ وَالِي تِلْك الولايةِ المدّعىٰ عليـه، وحَلَفَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن يختارُهم المُدّعِي، وبَرِئَتْ جهتُه من تلك الدَّعْوىٰ . فإن أبىٰ المدّعَىٰ عليه عن اليمين حَلَفَ الوَالِي المُدّعِي، وأخذ ما يدّعِيه . وإن قُتِلَ أحدٌ من الجانبين خطأً كان أو عَمْدًا، كان على القاتِلِ في جهته العِوَضُ عنه نَظِيره : فارسٌ بفارس،

وبَرْكِيلٌ ببَرْكِيلٍ ، ورَاجِلٌ براجِلٍ ، وفَلّاحٌ بفَلّاحٍ . وإن هرب أحدٌ من الجانبين إلى الجانب الآخر بمـال لغيره، ردّ من الجهتين هو والمـالُ ، ولا يُعْتَذَرُ بعُذْرٍ .

وعلى أنه إن تاجر فرنجى صَدَر من بيروتَ إلى بلاد السُّلطان يكونُ داخلًا فى هذه الهُدْنة ، وإن عاد إلى غيرها لا يكون داخِلًا فى هذه الهُدْنَة .

وعلى أنّ المَلِكَة فلانةَ لا تُمَكِّنُ أحدًا من الفرنج على آختلافهـم من قَصْـد بلاد السُّـلطانِ من جهـة بيروتَ وبلادِها ؛ وتمنعُ من ذلك وتدفَعُ كلَّ متطرِّق بسُوء ، وتكونُ البلادُ من الجهتينِ محفوظةٌ من المتجرِّمين المُفْسِدِين .

وبذلك آنعقدت الهُدْنة للسلطان ، وتقرّر العملُ بهـذه الهُدْنة والآلتزامُ بعُهُودها والوفاءُ بهـا إلى آخر مُدَّتِها من الجهتين : لا ينقُضُها مرُورُ زمانٍ ، ولا يُغَيِّر شروطَها حِينٌ ولا أوَان ، ولا تُنْقَضُ بموْتِ أحدٍ من الجانبين . وعند آنقضاءِ الهُدْنة تكون التُّجّار آمنين من الجهتين مدّةَ أربعين يوما ، ولا يُمنَـعُ أحدٌ منهم مـن العَوْدِ إلى مستقره ، وبذلك شَمِلَ هذه الهُدْنةَ المباركةَ الخطُّ الشريفُ حُجّةً فيها ، والله الموفّق ، فى تاريخ كذا وكذا .

الملحق رقم «٥»

وهذه نُسخةُ هُدْنةٍ عُقِدتْ بين السلطان المَلِكِ الظاهر «بيبرس» وولده الملِكِ السّعيد، وبين الفرنج الاسبتارية، على قَلْعةِ لُدّ بالشام، في سنة تسع وستين وستمائة، وهي :

آستقرتْ الهدنةُ المباركةُ بين السُّلطانِ المَلِكِ الظَّاهرِ رُكْنِ الدِّين «بيبَرْس الصَّالحي» قَسيمِ أمير المؤمنين وولَدِه المَلِكِ السَّعيد ناصر الدِّين «محمد بَرَكه خاقان» خليل أمير المؤمنين؛ وبين المُباشِرِ المقدَّمِ الجَليلِ افريز أولدكال مقـدَّمِ جميع بَيْتِ آسبتار سرجوان بالبلاد السَّاحِلية، وبين جميع الإِخْوَة الاسبتارية، لمدّة عشر سنين كاملة متوالية متتابعات، وعشرة أشهرٍ، أولُهـا مُسْتهلُّ رمضانَ سنَةَ تسع وستين وستمائة للهجرة النبوية المحمّدية، الموافِق للثامن عَشَر من نَيْسانَ سنةَ ألف وخمسمائة وثمانين وثمانية للإِسكندر بن فيلبس اليُونانِيّ - على أن تكون قَلْعَـةُ لُدُّ بكمالهـا وربضها وأعمالها، وما هو منسوبٌ إليها ومحسُوبٌ منها، بحدُودِها المعروفةِ بها من قديم الزمان، وما آستقر لهـا الآن، وما يتعلّقُ بذلك : من المواضع، والمصايِد، والملاحات، والمقاطع، والمعاصر، والطّواحين، والجزائر : سَهْلهـا وجَبَلها، وعامرها وداثرها، وما يجري بها من أنهارٍ، ويَنْبُعُ بها من عُيُون، وما هو مَبْنيٌّ بها من عمائر، وما آستجدّ بها من الفراح وغير ذلك، وكلُّ ما عُمِّر في أراضي المُناصفات من دورها وأنهارها، وما بحدود ذلك من نَهْر بدرة إلى جِهَة الشَّمال، وما آستقر لها من هذه الجهات إلى آخر الأيام النّاصريّة من الحدود المعروفة بها والمُسْتقِرّة لها، وبعض رجب وما يُنْسَبُ إلى ذلك من البلاد والضِّياع والقُرى التي كانت مُناصفةً - تكونُ جميعُ ذلك وهذه الجهات خاصا إلى آخر الزائد للمَلِكِ الظّاهر، ولا يكون لبيت الإسبتار ولا للرقب فيها حقٌّ ولا طَلَبٌ بوجْهٍ ولا سَبَبٍ إلى حين انقضاء هذه الهُدْنة وما بعدها إلى آخر الزائد، ولا لأحدٍ من جميع الفرنجة فيها تعلُّقٌ ولا طَلَبٌ بوجْهٍ ولا سبب .

وكذلك مهما كان مُناصَـفةً، كقَلْعةِ المليقـة في بلادها لبَيْتِ الاسبتار، يكون ذلك جميعُـه للدِّيوان المَعْمور والخـاصّ الشريف، ولا يكون للرقَبِ فيهما شيءٌ ولا لبَيْت الأسبتار .

وكذلك كلّ ما هو فى بلاد الدّعوة المُباركة جميعها وقلاعها من القرىٰ ـ لا تكون فيها مُناصَفةٌ لبيت الاسبتار ولا للمرقب، ولا حقٌ، ولا رَسْمٌ، ولا شرطٌ، ولا طلبٌ

فى جميع بلادِ الدّعْوة : مِصْـياف المحروسة ، والكَهْف ، والمنيقـة ، والقدْمُوس ، والخَوابِي ، والرُّصافة ، والعليقة . وكلُّ ما هو فى هذه القِلاع وفى بلادها من مُناصَفة ، يكون ذلك خاصًّا للملك الظـاهر ، وليس لبيت الاسبتار ولا الفرنجة فيـه حَشْدٌ ولا طلَبٌ .

وعلىٰ أن تكونَ بلادُ المَرْقب وحُدُودُها من تَهْرِلُدَّ ومُقْبلًا ومُغرّبًا إلىٰ حدود بلاد مَرْقبـة المعروفة بها ، الدّاخل جَميعُها فى الفُتُوح الشريف ، وآسْـتِقرارها بحُكْم ذلك فى الخاصّ المبارك الشّريف ، وحَدّ البُيوتِ المحاذية لسُور الرّبَض ، تسـتقرُّ جميعُها مناصفةً بين السُّلطانِ و بين بَيْتِ الأسبتار نِصْفين بالسَّوِيّة ، وما فى جميع هذه البلاد : من بَسَاتين ، وطواحِينَ ، وعمائرَ ، ومَصايد ، ومَلّاحات ، ووُجُوهِ العَيْن ، والمُسْتغَلّات الصَّيْفِيّة والشّتْوية ، والقَطّاني ، والحُقوقِ المستخرجة ، وما هو مَزْروعٌ من الفدن لأهـل الرَّبَض وبَيادِرها : يكونُ ذلك مُناصَـفَةً بين السـاطان و بين بَيْتِ الأسبتار سرجوان بالسَّوِيّة نِصْفين .

وما هو دَاخِل الرَّبِض وداخل المَرْقب ، فإنه مُطْلَقٌ من المَلِك الظاهر للقَـدَّم الكبير افريز أولد كال مقـدّم بَيْتِ الأسبتار سرجوان وخَيّالَتِه ، ورجّالِه وحَمّـالَتِه ورَجّالَتِـه ورَعِيّتِه ، برَسْم إقامتهم وسُكّاهُم من داخِل الأسوار ، وعن سُورِ الرَّبَض المحـاذِية للسُّور تكونُ مناصَـفَةً جميعُها ، بمـا فيـه من حقوق طُرُقات وأحْكار ، ومَراعِى المَواشِى على آختلاف أصوافها وأوْبارها ، وجميع السخريات ، وكلّ أرْض مَزْروعةٍ أو غَيْرِ مزروعةٍ مهما أُخِذَ منه من حَقّ أو عِداد يكونُ مُناصَفَةً .

وكلُّ ما هو من المَوَانِى والمَرَاسِى البَحْرِيَّة المعروفة جميعها بحِصْنِ المَرْقب : من مِينَا بَلْدة إلىٰ مينا القَنْطرة المُجاوِرَة لحـدود مَرْقبَة ـ تكونُ هى وما يتحصَّلُ منها من

الحقوق المُسْتخرَجة من الصادرين والواردين والتُّجّار ، وما ينعَقِدُ عليه آرتفاعُها ، وتَشهَدُ به الحُسْبانات ـ جميعُه مُناصَفةً . وما يدخُلُ فى ذلك من أجناس البَضائع على آختلافها يؤخذُ الحقُّ [منه] مُناصَفةً على العادةِ الجاريةِ من غير تغيير لقاعدةٍ من حين أَخْذِ بيتِ الأسبتار المَرْقَب إلى تاريخ هـذه الهُدْنةِ المباركةِ مُناصَفة على العادة الجارية، بل تجرى التُّجّارُ فى الحقوق علىٰ عادتهم فى البضائع التى يُحضِرونها والمَتجر كائنا من كان .

يعتمدُ ذلك فى كلِّ ما يَصِلُ للتردِّدين والمقيمين بالقلْعةِ والرَّبَض : من عامّةٍ وغير عامّة، وخَيّالةٍ وغير خَيّالة، على آختلاف أجناسهم، خَلا ما يَصِلُ للإخوَةِ ولِغلمانِهم المعروفين بالإخْوَةِ الأسبتارية من الحُبُوب والمُؤْونة والكُسْوة والخَيْل التى هى برَسْم رُكوبِهم خاصّةً، لا يكونُ عليها حقٌّ، بشرْط أنه لا يكون فيها للتُّجّار شىءٌ من ذلك، وماخلا ذلك جميعه يُؤْخذُ الحقُّ منه مناصفةً علىٰ ماشَرَحْناه .

وعلىٰ أنه لا يَحمِى أحدٌ من الإخوةِ الخَيّالة ، والوُزَراء ، والكُتّاب ، والنُّوّاب ، والمستخدمين شيئًا علىٰ آسم بَيْتِ الأسبتار، ليستطلقَ الحقّ ويمنعَ من آستيفائه، ولو أنّه أقربُ أخٍ إلى المُقدَّم أو وَلَدُ المقدَّم . إذا ظَهر منه خلافُ ماوقع عليه الشَّرْط، أُخِذَ جميعُ ماله مُستَهلكًا للجِهتَين : للدِّيوانِ السُّلطانىّ المعمور، ولبيْت الأسبتار، إن كان خارجًا مِن البَحْرِ أو نازلًا إلى البَحْرِ، صادرًا ووَارِدًا، وكذلك فى البَرّ صادرًا ووارِدًا بعد المحاققةِ علىٰ ذلك وتحقيقه .

وعلىٰ أنّ نُوّابَ المُباشِرِ المقدَّمِ الكبيرِ لبَيْت الأسبتار، ووُلاتَه وكُتّابَه ومُستَخدميه وغِلمانَه ، يكونونَ آمنين مُطمَئنّين علىٰ نفوسهم وأموالِهم وجميع ما يتعلّقُ بهم . وكذلك غلمانُنا وولاتُنا ونُوّابُنا ومُستَخدَمونا وكُتّابُنا ورعايا بِلادِنا يكونون آمنين

مُطمَئنِّين على نفوسهم وأموالهم ، مُتَّفِقِينَ على مصالح البلاد وأخذ الحُقُوق، وسائر المُقاسَمات والطُّرقات والبَساتين والطَّواحين، والحُقُوق المقرَّرة على الفدن على آختلاف أجْناسها . وكذلك الرَّآسة وآستخراجُ وُجوهِ العينِ، والحُبُوب، والتصاريفُ الجارى بها العادة المقرَّرَة على الفدن، من جميع ما يتعلّق بها .

وعلى أن جميعَ الضمانات يكونُ نُوّابُ السلطانِ ونُوابُ بَيْتِ الأسبتار مُتَّفِقينَ جُملةً على ذلك ، لاينفردُ أحَدٌ منهم بشَيْءٍ إلا بآتفاقٍ وتَنْزِيلٍ فى دفاتر الديوان المَعْمور وديوانِ بَيْتِ الأسبتار ، ولا يُطْلَقُ ولا يُحْبَسُ إلا بآتِّفاقٍ من الجهتين ، ولا ينفردُ واحدٌ دون آخَر .

وعلى أنّ أىَّ مُسْلِمٍ تصدُرُ منه أذيَّةٌ يحكمُ فيه بما يَقْتَضِيه الشرعُ الشريفُ فى تأديبه ، يعتمدُ ذلك فيه نائبُنا : من شَنْقٍ يجبُ عليه ، أو قَطْعٍ . أو أُدِّبَ بحُكْم الشَّرْع الشريف : من شَنْقٍ، وقَطْعٍ، وكَحْلِ أعْيُنٍ، بحيثُ لا يُعْمَلُ ذلك إلا بحضُور نائبٍ من جِهَةِ بَيْتِ الأسبتار ، حاضِرٍ يُعايِنُ ذلك بعَيْنِه ، ويكونُ قد عَرَفَ الذَّنْبَ وتحقَّقَه . وإن كان ذَنْبُه يستوجبُ جنايةً أو غَرامَةَ دراهِمَ أو ذَهَبٍ أو مَواشٍ أو غيرِ ذلك على آختلاف أجناسِه ، يكونُ ما يُستأدَى مُناصَفَةً للدِّيوان المَعْمُور ولِبَيْتِ الأسبتار وصاحِبِ المَرْقَب . فإن كان فيها (١) قماشٌ وبَضائعُ على آختلاف أجْناسِه، وصاحبُه مُسْلِمٌ، يأخذُ بضاعتَه من غير آعْتِراضٍ من الجِهَتَيْنِ بعد أداءِ الحَقِّ للدِّيوان المعمور ولِبَيْت الأسبتار . وإن لم يُعْرَفْ صاحبُ البضاعة وكانَتْ لمُسْلِمٍ، أعيدتْ للخِزَانة السُّلْطانية ولا يكونُ لِبَيْتِ الأسبتار فيها تَعَلُّقٌ . وإن كان صاحبُ البضاعة نَصْرانيًّا على آختلاف أجناسِ النَّصارى ، تُؤْخذُ بِضاعتُه من غير آعتراضٍ من جِهَتِنا ، بعد أداءِ الحَقّ . وإن لم يُعْرَفْ صاحبُ البضاعة ، وكانتْ لنَصْرانِيٍّ ،

(١) لعله سقط هنا شيء يعود عليه الضمير .

من صبح الأعشىٰ

شئ تحت يد بيت الأسبتار ، خلا من كان من بلاد مملكة السُّلْطان على اختلاف دينه . إن كان نصرانيًّا أو ذميًّا ، على اختلاف جنس دينه ، ليس لبيت الأسبتار معهم اعتراض ، ويحمل ذلك جميعه على اختلاف أجناس البضائع للديوان المعمور .

وعلىٰ أنه متى انكسر مركبٌ ، وظهر إلىٰ برّ الموانى بضاعةٌ ، وقصد صاحبه شيله إلىٰ جهةٍ يختارها فى البرّ والبحر ، ولا يُبتَع ، فيؤخَذُ الحقّ منه : إن باع يؤخذ الحقّ ، وإن حمل يؤخذُ الحقّ ، ويكونُ الحقُّ للجهتين : وهو الحقّ المعروف الجارى به العادة .

وعلىٰ أن التُّجّار السَّفّارة والمتردّدينَ بالبضائع من بلاد المُسْلمين والنّصارىٰ متىٰ ما خرجُوا من الموانى المحدودة أعلاه يتوجّهونَ بخفارةِ الجهتين من غير حقّ : لا يتناول من الخفارة شيءٌ منسوبٌ إلىٰ نفوسهم إلىٰ أن يُخرجَهم ويُحضرَهم إلىٰ برّ حُدود المرْقب آمنين مُطمئنّين تحت حفظ الجهتين . ومتىٰ وصلَ التُّجّار من مملكة السُّلطانِ إلىٰ بلاد المرْقب وموانيها ، فالتّرتيبُ على الخفارة من الجهتين ، مع تدرُّك الرُّؤساء الحفظَ للطرقات صادرًا ووارِدًا ، بحيثُ إنّهم يحضرون إلىٰ بلاد المرْقب ، وإلى الموانى بالمرْقبِ المحدودةِ أعْلاه ، طيّبينَ آمنينَ علىٰ أرواحهم وأموالهم بالخفارة من الجهتين ، علىٰ ما شرحناه .

وعلىٰ أنَّ غلمان المباشِر المقدّمِ لبيت الأسبتار والإخوة والخيّالة والرَّعيّة المقيمين بقلْعة المرْقب والرَّبَض ، يكونون آمنينَ مُطْمئنّين على أنفسهم وأموالهم ومن يلوذ بهم ويتعلّق ، فى حال صُدورهم ووُرودهم إلىٰ بلادنا الجارية فى مملكتنا فى البرِّ منّا ومن نوّابنا بالمملكةِ والبلادِ الجارية فى حكمِنا ، ومن ولَدِنا الملك السَّعيد ، ومن أمرائنا وعساكرنا المنصورة . وإن قُتِلَ قتيلٌ أو أُخذتْ أخيذةٌ فى حدود المناصف ببلاد

المَرْقب ، فيقعُ الكَشْفُ عن ذلك عشرين يومًا : فإن وُجِد فاعِلُ ذلك، يؤخَذُ الفاعِلُ بذَنْبِه . وإن لم يظهَرْ فاعِلُ ذلك مدّة عشرين يومًا فيُمْسِكُ رُؤساءُ مكانِ قَطْعِ الطَّرِيقِ وأخذِ الأَخِيذَةِ، وقَتْلِ القَتيلِ، إن كان أخذٌ وقَتْلٌ ـ مكانَ من قتلَ القَتيلَ أو أخذَ الأَخيذَةَ ـ أقربَ القُرباءِ إلى الذى قَطَع عليه الطريقَ أو قتَل قتيلًا . فإن خَفِىَ الفاعِلُ لذلك ، وعُجِزَ عن إحضاره بعد عشرين يومًا ، يُلزِمُ أهْلُ نُوّابِ الجهتين من القُرباءِ الأقربَ لذلك المكان بألف دينارٍ صُورِيَّة : للدِّيوان السلطانىّ النِّصْفُ ، ولِنَقِيبِ الأسبتار النِّصفُ ، ولا تتكاسل الولاةُ فى طَلَبِ ذلك، ويكونُ طَلَبُه يَدًا واحدةً، ولا يختص الواحدُ دون الآخر . ولا يحابى أحد منهم لأخْذِ الفَلّاح فى هذا أوغيرِه فى مَصْلحةِ عِمارَةِ البلاد، واستخراجِ الحُقُوق، ومُقاسمةِ الغِلال، وطَلَبِ المُفْسِدين ليلًا ونَهارا .

وعلى أن لاتغيّرَ الهُدنةُ المُباركَةُ بأمرٍ من الأمور، لامن جهتِنا ولا من جِهَةِ ولدِنا المَلِك السَّعيد، إلى انقضاء مُدّتِها المعيّنة أعلاه وفروعِها . ولا تتغيّرُ بتغيّرِ المقدَّمِ المُباشِرِ لبَيْتِ الأسبتار الحاكم على المرقب وغيره . وإذا جَرَتْ قَضِيَّةٌ فى أمرٍ من الأمور يعرِّفُهم نُوّابُنا ، ويحقِّقُ الكَشْفُ إلى مدّةِ أربعين يومًا ؛ فمن يكون للبداية يخرج منها على من يثبت(؟) ويكونُ قد عَرَفَ دَيْنَه الذى بدا من جِهَةِ كلِّ واحدٍ . وإذا تغيّرَ النوابُ بالمَرْقبِ وحضرَ نائبٌ مُسْتَجِدٌ يعتمِدُ ما تضمّنته هذه الهُدْنةُ ، ولا يخرج عن هذه المُواصَفَة . وإذا تَسَحَّبَ من المسلمين أحدٌ على اختلاف أجْناسه ، إن كان مَمْلُوكًا أو غيرَ مَمْلوك، أو مَعتوقًا أو غيرَ مَعْتُوق ، أو كائنًا مَن كان من المسلمين على اختلاف مَنازِلِهم، وإن كان غُلامًا أو غيرَ غُلامٍ ـ يرَدُّ بجميعِ ما يُوجَدُ معه ، إن كان قليلًا أو كثيرًا يرَدّ . ولو أنّ المُتَسَحِّبَ دخلَ الكَنِيسةَ وجلس فيها يُمْسِكُ بيدِه ويخرجُ ويسلَّمُ لنوّابِنا بجميع ما معه ، وإن كان خَيْلًا أو قماشًا أو دَراهمَ أو ذَهَبًا

وبما يتعامل الناس به، يسلّم بما معه الى نوابنا على ماشرحناه . وكذلك إذا تسحّب أحدٌ من جهتهم من الفرنج أو النصارى الى أبوابنا الشريفة ، أو وصل الى جهة نوابنا يمسك ويسلّم بما يحضر معه : من الخيل والأقمشة والعدّة وجميع مايصل إن كان قليلا أو كثيرا ، يمسكه نوابُنا ويسلّمون ذلك بما معه لنائب المقدّم الماستر المقيم بالمرقب ، وأخذوا الخطوط بذلك بتسليمه بما حضر معه .

وعلى أنهم لا يكونُ لهم حديثٌ مع قلعة العليقة ، ولا الرعيّة الذين فيها ، ولا مع نواب ابن الرديني المقيمين فيها : لا بكتاب ، ولا بمشافهة ، ولا برسالة ، ولا بقول ، ولا يطلع أحدٌ من جهتهم اليهم ، ولا يمكّن أحدٌ من الحضور اليهم ، [والوصول] الى جهتهم من القلعة المذكورة ، ولا تُسيّر اليهم مئونةٌ ولا تجارة ولا جلب على اختلاف أجناسه ، ولا تكونُ بينهم معاملة . وإن حضر أحدٌ من جهة قلعة العليقة اليهم يمسكون ويسلّمون لنوابنا ويأخذوا بذلك خطوطهم .

وعلى أنهم لا يجدّدون عمارة قلعة ، ولا في القلعة عمارةً ، ولا في البدنة ولا في أبراجها ، ولا [يعتمدون] إصلاح شيء منها الا إذا عاينه نوابُنا أو أبصروا أنه يحتاج الى الضرورة في ترميم يرمّمونه بعد أن يعاينه نوابُنا من هذا التاريخ ، ولا يجدّدون عمارةً في ربضها ، ولا في سورها ، ولا في أبراجها ، ولا يجدّدون حفر خندق ، وعمارة خندق ، أو تجدّدُ بنايةُ خندق أو قطع جبل ، أو تحصّنُ عمارة ، أو تحصّن بقطع جبل ، منسوبًا لتحصين يمنع أو يدفع . ولم نأذن لهم بسوى البناية [على] أثر الدور التي احرقت عند دخول العساكر صحبة الملك السعيد . وقد أذنا لهم في عمارة باطن الربض على أثر الأساس القديم .

وعلى أنّ صهيون وأعمالها ، وبرومه(؟) وأعمالها ، والقليعة وأعمالها ، وعيدوب وأعمالها ، الجارية تحت نظر الأمير سيف الدين محمد بن عثمان صاحب صهيون —

يجرى حُكْم هذه البلاد المختصة به حُكْم بلادنا فى المُهادَنَة، بحُكْم أنّ بلادَه المذكورة جَارِيةٌ فى ممالِكنا الشَّرِيفة .

وعلىٰ أنه لا يُمَكَّنُ بَيْتُ الأسبتار من دُخُول رِجْلِ غَرِيبَةٍ فى البَرّ ولا فى البَحْر إلىٰ بلادنا، بأذِيَّةٍ ولا ضَرَرٍ يعودُ على الدَّوْلة . وعلىٰ بِلادِنا وحُصُوننا ورَعِيَّتنا ، إلا أن يكونوا يَدًا غالِبةً، مُحْبةَ مَلِكٍ مُتوَّجٍ .

وعلىٰ أنّ البُرْجَ الداخِلَ فى المُناصَفَة، وهو بُرْج مُعاوِيةَ الذى عند المحاصّة الداخلة فى مَناصِف المَرْقَبِ الآنَ ، يُخرَّبُ ما يَخُصُّنا منه، وهو النِّصفُ من البُرْج المذكور أعْلاه . وأن الجِسْرَ المعروفَ بجسْرِ بَلْدَةَ لم يكنْ لبَيْت الأسبتار فيه شيءٌ من البَرَّيْن، وأنه خالصٌ للديوان المعمور دُونَ بَيْتِ الأسبتار . وأن الدّارَ المستجدّةَ عمارتُها بقَلْعة المَرْقب برَسْم الماستر المقدّمِ الكَبِير، الذى هو عايز تكميل عِمارةِ سَقْف القَبْو بالحجارة والكلْس، لا تَكمُلُ عِمارتُها، ويبقىٰ علىٰ حاله ، وهو فى وَسَط القَلْعة الظاهر منه قليلٌ إلى البرّ الشَّرقى وهو المذكورُ أعلاه .

وعلىٰ أن نُوّابَ الأسْبتارِ بالمَرْقَب لا يُخفُون شيئًا من مُقاسمات البِلادِ ولا شيئًا من حُقُوقها الجارِى بها العادةُ أن بَيْت الأسبتار يَسْتخرِجُونه ولا يُخفون منه شيئًا، وكلُّ ما كان يستأدىٰ من البلاد فى أيْدى الأسبتار قبلَ هذه المُدْنَة يُطْلِعُون نوابَنا عليه ولا يُخْفُون منه شيئًا قليلًا ولا كثيرًا من ذلك .

وعلىٰ أنّ السلطانَ يأمرُ نُوّابَه بحفظِ مُناصَفات بلادِ المَرْقَبِ الداخلة فى هذه المُدْنَة، من المُفسِدِين والمتَلصِّصِينَ والحرامِيّة ممن هو فى حُكْمِه وطاعته . وكذلك الملستر المقدّم افريز أولدكال يلزمُ ذلك من الجِهَة الأُخرىٰ . ومتىٰ وقع ـ والعياذُ بالله ـ فَسْخٌ بسبَبٍ من الأسباب ، كان التُّجّارُ والسُّفّار آمِنِينَ من الجهتين إلىٰ

أن يَعُودوا بأموالهم ، ولا يُمنعونَ من السَّـفر إلىٰ أماكِنهم من الجهتين ، وتكونُ النهايةُ لهم أربعين يومًا . وتكونُ هـذه الهُدْنَةُ منعقدةً بشروطها المذكورة ، مُسْتَقِرَّةً بقواعِدها المسطورة للدّةِ المعَيَّنة، وهى : عَشْرُ سـنين وعشرةُ أشهُرٍ كوامِلَ، أوّلُها مُسْتَهَلُّ رمضانَ سـنة تسع وستّين وستمائة إلىٰ آخرها ، متتابعةً متواليـةً، لا تفسخُ بموتِ أحدٍ من الجهتين، ولا بِعزْلِ والٍ وقيامِ غيره مَوْضعَه، ولا زَوالِ رجُلٍ غريبةٍ، ولا حُضُورِ يَدٍ غالِبَةٍ؛ بل يلزمُ كلًّا من الجهتَين حِفْظُها إلىٰ آخرها؛ ومن تولّى بعـد الآخَرِ حَفِظَها إلىٰ آخرها، بالشُّروطِ المشروطةِ فيها أوّلًا وآخِرًا . والخطُّ أعلاه، حجّةٌ بمقتَضَاه، إن شاء الله تعالىٰ . فى تاريخ كذا وكذا .

⁂

الملحق رقم « ٦ »

وهـذه نُسخةُ هُدْنةٍ عُقِدتْ بين السـلطان المَلِكِ المنصور « قَلَاوُون » الصالحى صاحبِ الدّيارِ المِصْرِيّةِ والبلادِ الشاميّـةِ ووَلَدِه المَلِكِ الصالح «على» وَلِيِّ عَهْـدِه ، وبين حُكّامِ الفَرَنْجِ بعَكّا وما معها من بلاد سَوَاحِلِ الشّامِ ، فى شهور سـنة آثنتين وثمـانين وستمائة ، وهى يومئذ بأيديهم . وصُورتُها .

آستقرّتِ الهُدْنةُ بين مولانا السُّلطانِ المَلِكِ المنصورِ سَـيْفِ الدُّنيا والدِّينِ أبى الفَتْح «قلاوون» المَلَكِيّ الصّالِحيّ وولَدِه السـلطانِ المَلِكِ الصالحِ عَلاءِ الدِّينِ « علىّ » - خلّد اللهُ تعالى سلْطَنَتَهما - وبين الحُكّامِ بمَمْلَكةِ عكّا، وصَيْدا، وعَثْلِيثَ، وبلادِها التى آنعقدتْ عليها هذه الهُدْنةُ، وهم : الشيخَان أو دهيـل المملكة بعكّا ، وحضرةُ المقدَّمِ الجليلِ افريز كاسام دسا حول(؟)مقدّمُ بَيْتِ الديويّةِ، وحضرةُ المقدَّمِ الجليل افريز سكفل للورن(؟)مقدّمُ بَيْتِ الاسبتارية، والمرشانُ الأجَلُّ افريز كورات نائبُ مقدَّمِ بَيْتِ الاسبتار الآمن - لمدّة عَشْرِ سنين كوامِلَ، وعَشَرةِ أشْهرٍ، وعشرةِ أيّامٍ، وعَشْرِ ساعاتٍ : أوّلُها يومُ الخميس خامسُ ربيع الأوّل سنة آثنتين وثمـانين وستمائة للهجْرةِ النّبويّة، صلواتُ الله على صاحِبِها وسَـلامُه، الموافِقُ للثـالث من حَزِيرانَ سـنة ألف وخمسمائةٍ وأربع وتسعين لغَلَبةِ الإسْكَنْدَرِ بنِ فيلبس اليُونانيِّ - على جميع بلاد السُّـلطانِ وولَدِه، وهى التى فى مَمْلكتهما وتحتَ حُكْمِهما وطاعَتِهما وما تحْوِيه أيديهما يومئذٍ : من جميع الأقاليم والمَمَـالك، والقِلاعِ، والحُصُونِ الإسلامية، وثَغْرِ دِمْياطَ ، وثَغْرِ الإسْكَنْدرِيّةِ المحروستين ، ونَسْتَرُو ، وسَنْتَرِيّةَ وما ينسب إليهـا من المَوانى والسـواحل، وثَغْرِ فُوّةَ، وثَغْرِ رَشِيدَ، والبلادِ الحجازية، وثَغْرِ غَزّةَ المحروس، وما معها من المَوَانِى والبلاد ، والمَمْلكةِ الكَرَكِيّةِ، والشَّوْبَكِيّةِ وأعمالهـا، والصَّلْتِ وأعمالِها ، وبُصْرَى وأعمالِهـا، ومَمْلكةِ بلادِ الخَلِيل صلواتُ الله عليه وسَـلامُه ، ومَمْلكةِ القُدْسِ الشريف وأعمالِها، وبَيْتِ لَحْمٍ وأعمـالِه وبلادِه ، وجميع ما هو داخلٌ فيها ومحسوبٌ منهـا ، وبَيْتِ جبريلَ ، ومملكةِ نابُلُسَ وأعمالِهـا ، ومملكةِ الأطْرُونِ وأعمالِهـا، وعَسْقَلانَ وأعمالِها ومَوانيهـا وسَوَاحِلِها، ومَمْلكةِ يافَا والرَّمْلةِ ومِينَاها، وقَيْسارِيّةَ ومِينَاها وسَـواحِلِها وأعمالِها، وأرْسُوف وأعمالِها، وقلْعة قاقُونَ وأعمالِها وبلادِها، وأعمال العَوْجاءِ وما معها من الملاحة، والفُتُوحِ السّعيدِ وأعمالِها ومَزارِعِها، وبَيْسانَ وأعمالِها وبلادِها، والطُّورِ وأعمالِه، واللَّجُّونِ وأعمالِه، وجينِينَ وأعمالِها، وعَيْنِ جالوتَ وأعمالِهـا ، والقَيْمُونِ وأعمـالِه وما يُنْسبُ إليه، وطَبَرِيّةَ وبُحَيْرتِها وأعمالِهـا وما معها ، والمَمْلكةِ الصَّفَدِيّةِ وما يُنْسبُ إليها ، وتِبْنِينَ وهُونِينَ

وما معهما من البلاد والأعمال ، والشَّقيف المحروس المعْروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمالِ وما هو منسوبٌ إليه ، وبلادِ الفرن وما معه خارجا عما عُيّن فى هذه المُدْنة المُباركَة ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف ضَيْعة مارِبَ بِفُدْنيهما وكُرومِهما وبساتينهما وحُقُوقهما ، وما عدا ذلك من حُقُوق إسكندرونة المذكورة ، يكون جميعه بحُدُوده وبلاده للسلطان المَلِك المنصورِ ولولَده النِّصْف ، والنِّصفُ الآخَر لِلمملكة عكّا . والبِقاع العزيزى وأعماله ، وشَعْرا وأعمالها ، وشَقيف تيرُونَ وأعماله ، والعامرِ جميعها ولا ما وغيرها (؟) ، وبانياس وأعمالها ، وقلعة الصُّبَيْبة وأعمالها وما معها من البُحَيْرات والأعمال ، وكَوْكَب وأعمالها وما معها ، وقلعة عَجْلُونَ وأعمالها ، ودِمَشْق والمملكة الدِّمَشْقيّة - حرسها الله تعالى - وما لها من القِلاع والبِلاد والممالكِ والأعمال ، وقلعة بَعْلَبَكّ المحروسة وما معها وأعمالها ، ومملكة حِمْص وما لها من الأعمال والحدود ، ومَمْلكة حَماة المحروسة ومَدينتها وقلعتها و بلادها وحُدُودها ، و بلاطُنُس وأعمالها ، وصِهْيَوْنَ وأعمالها ، و بَرْزَيه[1] وأعمالها ، وفُتوحات حِصْن الأكْرادِ المحروس وأعماله ، وصافيتا وأعمالها ، و[2] أعمالها ، والعُرَيمة وأعمالها ، وقدقيا وأعمالها ، وحلبا وأعمالها ، والقليعة وأعمالها ، وحِصْن عكّار وأعماله و بلاده ، وقلعة شَيْزَر وأعمالها ، وأفامية وأعمالها ، وجَبَلَة وأعمالها ، وأبو قُبَيْس وأعماله ، والمملكة الحَلَبِيّة وما هو مُضافٌ إليها من القِلاع والمُدُن والبِلاد والحُصُونِ ، وأنطاكيَة وأعمالها وما دخلَ فى الفُتُوح المُبارَك ، و بغراس وأعمالها ، والدَّرْبَساك وأعمالها ، والرَّاوَنْدان وأعمالها ، وعَيْنتاب وأعمالها ، وحارِم وأعمالها ، و بَيْرِينَ وأعمالها ، وسيح الحَديد وأعماله ، وقلعة نجم وأعمالها ، وشَقيف دَرْكُوش وأعماله ، والشُّغر وأعماله ، وبَكاس وأعماله ، والسُّوَيْداء وأعمالها ، والباب و بُزاعا وأعمالها ، والبيرة وأعمالها ، والرَّحْبة وأعمالها ، وسَلَمْية وأعمالها ، وتُمَيْمس وأعمالها ، وتَدْمُر وأعمالها وما هو منسوبٌ إليها ، و جميع ما هو منسوبٌ لمولانا السلطانِ ولولَده من البلاد التى عُيِّنت فى هذه المُدْنة المباركة ، والتى لم تُعَيَّنْ .

---

(١) أوردها ياقوت فى معجم البلدان هكذا : بَرْزُويه ، وذكر أن العامة تقول : بَرْزَيه كما هنا .

(٢) بياض بالأصل .

وعلى جميع العساكر، وعلى جميع الرّعايا من سائر الناس أجمعين : على آختلافهم، وتغيّر أنفارهم وأجناسهم وأديانهم، للقاطنين فيها، والمتردّدين فى البرّ والبحر، والسّهل والجبل، فى اللّيل والنهار، يكونون آمنين مُطمئنّين فى حالتى صُدُورهم ووُرُودهم — على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، وحريمهم، وبضائعهم، وغلمانهم، وأتباعهم، ومواشيهم، ودوابّهم، وعلى جميع ما يتعلّق بهم، وكلّ ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على آختلافها، من الحُكّام بمملكة عكّا : وهم كفيلُ المملكة بها، والمُقدَّمُ افريز كليام دسا حول (؟) مقدّمُ بيتِ الديوية، والمقدّمُ افريز بيكوك للورن (؟)، وافريز اهداب نائبُ مُقدّمِ بيتِ الاسبتار الآمن، ومن جميع الفرنج والإخوة، والفُرسان الدّاخلين فى طاعتهم وتحويه مملكتهم السّاحليّة، ومن جميع الفرنج على آختلافهم، الذين يستوطنون عكّا والبلادَ الساحليّة الداخلة فى هذه المُدْنة من كلّ واصلٍ إليها فى برّ أو بحرٍ على آختلاف أجناسهم وأنفارهم، لا ينال بلادَ السّلطانِ وولده، ولا حُصونَهما، ولا قِلاعَهما، ولا بلادَهما، ولا ضِياعَهما، ولا عساكرَهما، ولا جيوشَهما، ولا عربَهما، ولا تُركمانَهما، ولا أكرادَهما، ولا رعاياهُما، على آختلاف الأجناس والأنفار، ولا ما تحويه أيديهم من المواشى والأموالِ والغِلالِ وسائرِ الأشياء منهم غدرٌ ولا سُوءٌ، ولا يخشون من جميعهم أمرًا مكروهًا ولا إغارةً، ولا تعرّضًا ولا أذيّةً .

وكذلك ما يستفتحه ويضيفه السلطانُ وولدُه على يديهما، وعلى يدِ نوّابهما وعساكرِهما : من بلادٍ، وحُصونٍ، وقلاعٍ، ومِلْكٍ، وأعمالٍ، وولاياتٍ، برًّا وبحرًا، سهلًا ووعرًا .

وكذلك جميعُ بلادِ الفرنج التى آستقرّت الآنَ عليها هذه المُدْنةُ : وهى مدينةُ عكّا وبساتينُها، وأراضيها وطواحينُها، وما يختصّ بها من كرُومها، وما لها من

حُقُوقٍ حَوْلَهَا ، وما تقرر لهـا من بلادٍ فى هـذه المُدْنَة وهى : البصة[1] ومَزْرَعتُها، مجدل ، حصين ، رأس عبده ، المَنْوات ومَزْرَعتُها ، الكابرة ومزرعتها ، نصف وفيه جعون ، كَفر بَرْدَى ومَزْرَعتُها ، كَوْكَبُ عمقا ومَزْرَعتُها ، المونيـه ، كفر ياسيف ومَزْرَعتُها ، تُوسيان ، مكر حرسين ومَزْرَعتُها ، الحديدة ، النياضة ، المطوانية ، مرتوقا الحارثية ، ثمرا الطره ، الرب ، الناوحه ومَزْرَعتُها ، العرج ومَزْرَعتُها ، المزرعة السّميرية البَيْضاء ، دعوق والطاحون ، كردانه والطاحون ، حدرول ، تل النحل ، الفار ، الرخ والمجدل ، تَلُّ كيسان ، البروه ، الرامون ، ساسا السياسية ، الشبيكه ، المشـيرقه ، المطرانية ، المنير ، اكليل ، هريا سيف العربية ، هوشـه ، الزراعة الجديدة الشمالية ، الرحاجيـه ، قسطه ، كفر نبتل ، الدويرات ، ماصوب ، متماس العباسية ، سيمانه ، عين الملك ، المنصورة ، الرصـيفة ، حانا ، سرطا ، كفرتا ، أرض الزراعة ، رولس ، صفد عدى ، سفرعم . هذه البلادُ المذكورةُ [تكون] خاصا للفرَنْج . حِيفًا والكُرُومُ والبَسَاتين التى لهـا جميعها ، والقَصْر وهو الحوش وكَفْر تُوتا ، وهى : الكنيسة ، والطيرة ، والسمبة ، والسعادة ، والمرء ، والباجور ، وسوفرا . تكون حِيفًا وهـذه البلادُ المذكورةُ بحدُودِها وأرَاضِيها خاصّـةً للفرنج . وكذلك قرية مارسا ماره بها ، المعروفة بهـا وكرومها وغروسها يكون خاصا للفرنج . ودَيْرُ السـياح ، ودَيْرُ مارلياس بأرَاضِيهمَا المعروفة بهما وكُرُومهما وبَسَاتِينهما يكونُ خاصًّا للفرنج .

وعلى أن يكونَ للسُّلطانِ المَلِكِ المَنْصور ولوَلَدِه الصَّالح : من بلاد الكَرْمل ، وهى : الدالية ، ودونه ، وضريبـة الريح . والكَرْك ، ومعليا ، والرامون ، ولوسه ، ويسور ،

(١) لم نقف على أكثر هذه البلاد بعد البحث عنها فى معجم ياقوت وتقويم البلدان . لذلك تبعنا الأصول فى الاهمال والنقط .

وخربة يونس، وخربة خمس، ورشيا، ودوانه، يكون خاصًا للفرنج فى بلادٍ أخرى ذكرها . وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها للسلطان ولولده بكمالها .

وتكونُ جميعُ هذه البلاد العكّاوية وما عُيّن فى هذه الهُـدنة المباركة من البلاد السّاحليـة آمنـةً من السُّلطانِ المَلِكِ المنصور وولَدِه المَلِكِ الصّالح ، وآمنةً من عساكرِهما وجُنُودِهما ومن خَدَمِهما، وتكونُ هذه البلادُ المشروحةُ أعلاه، الداخلةُ فى هذه الهُـدنة المباركة : الخاصّ بها ، وما هو مُناصَفَةٌ ـ مُطْمَئِنّةٌ هى ورعاياها، وسائرُ أجناسِ الناس فيها، والقاطنين بها، والمترددينَ إليهـا على اختلاف أجناسِهم وأديانِهم ، والمترددينَ إليها من جميع بلادِ الفرنجة والسُّفّار ، والمترددين منها وإليهـا فى برٍّ وبحرٍ، فى ليلٍ أو نهارٍ، سَهْلٍ وجَبَلٍ، آمنينَ على النُّفوس والأموالِ والأولادِ، والمَراكِبِ والدّوابِّ ، وجميعِ ما يتعلّقُ بهم ، وكلِّ ما تحويهِ أيديهم من الأشياءِ على اختلافِها ، من السُّلطانِ وولَدِه ، وجميعِ من هو تحتَ طاعتِهما . لا ينالُهم ولا ينالُ هذه البلادَ المذكورةَ التى انعقدتْ عليها الهُدنةُ سوءٌ ولا ضَرَرٌ ولا إغارةٌ ، ولا ينالُ إحدَى الجهتين المذكورتين : الإسـلاميةِ والفرنجيةِ من الأخرى ضَرَرٌ ولا أذيّةٌ ؛ ويكونُ ما تقرّرَ أنه يكونُ خاصًّا للفرنج حسب ما بُيّن أعلاه لهم، وما تقرّرَ أن يكونَ للسُّـلطانِ ولولَدِه خاصًا لهما ، والمناصـفاتُ تكونُ كما شُرِح . ولا يكونُ للفرنج من البلاد والمُناصَفاتِ إلا ما شُرِحَ فى هذه الهُدنةِ وعُيّن فيها من البلادِ .

وعلى أنّ الفرنج لا يُجدّدون فى غيرِ عكّا وعَثْليث وصَيْدا : مما هو خارجٌ عن أسوار هذه الجهاتِ الثلاثِ المذكوراتِ، لا قلعةً، ولا بُرْجًا، ولا حِصْنًا، ولا مُسْتَجِدًّا .

وعلى أنه متى هَرَب أحدٌ ـ كائنًا مَن كان ـ من بلاد السُّلطانِ وولَدِه إلى عكّا والبلاد السّاحلية المعيّنة فى هـذه الهُدنة ، وقصدَ الدُّخولَ فى دِينِ النّصرانيّة وتنصّر

بإرادته، يُرَدّ جميعُ ما يَروحُ معه ويَبقى عُريانا . وإن كان ما يقصدُ الدُخولَ في دين النصرانية ولا يَتنصّر، رُدّ إلى أبوابهما العاليةِ بجميع مايروحُ معه، بشفاعةِ ثقةٍ بعد أن يُعطَى الأمانَ . وكذلك إذا حضر أحدٌ من عكّا والبلادِ السّاحليّةِ الداخلةِ في هذه المُدْنة، وقصدَ الدُخولَ في دينِ الإسلام وأسلَم بإرادته، يردُّ جميعُ ما معه ويبقى عُريانا . وإن كان مايقصدُ الدُخولَ في دينِ الإسلام ولا يُسلِمُ، يردُّ إلى الحُكّامِ بعكّا، والمقدّمين بجميع مايروحُ معه بشفاعةٍ بعد أن يُعطَى له الأمانُ .

وعلى أنّ الممنوعاتِ المعروفَ منعُها قديماً تَستقرُّ على قاعدةِ المنعِ من الجهتين . ومتى وُجِدَ مع أحدٍ من تُجّارِ بلاد السُّلطان وولَدِه من المسلمين وغيرِهم على اختلاف أديانِهم وأجناسِهم شيءٌ من الممنوعات بعكّا والبلادِ السّاحليّةِ الداخلةِ في هذه المُدْنة، مثل عدّةِ السِّلاح وغيره، يُعادُ على صاحبِه الذي اشتراه منه، ويعادُ إليه ثمنُه، ويُردُّ ولا يُؤخذُ مالُه استهلاكاً، ولا يُؤذَى . وللسُّلطانِ ولولَدِه أن يفتصلا في من يخرجُ من بلادِهما من رَعيّتِهما، على اختلاف أديانِهم وأجناسِهم، بشيءٍ من الممنوعات . وكذلك كفيلُ المملكةِ بعكّا والمقدَّمون لهم أن يفتصلوا في رَعيّتِهم الذين يخرجُونَ بالممنوعاتِ من بلادِهم الدّاخلةِ في هذه المُدْنةِ .

ومتى أخذَتْ أخيذةٌ من الجانبَين، أو قُتِل قتيلٌ من الجانبين، على أيّ وجهٍ كانَ ـ والعياذُ بالله ـ رُدّتِ الأخيذةُ بعينِها إن كانتْ موجودةً، أو قيمتُها إن كانتْ مفقودةً . والقتيلُ يكون العوضُ عنه بنظيرِه من جنسِه : فارسٌ بفارسٍ، وبركيلٌ ببركيلٍ، وتاجرٌ بتاجرٍ، وراجلٌ براجلٍ، وفلاّحٌ بفلاّحٍ . فإن خَفِيَ أمرُ القتيلِ والأخيذةِ، كانت المهلةُ في الكشفِ أربعين يوماً، فإن ظهرتْ الأخيذةُ أو تعيّن أمرُ المقتولِ، رُدّت الأخيذةُ بعينِها ويكونُ العوضُ عن القتيلِ بنظيرِه، وإن لم تظهَرْ

كانت اليمينُ علىٰ وَالِي المكانِ المدّعىٰ عليه، وثلاثةِ نَفَرٍ يقعُ اختيار المدّعي عليهم، من تلك الولايَة . وإن امْتنعَ الوَالِي عن اليَمِينِ يحلف من الجِهَةِ المدّعِيةِ ثلاثةُ نَفَرٍ تختارهم الجِهَةُ الأخرىٰ وأخذ قيمتها . وإن لم يُنْصِف الوَالِي ولا رَدّ المـالَ، أنهى المـدّعِي أمْرَه إلى الحُكّامِ من الجِهتَينِ، وتكونُ المهْلَةُ بعدَ الإنهـاءِ أربعين يومًا، ويلْزَمُ الولاةَ من الجهتين بالوفَاء بهذا الشَّرْطِ .

ومتىٰ أخفَوْا قتيـلًا أو أخِيـذَةً، أو قدَرُوا علىٰ أخذِ حَقٍّ ولم يأخُذْه كلُّ واحدٍ في ولايته، يتعيَّن على الذى يوليه من مُلُوكِ الجهتين إقامَةُ السِّيَاسَـةِ فيه : من أخذ الرُّوحِ والمـالِ والشَّنقِ، والإنكار التـامّ علىٰ من يتعَيَّنُ عليه الإنكارُ إذا فعل ذلك في ولايته وأرضِه .

وإن هَرَبَ أحدٌ بمـالٍ واعْترفَ ببَعْضه وأنكرَ بعْضَ ما يُدّعَىٰ به عليه، لَزِمه أن يحلِفَ أنه لم يأخُذْ سوَىٰ مارَدّه . فان لم يقنَع المدّعِي بيمينِ الهارِب، حلَفَ وَالِي تلك الولاية أنه لم يَطّلِعْ علىٰ أنه وَصَلَ معه غيرُ مارَدّه . وإن أنكرَ أنّه لم يَصِلْ معه شَيْءٌ أصْلًا، استحلف الهاربُ أنه لم يَصِلْ معه للمدّعِي شَيْءٌ .

وعلىٰ أنه إذا انكسر مَرْكَبٌ من مَرَاكبِ تُجّارِ السُّلطانِ وولَدِه التى انعقدت عليها الهُدْنة، ورَعِيّتِهما من المسـلمين وغيرهم : على اختلاف أجْناسِهم وأدْيانهم، في مِينا عَكّا وسَواحِلِها، والبِـلادِ السَّاحِلِيّةِ التى انعقدتْ عليها الهُدْنة، كان كلُّ من فيها آمِنًا على الأنفُسِ والأموالِ والأتْباعِ والمَتَاجِر . فإن وُجِدَ أصحابُ هـذه المراكبِ التى تَنْكِسرُ تُسلّم مراكِبُهم وأموالُهم [إليهم] . وإن عُدِمُوا بمَوْتٍ أو غَرَقٍ أو غَيْبةٍ، فيُحتَفَظُ بموجودِهم ويُسَـلّمُ لنوّابِ السُّـلطان وولَدِه . وكذلك المَرَاكبُ المتوجّهةُ من هذه البلاد السَّاحلية المنعقِدِ عليها الهُدْنةُ للفِرَنج، يجْرى لهـا مثلُ ذلك في بلاد

السُّلْطانِ ووَلَدِه، ويحتفَظ بموجُودها إن لم يكن صاحِبُها حاضرًا إلىٰ أن يُسَلَّم لكَفيل المملكة بعكّا أو المقدَّم .

ومتىٰ تُوُفّىَ أحدٌ من التُّجّارِ الصادرين والواردين : على اختلاف أجناسِهم وأديانِهم، من بلاد السُّلطانِ وولَده، فى عكّا وصَيْدا وعَثْليث، والبلادِ السّاحليةِ الداخلةِ فى هذه الهُدْنةِ على اختلاف أجناسِهم وأديانِهم [فيحتفظ على ماله حتى يسلم لنواب السلطان وولده] ، وإذا تُوفّى أحدٌ فى البلاد الإسلاميةِ الداخلةِ فى هذه الهُدْنة، يحتَفظُ علىٰ مالِه إلىٰ حِين يسلَّمُ إلىٰ كفيل المملكة بعكّا والمقدَّمين .

وعلىٰ أنّ شَوَانِى السُّلطانِ وولَدِه إذا عمرتْ وخَرجتْ لا تتعرّضُ بأذيّةٍ إلى البلاد الساحليّةِ التى انعقدتْ عليها هـذه الهُدْنة . ومتىٰ قصدت الشّوانِى المذكورةُ جهةً غير هذه الجهات، وكان صاحبُ تلك الجهَةِ مُعاهِدًا للحُكّامِ بمملَكةِ عكّا، فلا تدخُلُ إلى البلاد التى انعقدتْ عليها هـذه الهُدْنةُ ولا تتَزوّدُ منها . وإن لم يكنْ صاحبُ تلك الجِهَةِ التى تقصِدُها الشّوانِى المنصورةُ مُعاهِدًا للحُكّامِ بمملَكةِ عكّا والبلادِ التى انعقدتْ عليها الهُدْنة ، فلها أن تدخُلَ إلىٰ بلادها وتتزوّدَ منها . وإن انكسر شىءٌ من هـذه الشّوانِى ـ والعياذُ باللّه ـ فى مِينا من موانِى البلادِ التى انعقدتْ عليها الهُـدْنةُ وسَواحِلها : فإن كانتْ قاصِـدةً مَن له مع مملكةِ عكّا ومُقدَّمِى بيوتِها عهـدٌ، فيلزمُ كَفيلُ المملَكةِ بعكّا ومقدّمِى البيُوت بحفظها، وتمكينِ رجالها من الزوادة وإصلاحِ ما انكسرَ منها ، والعَوْدِ إلى البـلاد الإسلامية ، و[لا] يبطلُ حركَةَ ما تكسَّرَ منهـا ـ والعِياذُ باللّه ـ أو يرميه البَحر . هـذا إذا كانتْ قاصدةً مَن له مع مملكةِ عكّا ومُقدَّميها عهدٌ . فإن [قصدتْ مَن] لم يكنْ لهـا معهم عَهْدٌ، فلها أن تتزوّدَ وتُعمّر رجالَها من البلاد المُنعقِدِ عليها هذه الهُدْنَة، وتتوجّهَ إلى البلاد المَرْسومِ لها بقصْدِها، ويعتمدُ هذا الفَصْلُ من الجهتين .

وعلى أنّه متى تحرّك أحدٌ من مُلوكِ الفرنجة وغيرهم من جُوّا البَحْرِ لقصْد الحضور لحضْرة السُّلطان وولَده فى بلادهما المتّفقة عليها هــذه المُدْنَة ، فيلزَمُ نائب المملكة والمقدَّمين بعكّا، أن يعرّفوا السلطانَ وولَده بحرَكتِهم قبل وصُولِهم إلى البلاد الإسلاميّة الداخلة فى هذه الهُــدْنة بمدّة شَهْرين . وإن وصَلُوا بعد انقضاء مُدّة شَهْرين ، فيكونُ كَفيلُ المملكة بعكّا، والمقدَّمونَ بَريئِينَ من عُهْدة اليمين فى هــذا الفَصْل .
ومتى تحرّك عَدُوٌّ من جِهَة البرّ من التّتَارِ وغيرِهم ، فأىُّ مَن سَبَق الخبرُ إليه من الجهتين يُعرّفُ الجهةَ الأخرى بمــا سبق الخبرُ إليه من أمْرِهم .

وعلى أنه إن قصدَ البلادَ الشّاميّةَ ـ والعياذُ بالله ـ عدُوٌّ من التّتَارِ وغيرهم فى البرّ، وانحازت العسـاكرُ الإسْلاميةُ من قدّام العَدُوّ، ووصــل العَدُوُّ إلى القُرْب من البلاد السّاحليّة الداخلة فى هذه الهُــدْنَة وقصَدُوها بمضَرّة، فيكتب إلى [كفيل] المملكة بعكّا، والمقدَّمينَ بها أن يَدْرءُوا عن بُيوتِهم ورَعِيّتِهم وبِلادِهم بما تصلُ قُدْرَتُهم إليه . وإن حَصل ـ والعياذُ بالله ـ جفلٌ من البِلادِ الإسْلاميّة إلى البلادِ السّاحليّة الداخلة فى هذه الهُدْنة ، فيلزمُ كَفيلَ المملكة بعكّا ، والمقدَّمين بها حِفظُهم والدَّفعُ عنهم ومَنْعُ من يَقْصِدُهم بضَرَرٍ ، ويكونون آمِنِينَ مُطْمَئِنّينَ بمــا معهم .

وعلى أنّ النّائب بمملكة عكّا، والمقدّمين بها يُوصُونَ فى سائرِ البِلادِ الساحلية التى وقعتْ الهُــدْنةُ عليها، أنّهــم لايمكّنُون حَرَامِيّةَ البَحْرِ من الزوادة من عندهم ولا من حَمْل ماءٍ . وإن ظَفِرُوا بأحدٍ منهــم يُمْسِكُونه ، وإن كانوا يبيعون عنــدهم بَضائع فيُمْسِكُها كَفيلُ المملكة بعكّا والمقدَّمونَ حتّى يظهَرَ صاحِبُها وتسلَّمَ إليــه . وكذلك يعتَمِدُ السلطانُ وولَدُه .

وعلى أن الرّهائنَ بعكّا والبلادِ السّاحلية الدّاخلة فى هذه الهُدْنة ، كلّ من عليه منهم مَبلغٌ أو غَلّة ، فيحلف والِى ذلك المكانِ الذى منه الرّهينة ، ويحلف المُباشِرُ والكاتِبُ

فى وقت أخذ هـذا الشخص رهينة أنه عليـه كذا وكذا : من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره . فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدام نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بمـا للفرنج عليـه ويطلقونه . وأما الرهائن الذين أخذوا منسوبين إلى الجفل والأخلشاه أنهـم لا يهربون إلى بلاد الإسـلام ويمتنع الولاة والمباشرون من اليمين عليهم، فأولئك يطلقون .

وعلى أن لا يجدد على التجار المسافرين : الصادرين والواردين من الجهتين حق لم تجر به عادة ، ويجروا على عوائدهم المستمرة إلى آخر وقت، وتؤخذ منهم الحقوق على العـادة المسـتمرة ، ولا يجدد عليهم رسم ولا حق لم تجر به عادة . وكل بمكان عرف بآستخراج الحق فيه يسـتخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين، فى حالتى سـفرهم وإقامتهم، ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفرين من الجهتين فى حالتى سفرهم وإقامتهـم ، وصدورهم وورودهم بمـا صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير ممنوعة .

وعلى أنه ينادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هـذه الهدنة : أنه من كان من فلاحى بلاد المسلمين يعود إلى بلاد المسـلمين مسلما كان أو نصرانيا، وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج مسـلما كان أو نصرانيا، معروفا قراريا من الجهتين، ومن لم يعد بعد المناداة يطرد من الجهتين . ولا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقد عليها هذه الهدنة، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى آنعقدت عليها هذه الهدنة، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان .

وعلى أن تكون كنيسة النـاصرة وأربع بيوت من أقرب البيوت إليهـا لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب : كبيرهم وصغيرهم على آختلاف أجناسهم وأقدارهم:

من عكّا والبلادِ الساحليّة الداخلةِ في هذه المُدنة ، ويُصلّي بالكنيسة الاقساء[1] والرُّهبانُ ، وتكونُ البيوت المذكورةُ لزُوّارِ كنيسة النّاصرة خاصّة ، ويكونون آمنين مُطْمئنّين في توجّههم وحضُورِهم إلى حدود البلاد الداخلةِ في هـذه المُدْنة . وإذا نُقِبتْ الحجارةُ التي بالكنيسة المذكورة تُرمى برا ، ولا يُحطُّ حَجَرٌ منها على حَجَرٍ لأجلِ بنايته ، ولا يتعرّضُ إلى الأقساء[1] والرُّهبانِ ، وذلك على وَجْه الهِبَةِ لأجل زُوّارِ دِينِ الصَّليبِ بغيرِ حقّ .

ويلزمُ السلطانَ وولَدَه حِفظُ هـذه البلادِ المشروحةِ التي انعقدتْ عليها المُدْنةُ من نفسِهما وعساكرِهما وجُنودِهما ، ومن جميع المتجرّمة والمتلصّصينَ والمُفسِدين : ممّن هو داخلٌ تحت حُكمِهما وطاعتِهما . ويلزمُ كفيلَ المملكة بعكّا والمقدَّمين بها حِفظُ هـذه البلادِ الإسلاميةِ المشروحةِ التي انعقدتْ عليها المُدْنةُ ، من نفسِهم وعساكرِهم وجُنودِهم ، وجميعِ المتجرّمةِ والمتلصّصينَ والمُفسِدين : ممن هو داخلٌ تحتَ حُكمِهم وطاعتِهم بالمملكة السّاحليّة الداخلةِ في هذه المُدْنة . ويلزم كفيلَ المملكة بعكّا ، ومقدّمي البُيُوتِ بها الحُكّامِ بعكّا والبلادِ الساحليةِ الداخلةِ في هذه المُدْنةِ — القيامُ بما تضمّنته هذه المُدْنةُ من الشُّروطِ جميعِها ، شرطًا شرطًا ، وفصلًا فصلًا ، والعملُ بأحكامها ، والوُقوفُ مع شُروطِها إلى انقضاءِ مُدّتِها . ويَفِي كلٌّ منهم بما حلَف به من الأيمانِ المؤكّدة : من أنّه يَفِي بجميع ما في هذه المُدْنةِ على ما حلَفُوا به .

تستمرُّ هذه المُدْنةُ المباركةُ بين السُّلطانِ وولَدِه وأولادِهما وأولادِ أولادِهم ، وبين الحُكّامِ بمملكةِ عكّا ، وصَيْدا ، وعَثْليث ، وهم الشيخان أودرا(؟) المقدّمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها . لا تتغيّر بموتِ مُلوكِ أحدِ الجهتين ، ولا بتغيّرِ مقدّم وتوليةِ غيره ، بل تستمرُّ على حالِها إلى آخرِها وانقضائِها ، بشُروطِها المحدودة ،

(١) لعل الصواب القسوس ، أو القسيسون .

وقواعدها المقررة ، كاملةً تامّة . ومتى ٱنقضت هـذه المُدنةُ المبـاركةُ ، أو وقع ـ والعياذُ بالله ـ فسخٌ ، كانت المُهلَةُ فى ذلك أربعين يوماً من الجهتين ، وينادَى برجوع كلّ أحدٍ إلىٰ وَطَنِه بعد الإشهادِ، ليعُودَ الناسُ إلىٰ مَواطنِهم آمِنينَ مُطمئنين ولا يمنعون من السَّـفَرِ من الجهتين ، ولا تبطلُ بعَزْل أحَدٍ من الجهتين ، وتُشَـيَّدُ أحكامُها مُتَابِعةً متوالية ، بالسنين والشُّهورِ والأيّامِ إلى ٱنقضائها ، ويلزم المتولَى حفْظها والعَمَل بشُرُوطِها وفُصُولها ، وفُروعِها وأُصولِهـا ، ويَجْرِى الحالُ فيها علىٰ أجْمَلِ الحالات إلىٰ آخِرِها . وعلىٰ جميع ذلك وَقَع الرِّضا والصَّفْحُ والاتّفاقُ ، وحلف عليها من الجهتَينِ ، والله الموفِّق .

الملحق رقم (٩)

كونتية يافا :

هيو بويزيه	٥١٢ هـ/ حوالي ١١١٨م
هيو الثاني بويزيه	٥١٤ – ٥٣٠ هـ/ ١١٢٠ – ١١٣٥م
جوتييه بريين	٦١٨ – ٦٤٤ هـ/ ١٢٢١ – ١٢٤٦م
يوحنا ابلين	٦٤٥ – ٦٦٥ هـ/ ١٢٤٧ – ١٢٦٦م
جاي ابلين	٦٦٥ – ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٦٨م

امارة الجليل :

تنكرد	٤٩٣ – ٤٩٥ هـ/ ١٠٩٩ – ١١٠١م
هيو سانت أومر (فولكنبرج)	٤٩٥ – ٥٠٠ هـ/ ١١٠١ – ١١٠٦م
جيرفاس باسوخ	٥٠٠ – ٥٠٢ هـ/ ١١٠٦ – ١١٠٨م
جوسلين الاول كورتيناي	٥٠٦ – ٥١٣ هـ/ ١١١٢ – ١١١٩م
وليم دي بور	٥١٤ – ٥٣٦ هـ/ ١١٢٠ – ١١٤١م
النياند طبرية	٥٣٧ – ٥٤٣ هـ/ ١١٤٢ – ١١٤٨م
وليم شقيق النياند	٥٤٣ – ٥٥٣ هـ/ ١١٤٨ – ١١٥٨م
جوتييه سانت أومر	٥٥٤ – ٥٦٧ هـ/ ١١٥٩ – ١١٧١م
ريموند الثالث كونت طرابلس	٥٧٠ – ٥٨٣ هـ/ ١١٧٤ – ١١٨٧م

بارونية صيدا:

يوستاس جارنييه	٥٠٥ – ٥١٧ هـ/ ١١١١ – ١١٢٣م
رينالد	٥٦٧ – ٥٨٣ هـ/ ١١٧١ – ١١٨٧م
باليان	٦٢٧ – ٦٣٨ هـ/ ١٢٢٩ – ١٢٤٠م
جوليان	٦٤٥ – ٦٥٩ هـ/ ١٢٤٧ – ١٢٦٠م

بارونية ما وراء النهر:

رومان دي بويه	٥١٢ – ٥٢٨ هـ/ ١١١٨ – ١١٣٣م
باجان ميللي	٥٢٨ – ٥٤٣ هـ/ ١١٣٣ – ١١٤٨م
فيليب (نابلس)	٥٥٧ – ٥٦٤ هـ/ ١١٦١ – ١١٦٨م
همفري الثالث (تبنين)	٥٦٤ – ٥٦٩ هـ/ ١١٦٨ – ١١٧٣م

مايلز بلانسي	٥٦٩ – ٥٧٠ هـ/ ١١٧٣ – ١١٧٤م
رينالد شاتيون	٥٧٣ – ٥٨٣ هـ/ ١١٧٧ – ١١٨٧م

اقطاع قيسارية :

يوستاس جارنييه	٤٩٥ – ٥١٧ هـ/ ١١٠١ – ١١٢٣م
حوتييه الاول	٥١٧ – ٥٤٤ هـ/ ١١٢٣ – ١١٤٩م
هيو	٥٤٩ – ٥٦٤ هـ/ ١١٥٤ – ١١٦٨م
جاي	٥٧٠ – ٥٧٢ هـ/ ١١٧٤ – ١١٧٦م
جوتييه الثاني	٥٧٨ – ٥٨٧ هـ/ ١١٨٢ – ١١٩١م
ايمار لايرون	٥٨٩ – ٦١٠ هـ/ ١١٩٣ – ١٢١٣م
جوتييه الثالث	٦١٤ – ٦٢٧ هـ/ ١٢١٧ – ١٢٢٩م
يوحنا	٦٢٧ – ٦٣٩ هـ/ ١٢٢٩ – ١٢٤١م
يوحنا أليمان	٦٤٧ – ٦٦٣ هـ/ ١٢٤٩ – ١٢٦٤م

اقطاع تبنين :

همفري الاول	٥٠١ – ٥٣١ هـ/ ١١٠٧ – ١١٣٦م
همفري الثاني (كندسطبل بيت المقدس)	٥٣٢ – ٥٧٥ هـ/ ١١٣٧ – ١١٧٩م
همفري الرابع	٥٧٥ – ٥٧٦ هـ/ ١١٧٩ – ١١٨٠م
فيليب مونتفورت (سيد صور)	٦٣٨ – ٦٦٩ هـ/ ١٢٤٠ – ١٢٧١م
يوحنا مونتفورت (سيد صور وتبنين)	٦٦٩ – ٦٨٢ هـ/ ١٢٧٠ – ١٢٨٣م

اقطاع الرملة ويبنة :

بلدوين الاول	٥٠٤ – ٥١٤ هـ/ ١١١٠ – ١١٢٠م
هيو	٥١٦ – ٥٢٤ هـ/ ١١٢٢ – ١١٢٩م
بلدوين الثاني	٥٣١ – ٥٣٣ هـ/ ١١٣٦ – ١١٣٨م
رينييه	٥٣٩ – ٥٤٢ هـ/ ١١٤٤ – ١١٤٧م
باليان الاول ابلين	٥٤٩ – ٥٦٥ هـ/ ١١٥٤ – ١١٦٩م
بلدوين ابلين	٥٦٧ – ٥٨٢ هـ/ ١١٧١ – ١١٨٦م

الملحق رقم (١٠)

مقدمو الاسبتارية في مملكة بيت المقدس:

الاسم	المدة
جيرار	٤٩٤ – ٥١٤ هـ/ ١١٠٠ –
ريموندي بوبه	٥١٩ – ٥٥٣ هـ/ ١١٢٥ – ١١٥٨م
أوجر باليـن	٥٥٦ – ٥٥٨ هـ/ ١١٦٠ – ١١٦٢م
جيلبرت اسايللـي	٥٥٩ – ٥٦٦ هـ/ ١١٦٣ – ١١٧٠م
كاستـه دي موروا	٥٦٦ – ٥٦٨ هـ/ ١١٧٠ – ١١٧٢م
جوبير	٥٦٩ – ٥٧٣ هـ/ ١١٧٣ – ١١٧٧م
روجر دي مولين	٥٧٣ – ٥٨٣ هـ/ ١١٧٧ – ١١٨٧م
ارمنجو اسبا	٥٨٤ – ٥٨٦ هـ/ ١١٨٨ – ١١٩٠م
جارنيبيه (نابلس)	٥٨٦ – ٥٨٨ هـ/ ١١٩٠ – ١١٩٢م
جيفري دونجون	٥٨٨ – ٦٠١ هـ/ ١١٩٢ – ١٢٠٤م
الفونسو (البرتغال)	٦٠١ – ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٤ – ١٢٠٦م
جيفري	٦٠٣ – ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٠٧م
جارين مونتايجو	٦٠٤ – ٦٢٥ هـ/ ١٢٠٧ – ١٢٢٧م
برتراند دي شيبي	٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م
جوريـن	٦٢٩ – ٦٣٤ هـ/ ١٢٣١ – ١٢٣٦م
برتراند دي كومب	٦٣٤ – ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٦ – ١٢٣٩م
بطرس	٦٣٨ – ٦٣٩ هـ/ ١٢٤٠ – ١٢٤١م
وليم شاتونيف	٦٤١ – ٦٥٦ هـ/ ١٢٤٣ – ١٢٥٨م
هيو ريفل	٦٥٦ – ٦٧٦ هـ/ ١٢٥٨ – ١٢٧٧م
نيقولا لورجين	٦٧٦ – ٦٨٢ هـ/ ١٢٧٧ – ١٢٨٣م
يوحنا فيليبه	٦٨٤ – ٦٩٣ هـ/ ١٢٨٥ – ١٢٩٣م

مقدمو الداوية في الارض المقدسة :

هيو باينز	٥١٢ – ٥٣١ هـ/ ١١١٨ – ١١٣٦م
روبرت كروان	٥٣١ – ٥٤٣ هـ/ ١١٣٦ – ١٩٤٨م
ايفرار دي بار	٥٤٣ – ٥٤٤ هـ/ ١١٤٨ – ١١٤٩م
برنارد تريمبيلاي	٥٤٧ – ٥٤٨ هـ/ ١١٥٢ – ١١٥٣م
ايبرارد	٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م
اندريه مونتبار	٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م
برتراند بلانشفورت	٥٥١ – ٥٦٤ هـ/ ١١٥٦ – ١١٦٨م
فيليب ميللي	٥٦٥ هـ/١١٦٩م
آودسانت ـ اماند	٥٦٨ – ٥٧٥ هـ/ ١١٧٢ – ١١٧٩م
ارموند تورّوج	٥٧٩ – ٥٨٠ هـ/ ١١٨٣ – ١١٨٤م
جيرار ريد فورت	٥٨٢ – ٥٨٥ هـ/ ١١٨٦ – ١١٨٩م
روبرت	٥٨٧ – ٥٨٩ هـ/ ١١٩١ – ١١٩٣م
جيبرت هورال	٥٩١ هـ/ ١١٩٤م
فيليب بليسيس	٦٠١ – ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٤ – ١٢٠٩م
وليم بويتّيه	٦٠٧ – ٦١٦ هـ/ ١٢١٠ – ١٢١٩م
بطرس مونتايجو	٦١٧ – ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٠ – ١٢٢٩م
ارمان بريجورد	٦٣٠ – ٦٤٢ هـ/ ١٢٣٢ – ١٢٤٤م
وليم سوناك	٦٤٥ – ٦٤٨ هـ/ ١٢٤٧ – ١٢٥٠م
رينالد فيشيه	٦٤٨ – ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٥٦م
توماس بيرار	٦٥٤ – ٦٧٢ هـ/ ١٢٥٦ – ١٢٧٣م
وليم بوجيه	٦٧٢ – ٦٩١ هـ/ ١٢٧٣ – ١٢٩٠م

الفرسان التيوتون بالارض المقدسة :

هنيريش والبو	٥٩٥ – ٥٩٧ هـ/ ١١٩٨ – ١٢٠٠م
اوتو فون كيرين	٥٩٧ – ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٠ – ١٢٠٩م
هينريش باردت	٦٠٦ – ٦٠٧ هـ/ ١٢٠٩ – ١٢١٠م
هرمان سالتزا	٦٠٧ – ٦٣٧ هـ/ ١٢١٠ – ١٢٣٩م
كنراد ثورنجيا	٦٣٧ – ٦٣٨ هـ/ ١٢٣٩ – ١٢٤٠م
جيرارد مالبرج	٦٣٩ – ٦٤٢ هـ/ ١٢٤١ – ١٢٤٤م
هينرش هو هنلوه	٦٤٢ – ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٤ – ١٢٤٩م
جونتر شفارتز بورج	٦٤٨ – ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٥٢م
بوبو اوستيرنا	٦٥١ – ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٣ – ١٢٥٦م
انو سانجرز هاوزن	٦٥٥ – ٦٧١ هـ/ ١٢٥٧ – ١٢٧٢م
هارتمان هلد رونجن	٦٧١ – ٦٨١ هـ/ ١٢٧٢ – ١٢٨٢م
بورشارد شقنيك	٦٨١ – ٦٨٩ هـ/ ١٢٨٢ – ١٢٩٠م
كنراد فو يختفانجن	٦٨٩ – ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٦م

المصادر العربية

١ - ابن الاثير : آ - " الكامل في التاريخ " طبعة دار صادر ، بيروت - الجزء العاشر - الحادي عشر - الثاني عشر .

ب - " التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل " تحقيق عبد القادر أحمد طليمات - دار الكتب الحديثة - القاهرة .

٢ - ابن الاخوة (القرشي) : "معالم القربة في أحكام الحسبة" تحقيق محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣ - ابن الجوزي : " مرآة الزمان " مخطوط بمجمع اللغة العربية - الجزء الثامن .

٤ - ابن العديم : آ - " بغية الطلب في تاريخ حلب " تحقيق الدكتور سهيل زكار - طبعة ١٩٨٨ - دمشق الجزء السادس .

ب - " زبدة الحلب من تاريخ حلب " تحقيق سامي الدهان - طبعة عام ١٩٥٤ .

٥ - ابن القلانسي : "تاريخ دمشق " تحقيق الدكتور سهيل زكار - الطبعة الاولى ١٩٨٣ .

٦ - ابن بطوطة : "رحلة ابن بطوطة " المسماة " تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار " دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة .

٧ - ابن تغري بردي الاتابكي : " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " طبعة دار الكتب المؤسسة المصرية العامة - الجزء الخامس .

٨ - ابن جبير : " رحلة ابن جبير " دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة .

٩ - ابن خلدون : " تاريخ ابن خلدون أو العبر وديوان المبتدأ والخبر " الطبعة الاولى ١٩٨١ - دار الفكر اللبناني - الجزء الخامس .

١٠ - ابن شداد : " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين " تحقيق جمال الدين الشيال - الدار المصرية للتاليف والترجمة - الطبعة الاولى ١٩٦٤ .

١١ - ابن طولون الصالحي : " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية " تحقيق محمد أحمد دهمان - طبعة عام ١٩٤٩ .

١٢ - ابن قاضي شهبة : " الكواكب الدرية في السيرة النورية " تحقيق الدكتور محمود زايد دار الكتاب الجديد - الطبعة الاولى ١٩٧١ - بيروت .

١٣ - ابن عبد الظاهر : " تشريف الانام والعصور في سيرة الملك المنصور " تحقيق مراد كامل القاهرة - ١٩٦١ وكذلك طبعة عام ١٩٦٩ .

١٤ - ابن كثير :- " البداية والنهاية " الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٧ ، الجزء الحادي عشر والثاني عشر .

١٥ - ابن منقذ : " الاعتبار " تحرير فيليب حتي - الدار المتحدة للنشر - طبعة عام ١٩٨١.

١٦ - ابن نظيف الحموي : " التاريخ المنصوري أو تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان " تحقيق الدكتور أبو العيد دودو - دمشق ١٩٨٢ م

١٧ - ابن واصل : " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٧ الجزء الثاني والثالث .

١٨ - أبو الفداء : " المختصر في أخبار البشر " دار المعرفة للطباعة والنشر - الجزء الثاني والثالث .

١٩ - أبو شامة : " الروضتين في أخبار الدولتين " طبعة دار الجليل - بيروت .

٢٠ - الاصفهاني : آ - " البرق الشامي " تحقيق مصطفى الحياري - الطبعة الاولى ١٩٨٧ - الاردن، الجزء الثالث ، وكذلك الجزء السادس المخطوط .

ب - " الفتح القسي في الفتح القدسي " تحقيق محمد محمود صبح - القاهرة .

٢١ - البنداري : آ - " مختصر تواريخ آل سلجوق " طبع ليدن ١٨٨٩ م .

ب - " سنا البرق الشامي " تحقيق رمضان ششن - القسم الاول الطبعة الاولى ١٩٧١ - دار الكتاب الجديد - بيروت .

٢٢ - الحسيني : " أخبار الدولة السلجوقية " طبع لاهور ١٩٣٣ م .

٢٣ - الحنبلي : " شفاء القلوب في مناقب بني أيوب " تحقيق ناظم رشيد - وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية ١٩٧٨ .

٢٤ - الذهبي : " دول الاسلام " تحقيق محمد مصطفى ابراهيم وفهيم شلتوت - الهيئة المصرية العامة للكتاب - طبعة عام ١٩٧٤ .

٢٥ - الراوندي : " راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية " نقله الى العربية ابراهيم الشواربي وعبد المنعم حسنين وفؤاد الصياد - القاهرة ١٩٦٠م .

٢٦ - القلقشندي : آ - " صبح الاعشى في صناعة الانشا " المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - الجزء الرابع عشر .

ب - " اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا " تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - الجزء الثاني .

٢٧ - المقريزي :-" السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق محمدمصطفى زيادة-لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٣٤ - الجزء الاول القسم الثاني والثالث .

٢٨ - النويري : " نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب " تحقيق محمد فوزي العنتيل - الهيئة العامة المصرية للكتب ١٩٨٥ - الجزء السابع والعشرون .

٢٩ - ياقوت الحموي : " معجم البلدان " دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

المراجـــــع العربيـــــة

١ - أحمد بدر : " تاريخ المغرب والاندلس " طبعة عام ١٩٨٢ - دمشق .

٢ - أسد رستم : " الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب " دار الكشــوف - ١٩٥٦ - بيروت .

٣ - الكسندروس : " تاريخ الكنيسة المسيحية " طبعة عام ١٩٦٤ ، ص ٣٩٧ .

٤ - أمينة بيطار : " تاريخ العصر الايوبي " طبعة عام ١٩٨٢ - دمشق .

٥ - الباز العريني : " مصر في عصر الايوبيين " مطبعة الكيلاني الصغير ١٩٦٠ .

٦ - تيسير بن موسى : " غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين".

٧ - جمال الدين شرور : " سياسة الفاطميين الخارجية " دار الفكر العربي ١٩٧٦ .

٨ - جوزيف نسيم يوسف : آ - " العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولــى " الطبعة الثالثة ١٩٨١ - بيروت .

ب - " لويس التاسع في الشرق الاوسط " القاهرة ١٩٥٩ .

٩ - حسن حبشي : آ - " الحرب الصليبية الأولى " دار الفكر العربي .

ب - " نورد الدين والصليبيون " دار الفكر العربي .

١٠ - رفيق التميمي : " الحروب الصليبية الطبعة الاولى ١٩٤٥ - مطبعة اللواء - القدس .

١١ - زكي النقاش : " العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنــج خلال الحروب الصليبية، طبعة عام ١٩٥٨ - لبنان .

١٢ - سعيد برجاوي : " الحروب الصليبية في المشرق " الطبعة الاولى ١٩٨٤ - بيروت .

١٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور : آ - " الحركة الصليبية " مكتبة الانجلو المصريـــة - الطبعة الثانية ١٩٧١ - جزءان .

ب - " تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصـــور الوسطى " طبعة عام ١٩٧٦ - بيروت .

جـ - " أوربا العصور الوسطى " الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

د - " مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك " طبعـة عام ١٩٧٢ .

١٤ - سميح الزين : " تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً " الطبعة الاولى ١٩٦٩ .

١٥ - سهيل زكار : آ - " الحروب الصليبية " الطبعة الاولى ١٩٨٤ . الجزء الاول .

ب - " حطين مسيرة التحرير" الطبعة الاولى ١٩٨٤ .

جـ - " المدخل الى تاريخ الحروب الصليبية " الطبعة الثالثة ١٩٧٥.

١٦ - سيد علي الحريري : " الاخبار السنية في الحروب الصليبية " المطبعة العموميـــة

بمصر ، الطبعة الاولى ١٨٩٩ م ،

١٧ - عادل زيتون : آ - " تاريخ العصور الوسطى الاوربية " مطبعة [illegible] - دمشق ١٩٨٢ ،

ب - " العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى "

الطبعة الاول ١٩٨٠ - دمشق ،

ج - " العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغـــرب

اللاتيني في العصور الوسطى " الطبعة الاولى ١٩٨٠ - دار دمشق ،

د - " تاريخ المماليك " طبعة عام ١٩٨٢ - دمشق ،

١٨ - عبد النعيم حسنين : " سلاجقة ايران والعراق " مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ،

١٩ - عمر عبد السلام تدمري : " تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور " الطبعـة

الثانية ١٩٨٤ م ، الجزء الاول ،

٢٠ - عمر كمال توفيق : " الدبلوماسية الاسلامية " ،

٢١ - فيليب حتي (وغيره) : " تاريخ العرب " الطبعة الخامسة ١٩٧٤ - دار غندور ،

٢٢ - قدري قلعجي : " صلاح الدين الايوبي " دار الكتاب العربي ،

٢٣ - محمد العروسي المطوي : " الحروب الصليبية في المشرق والمغرب " طبعة عام١٩٨٢ ،

٢٤ - محمد الفتيت : " الشرق والعرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس " الجـــزء

الاول ،

٢٥ - محمد فريد أبو حيدر : " صلاح الدين الايوبي وعصره " دار الهلال ،

٢٦ - مصطفى الحياري : آ - مقال بعنوان : " مدينة بانياس في القرن السادس الهجـــري/

الثاني عشر الميلادي " مجلة البحث العلمـي -

الجامعة الاردنية ،

ب - مقال بعنـوان : " حصن حبيس جلدك " مجلة البحث العلمـــي -

الجامعة الاردنية ،

ج - مقال بعنـوان : " حصن بيت الاحزان " مجلة البحث العلمـــي -

الجامعة الاردنية ،

٢٧ - ميخائيل جميعان : " المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خـــلال

الحروب الصليبية " ،

٢٨ - نظير حسان سعداوي : " الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي " طبعة عام ١٩٦١ ،

مكتبة النهضة المصرية ،

٢٩ - نور الدين حاطوم وعادل زيتون : " في ذكرى معركة حطين " منشورات وزارة الثقافـــة

١٩٨٧ ،

٣٠ - نور الدين حاطوم : " تاريخ العصر الوسيط في أوربا " الطبعة الاولى ١٩٦٧، بيروت .

١٣ - يوسف الدبس : " من تاريخ سورية الدنيوي والديني " المطبعة العمومية ، بيروت ١٩٠٢ .

٣٢ - يوسف غوانمة : " امارة الكرك الايوبية " طبعة عام ١٩٨٠ نشر بلدية الكرك جمعيـة عمال المطابع التعاونية - عمان .

المصادر الاجنبية المترجمة

١ ـ آنا كومينينا :ـ " الالكسياد ". القطعة المترجمة منه والموجودة في كتاب الدكتور سهيل زكار " الحروب الصليبية " الطبعة الاولى ١٩٨٤ دمشق الجزء الاول . جوزيف نسيم " العروب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى " الطبعة الثالثة ١٩٨١ ـ بيروت .

٢ ـ أودو أوف دويل : " رحلة لويس السابع الى الشرق " القطعة المترجمة الموجودة في كتاب الدكتور سهيل زكار " الحروب الصليبية " الجزء الاول .

٣ ـ جوانفيل : " القديس لويس ـ حياته وحملاته على مصر والشام " ترجمة الدكتور حسن حبشي الطبعة الاولى ١٩٦٨ .

٤ ـ فوشيه دي شارتر : " تاريخ الحملة على القدس ١٠٩٥ ـ ١١٢٧ " القطعة المترجمة الموجودة في كتاب الدكتور جوزيف نسيم " العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى ".

٥ ـ المؤرخ المجهول : " أعمال الفرنجة " ترجملا حسن حبشي ـ دار الفكر العربي ـ طبعة عام ١٩٥٨ .

٦ ـ وليم الصوري : " تاريخ الحروب الصليبية ـ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار " صنفه باللاتينية وليم الصوري نقله الى العربية الدكتور سهيل زكار والكتاب قيد الطباعة .

المراجع الاجنبية المترجمة

١ ـ بابا دوبولس (جريسوستمس) : " تاريخ كنيسة انطاكية " تعريب الأسقف استفانس حداد ـ منشورات النور ، ١٩٨٤ .

٢ ـ باركر (آرنست) : " الحروب الصليبية " نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العريني الطبعة الثانية ـ بيروت .

٣ ـ بردج (أنتوني) : " تاريخ الحروب الصليبية " ترجمة أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي تقديم ومراجعة الدكتور سهيل زكار ـ طبعة عام ١٩٨٥ ـ دمشق .

٤ ـ رنسيمان (ستيفن) : " تاريخ الحروب الصليبية " ترجمة الباز العريني ـ الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

٥ ـ زابوروف (ميخائيل) : " الصليبيون في الشرق " ترجمة الياس شاهين ـ طبعة عام ١٩٨٦ .

٦ ـ سميث (جوناثان رايلي) : " الاستبارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ ـ ١٣١٠م " . ترجمة العميد الركن صبحي الجابي ـ مركز الدراسات العسكرية ، دمشق ١٩٨٤ .

٧ ـ سميل " ريتي " ( ) : " فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ١٠٩٧ ـ ١١٩٣م " . ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد ـ مركز الدراسات العسكرية ، دمشق ١٩٨٢ .

٨ ـ فيشر : " تاريخ أوربا العصور الوسطى " ترجمة زيادة والعريني ـ الجزء الاول .

٩ ـ فينر (فولففانغ موبر) : " القلاع أيام الحروب الصليبية " ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد مراجعة اللواء الركن سيد الطيان ـ مركز الدراسات العسكرية ، الطبعة الاولى ١٩٨٢ .

المصادر والمراجع الاجنبيــة

1- Alptaki (Coskun): "Dimask atabaqliqi Toq Teqinliler"
Istanbul 1985.

2- Ault, W.O. :" Europe in the Middle Ages"
Boston 1946.

3- Atiya : -"Crusade, Commerce and culture"
Bloomington 1962.
- "Crusade in the later Middle Ages"
London, 1938.

4- Barraclough: " The Medieval papacy".
London, 1975

5- Deschamps :"Le crce des chevaliers"
Paris 1934.

6- Greusset: -"Histoire des croisades et du royaume firance de Jerusalem" Paris, 1934-1936.
-" L, Empire du levant. Histoire de la Questien d'orient"
Paris, 1946.

7- Heyd : - Histeire du commerce du levant au moyen age"
Leipzig, 1936.

8- Hivari (M): "Crusader Jerusalem 1099 - 1187"
Jerusalem.

9- Lamonte : "Feudal monarchy in the latin Kingdom of Jerusalem 11
1 1100- 1291" Cambridge 1932.

10 - Lane pook: "Saladin" Beirut 1964

11- Leih :"Rome, Kiev et Byzonce a la fin du xieme siecte"
Paris, 1924.

12- Maalouf(Amin):" The crusades through Arabeyes"
London, 1984.

13- Munro :"The Kingdom of the Crusades"

New york, 1935.

14- King :"The knight Hospitallers in the holy land"

London, 1931.

15- Ostrogirsky: " History of Byzantine State"

Oxford, 1968.

16- Richard: "Le Royaume latin de Jerusalem"

Paris 1953.

17- Setten :"A history of the Crusades"

Pennsylvania Press, (2vols)

18- Smith (Riely): "The feudal nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174 - 1277". London, 1973.

19- Stevenson: " The Crusaders in the East"

Cambridge, 1907.

20- Suchem, Ludolphvon: " Description of the holy land and the way thither" London, 1895.

21- Thomson :" Economic and Social History of the middle ages"

22- Vasiliev : "History of the Byzan empire"

America, 1964.

23- Woodhouse: "The military religius orders of the middle ages"

London 1879.